

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

نهاية تراجم

في

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين محمد بن عبد الله التتوي

السفر السادس عشر

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب

مع استدراقات وفهارس جامعة

المسألة

مطبعة دار الكتب المصرية

١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م

معين التاريخ
لأهل التاريخ

الطبعة الأولى بمطبعة دار الكتب المصرية

جميع الحقوق محفوظة لدار الكتب المصرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بيان

رتب شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري كتابه « نهاية الأرب »
على خمسة فنون : الفن الأول في السماء والآثار العلوية ، والأرض والمعالم السفلية .
والثاني في الإنسان وما يتعلق به . والثالث في الحيوان . والرابع في النبات .
والخامس في التاريخ .

وقد أنجز القسم الأدبي بالدار فيما مضى طبع خمسة عشر جزءاً ؛ تشمل على الفنون
الأربعة الأولى ، وقسم من فن التاريخ ؛ يبدأ بمخلق آدم ؛ ثم تاريخ الرسل من بعده ،
وأخبار الأمم والملوك في مختلف الأصقاع ، إلى وقت ظهور الإسلام .

واليوم تقدم الدار إلى قراء العربية ثلاثة أجزاء ، من السادس عشر إلى
الثامن عشر ؛ وقد حرصت على أن تخرج هذه الأجزاء الثلاثة معا ، لأنها تنظم
موضوعاً واحداً من فن التاريخ ، هو تاريخ السيرة النبوية العطرة .

وقد بسط المؤلف القول في سيرته صلوات الله عليه ؛ مبتدئاً بذكر نسبه ونسب
آبائه ، ثم تاريخه من يوم مولده إلى وفاته ؛ متناولاً جميع الأحداث التي لا بدت
حياته ، والمشاهد التي اقترنت بجهاده ، وأخباره مع الوفود ، وكتبه إلى الملوك ؛
مع ذكر شمائله ومعجزاته ؛ جامعاً مستوعباً ، في تفصيل محكم ، وتبويب متأنق .
معتمداً في ذلك على النقل من كتب السير والمغازي ، وتواريخ الصحابة ؛

وأهمات كتب التفسير، وكتب السنة الصحاح. وما نقل عنه كتب لم يسبق نشرها؛
وأخرى مما لم نثر عليه من التراث القديم في هذا الباب .
وبهذا الجمع والتأليف جاءت هذه الأجزاء أوفى مرجع لسيرة الرسول
عليه السلام .

♦ ♦ ♦

وقد اعتمد القسم الأدبي في تحقيق هذه الأجزاء على نسختين :
النسخة الأولى مصورة عن نسخة مخطوطة بمكتبة « كبريلي » بالآستانة ؛
وتألف من واحد وثلاثين جزءا ؛ وهى بالدار برقم (٥٤٩) معارف عامة .
وأصلها مكتوب بقلم معتاد واضح، وعناوين الفصول والأبواب بخط الثلث ؛
وهى مكتوبة بخطوط مختلفة ، وأكثر أجزائها بخط « نور الدين بن شرف الدين
العالمى »، كتبها ما بين سنتي ٩٦٦، ٩٦٧ هـ . وفى كل صفحة خمسة وثلاثون سطرا،
ومتوسط الكلمات فى السطر خمس عشرة كلمة، وقد رمز لهذه النسخة بحرف (ا) .
أما الثانية ؛ فهى نسخة مصورة عن نسخة مخطوطة بمكتبة « أباصوفيا »
بالآستانة ؛ وهى كسابقتهما تتألف من واحد وثلاثين جزءا ، والموجود منها بالدار
ثمانية عشر جزءا غير متصلة ؛ محفوظة برقم (٥٥١) معارف عامة، وبأحر كل جزء
منها عبارة تشير إلى أنها بخط المؤلف ؛ كتبت ما بين سنتي ٧٢١، ٧٣٠ هـ تقريبا .
وعناوين الفصول والأبواب فيها بالخط الثلث، وتحتوى كل صفحة على سبعة عشر
سطرا، ومتوسط كلمات كل سطر ثمانى كلمات . وقد رمز إليها بالحرف (ج) .
وبأول كل جزء منها وقفية للكتاب على المكتبة المحمودية التى أنشأها محمود
الاستادار بخط الموازينيين بالقاهرة؛ وتاريخ هذه الوقفية سنة ٧٩٧ هـ .
(١)

(١) هذا الخط هو المعروف الآن بشارع فصة رضوان فى الخيامية بالقرب من باب زويلة . وكانت
هذه المكتبة من أكبر المكتبات فى الشرق فى ذلك العصر وكان من أمنائها الحافظ ابن حجر العسقلانى،
والحافظ جلال الدين السيوطى .

أما النسخة التي رمز إليها في الجزء الثامن بالحرف (ب) فهي قطعة مصورة عن مكتبة مشيخة علماء الإسكندرية ، وتنتهي في ص ٦٩ من ذلك الجزء .



وقد رجعنا في تحقيق الجزء السادس عشر إلى نسخة (١) فقط ؛ أما السابع عشر والثامن عشر فقد رجعنا في تحقيقهما إلى (١) و (ج) . وقد وقع في النسختين كثير من الغدوض والتحريف ؛ فبذلنا غاية الجهد في بيان الغامض ، وإيضاح المبهم ، وحل المشكل ، ورجعنا في ذلك إلى ما أمكن الرجوع إليه من مصادر المؤلف ؛ ثم إلى أمهات كتب التاريخ والتفسير والحديث واللغة .

وقام الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي الأستاذ الآن بجامعة أنقرة بتركيا ، بتحقيق ثلاث عشرة ملزمة من الجزء السادس عشر ؛ وتولى مصححو القسم الأدبي تصحيح بقية هذا الجزء ، مع الجزأين : السابع عشر والثامن عشر .



وقد جددت الدار أخيرا في استحضار بقية الأجزاء الباقية من النسخة المنسوبة لخط المؤلف من المكتبات المختلفة ؛ وأستكمال نسخ هذا الكتاب وأجزائه من المكتبات الأخرى ، ليم تحقق بقية هذه الأجزاء على المنهج العلمي القويم ؛ ونأمل أن يتم هذا قريبا إن شاء الله .

ومن الله العون والحول ، والهداية والتوفيق .

محمد أبو الفضل إبراهيم

مدير القسم الأدبي بدار الكتب المصرية

١٦ رجب سنة ١٣٧٤

١٨ مارس سنة ١٩٥٥

فهرست

السفر السادس عشر

من

كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنویری

القسم الخامس من الفن الخامس في أخبار الملة الإسلامية

صفحة

الباب الأول من القسم الخامس من الفن الخامس في سيرة رسول الله

صلى الله عليه وسلم ٢

نسبه الطاهر صلى الله عليه وسلم ٢

ذكر أمهات رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥

ذكر نبذة من أخبار آبائه ٦

خبر انتزاع البيت ومكة من نخاعة ومن ولى البيت بعد إسماعيل

عليه السلام ، إلى أن آتته قصي ابن كلاب ٢٢

ذكر ولاية هاشم الزفاعة والسقاية ٣٤

أخبار عبد المطلب بن هاشم ٣٩

ذكر ما قيل في سبب تسميته وكنيته ٤٠

ذكر حفر عبد المطلب زمزم ، وما وجد فيها ٤٣

ذكر خبر استسقاء عبد المطلب لبني قيس عيلان ، وهذيل ومن معهما ٤٨

صفحة

- ذكر نذر عبد المطلب نحر أبيه ، وخروج القداح على عبد الله
والد رسول الله ، وفدائه ٥٠
- ذكر زواج عبد الله آمنة بنت وهب ، أمه عليه السلام ٥٦
- خبر المرأة التي عرضت نفسها على عبد الله بن عبد المطلب ٥٨
- حمل آمنة برسول الله ، وما رأته في ذلك ٦٣
- وفاة عبد الله بن عبد المطلب ٦٦
- ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ٦٧
- ذكر أسمائه وكناه ٧٢
- ذكر ما جاء في تسميته محمدا ، وأحمد ، ومن تسمى بمحمد قبله من
العرب ، واشتقاق ذلك ٧٥
- أسماءه في الكتب المنزلة ٧٨
- أسماءه ونعوته التي جرت على السنة أئمة الأمة ٧٩
- مراضعه وإخوته من الرضاعة وما ظهر من معجزاته في زمن الرضاعة
وحال طفولته ٨٠
- وفاة أمه ٨٧
- كفالة جده له ٨٨
- خروجه إلى الشام مع عمه أبي طالب ، وخبر بحيرا الراهب ٩٠
- رعيته الغنم ٩٣
- حضوره حلف الفضول ٩٤
- خروجه إلى الشام المرة الثانية ، وحديث نسطورا ٩٥
- ترويجه خديجة بنت خويلد ٩٧

- صفحة
 ٩٩ ... حضوره هدم الكعبة وبناءها
 ١٠٢ ... اختلاف قریش فی رفع الركن وتراضیهم به صلى الله عليه وسلم ،
 ١٠٢ ... وخبر النجدی
 ١٠٥ ... ذكر المبشرات به صلى الله عليه وسلم قبل مولده ومبعثه وبعد ذلك
 ١٢٩ ... خبر سلمان الفارسی وقصته فی سبب إسلامه وهجرته إلى المدينة ...
 ١٢٩ ... خبر سيف بن ذی یزن وقصته مع عبد المطلب وتبشيره به صلى الله
 ١٣٧ ... عليه وسلم
 ١٤٨ ... خبر من ذكر صفته صلى الله عليه وسلم بعد مبعثه وذكر قومه بها
 ١٥٣ ... ذكر بشائر كهان العرب به صلى الله عليه وسلم
 ١٦٥ ... خبر مازن الطائی فی سبب إسلامه
 ١٦٨ ... ذكر مبعثه صلى الله عليه وسلم ، وما بدئ به من النبوة ...
 ١٧٦ ... ذكر فترة الوحى عنه ، وما أنزل بعد فترته ...
 ١٧٨ ... ذكر فرض الصلاة ...
 ١٨٠ ... أول من أسلم وآمن بالله تعالى وبرسوله ...
 ١٨١ ... خبر إسلام على بن أبی طالب ...
 ١٨٣ ... خبر إسلام زيد بن حارثة ...
 ١٨٧ ... ذكر من أسلم بدعاء أبی بكر الصديق ...
 ١٩٢ ... ذكر تسمية من كانت لهم سابقة فی الإسلام من العرب من غیر قریش
 ١٩٥ ... ذكر دعائه صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام ...
 ١٩٨ ... ذكر أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين جاهدوا بالعداوة ...
 ١٩٩ ... ذكر دخول قریش على أبی طالب فی أمره وما كان بينهم من المخاورات

صفحة

- ٢٠٣ ذكر تحزب قريش عليه صلى الله عليه وسلم ، وأذاهم له ولأصحابه
- ٢٠٨ ذكر إسلام حمزة بن عبد المطلب
- ذكر مشى عتبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسماعهما القرآن
- ٢٠٩ اجتماع أشراف قريش إليه صلى الله عليه وسلم ، وما عرضوا عليه ، وما طلبوا منه أن يريهم إياه ويخبرهم به
- ٢١٢ قصة أبي جهل في الحجر الذي قصد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم به ، وما شاهده من حماية الله تعالى لنبيه
- ٢١٧ خبر النضر بن الحارث وما قال لقريش وإرسالهم إياه إلى أبحار يهود يثرب ، ومعه عقبة بن أبي معيط ، وما عادا به
- ٢١٩ ذكر ما أشتمت عليه سورة الكهف مما سأله عنه
- ٢٢٢ ذكر ما أنزل من القرآن عليه صلى الله عليه وسلم فيما سأله قومه لأنفسهم ، من تفسير الجبال وغيره
- ٢٢٥ ذكر ما كان من عناد قريش بعد ما عرفوا من صدقه فيما حدث
- ٢٢٧ ذكر أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
- ٢٢٨ ذكر ما نال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذى قريش هجرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة ، وهى الهجرة الأولى
- ٢٣٢ رجوع أهل هذه الهجرة إلى مكة ، وما قيل في سبب رجوعهم
- ٢٣٣ ما ورد في توهين حديث الغرائق
- ٢٣٦ الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة ، ومن هاجر إليها من الصحابة ،
- ٢٤١ ذكر إرسال قريش إلى النجاشي في شأن من هاجر إلى الحبشة ، وإسلامه
- ٢٤٧

منحة

٢٥٣ إسلام عمر بن الخطاب

٢٥٨ تعاقد قريش على بنى هاشم وبنى المطلب

٢٦٢ ذكر من غاد من أرض الحبشة ممن هاجر إليها ، وكيف دخلوا مكة

ذكر من قدم من أرض الحبشة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

٢٦٥ وهو بنخير

٢٦٧ أسماء من هلك بأرض الحبشة ممن هاجر إليها

٢٦٨ من أنزل فيه القرآن من مشركي قريش ، وما أنزل فيهم

خروج أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى الهجرة ، وعوده وجواره

٢٧٥ ورده الجوار

٢٧٧ وفاة أبي طالب بن عبد المطلب ومشى أشراف قريش إليه

٢٧٩ وفاة خديجة بنت خويلد

» خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وعوده إلى مكة

٢٨٣ خبر الإسراء والمعراج

٢٩٣ ذكر من قال إن الإسراء كان بالجد وفي القطة

٢٩٥ ذكر ما ورد في رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه

٣٠٠ ذكر ما كان بعد الإسراء من إنكار قريش لذلك

٣٠٢ ذكر دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قبائل العرب في المواسم

٣٠٦ خبر مفروق بن عمرو وأصحابه

٣١٠ بيعة العقبة الأولى

٣١٢ بيعة العقبة الثانية

٣١٣ بيعة العقبة الثالثة

صفحة	
تسمية من شهد العقبة ، وبيع رسول الله صلى الله عليه وسلم أول آية	٣١٧
أنزلت في القتال	٣٢١
أول من هاجر من مكة إلى المدينة	»
اجتماع قريش في دار الندوة	٣٢٦
ذكر ابتداء هجرته صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه	٣٣٠
خبر الغار وما قيل فيه	٣٣١
خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر من الغار إلى المدينة ،	
وخبر سراقه بن مالك وأتمَّ معبد	٣٣٣
قدومه مع أبي بكر إلى المدينة	٣٣٩
خروجه من قباء ، وتحوله إلى المدينة	٣٤١
بناء مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيوته بالمدينة	٣٤٤
بناء المسجد الذي أسس على التقوى ، وهو مسجد قباء	٣٤٥
ذكر ما أصاب المهاجرين من حُمى المدينة	٣٤٦
ذكر مؤاخاته صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار	٣٤٧
ذكر كتابه الذي أمر بكتبه بين المهاجرين والأنصار ، ومواعدة يهود	٣٤٨
أخبار المنافقين من الأوس والخزرج ، وما أنزل فيهم من القرآن	٣٥١
ذكر شيء من أخبار يهود الذين نصبوا العداوة له صلى الله عليه وسلم ،	
وما أنزل فيهم من القرآن	٣٦٢
إسلام عبد الله بن سلام ومُخَيَّرِيق	٣٦٣
سؤال أحبار يهود رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشترطهم أنه إن	
أجابهم عما سألوه آمنوا به	٣٧٠

صفحة

- ٣٧٢ كتابه صلى الله عليه وسلم الذى كتبه إلى يهود خيبر
- ٣٧٣ ما قاله أحبار يهود في أوائل السور
- ٣٧٤ ذكر شئ من مقالات يهود ، وما أنزل من القرآن في ذلك
- ٣٧٨ ذكر ما ألقاه شأس بن قيس اليهودى بين الأوس والخزرج من الفتنة
- ذكر ما تكلم به يهود في شأن من أسلم منهم ، وما أنزل الله تعالى
- ٣٨٠ في ذلك
- ٣٨٤ قصة الرجم
- ٣٩٠ ذكر ما ورد من أن يهود سحرُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
- ٣٩٣ ذكر الكلام على مشكل حديث السَّحَر
- ٣٩٥ خبر الشاة التى سُم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذكر الحوادث بعد الهجرة ، من السنة الأولى إلى العاشرة

- ٣٩٦ حوادث السنة الأولى
- ٣٩٧ حوادث السنة الثانية
- ٣٩٧ ذكر صرف القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة
- ٣٩٩ ذكر خبر الأذان
- ٤٠٠ حوادث السنة الثالثة
- ٤٠٠ حوادث السنة الرابعة
- ٤٠١ نزول الحجاب على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم
- ٤٠٢ حوادث السنة الخامسة
- ٤٠٢ ما وقع بين المهاجرين والأنصار في غزوة المُرَيْسِع

صفحة	
٤٠٥	حديث الإفك ، وما أنزل الله تعالى من براءة عائشة رضى الله عنها ...
٤١٧	خبر التيمم
٤١٨	حوادث السنة السادسة
	هجرة أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط ، وما أنزل الله تعالى
٤١٨	فى هجرة النساء
٤١٩	حوادث السنة السابعة
٤٢٠	حوادث السنة الثامنة
٤٢٠	اتخاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر ، وخطبته عليه ...
٤٢١	إسلام عمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد ، وعثمان بن أبى طلحة ...
٤٢٣	حوادث السنة التاسعة
٤٢٧	خبر مسجد الضرار وهدمه ، ومن آتخذه من المنافقين
٤٢٩	إسلام كعب بن زهير ، وأمتداحه رسول الله صلى الله عليه وسلم
	حج أبى بكر الصديق رضى الله عنه بالناس ، وأذات على
٤٣٩	رضى الله عنه بسورة براءة
٤٤٠	حوادث السنة العاشرة ، وفيها كانت حجة الوداع

{ ١٥ } تَمَّةُ الْفَنِّ الْخَامِسِ
فِي التَّارِيخِ { ٥ }

١
١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا دَائِمًا ﴾

القسم الخامس من الفن الخامس

في أخبار الملة الإسلامية {

لَمَّا أَتَى الْغَرَضُ فِي التَّارِيخِ إِلَى الْغَايَةِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا ، وَالْقَصَصُ فِي الْأَخْبَارِ
الَّتِي أوردتها ، والدُّوَلُ والوَقَائِعُ الَّتِي اتَّخَفْتُهَا ، مِمَّا طَالَعْتُ وَجَرَرْتُهَا ، عَمَدْتُ إِلَى ذِكْرِ
الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي فَضَّلَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى سَائِرِ الْمِلَلِ ، وَرَفَعَ أَهْلَهَا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ
وَوَقَّتَهُمْ لِمَصَالِحِ الْعَمَلِ ، وَوَعَدَهُمْ بِرَحْمَتِهِ ، فَهُمْ مِنْ وَعْدِهِ فِي أَمْنٍ ، وَحَذَرَهُمْ عِقَابِهِ ،
فَهُمْ مِنْ وَعْدِهِ عَلَى وَجَلٍ ، وَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَبَلَغَ الرِّسَالَةَ ،
وَأَدَّى الْأَمَانَةَ ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ وَعَدَلَ ، وَجَعَلَهُ شَافِعًا لِدُنُوبِهِمْ فِي يَوْمِ أَجْمٍ فِيهِ مِنْ
سِوَاهُ عَنِ الشِّفَاعَةِ وَبِنَفْسِهِ اشْتَغَلَ ، وَجَعَلَهُمْ بِهِ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ بِأَمْرٍ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، إِذْ جَمَعَ غَيْرَهُمْ وَنَكَّلَ ، فَهُمْ الشُّهَدَاءُ عَلَى
النَّاسِ لِأَنْبِيَائِهِمْ ، وَنَاهِيكَ بِهَا رُبَّةً تَقْدُمُ بِهَا أَوَاخِرُ الْقَوْمِ عَلَى الْأَوَّلِ . وَقُلْتُ : بِاللَّهِ
التَّوْفِيقُ ، وَمِنَ الْإِعَانَةِ عَلَيْهِ الْمُسْكَلُ .

{ الباب الأول

من القسم الخامس من الفن الخامس

في سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهي السيرة التي ظهرت آياتها ، وأشتهرت معجزاتها ، وأشرقت أنوارها ،
وأنشئت أخبارها ، وعمت فضائلها ، وطابت بركاتها وأصائلها ، وحسنت أوصافها ،
وكثر إنصافها ، وجاءت في ظلمة الضلالة تنقذ ، وما إنكر العدو فضائلها بل شهد :
وفضائل شهد العدو بفضلها * والفضل ما شهدت به الأعداء

تالله لقد عجز الواصفون عن وصفها ، وأعترف المادحون بالتقصير عن بلوغ
السير من مدى مدحها :

وإذا أردت لك الثناء مما الذي * — والله قد أثنى عليك — أقول

ولنبداً بذكر نسبه الطاهر صلى الله عليه وسلم ، وإن كنا قدمناه مستوفى
في باب الأنساب ، فلا غنية عن سرده ههنا .

هو أبو القاسم محمد صلى الله عليه وسلم بن عبد الله ، بن عبد المطلب — وأسم
عبد المطلب : شعبة الحمد — بن هاشم — وأسم هاشم عمرو — بن عبد مناف^(١)
— [وأسمه] المغيرة — بن قصي — وأسمه زيد — بن كلاب ، بن مرة ، بن كعب ،
ابن لؤي ، بن غالب ، بن فهر . وإلى فهر جماع قريش ، ومن كان فوق فهر فليس

(١) ٢ : ٣٧٦ وما بعدها .

(٢) تكملة عن المؤلف نفسه فيما يأتي له بعد .

وهو بقرشي . وفهر هو ابن مالك ، بن النضر ، بن كنانة ، بن خزيمه ، بن مُدركة
 - وأسم مُدركة عامر - بن الياس ، بن مُضر ، بن زرار ، بن معد ، بن عدنان .
 روى عن ابن عباس ، رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 كان إذا أنشأ لم يجاوز في نسبه معد بن عدنان بن أد ، ثم يمك ويقول :
 « كَذَبَ النَّسَابُونَ » . قال الله عز وجل : ﴿ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾ . قال
 ابن عباس : لو شاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلمه لعلمه .
 وعن هشام بن محمد قال : سمعت من يقول : « كان معد على عهد عيسى بن
 مريم عليه السلام » .

وقد تقدم في باب الأنساب ، وهو الباب الرابع من القسم الأول من الفن
 الثاني من كتابنا هذا ، في السفر الثاني من هذه النسخة ، ما اختاره الشريف
 أبو البركات محمد بن أسعد بن علي بن مَعْمَرِ الحُسَيْنِي الجَوَانِي النسابة

(١) يذكر المؤلف في ص ١٢ عن ابن السائب : أن مدركة يسمى « عمرا » أيضا ، وفي نسب قريش
 (الورقة ٣ ب) : « فولد الياس بن مضر مدركة ، واسمه عامر ، وطاحجة ، واسمه عمرو ، وقعة ، واسمه عمير » .
 (٢) رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق ٢ : ١٦٩ . ويقول السيل في الرض الأنف ١ : ٨ :
 « والأصح في هذا الحديث أنه من قول ابن مسعود » . وانظر الجامع الصغير ٣ : ١٩٠ .

(٣) القرآن ٣٨ .
 (٤) هو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي النسابة الكوفي المتوفى سنة ٢٠٤ ، على خلاف .
 انظر وفیات الأعيان ٢ : ٢٥٨ .

(٥) ٣٧٦ : ٢ .
 (٦) كناه المؤلف هنا في باب الأنساب - فيما سلف له - أبا البركات ، وهو كنية أبيه أسعد .
 (٧) هو أبو علي محمد بن أبي البركات أسعد بن علي الحسيني الجواني (٥٢٥ - ٥٨٨) ينسب
 إلى « الجوانية » فتح الجيم وتفيد الواو ، وهي قرية قرب المدينة . انظر تاج العروس (جون) ،
 معجم البلدان (٣ : ١٥٦) .

(١)

(٢)

في «مقدمته» بعد معدة : بن عدنان، بن أدد، بن أدد، بن الياسع، بن الهيمس، بن
 صلامان، بن نبت، ^{ابن حنبل} بن قنار، بن إسماعيل الذبيح، بن إبراهيم الخليل،
 صلى الله عليهم وسلم، ابن تارح، وهو آزر، بن ناخور، بن ساروغ، بن أرغو،
 ابن فالغ، بن عابر، وهو هود النبي عليه السلام - وهو ججام قيس ويمن ويزار
 وخنيد - بن شالخ، بن أرخشذ، بن سام، بن نوح [النبي] عليه السلام، بن
 ملك، بن متوشلخ، بن أخنوخ، وهو إدريس النبي عليه السلام، بن يارد، ابن
 مهلائيل بن قينان، بن أنوش، بن هبة الله شيث، بن أبي البشر آدم عليه السلام.
 هذا ما أورده الشريف الجواني قال : وعليه أكثر أئمة الأنساب .

وستزيد إن شاء الله تعالى ، في أخبار آباء رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 زيادة حسنة يحتاج إلى إيرادها من عدنان فمن بعده ، تقف عليها قريبا ،
 إن شاء الله تعالى ، بعد ذكرنا لأمهاته صلى الله عليه وسلم .

(١) سماها مرتضى الزبيدي « المقدمة الفاضلية » لأن الجواني ألقاها باسم القاضي الفاضل ،
 وجعلها مقدمة لكتابه الجوهر المكنون ، في القبايل والبطون . وقد جاء النص الذي نقله النويري عنها
 في (الورقة ٩ ب ١٤٤) من مخطوطة دار الكتب رقم ١٩ م تاريخ .

(٢) علماء النسب في « أدد » و « أدد » فريقان : الأول أنهما شخصان ابن ووالده ، وهو الذي
 حكاه المؤلف هنا عن الجواني (الورقة ١٤٤) وقالت به طائفة ، والفريق الثاني أن نسبهما شخص واحد ،
 يقال فيه « أدد » مرة ، و « أدد » مرة أخرى .

(٣) ورد هذا العلم في مقدمة الجواني بالنسب المعجمة (الورقة ٩ ب ٣٤ ب) وبالعين المهملة
 في (الورقة ١٤٤) .

(٤) إضافة عن مقدمة الجواني (ورقة ١٤٤) .

(٥) يختلف كتب النسب في رواية هذه الأعلام اختلافا كبيرا . وقد اعتمدت فيها رواية الجواني
 كما وردت في نسخة (١٩ م تاريخ) لأن العلماء بالنسب قد أولوها وصححوها .

(٦) في الأصل : « تقف عليه » .

ذكر أمهات رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال أبو عبد الله محمد بن سعد رحمه الله تعالى في طبقاته الكبرى ^(١) :

”أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه قال :

أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، آمنة بنت وهب ، بن عبد مناف ،
ابن زهرة ، بن كلاب بن مرة . وأُمها برة ، بنت عبد العزى ، بن عثمان ، بن
عبد الدار ، بن قصي ، بن كلاب . وأُمها أم حبيب ، بنت أسد ، بن عبد العزى ،
ابن قصي بن كلاب . وأُمها برة بنت عوف ، بن عبيد ، بن عويج ، بن عدي ،
ابن كعب ، بن لؤي . وأُمها قلابة بنت الحارث ، بن مالك ، بن حاشة ، بن
غنم ، بن لحيان ، بن عادية ، بن صعصعة ، بن كعب ، بن هند ، بن طابخة ، بن
لحيان ، بن هذيل ، بن مدركة ، بن الياس ، بن مضر . وأُمها أُميمة بنت مالك ،
ابن غنم بن لحيان ، بن عادية ، بن صعصعة . وأُمها دُب بنت ثعلبة ، بن الحارث ،
ابن تميم ، بن سعد ، بن هذيل ، بن مدركة . وأُمها عاتكة بنت غاضرة ، بن
حطيط ، بن جشم ، بن ثقيف ، بن منبه ، بن بكر ، بن هوازن ، بن منصور ، بن
عكرمة ، بن خصفة ، بن قيس ، بن عيلان - وأسمه اللاس - بن مضر . وأُمها ليلى
بنت عوف ، بن ثقيف ^(٢) . وأم وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب قليلة .
ويقال : هند بنت أبي قيلة“ .

وقال ابن الكلبي : ”كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم نسمائة أم ، فما وجدتُ
فيهنَّ سفاحا ، ولا شيئا مما كان من أمر الباطنية“ .

(١) ١ : ٣٠ - ٣١ (قسم أول) .

(٢) في نسب قريش (الورقة ١٨) ، والروض الأثف ١ : ٧٨ : « وأم أُميمة دبة » .

(٣) في طبقات ابن سعد ١ : ٣٠ (قسم أول) : « ثقيف » وهو قيس بن منبه .

(٤) في طبقات ابن سعد ١ : ٣٠ (قسم أول) : « عوف بن قيس » وهو ثقيف .

وعن محمد بن علي بن الحسين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنما خرجت من نكاح ولم أخرج من سيفاح من لذن آدم ، لم يصبني من سيفاح أهل الجاهلية شيء ، لم أخرج إلا من طهرة^(٢) » . والله تعالى .

ذكر نبذة من أخبار آباء رسول الله صلى الله عليه وسلم

فمن بعده إلى أميه عبد الله بن عبد المطلب

قد تقدم ذكر آباء رسول الله صلى الله عليه وسلم في باب الأنساب ، وذكرنا كل أب من آبائه وأولاده ومن أعقب منهم ، وجملة العمد على سرد عمود النسب الشريف على ما توقف عليه هناك في السفر الثاني من كتابنا هذا من هذه النسخة ، وسردنا النسب أيضا آنفا . وقد رأينا أن نذكر في هذا الموضع نبذة أخرى زيادة على ذلك نذكر فيها الأسماء ، والكنى ، والألقاب ، وبعض الوقائع والأخبار ، مما لم يتقدم ذكره ، فنقول وبالله التوفيق :

أما عدنان فإنه أنقطع علم أهل الأنساب حقيقة ، لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا انتهى في النسب إلى معدن عدنان أمسك ، ثم قال : « كذب النسابة » . قال الله جل شأوه : (وَقرؤنا بين ذلك كثيرا) . وقد روى أنه قال : « عدنان بن أدد » . والله أعلم .

(١) هو أبو جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . مدني تابعي ، في مولده ووفاته خلاف . انظر تهذيب التهذيب ٩ : ٣٦٠ .

(٢) هذه رواية ابن سعد ١ : ٣٠ ، وهي تفرد « بزيادة إنما » في قول الحديث ، وزيادة « لم أخرج إلا من طهرة » في آخره . وقد رواه الطبراني في معجمه الأوسط ، وابن عساكر ، وابن عدي في الكامل ، وابن كثير في البداية والنهاية ٢ : ٢٥٦ باختلاف في الرواية ، وقال عقبه : « هذا غريب من هذا الوجه ولا يكاد يضح » . (٣) ٢ : ٣٥٨ - ٣٧٧ .

وأما معد بن عدنان ، فكنته أبو قضاة ، كُتِيَ بولده قضاة وهو يكره .
ومعد (بحريك العين وتشديد الدال) ، وفي طَيء معد (بتسكين العين) بن مالك
ابن قَيْثَة ، وفي خَثَم أيضا معد (بتسكين العين) بن الحارث ، بن تميم ، بن كعب ، بن
مالك ، بن قُحافة . وأم معد بن عدنان : مهْدَد ، بنت اللّهم بن جَلْحَب الجُرْهمية ، وقيل
فيها مهَاد بنت لَهم . وقيل اللّهم بنت جَلْحَب ، وفي رواية خُلَيْد ، بن طَسم ، بن يَلَمع ،
ابن عابر ، بن اسليخيا ، بن لاوِذ ، بن سام ، بن نوح . حكاه الزبير بن بكار .

وذكر عبد الملك بن حبيب أن ولد معد بن عدنان سبعة عشر رجلا ، درج
منهم بلا عقيب تسعة ، وأعقب ثمانية .

وقال أبو الربيع بن سالم : ذكر الزبير بن أبي بكر ، أن يُخْتَصَر لِمَا أَمَرَ بِغَزْوِ
بلاد العرب ، وإدخال الجنود عليهم وقتلهم لقتلهم أنبياء الله تعالى ، ورددهم رسالاتهم ،

(١) في الأصل : « وكنته » ، والمكان لفاء .

(٢) في الأصل : « قنة » ، وانظر شرح الحاشية للبريزي ٣ : ١٤٣ ، تاج العروس (قا) .

(٣) في « مقدمة » الجسوافي (الورقة ٤٨ ب) : « بنت اللّهم الجديسية » . ومرا للوف

(٤ : ٣٤١) أنها : « بنت اللّهم الجرهمية » . وانظر تاريخ الطبري ٢ : ١٩١ ، وابن الأثير ٢ : ١٢ .

(٤) في نسب قريش لمصعب الزبيري (الورقة ٢ ب) : « فولد عدنان بن أدد معدا ، والحارث وهو عك ،
وأهما مهَاد بنت لَهم بن جلد بن طسم » ، وفي طبقات ابن سعد ١ : ٣٦ (قسم أول) : « مهْدَد بنت اللّهم
ابن جلحب بن جديس بن جاثري بن إرم » .

(٥) في الأصل : « لود » . وانظر تاج العروس « لود » .

(٦) سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي الأندلسي (٥٦٥ — ٦٣٤) . من مؤلفاته حجاب الاكتفا ،
بما تضمنه من مغازي المصطفى ، وعنه نقل المؤلف ، وقد ورد هذا النقل في (الورقة ١٢) من مخطوطة
دار الكتب المصرية .

(٧) هو الزبير بن بكار بن عبد الله : أبو عبد الله بن أبي بكر النسابة القاضى المدنى (١٧٢ — ٢٥٦) .
انظر تهذيب التهذيب ٣ : ٣١٢ .

(٨) في الأصل : « بلاد المغرب » ، والمثبت رواية الاكتفا ، والخبر عن البشر ٣ : ١٧ (قسم أول) .

(٩) في الأصل : « وقتلهم » ، قتل . والمثبت عن الاكتفا . وفي الخبر عن البشر ٣ : ١٧
(قسم أول) : « وقتل مقاتلتهم »

أمر إرميا بن حلقيا — وكان فيما ذكرني بني إسرائيل في ذلك الزمان — أن أنت
معد بن عدنان الذي من ولده خاتم النبيين، وأحمله معك إلى الشام، وتول أمره .
وقال السهيلي : « أوحى الله تعالى إلى إرميا أن أحمل معد بن عدنان على البراق
إلى أرض العراق ، فإني مُستخرج من صلبه نبيا اسمه جد ، ففعل معه معد ودهو
ابن أنثى عشرة سنة ، وكان مع بني إسرائيل إلى أن كبر وتزوج امرأة اسمها مُعانة » .
قال أبو الربيع بن سالم : « ويقال المحمول عدنان ، والأول أكثر . قال : وفي حديث
أبي عباس رضي الله عنهما : إن الله تعالى بعث ملكين فاحتملا معدا ، فلما رفع
الله تعالى رأسه عن العرب ، رذاه إلى موضعه من يثامة ، فكان بمكة ونواحيها مع
أخواله من جرهم » .

وقال الزبير : « حدثني علي بن المغيرة قال : لما بلغ بنو معد عشرين رجلا ، أغاروا
على عسكر موسى عليه السلام ، فدعا عليهم ثلاث مرّات فقال : يا رب ، دعوتك
علي قوم فلم تُجبني فيهم بشيء . قال : يا موسى ، دعوت على قوم فيهم خيرتي في آخر
الزمان » .

وفي هذه الرواية ما فيها من المناقاة لما تقدّم من أنه كان مع إرميا ، ومن
قال إنه كان على عهد عيسى عليه السلام . والله أعلم بالصواب وإليه المرجع .

وأما نزار بن معد ، فكنته أبو إياذ ، وقيل أبو ربيعة . ونزار (يكسر النون) .
قال السهيلي : « من النزر وهو القليل . وكان أبوه حين ولده ، ونظر إلى النورين
(١) سقط من السهيلي ١ : ٩ : « إلى أرض العراق » وقد تصرف المؤلف في النص .
(٢) في الخبر عن البشر ٣ : ١٧ (نعم أول) : « هم خير » .
(٣) تقدم ذلك في ص ٣ .
(٤) في الأصل : « وكنيته » .
(٥) الروض الأنف ١ : ٨ .

عليه، وهو نور النبوة الذي كان ينتقل في الأصلاب إلى محمد صلى الله عليه وسلم فرج به قرحا شديدا، ونحر وأطم وقال: إن هذا كله نزر لحق هذا المولود، فسعى نزارا لذلك. وأم نزار: معانة بنت جوشم^(١) بن جلهمة، بن عمرو، بن هذيلة بن دؤة، بن جرهم. قال السهيلي: «ويقال اسمها ناعمة».

وأما مضر بن نزار فأمه^(٢) [و] أم إباد: سودة بنت عك، بن الذيب، بن عدنان.^(٥) وقال محمد بن الحسين في كتاب «التحفة»: إن أم مضر اسمها سودة بنت عك، قال: وقيل حبيبة بنت عك. وقاله الزبير بن بكار. وروى أن أم مضر خاصة سودة بنت عك، وربيعة وأنار وإباد أمهم شقيقة بنت عك، وإلى مضر تنسب مضر الحمراء لسكانها قباب الأدم، ومضر السوداء سُميت بذلك لسكانها المظال.

وقال الزبير عن غير واحد من أهل العلم بالنسب: إنهم قالوا: لما حضرت نزارا الوفاة، أثر إبادا بولاية الكعبة، وأعطى مضر ناقة حمراء فسعى مضر الحمراء،

(١) هكذاورد هذا العلم في تاريخ ابن الأثير. وفي البداية والنهاية ٢: ١٩٤، والروض الأثف ١: ٩: «جوشن». وفي الخبر عن البشر ٣: ١٧ قسم أول: «عنة ابنة جوشن». وفي المقدمة القاضية (الورقة ٤١ ب) «معانة بنت جرهم الجرهمية».

(٢) في الأغاني ٧: ٧٧، نسب قريش (الورقة ٢ ب) والخبر عن البشر ٣: ٧ (قسم أول): «بن عامر بن عوف بن علي بن دب».

(٣) رواية الأصل وابن سعد في الطبقات ١: ٣٠ (قسم أول)، والخبر عن البشر ٣: ١٧ (قسم أول):

«... بن جلهمة بن دؤة بن هذيلة بن جرهم»، والتصويب عن نسب معد لابن الكلبي ١: ٣ وانظر تاج

العروس ٩: ٣٦٧. وفي السهيلي ١: ٩، ونسب قريش، والبداية والنهاية: «دب بن جرهم».

(٤) في الأصل: «وأمه». (٥) الذيب، بالذال المبهمة وبعدها ياء والباء الموحدة

رواية الزبير بن بكار والجواري، ويقال فيه: «الذيب» بالذال المهملة والتاء المثلثة. وانظر تاج

العروس (عك)، والإكمال لابن ماكولا ١: ٢٨٧ ب، والروض الأثف ١: ١٣.

(٦) حكاه أيضا الكلاعي في الإكتفاء (الورقة ٤: ١). هذه رواية الجواري

في مقدمته (الورقة ٤٢: ١)، وجاء في (الورقة ٤٢: ب) منها أيضا: «وأعطى مضر ناقة حمراء».

وأعطى ربيعة فرسه، فسَمُوا ربيعة الفرس، وأعطى أماراً جارية له تسمى بجيلة
ففضلت بنيه، فسَمَّى بجيلة أماراً.^(١)

وقد تقدم ذكر خبر أولاد نزار في الأمثال عند قولهم: «إبن العصا من
العصية»^(٢)، و«إن خُشينا من أخشن»^(٣)، وقصتهم مع الأفعى الجرهمي^(٤)، وهو في الباب
الأول من القسم الثاني من الفن الثاني في السفر الثالث من هذه النسخة من
كتابتنا هذا.^(٥)

قال ابن الأثير الجَزَرِي^(٦): «ومُضَرَّأول من حدا، وكان سبب ذلك أنه سقط
عن بعيره، فأنكرت يده فجعل يقول: يا يده! يا يده! فأتته الإبل من الرعى،
فلما صلح وركب حدا، وكان من أحسن الناس صوتاً. وقيل بل انكبرت
يد موى له فصاح، فأجتمعت الإبل، فوضع مُضَرَّ الحدا وزاد الناس فيه»^(٧).

قال السهيلي: وفي الحديث: «لا تَسْبُوا ربيعة ولا مُضَرَّ لأنهما كانا مؤمنين»^(٨)
وروى عبد الملك بن حبيب بسنده إلى سعيد بن المسيب أن رسول الله، صلى الله
عليه وسلم، قال: «لا تَسْبُوا مُضَرَّ فإنه كان مسلماً على ملة إبراهيم»^(٩). وعن
عبد الملك بن حبيب والزيبر وجماعة: أن ربيعة ومُضَرَّ الصريح من ولد إسماعيل
ابن إبراهيم، عليهما السلام. قال: وحدثني أبو معاوية، عن ابن جريح، عن عطاء،

(١) في الأصل: «بته» تصحيف، والتصحيح عن مقدمة الجواني (الورقة ٢٢ ب).

(٢) جمع الأمثال ١: ١٣. (٣) جمع الأمثال ١: ١١، ومعجم البلدان ٣: ٤٤٣.

(٤) هو الأفعى بن حصين بن غنم، أحد حكام العرب. انظر المحبر لابن حبيب ص ١٣٢ وجمع

الأمثال ١: ١٠. (٥) ٧: ٣. (٦) في الكامل ٢: ١٠١. (٧) الروض

١: ٨، وفي الاكتفاء (الورقة ٢ ب): «كانا مسلمين». والحديث رواه التبرلي في مسند

الفردوس. انظر كنوز الحقائق لثاوي ص ١٨٢. (٨) رواه ابن سعد في الطبقات بلفظ:

«لا تسوا مصر فانه كان قد أسلم» انظر الجامع الصغير ٢: ٤٤٦.

عن ابن عباس ، رضى الله عنهما ، قال : « مات أدد والد عدنان ، وعدنان ، ومعد بن عدنان ، وربيعه ، ومضر ، وقيس عيلان ، وتميم ، وضبة ، وأسد ، وخزيمة ، على الإسلام على أمة أبيهم إبراهيم ، فلا تذكرهم إلا بما يذكر به المسلمون » . والله الموفق .

وأما الياس بن مضر ، فكنته أبو عمرو . وقال صاحب الأشتال : ^(٢) قول الزبير : ولد مضر بن نزار الياس بن مضر ، فلما أدرك الياس أنكر على بنى إسماعيل ما غيروا من سنن آبائهم وسيرهم ، وبأن فضله فيهم ، ولأن جانبهم لهم ، حتى جمعهم رأيه ورضوا به ، فردهم إلى سنن آبائهم ، حتى رجعت سنتهم تامة على أولها .

وهو أول من أهدى البدن إلى البيت ، وهو أول من وضع [حجر] الركن للياس بعد غرق البيت وأنهدمه زمن نوح . فكان الياس أول من ظفريه ، فوضعه في زاوية البيت .

وبعض الناس يقولون : إما كان ذهب بعد إبراهيم وإسماعيل . قال : وفي هذا كله نظر . قال : وقال الزبير : ولم تزل العرب تعظم الياس بن مضر تعظيم أهل الحكمة ، كتعظيمها لثمان وأشباهه . قال ابن دحية : وهو وصى أبيه ، وكان ذا جمال بارع ودين ، تعظمه العرب قاطبة ، وهو أول من مات بالسَّل . قال السهيلي : « وإنما سمي السَّل داء ياس وداء الياس لأن الياس بن مضر مات به » .

- (١) نص هذا الحديث في الإنباء لابن عبد البرص ٧٨ : « مات تميم بن مر ، وأسد بن خزيمة ، وضبة بن أدد ، على الإسلام ، فلا تذكرهم إلا بما يذكر به المسلمون » . (٢) في الأصل : « ركنيته » . (٣) لدل صحة الكلمة « صاحب الاكتفاء » ، وقد وزد هذا النص في الاكتفاء (الورقة ٤١) . (٤) الكلمة من كلام الخولف الآتي . (٥) أبو الخطاب عمر بن الحسن ابن علي المعروف بذي النسيب الأندلسي (٥١٤ - ٦٣٣) . وفيات الأعيان ١ : ٤٨١ . (٦) الروض الأنف ١ : ٧ . (٧) في الأصل : « داء الياس » . تصحيف . (٨) في الروض الأنف ١ : ٧ : « مات منه » .

ولما مات أيسف أمرته خنيدف عليه أسفا شديدا . وكانت تذرّت ، إن
 هلك ، [أ] لا تُقيم في بلد مات فيه ، ولا يُظلمها بيت ، وتُسيح في الأرض ،
 وحرمت الرجال والطيب بعده . فلما هلك خرجت مائحة حتى هلكت .
 وكانت وفاته يوم الخميس ، فندرت أن تبيكه كلما طلعت شمس يوم الخميس
 حتى تغيب الشمس . قال السهيلي : « ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم [أنه]
 قال : « لا تنسوا الياس فإنه كان مؤمنا » . وذكر أنه كان يسمع في صلبه نلمية النبي ،
 صلى الله عليه وسلم ، بالبح^(٢) . والله أعلم .

وأما مدركة بن الياس فقال ابن السائب : وأسمه عمرو . وقال ابن إسحاق^(٣)
 والزبير : عامر ، وكنته أبو الهذيل ، وقيل أبو نزيمة . وأمه خنيدف ، وأسمها ليل^(٤)
 بنت حلوان بن عسمران بن الحاف بن قضاة . واسم أمها ضريبة بنت ربيعة بن
 نزار ، وبها سمي « حمى ضريبة » .

وأما نزيمة بن مدركة فكنته أبو أسد ، وأمه سلمى بنت أسلم بن الحاف^(٥)
 ابن قضاة . وقيل سلمى بنت أسد بن ربيعة ، ونزيمة هذا هو الذي نصب هبل
 على الكعبة ، فكان يقال هبل نزيمة ، هكذا ذكره ابن الأثير . وروى عن عطاء عن^(٦)
 ابن عباس رضي الله عنهما أن نزيمة مات على ملة إبراهيم عليه السلام .

(١) تكملة من الروض الأنف ١ : ٢ (٢) الروض الأنف ١ : ٨ (٣) في الأصل :
 « قال » . (٤) في الخبر عن البشر ٣ ٢٧ (نعم الأول) : « وقال الزبير : فولد الياس
 ابن مضر مدركة واسمه عامر ، ويقال عمرو » . (٥) قرية بين البصرة ومكة ، وهي إلى مكة
 أقرب ، وانظر خلافتهم في تحديد هذا الجبل ، وفي سبب نسبه إلى ضريبة ، في معجم البلدان ٥ : ٤٣٣ .
 تابع المبروس (ضري) . (٦) في الأصل : « وكنته » . (٧) في المكمال

أما كنانة بن خزيمة، فكنته أبو النضر، وأمه عوانة بنت سعد بن قيس^(١)
[بن عيلان]، ويقال: بل هند بنت عمرو بن قيس بن عيلان. قال أبو الحسن سلام^(٢)
ابن عبد الله بن سلام الإشبيلي: وقال أبو عمرو العدواني لابنه في وصيته: «يا بني
أدركت كنانة بن خزيمة - وكان شيخاً مسناً عظيم القدر، وكانت العرب تخرج إليه لعلمه
وفضله - فقال: إنه قد آن خروج نبي بمكة يدعى أحمد، يدعو إلى الله، وإلى البر
والإحسان ومكارم الأخلاق، فأتبعوه تزدادوا شرفاً إلى شرفكم، وعزاً إلى عزكم،
ولا تتعدوا ما جاء به، فهو الحق». والله الموفق.

وأما النضر بن كنانة، فكنته أبو يخلد، كنى بابنه يخلد^(٣). وأمم النضر قيس.
قال أبو ذر الحنفي: النضر: الذهب الأحمر. وهو النصار؛ سمي النضر بذلك^(٤)
لوضائه وإشراق وجهه. وأمه برة بنت مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر
أخت تميم بن مر. والذي عليه أكثر أهل السير والمؤرخين أن كنانة خلف على برة
بعد أبيه خزيمة، على ما كانت الجاهلية تفعله؛ إذا مات الرجل خلف على زوجته بعده
أكبر بنيه من غيرها. ويرد هذا ما روى عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أنه قال:
«ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية شيء؛ ما ولدني إلا نكاح كنكاح أهل الإسلام»،
وقول ابن الكلبي: «كتب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، خمسمائة أم، فلم
أجد فيها شيئاً مما كان من أمر الجاهلية». وقد تقدم ذكر ذلك آنفاً.

(١) في الأصل «وكنته». (٢) عن الخير عن البشر ٣ : ٣٣ (قسم أول).

(٣) في الأصل «بابنه». تصحيف. (٤) انظر شرح السيرة للبخاري ١ : ٣.

(٥) وكان الذي يخلف أباء على زوجته يسمى الضيرن (لسان العرب - حزن). وفي المحبر

لابن حبيب ص ٢٢٥ تفصيل لأسماء الذين فعلوا ذلك. (٦) قال ابن كثير في البداية والنهاية

٢ : ٢٥٦، بعد رواية هذا الحديث عن ابن عباس: «وهذا أيضاً حديث غريب، أورده الحافظ

ابن صاكر، ثم أسنده من حديث أبي هريرة. وفي إسناده ضعف؛ والله أعلم».

وقد اعتذر القائلون هذا القول عنه بأعذار، وأقاموا الدلة على أنه ليس بسفاح ولا من أمر الجاهلية . وفي أعذارهم وأدلتهم بعض تكلف . وقد حصل الظفر . وفي الحمد والمثبة - بما يُزيل هذا الإشكال، ويُرفع هذا الاحتال، ويُخلص من مهادى هذه شبهة، وهو الصحيح، إن شاء الله تعالى، وسذكره بعد ذكر أعذارهم وأدلتهم .

أما ما استدلوا به على تخدير أن يكون كناية خلق على برة بنت مرن أقد بعد أبيه، فقال السيل^(١)، رحمه الله، في قوله تعالى: (وَلَا تَسْكُمُوا مَا تَكْهَأُونَ) من النساء^(٢) إلا ما قد سلف^(٣)؛ أي إلا ما قد سلف من تحليل ذلك قبل الإسلام، قال: وقائدة لاستثناء ألا يُجاب تَسْبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويُعلم أنه لم يكن في أجداده بنية ولا سفاح، ألا ترى أنه لم يقل في شيء مني عنه في القرآن (إلا ما قد سلف) نحو: (وَلَا تَقْرُبُوا الزَّوَاجَ) ولم يقل (إلا ما قد سلف) (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) ولم يقل (إلا ما قد سلف)، ولا في شيء من المعاصي التي نهى عنها إلا في هذه [الآية]، وفي الجمع بين الأخين؛ لأن الجمع بينهما قد كان مباحا في شرع من قبلنا؛ وقد جمع يعقوب عليه السلام، بين راجيل وأختها ليا؛ بقوله: (إلا ما قد سلف) تنحلت إلى هذا المعنى وتنبه على هذا المعنى. وقيل السيل هذه النكته عن القاضي أبي بكر بن العربي. واعتذر من اعتذر عن هذه الواقعة على هذا المثال.

(١) قل هذا الاستدلال عن السيل، القسبي في حية الميزان ٢: ٢١٥، والرقائق في شرح المواهب ١: ٩٢. (٢) النساء ٢٢. (٣) الإبر ١٧. (٤) الأنعام ٦. (٥) النكته عن القسبي ٢: ٢١٥. (٦) في شرح المواهب القدسية ١: ٩٢. وقال راجيل بالجمع والماء، في جبهة الأنساب لابن حزم ص ٤٦٩: «لله» بالله.

وأما ما أرتفع به هذا الإشكال، فهو ما نقله أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
 بـرحمة الله في كتاب له سماه «كتاب الأصنام» قال فيه : « وخلف كنانة بن
 خزيمة على زوجة أبيه بعد وفاته ، وهي برة بنت أذ بن طابخة بن الياس بن مضر ،
 وهي أم أسد بن الهون ، ولم تلد لكانة ولدا ذكرا ولا أنثى ، ولكن كانت ابنة
 أخيها ، وهي برة بنت مرة بن أذ بن طابخة أخت تميم بن مرة عند كنانة بن خزيمة ،
 فولدت له النضر بن كنانة » . قال : « وإنما غلط كثير من الناس لما سمعوا أن كنانة
 خلف على زوجة أبيه لاتفق اسمهما وتقارب نسبهما » . قال : « وهذا الذي عليه
 مشايخنا وأهل العلم بالنسب » . قال : « ومعاذ الله أن يكون أصحاب [نسب] رسول
 الله صلى الله عليه وسلم مقرب نكاح ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما زلت
 أخرج من نكاح كنيكاح الإسلام ، حتى خرجت من أمي وأبي » . قال : « ومن اعتقد
 غير هذا فقد كفر وشك في هذا الخبر . قال : والحمد لله الذي طهره من كل وضم
 وطهر به » .

وأما مالك بن النضر ، فكنته أبو الحارث ، وأمه عاتكة بنت عدوان ، وهو
 الحارث بن عمرو بن قيس عيلان ، ولقبها عكرشة ، وقيل عوانة بنت سعد القيسية ،
 وقيل غير ذلك . ومالك هو أبو قريش كلها .

وأما فهر بن مالك — وهو قريش ، وفهر لقب غلب عليه — فكنته أبو غالب ،
 وهو جماعة قريش في قول هشام بن الكلبي . وأم فهر جندلة بنت عامر بن الحارث
 ابن مضااض الجرهمي ، ومن جاوز فहर فليس هو من قريش .

(١) في حياة الحيوان ٢ : ٢١٥ : « تحت كنانة » . (٢) في الأصل : « ولا تفارق » .

اسمهما ، تصحيف . (٣) التكملة من حياة الحيوان ٢ : ٢١٥ : وشرح المواهب ١ : ٩٣ .

(٤) في الأصل : « وكنيته » . (٥) هذه رواية ابن السائب والبلاذري . وفي رواية

الزبير بن بكار : « جندلة بنت الحارث بن جندل بن عامر » ، وزوي الزبير أيضا : « جندلة بنت

الحارث بن عمرو أو عامر » . انظر الخبر عن البشير ٣ : ٣٨ ، ٣٩ (قسم أول) .

وقد اختلف في تسمية قريش قريشا، ومن أول من تسمى به، فقال محمد بن كعب: ^(١) إنما سُميت قريش قريشا لتجتمعها بعد تفرقها، وقال محمد بن سلام: لما جمع قصي قبائل النضر، وحارب بهم خزاعة، وغلب على الحرم، سمو قريشا لاجتماعهم. وقيل: إنما سمو قريشا لأنهم يتقرشون البضاعات فيشترونها. وقيل: جاء النضر بن كنانة في ثوب له فقالوا: قد تقرش في ثوبه كأنه جمل قريش، أي شديد مجتمع. وقيل: أول من سماهم بهذا الاسم قصي بن كلاب. قاله المبرد. وقال الشعبي: النضر بن كنانة هو قريش، وإنما سُمي قريشا لأنه كان يُقرش عن خلة الناس وحاجتهم فيسُد ذلك بماله، والتقرش: هو التفريش، وكان بنوه يقرشون أهل الموسم فيزودونهم بما يُبلغهم، فسموا بذلك من فعلهم.

وقال الزبير بن بكار قال عمي: قريش بن بدر بن يخلد بن النضر كان دليل بني كنانة في تجارتهم، فكان يقال «قدمت غير قريش»، وأبوه بدر بن يخلد صاحب بدر ^(٢) [الموضع] الذي كانت به الوقعة المشهورة، وذكر عن عمه أن فيها هو قريش، قال: وقد اجتمع النساب من قريش وغيرهم أن قريشا إنما تفرقت عن فهر. والذي عليه من أدركت من نساب قريش أن ولد فهر بن مالك قريش، ومن جاوز فيها فليس من قريش.

١٥

(١) محمد بن كعب بن سليم القرظي، تابعي مقرئ. في تحديد وفاته خلاف. انظر طبقات القراء.

٢٢٣ : ٢

(٢) في الروض الأنف ١ : ٧٠، والبداية والنهاية ٢ : ٢٠٠ والخبر عن البشر ٣ : ٣٨ (قسم أول):

«فبرقدونهم».

٢٠

(٣) الكلمة عن نسب قريش (الوقعة ٤ ب)، والروض الأنف ١ : ٧٠.

(٤) في البداية والنهاية ٢ : ٢٠٠، والروض الأنف ١ : ٧٠ : «وقد أجمع»، وفي الخبر عن

البشر ٣ : ٣٨ (قسم أول)، «وقد أجمع نساب قريش».

وروي عن هشام بن السائب : أن النضر بن كنانة هو قريش . وقيل عنه في موضع آخر : ولد مالك بن النضر فهرا وهو جُماع قريش . وقال أبو عبيدة معمر ابن المنذر : أول من وقع عليه اسم قريش النضر بن كنانة ، فولده قريش دون سائر بني كنانة . وقال أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد : قريش مأخوذ من القرش ، وهو وقع الأسيّة بعضها على بعض ، لأن قريشا أحذق الناس بالطعان .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سأل عمرو بن العاص : لم سميت قريش قريشا ؟ قال : بالقرش ، دابة في البحر تأكل الدواب لشتها . وقال : المطرزي : هي ملكة الدواب ، وسيّدة الدواب وأشدّها ، فكنك قريش سادات الناس .

وكان فيهم رئيس الناس بمكة . والله أعلم .

وأما غالب بن فهر ، فكنيته أبو تميم ، وأمه ليل بنت الحارث ، بن تميم ، بن سعد ، بن هذيل ، بن مديكة ، ولغالب هذا من الولد : ثوى ، وتيم الأدرم ، وكان تيم كاهنا ، وإنما قيل له تيم الأدرم لأن أحد لحينه كان أقص من الآخر . وفي قريش تيمان : تيم بن مرة ، وتيم الأدرم . قال ابن قتيبة : « بنو الأدرم من أعراب قريش ليس بمكة منهم أحد » . والله أعلم .

(١) انظر لسان العرب « قرش » . (٢) في البداية والنهاية ٢ : ٢٠٢ : أن معاوية قال لابن عباس الخ . والذين رَوَوْا هذا الخبر اختلفوا على أنه عن ابن عباس ، فليست قول ابن عباس ، وهو المألوف . فقل صحة الكلام : « رضي الله عنهما أنه سأل » . وانظر شرح المواهب للزرقاني ١ : ٧٦ ، خزنة الأدب للبغدادى ١ : ٩٨ — ٩٩ . (٣) في الأجل : « وقال الطرز » ، والتصحيح عن حياة الحيوان ٢ : ٢١٥ . (٤) في الأجل : « وكنيته » .

(٥) في الكامل لابن الأثير ٢ : ١٠ : « الحارث بن تيم » . (٦) المعارف ص ٣٢ .

(٧) في الروض الأنف ١ : ٧١ : « قال الزبير : قريش الأدرم هؤلاء هم أعراب مكة » .

وهم من قريش الظواهر لا من قريش البطاح » . وانظر المحرر لابن حبيب ص ١٦٨ .

وأما لُؤَيُّ بن غالب، فكنيته أبو كعب، وأمه عاتكة بنت يَحْمَدُ، بن النَّضْر بن
يَكَنَان، وهي إحدى العواتك اللاتي ولدن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛
وقيل: بل أمه سلمى بنت عمرو بن ربيعة (وهو لُحَي بن حارثة) الخزاعية.

وأما كعب بن لُؤَيٍّ، فكنيته أبو هُصَيْن، وأمه ماوية بنت كعب بن القَيْن
ابن جسر القضاية. قيل: إنما سُمي كعب كعباً لارتفاعه على قومه، وشرفه فيهم.
وكان عظيم القدر عند العرب؛ فلهذا أُرْخُوا بموته إلى عام الفيل، ثم أُرْخُوا
بالفيل؛ روى أبو نعيم في "الدلائل" عن الطبراني بسنده إلى عبد العزيز بن
أبي ثابت قال: «أُرْخَتْ كَنَانُ من موت كعب بن لُؤَيٍّ، وأُرْخَتْ قُرَيْش بعد موته
من عام الفيل؛ وبين موت كعب والفيل خمسمائة سنة وعشرون سنة».

«وكعب هذا أول من سَمِيَ يوم الجمعة الجمعة، وكانت العرب تسمي يوم الجمعة
العروبة»؛ قاله السهيلي. ومعنى العروبة الرحمة فيما بلغني عن أهل العلم، وإنما سماه
الجمعة لاجتماع قُرَيْش فيه وخطبته [فيهم].
وأول من قال «أما بعد» كعب؛ فكان يقول: «أما بعد، فاستمعوا وأفهموا».
ثم قال: «حرمكم عظموه وتمسكوا به، وسيأتي لكم نبأ عظيم، وسيخرج له نبي كريم».

- ١٥ (١) في الأصل: «وكنيته». (٢) في ابن الأثير ٢: ١٠، والطبري ٢: ١٨٦: «وهي أزل العواتك». (٣) في الأصل وابن الأثير ٢: ١٠: «وهو يحيى بن حارثة»
تصحف: وانظر الروض الأنف ١: ٦١ - ٦٢ (٤) كأنها نسبت إلى الماء لصفائها.
الروض الأنف ١: ٦١. (٥) في الوافي بالوفيات ١: ١٠: «والفيل مئة سنة»؟
(٦) الروض الأنف ١: ٦. (٧) تمكة عن الاكتفاء (الورقة ١٥)، وفي الخبر
عن البشر ٣: ٤٤ (قسم أول): «لا اجتماع قُرَيْش فيه إلى كعب بن لُؤَيٍّ وخطبه».
٢٠ (٨) في الخبر عن البشر ٣: ٤٥ (قسم أول): «سيأتي له نبأ عظيم، وسيخرج به نبي».

قال السهيلي : « وكان يخطبهم ويذكرهم ^(١) بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويعلمهم أنه من ولده ، ويأمرهم باتباعه والإيمان به ، وينشد ويقول :
بإلتي شاهد فحواء دعوته * إذا قرئش تبغى الحق خذلانا ^(٢) »

وأما مرة بن كعب ، فكنيته أبو يهظة ^(٣) ، وأمه مخشية ، وقيل وخشية بنت شيان ، بن مخارب ، بن فهر . وفي مرة يجتمع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونسب أبي بكر الصديق ، وطلحة بن عبيد الله رضى الله عنهما .

وأما كلاب بن مرة ، فكنيته أبو زهرة ^(٤) ، وأسمه حكيم . وكنى كلاب لقب غلب عليه ، وسبب ذلك أنه كان محبا للصيد مولما به ، وكان أكثر صيده بالكلاب ، وجمع منها شيئا كثيرا ، فكان إذا مرّ يقوم بكلابه قالوا : « هذه كلاب ابن مرة ، فغلب ذلك عليه ، وفيه يقول الشاعر :

حكيم بن مرة ساد الورى * ببذل التّوال وكف الأذى

وأم كلاب هند بنت سرير ^(٥) ، بن ثعلبة ، بن الحارث ، بن فهر ، بن مالك ، بن كنانة . ويقال : إن كلابا هذا أول من جعل في الكعبة السيوف المحلاة بالذهب والفضة ذخيرة للكعبة .

(١) في الأصل : « ويذكرهم بمبعث » . والمثبت عن الروض الأنف ١ : ٦ .

(٢) في الاكتفاء (الورقة ١٥) ، والخبر عن البشر ٣ : ٤٥ (قسم أول) :

* حين العشرة تبغى الحق خذلانا *

وفحواء الكلام ، وفحواء : معناه . وانظر شرح الزرقاني على المواهب ١ : ٧٥ .

(٣) في الأصل « وكنيته » .

(٤) في المقدمة الفاضلة (الورقة ١١٨) : « هند بنت مر الفهرية » ، وورد اسمها في الخبر عن البشر ٣ : ٤٧ (قسم أول) : « نعم بنت السرير » ، وفي المعارف لابن قتيبة ص ٥٧ : « نعم ابنة سرير » .

وأما قُصَيٌّ بن كَلَّاب فاسمه زيد، وكنيته أبو المُنْغِيرَة، وقُصَيٌّ لقبه، ويلقب
أيضاً مُجَمَّعاً. قال السَّهْلُ: «في قُصَيٍّ» تصغير قُصَيٍّ: «أى بعيد». وقال الرُّشَاطِي: «وإنما
قيل له قُصَيٌّ لأن أباه كَلَّاب بن مَرَّة كان قد تزوج فاطمة بنت سَعْد بن نَيْل،
وَأَسَمَ سَيْل، خَبَر بن حَمَّالَة، بن عَوْف، بن عثمان، بن عامر (وهو الجادر) بن جَعْتَمَة، وهو
يَشْكُر، وهم من الأزد. فولدت له زُهْرَة وزَيْدًا، ثم هلك كَلَّاب وزَيْد صغيراً طَيْم»،
وقال السَّهْلُ: إنه كان رَضِيعاً، «فترجى فاطمة أم قُصَيٍّ ربيعة بن حَرَام، بن ضَمَّة، بن عبد،
ابن كَبِير، بن عُذْرَة، بن سَعْد، بن زيد، بن قضاة، فاحتلمها ربيعة ومعهما زيد،
فربى زيد في حجر ربيعة، فسُمِّي قُصَيّاً لبعده عن دار قومه» .

وقال الخطَّابِي: «سُمِّي قُصَيّاً لأنه قُصِيَ قومه، أى تقصَّاهم بالشام فنقلهم
إلى مكة». قال الرُّشَاطِي: «ثم إن زَيْدًا وقع بينه وبين ربيعة شراً،
ف قيل له: ألا تلحق بقومك؟ وعير بالغرْبة، وكان لا يعرف لنفسه أباً غير
ربيعة، فرجع قُصَيٌّ إلى أمه، وشكاه ما قيل له، فقالت له: يا بني،

(١) في الأصل: «واسمه». (٢) في الإكمال لابن ماكولا ٢: ٦٩ ب:

«خير بن جمال»، وفي ابن الأثير ٧: ٢: «جبر بن جمالة». (٣) هكذا ورد في الإكمال لابن ماكولا

٢: ٦٩ ب: «عوف بن عثمان»، وفي الاشتقاق لابن دريد ص ٢٥، ونسب قريش

(ق ٥ ١)، والطبري ٢: ١٨١، والخبر عن البشر ٣: ٤٨ (قسم أول): «عوف بن غم» .

(٤) في الأصل: «عامر بن الجادر»، وهى إحدى روايتي الإكمال، والمثبت رواية

الروض الأنف (١: ٨٤)، وتوافق رواية الإكمال الثانية. (٥) سمي الجادر لأنه أول

من جدر الكعبة. (٦) تكرر ورود هذا العلم في الخبر عن البشر ٣: ٤٨، ٥٠ (قسم أول)

هكذا: «جعتمة» بالخاء المعجمة بعدها ثا، مثله. (٧) في سيرة ابن هشام ١: ١٠٩، والطبري

٢: ١٨١، والإكمال والخبر عن البشر ٣: ٤٨، ٥٠ (قسم أول): «جعتمة ابن يشكر» .

(٨) في الروض الأنف ١: ٨٤. (٩) في الأصل: «حرام بن ضبة بن عبد كثير»، وفي ابن

الأثير ٧: ٢: «ضبة بن عبد بن كثير» تصحيف، وانظر الإكمال ١: ١٣٣ ب، والطبري ٢: ١٨١،

والإنباه لابن عبد البر ص ٨٢. (١٠) في الأصل: «قال الرشاطي وإن» :

أنت أكرم منه نفساً وأباً، أنت ابن كلاب بن مرة، وقومك بمكة عند البيت الحرام.
فاجمع قصي على الخروج، فقالت له أمه: أقم حتى يدخل الشهر الحرام، فتخرج
في حاج العرب، فلما دخل الشهر الحرام خرج مع حاج قضاة حتى قدم مكة،
فحج وأقام بمكة.»

وكان الذي يلي أمر البيت يومئذ حليل، بن حبشية، بن سلول، بن كعب،
ابن عمرو الخزاعي. فخطب إلى حليل بن حبشية ابنته حُي. فعرف حليل نسبه
فزوجها، وأقام قصي معه، فولدت له حُي أولاده، وهم: عبد مناف، وعبد العزى،
وعبد الدار، وعبد، وبرة، وتحمّر (وهي بالناء المثناة من فوق وخاء معجمة ساكنة
وميم مضمومة وراء).

فلما انتشر ولده، وكثر ماله، وعظم شرفه هلك حليل، وأرضى بولائه البيت
لابنته حُي. فقالت: إني لا أقدر على فتح الباب وإغلاقه، فجعلت ذلك إلى سلم
ابن عمرو، بن بوي، بن سلكان، وهو أبو غُشَّان، ويقال له المحترش، فاشتري قصي
منه ولاية البيت بزق خمر وقعود، فضرمت به العرب المثل، فقالوا: «أخسر من
صفقة أبي غُشَّان.» فنارعت نخاعة البيت فأترعه منهم. والله الناصر.

(١) في الأصل: «فاجمع»، والمثبت عن الطبري ٢: ١٨٢.

(٢) في ابن الأثير ٢: ٨: «فجعل ذلك».

(٣) القعود: الكر من الإبل حين يمكن ظهره من الركوب، وأدنى ذلك أن يأتي عليه ستان.

(٤) أحمد الميداني (١: ١٤٦) المثل بصيغة: «أحق من أبي غُشَّان»، ونحو رواية التوزيري.

أيضاً، وانظر تاج العروس (غُش).

ذكر خبر أترع قصي البيت ومكة من خزاعة

ومن ولي البيت بعد إسماعيل عليه السلام إلى أن أترعه قصي بن كلاب

قال محمد بن إسحاق بن يسار: ^(١) لما توفي الله تعالى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام،

وولي البيت بعده ابنه نابت بن إسماعيل ما شاء الله أن يليه، ثم ولي البيت بعده مضاض

ابن عمرو الجرهمي، وبنو نابت مع جدهم مضاض بن عمرو وأخوالهم من جرهم، وجرهم

وقطوراء يومئذ أهل مكة، وهما أبنا عم، وكانا ظعنا من اليمن، فابلا سياردة، وعلى

جرهم مضاض بن عمرو، وعلى قطوراء السبيدع، رجل منهم. فلما نزل مكة رأوا بلدا ^(٢)

ذاميا وشجرا، فاعجبهما فترلا به، فقتل مضاض بن معه من جرهم أعلى مكة فقيعان ^(٣)

فما حاز، ونزل السبيدع قطوراء أسفل مكة بأجياد فما حاز، وكان كل منهما يعثر ^(٤)

من دخل مكة مما يليه، وكل منهما في قومه لا يدخل على صاحبه. ^(٥)

ثم إن جرهما وقطوراء بنى بعضهم على بعض، وتنافسوا الملك بها، ومع مضاض

بنو إسماعيل وبنو نابت، وإليه ولاية البيت دون السبيدع، فسار بعضهم إلى بعض،

فخرج مضاض بن عمرو من قُيعقان في كتيبه سائرا إلى السبيدع ومع كتيبه عتبا من

الرياح والشرق والسيوف والجباب، ^(٦) فقيقع [بلتك]، فيقال ماسمي قُيعقان قُيعقان

إلا لذلك. وخرج السبيدع من أجياد ومعه الخيل والرجال، فيقال ماسمي أجياد أجيادا ^(٧)

(١) انظر سيرة ابن هشام ١: ١١٧. (٢) السيرة: القاعة. (٣) وكانوا إذا خرجوا

من اليمن جعلوا عليهم لكا يوم بالمرهم. الروض: الألف. (٤) قُيعقان: يضم القاف

الاولى وكثير الثانية، وقع العين: خيل مكة، جميع البلدان ٧: ١٣٣. (٥) أجياد: موضع

مكة على المقامات، انظر ٢: ٢٧. (٦) سبيدع: يأخذ بعثر أخوالهم. (٧) زيادة

(١) إلا لخروج الجهاد من الخيل منه مع السَّمِيدَع. فآلثقوا بفأضح (٢) واقتلوا قتالا شديداً، فقتل السَّمِيدَع، وفُضِحت قَطُوراء ؛ فيقال ما سُمِّي فأضح إلا لذلك .

ثم إن القوم تداعوا إلى الصلح، فصاروا حتى نزلوا المطابخ : شِعْباً بأعلى مكة، فأصطلحوا به ، وأسلموا الأمر إلى مُضاض . فلما اجتمع إليه أمر مكة ، وصار مُلكها له ، نحر للناس فطبخوا وأكلوا، فيقال ما سميت المطابخ (٣) إلا لذلك . وبعض أهل الدلم يزعم أنها إنما سميت المطابخ لما كان تُبَع نحر بها وأطعم وكانت منزله . والله أعلم .

«فكان الذي كان بين مُضاض والسَّمِيدَع أولَ بغي كان بمكة . ثم نشر الله ولد إسماعيل بمكة ، وأخوالهم من جرهم وُلَاةُ البيت والحكام بمكة ، لا ينازعهم ولد إسماعيل في ذلك لخولتهم وقرباتهم ، وإعظاما للحُرمة أن يكون بها بغي أو قتال ؛ فلما ضاقت مكة على ولد إسماعيل آتَشروا في البلاد ، فلا يثابرون قوماً إلا أظهرهم الله عليهم بدينهم .»

«ثم إن جرهما بغوا بمكة ، وآسَتحلوا خلالاً من الحرمة ، وظلموا أن دخلها من غير أهلها ، وأكلوا مال الكعبة الذي يهدى لها ، فرق أمرهم . فلما رأت بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وغُبشان من تُرعاة ذلك ، أجمعوا لحربهم وإخراجهم من مكة ؛ فآذَنوهم بالحرب فأقتلوا ، فغلبتهم بنو بكر وغُبشان ، فنفوه من مكة ؛ وكانت مكة في الجاهلية لا تُقَر فيها ظلماً ولا بغيًا .»

(١) أجياد : جمع جواد : يقال فرس جواد : بين الجودة والجمع أجياد . فلا محل لاء إعراض البسيل في الرض الألف ١ : ٨٠ ، واظهر تاج الدروس « جود » .

(٢) فأضح : موضع قرب مكة عند جبل « أبي قيس » . ياقوت ٦ : ٣٣٢ .

(٣) في سيرة ابن هشام ١ : ١١٧ : « نحر للناس فطبخهم ، فأطبخ الناس وأكلوا » .

قال ابن إسحاق : « فخرج عمرو بن الحارث بن مُضاض الجُرهمي بَنَزَالِي الكعبة ^(١) وبَجَر الركن ، فدفعها في زمزم ، وأطلق هو ومن معه من جرهم إلى اليمن ، فحزنوا على ما فارقوا من أمر مكة ومليكها حزنا شديدا ، فقال عمرو بن [الحارث] ^(٢) بن مُضاض في ذلك ، وليس بمُضاض الأكبر » . والله المعين :

[وقائلة والدَّمعُ سَكْبٌ مُبَادِرٌ * وقد شَرِفتْ بالدَّمع منها المجارح ^(٣)]
 كَانَ لم يكن بينَ المَجُونِ إلى الصِّفا * أَيْسَ ولم يَسْمُرُ بمكة سامر ^(٤)
 [فَقَتُّ لها والقلبُ متى كَأَمَّا * يُلْجِلُجُه بينَ الجناحين طائر ^(٥)]
 بَلَى ! نحنُ نَكَا أهلها فازالنا * صُرُوفُ اللّياي والجُدودُ العوائِر
 وكأولادة البيت من بعد نابت * نطوفُ بذاك البيت والخيرُ ظاهر
 ونحن ولينا البيت من بعد نابت * بعزفنا يَحْطِي لدينا المكائِر
 مَلَكًا فعزّزنا فأعْظِمَ مَمْلَكًا * فليس لحي غيرنا ثم فَاخِر
 أَلَمْ تُسَكِّحُوا مِن خير شخص علمته * فابنأوه منا ونحن الأصاهر
 فَإِنْ تَنَتْن الدنيا علينا بحالها * فَإِنْ لها حالًا وفيها التشاجر
 فأخرجنا منها المليك بقُدرة * كذلك ياللناس تجرى المقادر
 أقولُ إذا نام الخَلِيُّ ولم أَمَمْ : * أَذَا العرش لا يَتَعَدُّ سُهْل وعامر
 وَبَدَلْتُ منها أَوْجَهَا لا أَحِبَّهَا * قبائلُ منها حَمِيرٌ ومَحَار ^(٦)
 وَصِرْنَا أَحاديثًا وَكُنَّا يَغِيبُطِي * بِذَلِكَ عَصْنَتَا السَّنُونُ الفَوَارِ

(١) هما تَمَالانُ لغزاليين من ذهب ، دفعهما عمرو بن الحارث في زمزم . انظر الروض الأصف

١٢٠ : ١ ، ٩٧ : ١ ، ١٠١ ، وشرح المواهب : ١ : ٩٢ . (٢) إضافة عن سيرة ابن هشام : ١ : ١٢٠ .

(٣) المجنون فتح الحاء : جبل بأعلى مكة . ياقوت : ٣ : ٢٢٧ . (٤) يريد إسماعيل

عليه السلام . الخشني : ١ : ٣٨ . (٥) يحارب بوزن (يقائل) : قبيلة من اليمن ، أو قبيلة مراد .

انظر تاج القروس (عبر) ، الخشني : ١ : ٣٨ .

[وبذلنا كعب بها دار غربة * بها الذئب يعوى والعدو المكاشف^(١)]

فسحت دموع العين تبكي للدة * بها حرم أمن وفيها المشاعر^(٢)
وتبكي لبيت ليس يؤذى حجامه * يظل به أمنا وفيه العاصفر
وفيه وحوش لا ترام أيسه * اذا خرجت منه فليست تُعاد

وقال أيضا يشير إلى بكر وغنشان الذين خلفوا مكة بعدهم :

يا بها الناس سيروا إن قصركم^(٣) * أن تُصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
حُتوا الميطي وأرخوا من أزميتها * قبل الممات وقضوا ما تُقضوننا
نُحنا أناسا كما كنتم فغيرنا * دهر فأنتم كما كنا نَكُوننا

قال ابن هشام : « حدثني بعض أهل العلم بالشعر ، أن هذه الأبيات أول شعر قيل في العرب ، وأنها وجدت مكتوبة في حجر باليمن ، ولم يُسمَ لى قائلها » .

قال ابن إسحاق : « ثم إن غنشان من خزاعة وليت البيت دور بني بكر ابن عبد مناة ، وكان الذي يليه منهم عمرو بن الحارث الغنشاني ، وقريش إذ ذاك حلول وصرم ، وبيوتات متفرقون في قومهم من بني كنانة ، فوليت خزاعة البيت يتوارثون ذلك كبرا عن كابر ، حتى كان آخرهم حليل بن حبشية بن سلول بن كعب ابن عمرو الخزاعي . فخطب قُصَيّ بن كلاب إلى حليل أبنته حُجَيّ ، فرغب فيه حليل فزوجها ، فولدت له عبد الدار ، وعبد مناف ، وعبد العزى ، وعبدا » .

« فلما انتشر ولد قُصَيّ وكثر ماله ، وعظم شرفه هلك حليل ، فرأى قُصَيّ أنه أولى بالكعبة ، وبأمر مكة من خزاعة وبني بكر ، وأن قريشا قرعة إسماعيل بن

(١) عن معجم البلدان ٣ : ٢٢٨ . (٢) الشاعر : مواضع مشهورة يُعبد فيها . الخشني ١ : ٣٨ .
(٣) قصركم : نهايتكم وغايتكم . (٤) سيرة ابن هشام ١ : ١٢٢ . (٥) الحلول : جماعة البيوت المجتمعة ، والصرم : الجماعة يزلون بإلهم فاحية على ما . (٦) في سيرة ابن هشام ١ : ١٢٣ : « قرعة » بالالف ، والقرعة ضم الفاف : فحبة الشيء وخياره . والمراد بالقرعة هنا أن قريشا أعلى ولد إسماعيل .

إبراهيم وصريح ولده، فكلم رجلاً من قريش وبني كنانة، ودعاهم إلى إخراج خُرَاعة وبني بكر من مكة، فأجابوه .

وكان ربيعة بن حرام من عذرة بن سعد بن زيد مناة قد قديم مكة بعد هلاك كلاب، فترجح فاطمة بنت سعد بن سبل - وزهرة يومئذ رجل، وقصى قطيم - فاحتملها إلى بلاده، فحملت قصياً معها وأقام زهرة، فولدت لربيعة رزاحا . فلما بلغ قصي وصار رجلاً أتى مكة فأقام بها، فلما أجابه قومه إلى ما دعاهم إليه كتب إلى أخيه من أمه رزاح بن ربيعة، يدعو إلى نصرته والقيام معه، فخرج رزاح بن ربيعة ومنه إخوته : حن بن ربيعة، ومحمود ابن ربيعة، وجلهنة بن ربيعة، وهم لغير فاطمة، فيمن تبعهم من قضاة في حاج العرب، وهم يجمعون لنصرة قصي .

«وكان العوث بن مرة بن أذ بن طابخة بن إلياس بن مضر يلى الإجازة للناس بالبحر من عرفة، وولده من بعده، وكان يقال له ولولده صوفة . وإنما ولي العوث ذلك لأن أمه كانت من بني جرهم، وكانت لا تآ، فندرت لله إن هي ولدت رجلاً أن تصدق به على الكعبة عبداً لها يخدمها، ويقوم عليها، فولدت العوث، فكان يقوم على الكعبة في الدهر الأول مع أخواله من جرهم، فولى الإجازة بالناس من عرفة، لمكانه الذي كان به من الكعبة، وولده من بعده حتى انقرضوا .»

«وكان العوث بن مرة إذا دفع بالناس قال :

لَا مُمْ إِي تَابِعْ تَبَاعَةً * إِنْ كَانَ إِثْمُ فَعَلَى قُضَاعَةٍ^(٢)

(١) في سبب تسميته صوفة أقوال ذكرها السهيلي في الروض الأنف ١ : ٨٥ .

(٢) التباعة : ما يتبعه الإنسان ويقتدى به، وإنما قال : «إن كان إثم أخ»، لأنه كان

في قضاة من يستعمل الأشهر الحرم، فجعل إثم ذلك عليهم . الخشني ٣ : ٤٠ .

قال ابن إسحاق : « كانت صوفة تدفع بالناس من عرفة ، وتُجيزهم إذا نفروا من منى ، حتى إذا كان يوم التفرأوا لرمي الجمار ، ورجل من صوفة يرمى للناس ، لا يرمون حتى يرمى ، فكان ذوو الحاجات المتعجلون يأتونه فيقولون له : قم فأرم حتى نرى [مَعَكَ] ^(١) ، فيقول : لا والله ، حتى تميل الشمس ، فيظل ذوو الحاجات يرمونه بالجمارة ويقولون له : ويلك ! قم فأرم ، فيأبى عليهم ، حتى إذا مالت الشمس قام فرمى ، ورمى الناس معه » .

« فإذا مرغوا من رمي الجمار ، وأرادوا الفر من منى أخذت صوفة بجاني العقبة ، فحبسوا الناس وقالوا : أجيئ صوفة . فلم يجز أحد من الناس حتى يروا ، فإذا نقرت صوفة ونصت خلى سبيل الناس فأنطلقوا بدمهم ، فكانوا كذلك حتى أقهرضوا ، فورثهم في ذلك بنو سعيد بن زيد مائة ، من تيم ، وكانت من بني سعيد في آل صفوان بن الحارث بن شيبة ، فكان صفوان هو الذي يُميز الناس بالبح من عرفة ، ثم بنوه من بعده ، حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام كرب بن صفوان ، وفي ذلك يقول أوس بن مقرن من قصيدة :

لا يبرح الناس ما حجوا مرفقهم * حتى يُهال أجزوا آل صفوانا ^(٢)

« وكانت الإفاضة في عدوان يتوارثون ذلك كباراً عن كبار ، حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام أبو سيارة عميلة بن الأعزل ، وكان أبو سيارة يدفع بالناس على أن ين له ، وبه ضرب المثل : « أصبح من غير أبي سيارة » ؛ لأنه دفع بأهل الموسم عليه أربعين عاماً » .

(١) الشك من الطري ٢ : ١٧٣ ، وسيرة ابن هشام ١ : ١٢٦ - (٢) المرفق : الوقت بمرقات . ورواية الثاقب : صوف ، عرق) :

(٢) رواية الميقاتي ١ : ٢٧٧ ، ولسان العرب (سي) : « أصبح من غير أبي سيارة » .

نعود إلى أخبار قُصَيِّ بنِ كَلَّابٍ ، « [فلما كان ذلك العام ، فعلت صُوفَةً كما كانت تفعل ، وقد عرفت ذلك لها العرب ، وهو دينٌ في أنفسهم من عهد جُرهم وخراعة وولايتهِم ، فاتاهم قُصَيٌّ ^(١)] بن معه من قومه من قُريش وكنانة وقُضاعة عند العقبة فقال : لا تجز - لنحن أولى بهذا منكم - ، فقاتلوه ، فأقتل الناس قتالاً شديداً ، ثم انهزمت صُوفَةٌ ، وغلبهم قُصَيٌّ على ما كان بأيديهم من ذلك » .

« وانحازت عند ذلك خُراعة وبنو بكر عن قُصَيِّ ، وعرفوا أنه سيحول بينهم وبين الكعبة وأمر مكة ، فلما انحازوا عنه باداهم وأجمع الحربهم ، وخرجت إليه خُراعة وبنو بكر ، فالتقوا وقاتلوا قتالاً شديداً حتى كثرت القتلى في الفريقين ، ثم تداعوا إلى الصلح ، وأن يحكموا بينهم رجلا من العرب ، فحكوا يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، ففضى أن قُصَيًّا أولى بالكعبة وأمر مكة من خُراعة ، وأن كل دِمٍ أصابه قُصَيٌّ من خُراعة وبني بكر موضوعٌ تشدُّه تحت قدميه ، وأن ما أصابت خُراعة وبنو بكر من قُريش وكنانة وقُضاعة ففيه الدية مؤداة ، وأن يُحْلَى بين قُصَيِّ وبين الكعبة ومكة فُسُئِي يعمر بن عوف يومئذ الشدَّاح ، لما شدَّخ من الدماء ووضع منها » .

قال : « فولى قُصَيٌّ البيت وأمر مكة ، وجمع قومه من منازلهم إلى مكة ، وتلك على قومه وأهل مكة فأكوه ، إلا أنه أقر للعرب ما كانوا عليه ، وذلك أنه كان يراه

(١) النكتة عن سيرة ابن هشام : ١ : ١٣٠ ، حيث النقل عن ابن إسحاق أيضاً ، وانظر الطبري ١٨٣ : ٢ . (٢) في تاريخ الطبري ٢ : ١٨٣ : « منكم ، فأكروه الخ » . (٣) باداهم : كاشفهم . (٤) كان بعد هذا أحد حكام العرب . انظر الحبر لابن حبيب من ١٢٣ - (٥) هذا هو المعروف بين المؤرخين ، وفي الحبر أنه « حكم بينهم » ، وبارأ (يسوي) بين الدماء ، وعلى أن لا يخرج خُراعة من الكعبة » . (٦) لا يزال النقل عن ابن إسحاق ، وانظر سيرة ابن هشام

دينًا في نفسه لا ينبغي تغييره؛ فأقر آل صفوان، وعدوان، والنساء،^(١) ومرة بن عوف على ما كانوا عليه، حتى جاء الإسلام، فهدم الله به ذلك كله.

«فكان قصي أول من أصاب ملكًا من بني كعب بن لؤي، وكانت إليه الحجابة، والسقاية، والزفاد، والتدوة، واللواء؛ فآزشف مكة كله، وقطع مكة رباعين قومه، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة، فسمته قريش مجتمعا لما جمع من أمرها، وتيمنت بأمره؛ فأتت كح امرأة، ولا يترج رجل من قريش، ولا يتشاورون في أمر نزل بهم، ولا يعقدون لواء لحرب قوم غيرهم إلا في داره؛ يعقده لهم بعض ولده، وما تدبر جارية إذا بلغت أن تدبر من قريش إلا في داره، يسق عليها فيها دبرها ثم تدبره، ثم ينطلق بها إلى أهلها».

«فكان أمره في قومه من قريش في حياته وبعد موته، كالدين المتبع لا يعمل غيره. وأتخذ لنفسه دار التدوة، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة؛ ففيها كانت قريش تقضي أمورها» قال الشاعر:

قصي لعدي كان يدعى مجتمعا * به جمع الله القبائل من فهر

قال ابن إسحاق: «فلما فرغ قصي من حربه أنصرف أخوه رزاح بن ربيعة بمن معه إلى بلاده». قال: «فلم يزل قصي على ذلك، فلما كبر ورق عظمه — وكان عبد الدار يكره، وكان عبداً مناف قد شرف في زمان أبيه وذهب كل مذهب،

(١) جمع ناسي. وهم قوم من كنانة كان العرب إذا صدروا عن «مئ» يقولون لأحد النساء: «أنسنا شهرا»، أي أترعنا حرمة المحرم واجعلها في صفرة؛ وبذلك تصبح الإغارة في شهر المحرم حلالا لهم. وفي تاج العروس (نساء)، والروض الأثف ١ : ٤١ — ٤٢ ذكر الذين كانوا يتولون إساءة الشهور. (٢) في سيرة ابن هشام ١ : ١٣٢ «وما يتشاورون». (٣) رواية اللسان (جمع)، وتهذيب الكمال للري (الورقة ١٤) : * أبوكم قصي كان يدعى مجتمعا * والبيت لحذافة بن غانم المذوي. (٤) سيرة ابن هشام ١ : ١٣٣، ١٣٦.

وَعَبْدُ الْعُزَّى وَعَبْدٌ — قَالَ لِأَبْنَيْهِ عَبْدِ الدَّارِ : أَمَا وَاللَّهِ يَا بَنِي لِأُحْفَنَكَ بِالقُومِ
وإن كانوا قد شَرُّوا عليك ، لا يدخل رجلٌ منهم الكعبةَ حتى تكون أنت تَفْتَحُهَا لَهُ ،
وَلَا يَغْفِدُ لِقُرَيْشٍ لُؤَاءٌ ^(١) [لِحَرْبِهَا] إِلَّا أَنْتَ بِيَدِكَ ، وَلَا يَشْرَبُ رَجُلٌ بِمَكَّةَ إِلَّا مِنْ سِقَايَتِكَ ،
وَلَا يَأْكُلُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْمَوْسِمِ طَعَامًا إِلَّا مِنْ طَعَامِكَ ، وَلَا تَقْطَعُ قُرَيْشٌ أَمْرًا
مِنْ أُمُورِهَا إِلَّا فِي دَارِكَ ، فَأَعْطَاهُ دَارَهُ : دَارَ النَّدْوَةِ الَّتِي لَا تَقْضِي قُرَيْشٌ أَمْرًا إِلَّا
فِيهَا ، وَأَعْطَاهُ الْحِجَابَةَ وَاللَّوَاءَ وَالسَّقَايَةَ وَالرَّفَادَةَ .

« وَكَانَتِ الرَّفَادَةُ تَخْرُجًا تُخْرِجُهُ قُرَيْشٌ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ مِنْ أُمُورِهَا إِلَى قُصَيِّ بْنِ
كَلَّابٍ ، فَيَصْنَعُ بِهِ طَعَامًا لِلْحَاجِّ ، فَيَأْكُلُهُ مَنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ سَعَةٌ وَلَا زَادٌ . وَقُصَيٌّ هُوَ
الَّذِي فَرَضَ ذَلِكَ ، فَقَالَ [لَهُمْ] حِينَ أَمَرَهُمْ بِهِ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنَّكُمْ جِيرَانُ اللَّهِ
وَأَهْلُ بَيْتِهِ وَأَهْلُ الْحَرَمِ ، وَإِنَّ الْحَاجَّ ضَيْفُ اللَّهِ وَزُؤَارُ بَيْتِهِ ، وَهُمْ أَحَقُّ الضُّيْفِ
بِالْكَرَامَةِ ، فَاجْعَلُوا لَهُمْ طَعَامًا وَشَرَابًا أَيَّامَ الْحَجِّ ، حَتَّى يَصْدُرُوا عَنْكُمْ . ففَعَلُوا .
قَالَ : « فَلَمَّا هَلَكَ قُصَيٌّ بْنُ كَلَّابٍ أَقَامَ أَمْرَهُ فِي قَوْمِهِ مِنْ بَعِيدِهِ بَنُوهُ ، فَاخْتَلَطُوا
مَكَّةَ رِبَاعًا ، بِمَدِّ الَّذِي كَانَ قَدْ قَطَعَ لِقَوْمِهِ بِهَا ، فَكَانُوا يَعْطُونَهَا فِي قَوْمِهِمْ
وَفِي غَيْرِهِمْ مِنْ حُلَفَائِهِمْ ، وَيَبِيعُونَهَا ، فَأَقَامَتِ قُرَيْشٌ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ لَيْسَ بَيْنَهُمْ
اِخْتِلَافٌ وَلَا تَنَازُعٌ » ، إِلَى أَنْ كَانَ مَا نَذَرَ أَنْ يَفْعَلَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَاشِمِ بْنِ
عَبْدِ مَنَافٍ .

وَحَكَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَائِذٍ الدَّمَشْقِيُّ فِي « مَغَازِيهِ » زِيَادَةً فِي خَبَرِ قُصَيِّ
نَذَرَ كَرَاهَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ تَقَصَّ فِي غَيْرِهِ ، فَقَالَ فِي أَثْنَاءِ مَا حَكَاهُ :

(١) التكملة عن سيرة ابن هشام ١ : ١٣٦ ، والطبري ٢ : ١٨٤ (٢) التكملة عن سيرة
ابن هشام ١ : ١٣٧ (٣) القائل ابن إسحق ، وانظر سيرة ابن هشام ١ : ١٣٨ .
(٤) في الأصل : « قد وقع لقومه » . (٥) في سيرة ابن هشام ١ : ١٣٨ : « فكانوا
يقطعونها » . (٦) محمد بن عائذ (بالذال المعجمة) بن أحمد القرشي أبو عبد الله الدمشقي
(١٥٠ - ٢٣٣) له ترجمة في تهذيب التهذيب ٩ : ٢٤٢ .

«إن البيت كان حوله غيضة والسبيل يدخله، ولم يرفع البيت حيثئذ، فإذا قدم الحاج وطئوه حتى تذهب الغيضة، فإذا خرجوا نبتت». قال: «فلما قدم قصي قطع الغيضة، وأبنتي حول البيت دارا، ونكح حبي بنت حليل».

وقال أيضا: «إن قصيا قال لامرأته حبي: قولي لحذتك تدل بك على الحجر، فلم تزل بها حتى قالت: إني أعقل أنهم حين خرجوا إلى اليمن سرقوه، ونزلوا منزلا وهو معهم، فبرك الجمل الذي كان عليه الحجر، فضربوه فقام، ثم ساروا فبرك، فضربوه فقام، ثم برك الثالثة فقالوا: ما برك إلا من أجل الحجر، ودفنوه، وذلك أسفل مكة، وإني لأعرف حيث برك، فخرجوا بالحديد وخرجوا بها معهم، فأرثهم حيث برك أولا وثانيا وثالثا، فقالت: أحرقوا ههنا، فحرقوا حتى يتسوا منه، ثم ضربوا فأصابوه وأخرجوه، فأثني به قصي، فوضعه في الأرض، فكانوا يمسحون به وهو في الأرض، حتى بنى قصي البيت». قال: «ومات قصي ودفن بالمجنون». والله أعلم بالصواب.

وأما عبد مناف بن قصي فكانت له أبو عبد شمس، وأسمه المغيرة، وعبد مناف (١) [لقبه]، وسبب ذلك أن أمه حبي بنت حليل الخزاعية أخدمته مائة، وكان مائة صنما عظيما لهم، فسمى عبد مائة به. ثم نظر قصي، فراه يوافق عبد مائة بن كنانة، فحوله عبد مناف. (٢) قاله السبيل. (٣) [و] مناف «مفعول» من أناف ينيف إنافة إذا أرتفع. وقال المفضل: الإنافة الإشراف والزيادة، وبه سمي عبد مناف لطوله، ومنه تقول: مائة ونيف، أي شيء زائد على المائة.

(١) في الأصل: «دكنيته». (٢) تكله يقتضها السياق. وفي الأصل: «عبد مناف، وسبب الخ». (٣) الروض الأنف ١: ٦، وفي الأصل: «قال السبيل». (٤) في الأصل: «مناف الخ»، على أنه مقول قال، والمثبت استظهار. لعله القريب من الصواب.

أَو كَانَ قُصَيٌّ يَقُولُ : لِي أَدْبَعَةُ بَيْنَ سَمِيَّتْ أَبْنِينَ بِالْهَيِّ ، وَهَامِدُ مَنَافٍ
وَعَبْدُ الْعَزَى ، وَوَاحِدَا بَدَارِي ، وَهُوَ عَبْدُ الدَّارِ ، وَوَاحِدَا بِي ، وَهُوَ عَبْدُ قُصَيٍّ . خُكَاهُ
مُحَمَّدُ بْنُ عَائِذٍ فِي "مَغَازِيهِ" عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ^(١) : « أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ النَّاسِبِ الْكَلْبِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :
لَمَّا دَلَّكَ قُصَيٌّ بْنُ كِلَابٍ قَامَ عَبْدُ مَنَافٍ بْنُ قُصَيٍّ عَلَى أَمْرِ قُصَيٍّ بَعْدَهُ وَأَمْرُ
قُرَيْشٍ إِلَيْهِ ، وَأَخْطَطَ بِمَكَّةَ زَيْبَاعَا بَعْدَ الَّذِي كَانَ قُصَيٌّ قَطَعَ لِقَوْمِهِ » .

قَالَ : « وَوُلِدَ عَبْدُ مَنَافٍ سِتَّةَ نَفَرٍ ، وَسِتُّ نِسْوَةٍ ، وَهُمْ : عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ
وَكَانَ أَكْبَرَهُمْ ، وَهُوَ الَّذِي عَقَدَ الْحِلْفَ لِقُرَيْشٍ مِنَ النَّجَاشِيِّ فِي مَتَجَرِّهَا إِلَى أَرْضِهِ ،
وَهَاشِمٌ ، وَأَسْمُهُ عَمْرُو ، وَهُوَ الَّذِي عَقَدَ الْحِلْفَ لِقُرَيْشٍ مِنْ هِرَاقِلَ لِأَنَّهُ تَخَلَّفَ إِلَى الشَّامِ
أَمْنَةً ، وَعَبْدُ شَمْسٍ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ ، وَتَمَاضِيرُ بِنْتُ عَبْدِ مَنَافٍ ، وَحِجَّةٌ ، وَقِلَابَةٌ ^(٢) ،
وَبَرَّةٌ ، وَهَالَةٌ ، وَأُمُّهُمْ عَاتِكَةُ الْكُبَرَى بِنْتُ مَرْثَةَ ^(٣) ، بِنْتُ هِلَالٍ ، بِنْتُ فَالَجٍ ، بِنْتُ ثَعْلَبَةَ بْنِ ذُكْوَانَ ، بِنْتُ
ثَعْلَبَةَ ، بِنْتُ بُهْتَنَةَ ، بِنْتُ سُلَيْمٍ ، بِنْتُ مَنصُورٍ ، بِنْتُ عِكْرَمَةَ ، بِنْتُ خَصَفَةَ ، بِنْتُ قَيْسِ عَيْلَانَ ، بِنْتُ مُضَرَ .
وَوُفُولُ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ ، وَهُوَ الَّذِي عَقَدَ الْحِلْفَ لِقُرَيْشٍ مِنْ كِسْرَى إِلَى الْعِرَاقِ ،
وَأَبُو عَمْرُو بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ ، وَأَسْمُهُ عَيْدٌ ، بَرَجٌ وَلَا عَقَبَ لَهُ ، وَأُمُّهُمْ وَأَقْدَةُ بِنْتُ ^(٤)

- ١٥ (١) في الطبقات ١ : ٤٢٠ - (قسم أول) . (٢) في طبقات ابن سعد ١ : ٤٢ : (قسم أول) :
« وَلِدَ عَبْدُ » . (٣) في الأصل ، وطبقات ابن سعد ١ : ٤٣ : (قسم أول) ، وتاريخ العقول
١ : ٢٠٠ : « وَحِجَّةٌ » ، والمثبت عن نسب قریش (الورقة ٥ ب) « وسيرة ابن هشام ١ : ١١٢ .
(٤) هي إحدى النسوة اللواتي كن يستترطن ، لشرفهن إذا تزوجن ، أن يكون أمرهن بيدهن
في مقام الزواج . انظر المجلد ١ من حبيب ص ٣٩٩ . (٥) في ابن الأثير ٢ : ١١٣ . وسيرة
٢٠٠ ابن هشام ١ : ١١١ ، وتاريخ العقول ١ : ٢٠٠ : « فالج بن ذكوان » . (٦) في الأصل :
« ابن عبد مناف ، وأبا عيد » ، تصحيف .

أبي عدي، وهو عامر، بن عبد نهم، بن زيد، بن مازن، بن صمصمة، وريلة بنت
عبد مناف، ولدت بني هلال، بن معيط من بني كنانة، بن خزيمه، وأُمها الثقفية .
وأما هاشم بن عبد مناف، فكنيته أبو نضلة، وقيل أبو يزيد، وقيل بل
كان يُكنى بأبنة أسد، وأسمه عمرو، وهاشم لقب لُقّب به . روى عن ابن عباس
رضي الله عنهما أنه قال : « كان اسم هاشم عمرا، وكان صاحب إيلاف قريش،
وإيلاف قريش : دأب قريش، وهو أول من سنّ الرحلتين لقريش، ترحل إحداها
في الشتاء إلى اليمن وإلى الحبشة إلى النجاشي فيكرمه ويحبوه، ورحلة في الصيف
إلى الشام إلى غزّة وربما بلغ أنقرة، فيدخل على قيصر فيكرمه ويحبوه، فأصاب
قريشا سنوات ذهب بالأموال، نخرج هاشم إلى الشام، فأمر بحبز كثير نفخ فيه،
وحمله في الغرائر على الإبل حتى وافى مكة، فهشم ذلك الخبز، يعني كسره وثرده،
ونحرتك الإبل، ثم أمر بطبخها، ثم كفا القدور على الحفان، فأشبع أهل مكة،
فكان ذلك أول الحيا بعد السنة التي أصابتهم، فسُمي بذلك هاشما، وفي ذلك
يقول عبد الله بن الزبيري :

(١) في تاريخ العقوبي ١ : ٢٠٠ : « ابن عامر بن صمصمة » .

(٢) في نسب قريش (الورقة ٥ ب) : « وكانت ريلة بنت عبد مناف عند معيط بن عامر ...
ابن كنانة، فولدت له هلالا » .

(٣) في نسب قريش (الورقة د ب) : « ريلة بنت عبد مناف، وأُمها هند بنت كعب بن
سعد بن عوف من ثقيف » .

(٤) في الأصل : « وكنيته » .

(٥) في الأصل : « ابن عثمان »، تصحيف .

(٦) انظر طبقات ابن سعد ١ : ٤٣ (قسم أول) .

(٧) انظر معجم البلدان ١ : ٣٦١ .

عمرُو العلي هَاشِمُ التَّريْدَ لقومه * ورجالُ مَكَّةَ مُسْتِنونٌ عِجَافٌ^(١)

قال: «نَحْسَدُهُ أُمِّيَّةُ بن عبد شمس بن عبد مناف، وكان ذامالاً، فتكَلَّفَ أن يصنع صنيع هاشم فعجز عنه، فشمت به ناس من قُرَيْش، فغَضِبَ ونال من هاشم، ودعاه إلى المنافرة، فكرِه هاشم ذلك لِسَنِّه وَقَدْرِهِ، فلم تدَّعه قُرَيْش وأحفظوه» قال: «فلاني أَنَا فُكِرَ على نحسين ناقة سَوْدَ الحَدَقِ نَحَرَهَا بَبْطَن مَكَّةَ، والجلاء عن مكة عشر سنين. فرضى أُمِّيَّةٌ بذلك، وجعلنا بينهما الكاهن الخُزَاعِي^(٢)، فنفر هاشما عليه، فأخذ هاشمُ الإبل فنَحَرَهَا وأطعمها مَنْ حضره، ونَحَرَ أُمِّيَّةٌ إلى الشام، فأقام بها عشر سنين؛ فكانت هذه أولُ عداوة وقعت بين هاشم وأُمِّيَّة، ثم ولي هاشم الرِّفَادَةَ والسَّقَايَةَ».

١٠ ذكر ولاية هاشم الرِّفَادَةَ والسَّقَايَةَ

قال: «إن هاشما، وعبد شمس، والمُطَلَب، وتَوْفَلًا: بنى عبد مناف أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدي بنى عبد الدار بن قُصَيٍّ مما كان قُصَيٍّ جعل إلى عبد الدار من الحجابة، واللَّوَاءِ، والرِّفَادَةِ، والسَّقَايَةَ، والنَّدَوَةَ، ورأوا أنهم أحقُّ به منهم لشرفهم عليهم، وفضلهم في قومهم، وكان الذي قام بأمرهم هاشم، فأبى بنو عبد الدار أن تُسَلَّمَ ذلك إليهم، وقام بأمرهم عامرُ بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار؛ فصار مع بنى عبد مناف بن قُصَيٍّ بنو أسد بن عبد العزى بن قُصَيٍّ، وبنو زُهْرَةَ ابنِ كِلَابٍ، وبنو تيم بن مُرَّة، وبنو الحارث بن فِهْرٍ؛ وصار مع بنى عبد الدار

(١) رواية ابن هشام في السيرة ١: ١٤٤، والروض الأنف ١: ٩٤:

«... لقومه قوم بمكة مستين عِجَاف»

٢٠ وهي التي تنفق مع قافية الأبيات — قبلها وبعدها — المكسورة. وعلى رواية التويري تبعاً للطبري ١٧٩: ٢ يكون في البيت اقوا. (٢) بقرا الحكم: قضى لأحد المتنافرين بالقلبة على الآخر.

بنو مخزوم، وسهم، وجمح، وبنو عدي بن كعب، وخرجت من ذلك بنو عامر
أبن لؤي، ومجارب بن فهر، فلم يكونوا مع واحد من الفريقين، فعقد كل قوم
على أمرهم خلفا مؤكدا: ألا يتخاذلوا، ولا يسلم بعضهم بعضا، «ما بل بجر صوفة»^(١).

فأخرجت بنو عبد مناف، ومن صار معهم، جفنة مملوءة طيبا، فوضعوها حول
الكعبة، ثم غمس القوم أيديهم فيها، وتعاقدوا وتحالفوا، ومسحوا الكعبة
بأيديهم توكيدا على أنفسهم، فسموا المطيبين. وأخرجت بنو عبد الدار ومن كان
معهم جفنة من دم، فغمسوا أيديهم فيها، وتعاقدوا وتحالفوا: ألا يتخاذلوا ما بل بجر
صوفة. فسموا الأحلاف، ولعقة الدم، وتبيتوا للقتال، وعبئت كل قبيلة لقبيلة، فبينما
الناس على ذلك، إذ تداعوا إلى الصلح على أن يعطوا بني عبد مناف بن قصي السقاية
والرفادة، وتكون الحجابة واللواء ودار الندوة إلى بني عبد الدار كما كانت، ففعلوا،
وتحاجز الناس، فلم تزل دار الندوة في بني عبد الدار، حتى باعها عكرمة بن عامر،
ابن هاشم، بن عبد مناف، بن عبد الدار، بن قصي، من معاوية بن أبي سفيان،
فجعلها معاوية دار الإمارة.

قال: «وولي هاشم بن عبد مناف بن قصي السقاية والرفادة، وكان رجلا
موسرا، فكان يخرج في كل عام مالا كثيرا، وكان قوم من قريش أهل يسار
يتراقدون، فيرسل كل إنسان بمائة مثقال هرقلية، وغيرهم يرسل بالشئ اليسير على

(١) يقصدون بمثل هذا التعبير تأييد الحكم، جاء في اللسان: «ومن الأبيات قولهم: لا آتيك
ما بل بجر صوفة، ويقال: ما بل البحر صوفة».

(٢) سموا بذلك لأنهم لعقوا من ذلك الدم - انظر المحرر لابن حبيب ص ١٦٦

(٣) في طبقات ابن سعد ١ : ٥ : (قسم أول) : « في يدى بنى » .

(٤) في الأصل : « قصي بن معاوية » ، والتصويب عن طبقات ابن سعد ١ : ٥ : (قسم أول) .

قدر حالهم ، فكان هاشم ، إذا حضر الحج ، يأمر بجياض من آدم ، فتجعل في موضع زمزم ، ثم يُستقى فيها الماء من البئار التي بمكة فيشربه الحاج ، وكان يُطعمهم قبل التروية بيوم بمكة ، وبمئتي ، وجمع ^(١) ، وعرفة ، وكان يثرد لهم الخبز واللحم ، والخبز والسمن ، والسويق والتمر ، ويحمل لهم الماء ، فيستقون بمئتي ^(٢) ، والماء يومئذ قليل ، [في حياض آدم] ^(٣) ، إلى أن يصعدوا من مئتي ، ثم تنقطع الضيافة ويتفرق الناس إلى بلادهم .

قال : « وهاشم بن عبد مناف هو الذي أخذ الحلف لقريش من قيصر أن تختلف أمته ، فكتب له آباء ، وكتب إلى النجاشي أن يدخل قريشا أرضه وكانوا تجاراً ، فخرج هاشم في غير لقريش فيها تجارات ، وكان طريقهم على المدينة ، فزلوا بسوق النبط ، فصادفوا سوقاً تقسوم بها في السنة يحشدون لها ، فباعوا وأشتروا ، ونظروا إلى امرأة على موضع مشرف من السوق ، فرأى امرأة تأمر بما يُشتري ويُباع لها ، فرأى امرأة حازمة جلدة مع جمال ، فسأل هاشم عنها أئيم هي أم ذات زوج ؟ فقيل له أئيم كانت تحت أحيحة بن الجلاح ، فولدت له عمراً ومعبداً ثم فارقتها ، وكانت لا تنكح الرجال ، لشرفها في قومها ، حتى بشرطوا لها أن أمرها بيدها ، فإذا كرهت رجلاً فارقت ، وهي سلمى بنت عمرو ، بن زيد ، بن لييد ، بن خدّاش ، ابن عامر ، بن غنم ، بن عدى ، بن النجار ، فخطبها هاشم ، فعرفت شرفه ونسبه فزوجته نفسها ، ودخل بها وصنع طعاماً ، ودعا من هناك من أصحاب العير الذين كانوا معه ، وكانوا

(١) « جمع » : علم للزدلفة . معجم البلدان ٣ : ١٣٨ . (٢) في طبقات ابن سعد ١ : ٤٥ :

(قسم أول) : « فيستقون بمئتي » . (٣) تكملة عن ابن سعد ١ : ٤٥ (قسم أول) .

(٤) انظر المحبر لابن حبيب ص ٣٩٨ . (٥) في « نسب قريش » (الورقة ١٦) :

« سلمى بنت زيد بن عمرو » .

أربعين رجلا من قُرَيْش ، ودما من الخَزَرَج رجالا ، وأقام بأصحابه أياما ، فعَلِقَتْ سَلَمَى بِعَبْدِ الْمُطَّلَب ، وولَدَتْهُ فِي رَأْسِهِ شَيْبَةٌ ، فَسُمِّيَ شَيْبَةَ . وخرج هاشم في أصحابه إلى الشام حتى بلغ غَزَّةَ فَمَاتَ ، وَدَفِنَ بِغَزَّةٍ (١) وَلَهُ عَشْرُونَ سَنَةً ، وَقِيلَ خَمْسَ وَعَشْرُونَ سَنَةً ، وَرَجَعُوا بِرُكْنِهِ إِلَى وَلَدِهِ ، وَأَوْصَى هَاشِمٌ إِلَى أَخِيهِ الْمُطَّلَبِ ابْنِ عَبْدِ مَنَافٍ .

وَحَكَى ابْنُ الْأَثِيرِ أَنَّهُ لَمَّا تَزَوَّجَ سَلَمَى شَرَطَ لَهَا أَبُوهَا أَلَّا تَلِدَ وَلَدًا إِلَّا فِي أَهْلِهَا ، فَحَمَلَهَا هَاشِمٌ إِلَى مَكَّةَ فَحَمَلَتْ مِنْهُ ، فَلَمَّا انْقَلَتْ رَدَّهَا إِلَى أَهْلِهَا وَمَضَى إِلَى الشَّامِ ، وَقِيلَ إِنَّهُ لَمْ يَنْقُلْهَا ، وَإِنَّهُ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ هُوَ وَعَبْدُ شَمْسٍ ، فَمَاتَا جَمِيعًا بِغَزَّةٍ فِي عَامٍ وَاحِدٍ ، وَبَقِيَ مَالُهُمَا إِلَى أَنْ جَاءَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِسْلَامِ ، فَلَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آخِرَ غَزْوَةٍ غَزَاهَا جَاءَهُ قَيْسُ بِنْتُ الْحِمْيَرِ ، فَدَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَالَ هَاشِمٍ إِلَى الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ ، فَفَرَّقَهُ عَلَى كُتَبَاءِ بَنِي هَاشِمٍ ، وَدَفَعَ مَالَ عَبْدِ شَمْسٍ إِلَى سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، فَفَرَّقَهُ عَلَى كُتَبَاءِ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ .

وَقَدْ حَكَى ابْنُ الْأَثِيرِ : أَنَّ عَبْدَ شَمْسٍ مَاتَ بِمَكَّةَ فَقَبِرَ بِأَجْيَادٍ ، وَذَلِكَ بَعْدَ وَفَاةِ هَاشِمٍ بِغَزَّةٍ . قَالَ : ثُمَّ مَاتَ نُوْفَلٌ بَسْمَانٌ مِنْ طَرِيقِ الْعِرَاقِ ، وَمَاتَ الْمُطَّلَبُ بِرَدْمَانَ مِنْ أَرْضِ الْيَمَنِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) ولذلك تضاف إليه فيقال : غزوة هاشم . وهي بفتح الغين والواو المشددة المفتوحة ، وتقع في أقصى الشام من ناحية مصر . معجم البلدان ٦ : ٢٩٠ . (٢) في الكامل ٢ : ٤ ، وأصل هذا الكلام للطبري ٢ : ١٧٦ . (٣) في الكامل ٢ : ٧ ، وانظر سيرة ابن هشام ١ : ١٤٧ و ١٥٧ . (٤) في الأصل : « هشام » ، تحريف . (٥) سليمان : ما ، قديم ، وهو في طريقهم أيام الجاهلية . من العراق إلى تهامة . معجم البلدان ٥ : ١١١ . (٦) ردمان بفتح الراء : بلد باليمن . انظر معجم البلدان ٤ : ٢٤٥ . وفي الأصل : « بريمان » ، تحريف . (٧) في الأصل ، وابن الأثير ٢ : ٧ : « من أرض العراق » ، تصحيف ، والتصويب عن سيرة ابن هشام ١ : ١٤٥ ، ١٤٧ ، والطبري ٢ : ١٨١ ، والروض الأنف ١ : ٩٥ ، والخبر عن البشر ٣ : ٦٤ (قدم أول) .

نَوْهَان

(١) وقيل : إن هاشمًا وعبد شمس ^{نَوْهَان} تَوَلَّاهُ، وإن أحدهما ولد قبل الآخر، قيل : إن الأول هاشم، وقيل : إنهما ولدا وأصبح أحدهما ملتصقةً ^(٢) بيمينه صاحبه فتجّعت، فسأل دم فقيل يكون بينهما دم . والله تعالى أعلم .

(٣)

قال ابن الكلبي : وولد هاشم بن عبد مناف أربعة نقر وخمسة نسوة، وهم : شَيْبَةُ الْحَمْد ، وهو عبد المطلب، ورقية ماتت وهي جارية لم تبرز، وأُمُّهَا سَلَمَى بنت عمرو، وأبو صَيْفَى وأُمُّهُ عمرو وهو أكبرهم، وأُمُّهُ هِنْد، بنت عمرو، بن ثعلبة، بن الحارث، بن مالك، بن سالم، بن غنم، بن عوف، بن الخزرج . وأَسَدُ بْنُ هَاشِمٍ وَأُمُّهُ قَيْلَةُ، وكانت تُلقَّبُ الْحَزُورُ ^(٤)، بنت عامر، بن مالك، بن جذيمة، وهو الْمُصْطَلِقُ بن ثُرَاعَةَ، ونَفْطَلَةُ بن هَاشِمٍ، والشَّفَاءُ، وأُمُّهَا أُمِّيَّةُ بنت عَدِي ^(٥)، ابن عبد الله، بن دينار، بن مالك، بن سَلَامَانَ، بن سَعْدٍ، بن قُضَاعَةَ ^(٦) . وَالضَّعِيفَةُ ^(٧) بنت هَاشِمٍ، وخالدة بنت هَاشِمٍ، وأُمُّهُمَا أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ، وهي واقدة بنت أَبِي عَدِي، ويقال عَدِي، وهو عامر، بن عبد نُهْمٍ، بن زَيْدٍ، بن مَازِنٍ، بن صَعَصَعَةَ ^(٨)، وحية

- (١) انظر الكامل لابن الأثير ٢ : ٧ ، والطبري ٢ : ١٨٠ . (٢) رواية ابن الأثير ٢ : ٧ : « فسأل الدم » . (٣) قله ابن هشام في السيرة ١ : ١١٢ (٤) في نسب قريش (الورقة ١٦) ، والخبر عن البشر ٣ : ٦٦ (قسم أول) : « سميت الحزور لعظمتها » . وفي الأصل : « الحزور » بالخاء، تصحيف . (٥) هذه رواية ابن الكلبي ، ونقلها المقرئ في الخبر عن البشر ٣ : ٦٥ (قسم أول) ، وفي نسب قريش (الورقة ١٦) ، والخبر عن البشر ٣ : ٦٦ (قسم أول) رواية عن الزبير بن بكار : « أمية بنت ود بن عدي » . (٦) كذا في الخبر عن البشر ٣ : ٦٥ (قسم أول) ، وفي طبقات ابن سعد ١ : ٥٢ (قسم أول) : « بن سعد من قضاة » . (٧) في سيرة ابن هشام ١ : ١١٢ و ١١٣ ، والخبر عن البشر ٣ : ٦٥ و ٦٦ (قسم أول) : « وضعيفة بنت هاشم » . (٨) كذا في سيرة ابن هشام ١ : ١١٢ و ١١٣ ، والخبر عن البشر ٣ : ٦٦ (قسم أول) . وفي ابن سعد ١ : ٥٢ (قسم أول) : « حة » .

بنت هاشم ، وأمها [أم] عدى بنت حبيب ، ابن الحارث ، بن مالك ، بن حطيظ
ابن جشم بن قيس وهو قتيب . والله عز وجل أعلم بالصواب .

ذكر أخبار عبد المطلب بن هاشم

قال ابن قتيبة^(٢) : « وأسمه عامر » . والصحيح^(٣) عندهم ما ذكره محمد بن إسحاق بن
يسار وغيره أن اسمه شيبة ، وكنته أبو الحارث ، كُني باسم ولده الحارث ، وهو
أكبر ولده .

ولعبد المطلب كنية أخرى ، وهي أبو البطحاء ، وتسميته بهذين الاسمين ،
وتكنيته بأبي البطحاء أسباب نذكرها قريباً إن شاء الله تعالى . وأم عبد المطلب
سَلَمَى بنت عمرو ، بن زيد ، بن لبيد ، بن خدّاش ، بن عامر ، بن غنم ،
ابن عدى ، بن النجار .

وقال ابن إسحاق : سَلَمَى بنت زيد ، بن عمرو ، بن لبيد ، بن [حرام ،
أبن] خدّاش ، بن جندب ، بن عدى ، بن النجار .
وقد تقدم آنفاً خبر زواج هاشم بها .

(١) الزيادة من الخبر عن البشر ٢ : ٦٦ (قسم أول) ، ونسب قريش (الورقة ١٦) . وفي سيرة
آبن هشام ١ : ١١٣ ، والخبر عن البشر ٢ : ٦٦ (قسم أول) نقلًا عن الزبير بن بكار : « وأم أبي صبي ،
وحية ، هند بنت عمرو بن ثعلبة الخزرجية » . وانظر المسيل ١ : ٧٧ .
(٢) في المعارف ص ٢٣ ، ونقله المقرئ في الخبر عن البشر ٣ : ٦٥ (قسم أول) عن ابن الكلبي .
وانظر تاج العروس (طلب) . (٣) انظر شرح المواهب للزرقاني ١ : ٧١ .
(٤) هذه رواية ابن هشام ١ : ١١٣ ، ومصعب الزبيري في نسب قريش (ورقة ١٦) ، وإحدى
روايتي الطبري ٢ : ١٧٦ ، ونسبها المقرئ في الخبر عن البشر ٣ : ٦٥ ، ٦٧ (قسم أول) إلى ابن الكلبي .
(٥) نقله الطبري ٢ : ١٧٦ ، وقد حكى القولين غير منسوبين إلى عبد الله في الاستيعاب ١ : ١٥ .
(٦) التكملة عن الطبري ٢ : ١٧٦ .

(٧) في الأصل : « ... ابن النجار ، وكان يحيى بن معين يقول : كتاب موسى بن عقبة عن الزهري
أصح هذه الكتب ، وقد تقدم الخ » . وهي جملة دخيلة على النص ، فوجب إبعادها .

ذكر ما قيل في سبب تسميته وكنيته

أما سبب تسميته شَيْبَةً فَقِيلَ إِنَّ أُمَّهُ وَلَدَتْهُ فِي رَأْسِهِ شَيْبَةً ^(١)، وَكَانَتْ ظَاهِرَةً فِي دَوَابَّتِهِ، فَسَمَّاهُ شَيْبَةً، وَذَلِكَ فِي غَيَّةِ أَبِيهِ. وَقِيلَ: إِنَّ أَبَاهُ أَوْصَاهَا إِذَا وَلَدَتْ ذَكَرًا أَنْ تُسَمِّيَهُ شَيْبَةً، فَهُوَ شَيْبَةُ الْحَمْدِ ^(٢).

- وَفِي تَسْمِيَّتِهِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ هَاشِمٌ أَقَامَ شَيْبَةً بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ أُمِّهِ إِلَى أَنْ بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بِالْمَدِينَةِ، فَإِذَا غُلَامَانِ يَنْتَضِلُونَ، فَعَمِلَ شَيْبَةً إِذَا أَصَابَ قَالَ: أَنَا ابْنُ هَاشِمٍ، أَنَا ابْنُ سَيِّدِ الْبَطْحَاءِ، فَقَالَ لَهُ الْحَارِثِيُّ: مَنْ أَنْتَ قَالَ: أَنَا شَيْبَةُ بْنُ هَاشِمٍ، بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ. فَلَمَّا أَتَى الْحَارِثِيَّ مَكَّةَ قَالَ لِلْمَطْلَبِ، وَهُوَ بِالْحَجَرِ: يَا أَبَا الْحَارِثِ، رَأَيْتُ ابْنَ أَخِيكَ هَاشِمَ بَيْتَرِبَ، وَأَخْبَرَهُ بِجَالِهِ، وَلَا يَحْسُنُ بِكَ أَنْ تَتْرَكَ مِثْلَهُ، فَقَالَ الْمَطْلَبُ: وَاللَّهِ لَا أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي حَتَّى أَتِيَ بِهِ، فَأَعْطَاهُ الْحَارِثِيُّ نَاقَتَهُ فَرَكِبَهَا وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ عَشَاءً، فَإِذَا غُلَامَانِ يَضْرِبُونَ

١٣
١٤

- (١) تقدم ذلك عن ابن الأثير ٢ : ٤٠ .
(٢) هذا قول محمد بن إسحق، وصححه السبيل ١ : ٦، وانظر الزرقاني على المواهب ١ : ٧١ .
(٣) في الأصل: « وفي تسمية عبد المطلب »، ولعل الصواب ما أثبت .
(٤) في الخبر عن البشر ٣ : ٦٦ (قسم أول) : « رجل من أهل تهامة » .
(٥) في الطبري ٢ : ١٧٧ : « عبد مناف بيترب » .
(٦) ينتضلون : يستبقون في رمي الأغراض بالسهم .
(٧) في الطبري ٢ : ١٧٧ : « إذا خسق » .
(٨) يريد بطحاء مكة، وهي متسع سهل بها، وانظر معجم البلدان ١ : ٢١٣، ٢١٥، والخشني ١ : ٤٤ .
(٩) في الأصل: « الحارث » تصحيف .
(١٠) الحجر بالكسر : حجر الكعبة، وهو ما تركت قريش في بنائها من أساس إبراهيم عليه السلام، وحجرت على الموضع ليعلم أنه من الكعبة . معجم البلدان ٣ : ٢٢١، وتهذيب الأسماء واللغات للنوري ٢ : ٨٠ تاج العروس (حجر) .

كُرَّة، فعرف ابن أخيه، فقال للقوم : ^(١) هذا ابن هاشم ؟ قالوا نعم ، فبلغ أمه أنه جاء ليأخذه فقالت : والله لو أن لك مالا مثل أحد ما أعطيتك إياه ، فقال : لا أنصرف حتى أخرج به ؛ إن ابن أخي قد بلغ ، وهو غريب عن قومه . فيقال إنها دفعت إليه فأخذه بإذنها . وقيل إنه أخذه اختلاسا ، وأعانه على أخذه رجل من خزاعة .

وقال ابن سعد في طبقاته عن محمد بن واقد الأسلمي : ^(٢) إن ثابت بن المنذر ابن حرام ، وهو أبو حسان بن ثابت الشاعر ، قدم مكة مُعْتِمِرا ، فلقى المطلب ، وكان له خليلا ، وكان المطلب قد ولي السقاية والرفادة بعد موت هاشم ، فقال له ثابت : لو رأيت ابن أخيك شيبة فينا لرأيت جمالا وهيبة وشرقا ؛ لقد نظرتُ إليه ، وهو يناضل فتيانا من أخواله ، ^(٣) فيدخل مرمايته جميعا في مثل راحتي هذه ، ويقول كلما خسق : أنا ابن عمرو العُلى ! فقال المطلب : لا أمسى حتى أخرج إليه فأقدم به ، ^(٤) فخرج فوزد المدينة ، فنزل في ناحية ، وجعل يسأل عنه حتى وجده يرمى في فتيان من أخواله ، فلما رآه عرف شبه أبيه فيه ، ففاضت عيناه ، وضمه إليه وكساه حلة يمانية ، وأنشأ يقول :

عَرَفْتُ شَيْبَةَ وَالتَّجَارُ قَدْ حَفَلَتْ * أَبْنَاؤُهَا حَوْلَهُ بِالنَّبْلِ تَنْتَضِلُ
عَرَفْتُ أَجْلَادَهُ مِنْهَا وَشَيْبَتَهُ * فَفَاضَ مِنِّي عَلَيْهِ وَابِلٌ مَسْبِلٌ ^(٥)

- (١) في الطبري ٢ : ١٧٧ : « أم هذا ابن هاشم » . (٢) الكلمة في الأصل غير واضحة ، ولعل ما أثبت أقرب إلى الأصل . (٣) في الطبقات ١ : ٤٨ (قسم أول) . (٤) يناضل فتيانا : يباريهم في الرمي . (٥) المرمانان : مبدآن يرمى بهما الرامي فيحرز سبقه . (٦) خسق المهم : أصاب الغرض . (٧) اختصر المؤلف نص ابن سعد ، وانظر طائفت ١ : ٤٨ (قسم أول) . (٨) أجداد الإنسان : جماعة شخصه ، ومن كلامهم : « ما أشبه أجداده بأجداد أبيه أي شخصه وجسمه » . (٩) أسبل الدمع : هطل ، والاسم السبل .

فَأَرْسَلَتْ سَلَمَى إِلَى الْمُطَلِّبِ ، فَدَعَتْهُ إِلَى التَّزْوُلِ عَلَيْهَا فَقَالَ : شَأْنِي أَخْفٌ مِنْ ذَلِكَ ؛ مَا أُرِيدُ أَنْ أَهْلَ عُقْدَةٍ حَتَّى أَقْبِضَ ابْنَ أُمِّي فَأُلْحِقَهُ بَيْلِهِ وَقَوْمِهِ ، فَقَالَتْ : لَسْتُ بِمُرْسَلَتِهِ مَعَكَ ، وَغَلَّظَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ : لَا تَفْعَلِي فَإِنِّي غَيْرُ مَنْصَرِفٍ حَتَّى أُخْرِجَ بِهِ مَعِيَ ، فَإِنَّ الْمَقَامَ بَيْلِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَقَامِ هَهُنَا ، وَهُوَ ابْنُكَ حَيْثُ كَانَ ؛ فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ غَيْرُ مَقْصُرٍ حَتَّى يُخْرِجَ بِهِ اسْتَنْظَرَتْهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَتَحَوَّلَ الْمُطَلِّبُ إِلَيْهِمْ وَنَزَلَ عِنْدَهُمْ ، وَأَقَامَ ثَلَاثًا ثُمَّ أَحْتَمَلَهُ وَانْطَلَقَا جَمِيعًا ، وَدَخَلَ بِهِ إِلَى مَكَّةَ فَقَالَتْ قُرَيْشٌ : هَذَا عَبْدُ الْمُطَلِّبِ ! فَقَالَ : وَيَحْكُمُ إِنَّمَا هُوَ ابْنُ أُمِّي شَيْبَةَ بْنِ عَمْرٍو .

وَقِيلَ إِنَّهُ لَمَّا دَخَلَ إِلَى مَكَّةَ دَخَلَهَا وَشَيْبَةُ مَعَهُ عَلَى عَجْزِ نَاقَتِهِ ، وَذَلِكَ صَحِيحٌ ، وَالنَّاسُ فِي أَسْوَاقِهِمْ وَمَجَالِسِهِمْ ، فَقَامُوا يُرْجُونَ بُقُودَ الْمُطَلِّبِ وَيَقُولُونَ لَهُ : مَنْ هَذَا مَعَكَ ؟ مَنْ هَذَا وَرَاءَكَ ؟ فَيَقُولُ : هَذَا عَبْدِي ، وَفِي رِوَايَةٍ هَذَا عَبْدٌ أَتْبَعْتُهُ بِبَثْرِبَ ، فَأَدَخَلَهُ الْمُطَلِّبُ مَنَزِلَهُ عَلَى أَمْرَأَتِهِ خَدِيجَةَ بِنْتِ سَعِيدِ بْنِ سَهْمٍ ، فَقَالَتْ : مَنْ هَذَا مَعَكَ ؟ قَالَ : عَبْدِي ؛ وَأَشْتَرَى لَهُ حُلَّةً فَلَبِسَهَا ، ثُمَّ خَرَجَ بِهِ الْعِشِيُّ إِلَى مَجْلِسِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ ابْنُ أَخِيهِ ؛ فَفَعَلَ شَيْبَةُ يَطُوفُ بِمَكَّةَ ، فَإِذَا مَرَّ بِقَوْمٍ قَالُوا : هَذَا عَبْدُ الْمُطَلِّبِ ، فَقَلَبَ ذَلِكَ عَلَيْهِ .

وَفِي تَكْنِيَّتِهِ أَبَايَ الْبَطْحَاءِ أَنَّهُ اسْتَسْقَى لِأَهْلِ مَكَّةَ فَسَقَوْا لَوْقَتِهِمْ ، فَقَالَ لَهُ مَسَافِحُ قُرَيْشٍ عِنْدَ ذَلِكَ : هَنَيْئًا لَكَ أَبَا الْبَطْحَاءِ . وَسَنَدُ كَرِّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

(١) فِي طَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ ١ : ٤٨ (قِسْمُ أَوَّلٍ) : « قَالَ الْمُطَلِّبُ لَا تَفْعَلِي » .

(٢) فِي ابْنِ سَعْدٍ ١ : ٤٨ (قِسْمُ أَوَّلٍ) : « نَزَلَ عِنْدَهُمْ » .

(٣) فِي طَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ ١ : ٤٨ (قِسْمُ أَوَّلٍ) : « إِلَى مَكَّةَ ظَهَرَ فَقَالَتْ » .

(٤) كَذَا فِي طَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ ١ : ٤٨ (قِسْمُ أَوَّلٍ) ، وَفِي كَامِلِ ابْنِ الْأَثِيرِ ٢ : ٥ : « فَقَدِمَهَا ضَحْوَةً » .

(٥) فِي الْخَبَرِ عَنِ الْبَشْرِ ٣ : ٦٨ (قِسْمُ أَوَّلٍ) : « عَبْدِي أَتْبَعْتُهُ » .

(٦) فِي ابْنِ الْأَثِيرِ ٢ : ٥ : « فَأَعْلَمَهُمْ » .

هذه القصة بطولها في المبشرات برسول الله صلى الله عليه وسلم . فهذه أسباب تسميته وتكنيته . والله أعلم .^(١)

وكان عبد المطلب جسيما ، أبيض ، وسما ، طوالا ، فصيحيا . ما رآه أحد قط إلا أحبه . قال الواقدي : وأقام عبد المطلب بمكة حتى أدرك ، وخرج المطلب بن عبد مناف تاجرا إلى أرض اليمن ، فهلك بردمان من أرض اليمن ، فولى عبد المطلب بعده الرفادة والسقاية ؛ فلم يزل ذلك بيده وهو يطعم الحاج ويسقيهم^(٢) في حياض الأدم حتى حفر زمزم ، فترك السقي في الحياض ، وسقاهم من زمزم ، وكان يحمل الماء من زمزم إلى عرفة يسقيهم . والله أعلم .

ذكر حفر عبد المطلب زمزم وما وجد فيها

قال محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله بسند رفيع إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : قال عبد المطلب ؛ إني لنائم في الحجر ، إذ أتاني آت فقال : أحفر طيبة قال : قلت : وما طيبة ؟ قال : ثم ذهب عني ؛ فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه ، فجاءني فقال : احفر زمزم ، قال : قلت وما زمزم ؟ قال : لا تنزع أبدا ولا تدم ، تسقى الحجج الأعظم ، وهى بين الفرت^(٣)

- (١) في الأصل : « تسميته وتكنيته » . (٢) رواية ابن سعد ١ : ١٤٩ (قسم أول) : « بيده يطعم الحاج ويسقيهم في حياض من أدم » . (٣) نقله ابن هشام في السيرة ١ : ١٥١ - ١٥٣ . (٤) طيبة بكسر الطاء : علم على بئر زمزم . والمظر معجم البلدان ٦ : ٧٧ ، تاج العروس (طيب) . (٥) اختصر المؤلف نص ابن إسحاق ، وقد ذكر بأوسع مما هنا في سيرة ابن هشام ١ : ١٥١ . وانظر طبقات ابن سعد ١ : ٤٩ (قسم أول) ، وابن الأثير ٢ : ٥ . (٦) أى لا يفتنى ماؤها على كثرة الاستفاد . وفي طبقات ابن سعد ٢ : ٤٩ (قسم أول) : « لا تنزع ولا تدم » . وفي ابن الأثير ٢ : ٥ : « قل : تراث من أبيك الأعظم لا تنزع ولا تدم » . (٧) لهم في معنى « لا تدم » ثلاثة أقوال ، أحدها : لا تناب من قولك ذمته : إذا عنته ، والثاني : لا تفتنى مذمومة ؛ يقال : أذمته إذا وجدته مذموما ، والثالث : لا يوجد ماؤها قليلا ناقصا ؛ من قولك بئر ذمة : إذا كانت قبلة الماء .

والدم ، عند قُرة الغراب الأعصم ، عند قرية النمل . قال : فلما بُينَ له شأنها ،
 ودُلَّ على موضعها ، وعَرَفَ أنه قد صدق ، غَدَا بِمَعُولِهِ ، ومعَه آبنه الحارث ،
 وليس له يومئذ ولدٌ غيرُه ففَرَّ ، فلما بدأ لعبد المطلب الطي كَبُرَ ، فعرَفَت قُرَيْشٌ
 أنه قد أدرك حاجته ، فقاموا إليه فقالوا : يا عبد المطلب ، إننا نبرأ إليك ،
 وإن لنا فيها حقاً ، فأشركنا معك فيها ، قال : ما أنا بفاعل ، إن هذا الأمر قد
 خُصِمْتُ به دونكم ، وأعطيتُه من بينكم ، قالوا له : فأَنْصِفْنَا ، فإننا غيرُ تاركين حتى
 تُخَالصَكَ فيها ، قال : فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحايِكُمْ إليه ، قالوا : كاهنة
 بَنَى سَعْدُ بْنُ هَازِمٍ ، قال نعم . وكانت بَعَثَانُ من أشرف الشام فركب عبد المطلب
 ومعَه تَقَرُّمَ بْنَ أَبِيهِ مِنْ بَنَى عَبْدِ مَنَافٍ ، وَرَكِبَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ نَفَرًا

(١) الغراب الأعصم : الأحمر الرجلين والمفارق ، أو هو الذي في أحد جناحيه ، أو في إحدى رجليه
 ريشة بيضاء ، وهذا الوصف عزيز الوجود في الغربان . وكان — فإرواه ابن سعد في الطبقات ١ : ٤٩ :
 (قسم أول) — غراب أعصم لا يبرح عند الذبائح مكان القرث والدم . وانظر تاج العروس (عصم) ،
 ودلائل النبوة للبيهقي ١ : ٢٠ ظ . (٢) قرية النمل : الموضع الذي يجتمع فيه النمل .

(٣) القائل هو ابن إسحق ، وانظر سيرة ابن هشام ١ : ١٥١ . (٤) المدول : القاس .
 (٥) في طبقات ابن سعد ١ : ٤٩ : (قسم أول) : « الحارث وليس له » .

(٦) قال الخشني ١ : ٥١ : « العلئ : الحجارة التي طويت بها البر ، سميت بالمصدر » . وفي طبقات
 ابن سعد ١ : ٤٩ : (قسم أول) : « الطوى » . والطوى : البر المطوية بالحجارة .

(٧) كذا في طبقات ابن سعد ١ : ٤٩ : (قسم أول) . وفي تاج العروس (هزم) : « وسعد ابن
 هذيم كزير بانيات الأنف [يعني في « ابن »] بين سعد وهذيم : أبو قبيلة ، وهو ابن زيد بن ليث بن
 سود ، لكن حضنه عبد حبشي أسود اسمه هذيم فطلبه عليه ، ونسب إليه » . وفي سيرة ابن هشام ١ : ١٥٢
 ولسان العرب (هزم) : « سعد هذيم » . وانظر الخشني ١ : ٥٠ ، والسبيل ١ : ١٦ .

(٨) معان بفتح الميم وضمتها : مدينة في طرف بادية الشام تلتقاء الحجاز . معجم البلدان ٣ : ٩٣ ،
 تاج العروس (معن) . (٩) في الأصل : « من بني أمية ؟ وركب » ، والتصويب والتكلمة
 عن سيرة ابن هشام ١ : ١٥٢ ، وطبقات ابن سعد ١ : ٤٩ : (قسم أول) . وفي ابن الأثير ٢ : ٥ ،
 وشرح المواهب للزرقاني ١ : ٩٣ : « ومعَه تَقَرُّمَ بْنَ أَبِيهِ مِنْ بَنَى عَبْدِ مَنَافٍ » .

والأَرْضُ إِذْ ذَاكَ مَفَاوِزُ ، فَخَرَجُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ تِلْكَ الْمَفَاوِزِ بَيْنَ الْحِجَازِ
وَالشَّامِ ، فَنِي مَاءُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَصْحَابِهِ ، فَظَمُّوا حَتَّى أَيقَنُوا بِالْمَلَكَةِ ، فَاسْتَسْقَوْا
مَنْ مَعَهُمْ مِنْ قِبَائِلِ قُرَيْشٍ فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ ، وَقَالُوا : إِنَّا بِمَفَازَةٍ ، وَنَحْنُ نَخْشَى عَلَى
أَنْفُسِنَا مِثْلَ مَا أَصَابَكُمْ ، فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ الْمُطَّلِبِ مَا صَنَعَ الْقَوْمُ ، وَمَا يَتَخَوَّفُ عَلَى
نَفْسِهِ وَأَصْحَابِهِ قَالَ : مَاذَا تَرَوْنَ ؟ قَالُوا : مَا رَأَيْنَا إِلَّا تَبِعُ رَأْيِكَ ، فُئِرْنَا بِمَا شِئْتَ ،
قَالَ : فَإِنِّي أَرَى أَنْ يَحْفِرَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ حُفْرَتَهُ لِنَفْسِهِ بِمَا بَكُمْ الْآنَ مِنَ الْقُوَّةِ ،
فَكَلَّمَا مَاتَ رَجُلٌ دَفَعَهُ أَصْحَابُهُ فِي حُفْرَتِهِ ثُمَّ وَارَوْهُ ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُكُمْ رَجُلًا [وَاحِدًا] ^(٣)
فَيَمُوتَ ضَيْعَةً ، فَضِيعَةُ رَجُلٍ وَاحِدٍ أَيْسَرُ مِنْ ضَيْعَةِ رَكْبٍ جَمِيعًا ، قَالُوا : نَعَمْ مَا
أَمَرْتَ بِهِ . فَقَامَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَحَفَرَ حُفْرَتَهُ ، ثُمَّ قَعَدُوا يَنْتَظِرُونَ الْمَوْتَ عَطْشًا ،
ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : وَاللَّهِ إِنْ إِيْقَاءَنَا بِأَيْدِينَا هَكَذَا لِلْوَتِ عَجْزٌ ، ^(٦) الْأَنْضَرُ
فِي الْأَرْضِ ، وَنَبْتَنِي لِأَنْفُسِنَا ؟ نَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَرْزُقَنَا مَاءً بِبَعْضِ الْبِلَادِ . ارْتَحِلُوا !
فَارْتَحَلُوا حَتَّى إِذَا فَرَّغُوا ، وَمَنْ مَعَهُمْ مِنْ قِبَائِلِ قُرَيْشٍ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ مَا هُمْ فَاعِلُونَ ،
تَقَدَّمَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ إِلَى نَاقَتِهِ فَرَكَبَهَا ، ^(٧) فَلَمَّا أَنْبَعَثَتْ بِهِ أَنْتَجَرَتْ مِنْ تَحْتِ حُفِّهَا عَيْنٌ
[مِنْ] مَاءٍ عَذْبٍ ، فَكَبَّرَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَكَبُرَ أَصْحَابُهُ ، ثُمَّ نَزَلَ فَشَرِبَ ، وَشَرِبَ أَصْحَابُهُ ، ^(٨)

- (١) فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ١ : ١٥٢ : « قَالَ : فَخَرَجُوا » . (٢) فِي ابْنِ هِشَامٍ :
« إِلَّا تَبِعَ رَأْيَكَ » . (٣) إِضَافَةٌ عَنْ سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ١ : ١٥٢ . وَفِي ابْنِ الْأَثِيرِ ٢ : ٦ :
« حَتَّى يَكُونَ آخِرُكُمْ مَوْتًا قَدْ وَارَى الْجَمِيعَ ، فَضِيعَةٌ » . (٤) مَاتَ ضَيْعَةً بِكسر الضاد :
أَيَّ غَيْرِ مُفْتَقِدٍ وَلَا مُنْهَدٍ . (٥) فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ١ : ١٥٢ : « فَقَامَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ » .
(٦) فِي شَرْحِ الْمَوَاهِبِ لِلزُّرْقَانِيِّ ١ : ٩٣ : « ... لِلْوَتِ عَجْزٌ ، لِانْضَرَبَ فِي الْأَرْضِ » ، وَفِي سِيرَةِ ابْنِ
هِشَامٍ ١ : ١٥٢ ، وَابْنِ الْأَثِيرِ ٢ : ٦ : « ... لِلْوَتِ لِانْضَرَبَ فِي الْأَرْضِ ، وَلَا نَبْتَنِي لِأَنْفُسِنَا لِعَجْزِ » .
(٧) فِي ابْنِ هِشَامٍ ١ : ١٥٢ : « إِلَى رَاحِلَتِهِ » . (٨) زِيَادَةٌ عَنْ ابْنِ هِشَامٍ ١ : ١٥٢ :
وَفِي ابْنِ الْأَثِيرِ ٢ : ٦ : « عَيْنٌ عَذْبَةٌ مِنْ مَاءٍ » .

وَأَسْتَقُوا حَتَّى مَلَأُوا أَسْقِيَتَهُمْ ، ثُمَّ دَعَا الْقَبَائِلَ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ : هَلُمُّوا إِلَى الْمَاءِ ،^(١)
فَقَدْ سَقَاكُمْ اللَّهُ ، فَأَشْرَبُوا وَأَسْقُوا ، بَغَاءُوا فَشَرِبُوا وَأَسْقُوا ثُمَّ قَالُوا : قَدْ وَافَقَ اللَّهُ
قُضِيَ لَكَ عَلَيْنَا يَا عَبْدَ الْمُطَلِّبِ ، وَاللَّهُ لَا تُحَاصِمُكَ فِي زَمْزَمَ أَبَدًا ، إِنَّ الَّذِي سَقَاكَ
هَذَا الْمَاءَ بِهِذِهِ الْفَلَاةُ هُوَ الَّذِي سَقَاكَ زَمْزَمَ ، فَأَرْجِعْ إِلَى سِقَايَتِكَ رَاشِدًا ، فَرَجَعَ
وَرَجَعُوا مَعَهُ ، وَلَمْ يَصِلُوا إِلَى الْكَاهِنَةِ ، وَخَلُّوا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا .

هذا أحد ما قيل في حفر زمزم .

وفي رواية أخرى : أَنَّهُ قِيلَ لَهُ : احْفِرْ زَمْزَمَ ، إِنَّكَ إِنْ حَفَرْتَهَا لَمْ تَنْدَمَ ، وَهِيَ
تُرَاثٌ مِنْ أَيْكَ الْأَعْظَمَ ، لَا تُتَرَفُ أَبَدًا وَلَا تُدَّمَ ، تَسْقِي الْحَيَّجَ الْأَعْظَمَ ، مِثْلَ نَعَامٍ
جَافِلٍ لَمْ يُقَسِّمْ . يَنْذِرُ فِيهَا نَازِرٌ لِمُنْعِمٍ ، تَكُونُ مِيرَاثًا وَعَقْدًا مُحْكَمًا ، لَيْسَتْ كِبَعُضِ
مَا قَدْ تَعَلَّمَ ، وَهِيَ بَيْنَ الْفَرثِ وَالْدَّمِ .^(٢)

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ : فَرَزَعُوا أَنَّهُ حِينَ قِيلَ لَهُ ذَلِكَ قَالَ : فَأَيْنَ هِيَ ؟ قِيلَ لَهُ عِنْدَ
قَرْيَةِ التَّمَلِّ ، حَيْثُ يَنْقُرُ الْغُرَابُ غَدَا . فَعَدَا عَبْدُ الْمُطَلِّبِ وَمَعَهُ ابْنُهُ الْحَارِثُ ،^(٣)
فَوَجَدَ قَرْيَةَ التَّمَلِّ ، وَوَجَدَ الْغُرَابَ يَنْقُرُ عِنْدَهَا بَيْنَ الْوَشْتَيْنِ : إِسَافَ وَنَائِلَةَ الَّذِينَ^(٤)
كَانَتْ قُرَيْشٌ تَحْرَعُ عِنْدَهُمَا ذَبَابُحُمَاهَا ، بَغَاءَ بِالْمِعْوَلِ ، وَقَامَ لِحْفَرٍ حَيْثُ أَمَرَ ، فَقَامَتْ

- ١٥ (١) كذا في ابن الأثير ٢ : ٦ ، وفي سيرة ابن هشام ١ : ١٥٢ : « هلم إلى الماء » .
(٢) جمع حاج . (٣) جافل : شارد . (٤) قال ابن هشام (١ : ١٥٤) :
« وهذا الكلام ، والكلام الذي قبله من حديث علي رضي الله عنه في حفر زمزم ، من قوله : « لا تنزف
ولا ندّم » ، إلى قوله : « عند قرية التمل » عندنا بجمع وليس شعرا » . (٥) نقله ابن هشام ١ : ١٥٤ .
(٦) في ابن هشام ١ : ١٥٤ : « قال : وأن » . (٧) في سيرة ابن هشام ١ :
١٥٤ : « فعدا » بالعين المهملة . (٨) إساف « بوزن كتاب ، وكتاب » : ضم وضعه عمرو
ابن لحي الخزاعي على الصفا ، ووضع نائلة (صن أيضا) على المروة ، وحولها فصة تجدها في كتاب الأصنام ،
وتاج العروس (أسف) ، وشرح المواهب للزرقاني ١ : ٩٥ .

إليه قُرَيْش حين رأوا جَدَّهُ فقالوا : والله لا تترك تحفِير بين وِثْنِنَا هَذَيْنِ الَّذِينَ
تَحَرَّ عِنْدَهُمَا ، فقال عبد المطلب لأبْنَهُ الحَارِث : ذُدُّ عَنِّي حَتَّى أَحْفِرَ ، فَوَاللَّهِ لَا مِضِينَ
لِمَا أَمَرْتُ بِهِ ، فَلَمَّا عَرَفُوا أَنَّهُ غَيْرُ نَازِعٍ ^(١) خَلَوْا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَفْرِ وَكَفُّوا عَنْهُ ،
فَلَمْ يَحْفِرْ إِلَّا سِيرًا حَتَّى بَدَأَ لَهُ الطِّيَّ ، فَكَبَّرَ وَعَرَفَ أَنَّهُ قَدْ صَدِيقٌ ، فَلَمَّا تَمَادَى بِهِ
الْحَفْرُ وَجَدَ فِيهَا غَزْلَيْنِ ^(٢) مِنْ ذَهَبٍ ، وَهُمَا الْغَزَالَانِ اللَّذَانِ دَفَنْتَ جُرْهُمَ فِيهَا حِينَ
نَخَرَجْتَ مِنْ مَكَّةَ ، وَوَجَدَ فِيهَا سُبُوقًا قَلْبِيَّةً ^(٣) وَأَذْرَاعًا ، فَقَالَتْ لَهُ قُرَيْشٌ : لَنَا مَعَكَ
فِي هَذَا شَرِكٌ ^(٤) وَحَقٌّ ، قَالَ : لَا . وَلَكِنْ هَلُمُّ إِلَى أَمْرِ نَصِيفِ بَنِي وَبَيْنَكُمْ ؛ نَضْرِبُ
عَلَيْهَا بِالْقِدَاحِ ، قَالُوا : وَكَيْفَ نَصْنَعُ ؟ قَالَ : أَجْعَلُ لِلْكَبَةِ قِدْحَيْنِ ، وَلِي قِدْحَيْنِ ،
وَلَكُمْ قِدْحَيْنِ ، فَمَنْ نَخَرَجَ قِدْحَاهُ عَلَى شَيْءٍ كَانَ لَهُ ، وَمَنْ تَخَلَّفَ قِدْحَاهُ فَلَا شَيْءَ لَهُ ،
قَالُوا : أَنْصَفْتَ ، فَعَمِلَ قِدْحَيْنِ أَصْفَرَيْنِ لِلْكَبَةِ ، وَقِدْحَيْنِ أَسْوَدَيْنِ لَهُ ، وَقِدْحَيْنِ
أَبْيَضَيْنِ لِقُرَيْشٍ ، ثُمَّ أَعْطَوْهَا صَاحِبَ الْقِدَاحِ الَّذِي يَضْرِبُ بِهَا عِنْدَ هَيْلٍ ، وَهَيْلٌ صَمٌّ
فِي جَوْفِ الْكَبَةِ ، وَهُوَ أَعْظَمُ أَصْنَامِهِمْ ، وَقَامَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ يَدْعُو ، وَضَرَبَ صَاحِبُ ^(٥)

١٥
١٤

(١) نزع عن الأمر : كف عنه ، وفي الزرقاني ١ : ٩٥ : « غير تارك » .

(٢) في الأصل : « فيها عين البئر من ذهب » ، تحريف .

(٣) في سيرة ابن هشام ١ : ١٥٤ ، وابن الأثير ٢ : ٧ : « أسيافا قلعية » ، والقلعية نسبة إلى
القلعة بفتح فسكون ، والمسمى بالقلعة موضعان أحدهما بالهند ، والثاني باليمن ، وإلهما معا تذب السيوف
القلعية وانظر تاج العروس (قلع) . وفي ابن سعد ١ : ٥٠ (قسم أول) : « سبوقا قلعية وأظفارا » .

(٤) شرك : أي حصة ونصيب .

(٥) النصف : أن تعطى غيرك من الحق كالذي تأخذ لنفسك .

(٦) جمع قدح (يكسر فسكون) ؛ وهو سهم يغير نصل كانوا يستقسمون به ، وفي كيفية الاستقسام
تفصيل تجده في كتاب المسير والقدح لابن قتيبة ص ٣٨

(٧) أظار البداية والنهاية ٢ : ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩١ .

(٨) في سيرة ابن هشام ١ : ١٥٥ : « يدعو الله عز وجل ، فضرِب » .

القِداح ، فخرج الأصفران على الغزالين [للكعبة] ^(١) ، وخرج الأسودان على الأسياف والأدراع لعبد المطلب ، وتخلّف قدحاً قُرَيْش ، فضرب عبد المطلب الأسياف باباً للكهبة ، وضرب في الباب الغزالين ^(٢) ، فكان أول ذهب حُلَيْته الكعبة . وقيل إنه جعل القفل والمفتاح من ذهب الغزالين ^(٣) . وعن محمد بن عمرو بن واقد قال : كانت جرهم حين أحسّوا بالخروج من مكة دفنوا غزالين وسبعة أسياف قلعية ، ونحمة أذراع [سواغ] ^(٤) ، فوجدها عبد المطلب ^(٥) .

هذا خبر حفر زمزم وما وجد فيها ، وقد تقدّم ذكر سبب خبر ردمها في أثناء أخبار قصي بن كلاب ، فلنذكر من أخبار عبد المطلب خلاف ذلك . والله الموفق للصواب .

(٦)

ذكر خبر استسقاء عبد المطلب لبني قيس عيلان

وهذيل ومن معهم

حكى الزبير بن بكار في أنساب قُرَيْش وبني هاشم ، وبني عبد المطلب قال : روى إبراهيم بن محمد الشافعي عن أبيه ، عن الوليد بن خالد المخزومي ، عن سعد بن حذافة الجُمَحِي ، عن محمد بن عطية الدؤبي ، عن رجل من هذيل قال : سقطت بلاد

(١) تكملة عن سيرة ابن هشام ١ : ١٥٥ ، والبداية والنهاية ٢ : ٢٤٦ .

(٢) في البداية والنهاية ٢ : ٢٤٦ وسيرة ابن هشام ١ : ١٥٠ : « الغزالين من ذهب ، فكان » .

(٣) في طبقات ابن سعد ١ : ٥٠ (قسم أول) : « فضرِب الغزالين صفائح في وجه الكعبة ، وكان من ذهب ، وعلق الأسياف على البابين يريد أن يحرز به خزانة الكعبة ، وجعل المفتاح والقفل من ذهب » .

(٤) في طبقات ابن سعد ١ : ٥٠ (قسم أول) : « قال : وكات » .

(٥) تكملة عن ابن سعد ١ : ٥٠ (قسم أول) .

(٦) في الأصل « عيلان » . بالمعجمة تصحيف .

قيس، وأجذبت فلم تُصمهم سماء يعقد بها الثرى، ولا يثبت بها الكلاء، فذاب الشحم،
 وذهب اللحم، وتهاوتوا ضراً وهزلاً، فاجتمعوا للمشورة وإجالة الرأي، وقد عزموا
 على الرحلة واجتماع البلاد، فقالت فرقة منهم: ^(١) آتبعوا بلاد سعد وبطن العشر،
 وقالت فرقة أخرى: إن تمماً عدد كثير لا يفضل منهم ما يكفيكم، وقالت فرقة
 أخرى: لينتجع كل ولد أب منكم ولد أب من غيركم، وأعقدوا معهم حلقة
 تشركونهم به في ربهم ^(٢)؛ فقام رجل حسن الوجه، مجتمع الخلق، جيد الرأي،
 فقال: يا بني عيلان، إنكم قد أصبحتم في أمر ليس بالهزل؛ هذا أمر عظيم
 خطرته، متباعد أمره؛ قد بلغنا أن عبد المطلب بن هاشم سيد البطحاء استسقى
 فسق، ودعاً فأجيب، واستجير به فأجار، فأجعلوا قصدكم إليه، ووفادكم عليه،
 فإن ذلك أوكد للسبب، وأوجه في الطلب. قالوا: أحسن الرأي، فرحلت قيس
 وهذيل، ومن دنا منهم حتى أتوا عبد المطلب، فقالوا: أفلح الوجه أبا الحارث! نحن
 ذوو أرحامك الواشجات، أصابتنا سنون مجذبات، أهزلن السمين، وأفقدن ^(٣)
 المعين، وقد بلغنا خبرك، وبأن لنا أمرك، وكلاماً نحو هذا.

فقال: موعدكم جبل عرقات، ثم خرج في بينه وبنى أمية حتى أتى جبل عرقات،
 فصعد الجبل فقال: اللهم رب الريح العاصف، والرعد القاصف، والبرق الخاطف،
 مُنْشِئُ السحاب، ومالك الرقاب، ذى المنن العظام، والأيدى الجسام؛ هذه مضر

(١) العشر بضم فتحة: شعب لهذيل قرب مكة، أو رواد في ديار تميم بين البصرة ومكة. ويقال:
 طن ذى عشر. ياقوت ٩: ١٧٩، تاج العروس ٣: ٤٠٤، لسان (عشر). (٢) الريح:
 المنزل. وفي الأصل: «ريعيم». (٣) في الأصل: «غيلان» بالمجعة، تصحيف.
 (٤) أرحام واشجة: منصلة متألقة. (٥) في الأصل: «وأفقدنا»، تصحيف.
 (٦) في الأصل: «وبارلنا»، وكلل الصواب ما أثبت.

خير البشر، تشكو سوء الحال، وشدة الإحمال، قد أهدوت ظهورها، وغارت عيونها، وشعنت شعورها، وقد خلقوا نساء ضلعا، وصبيانا رضعًا، وبهائم رثعا. فآتهم اللهم ريحا جرارة، وسحابا دزارة، تضحك أرضهم، وتكشف ضرهم. فما فرغ من كلامه حتى نشأت سحابة دكاء فيها ودق شديد، فقال: هي هي، ثم قال يا معشر مضر، أرجعوا فقد سقيتم، فرجعوا وأخضرت أرضهم، وكثرت مياههم.

هذا ما أورده الزبير بن بكار راوى هذه القصة، والله أعلم. [و] كانت بعد أن استسقى لقريش، وذلك بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسند كذا ذلك إن شاء الله تعالى مستوفى في المبشرات برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا. والله تعالى عز وجل أعلم.

ذكر نذر عبد المطلب نحر آبنه ونحروج القداح على عبد الله

١٦
١٤

والد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفدائه

قال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى^(١)، عن محمد بن عمر بن واقد الأسلمى بسند رفته إلى عبد الله بن عباس وغيره رضى الله عنهم: «إن عبد المطلب بن هاشم لما رأى قلة أعوانه في حفر زمزم نذر لن أكل الله له عشرة ذكور حتى يراهم - أن يذبح أحدهم، فلما تكاملوا عشرة وهم: الحارث^(٢)، والزبير^(٣)، وأبو طالب، وعبد الله، وحزرة^(٤)، وأبو لهب، والغيداق^(٥)، والمقوم، وضرار، والعباس». هكذا نقل محمد

(١) ٥٣: ١ (قسم أول). (٢) في طبقات ابن سعد ١: ٥٣ (قسم أول): «عشرة، فهم».

(٣) الزبير: بفتح الزاي عند البلاذرى وأبى القاسم الوزير، رضىها عند غيرهما. الزرقانى ١: ٩٤.

(٤) اسم الغيداق: جمل، ولقب بالغيداق لكثرة خيره وسعة ماله. وأنظر الزرقانى ١: ٩٤، وسيرة

ابن هشام ١: ١١٤. (٥) المقوم بكسر الواو المشددة وفتحها. وأنظر الزرقانى ١: ٩٤.

ابن سعد، وعد من العشرة حمزة والمقوم؛ ويرد هذا العدد ما روى أن عبد المطلب لم يتزوج أم حمزة إلا بعد الفداء، وقد عد محمد بن السائب الكلابي أولاد عبد المطلب الذكور اثني عشر، فيهم المغيرة، وقثم، وعدهم الزبير بن بكار ثلاثة عشر فيهم عبد الكعبة، وحمزة، والمقوم، والمغيرة؛ هؤلاء الثلاثة إخوة أشقاء كلهم لهالة بنت وهيب، وزواج عبد المطلب هالة هذه كان بعد الفداء على ما حكاه ابن سعد أيضا عن الواقدي، ولعل العشرة تكمل بقثم وعبد الكعبة. والله تعالى أعلم.

فلنرجع إلى سبب خبر محمد بن سعد قال: «فلما تكاملوا عشرة جمعهم، ثم أخبرهم بنذره، ودعاهم إلى الوفاء لله [به]»، فما اختلف عليه منهم أحد، وقالوا: أوف بنذرك، وأنفل ما شئت، فقال: ليكتب كل رجل منكم اسمه في قدحه ففعلوا، فدخل عبد المطلب في جوف الكعبة وقال للسادن: أضرب بقدياحهم فضرب، فخرج قدح عبد الله أولها، وكان عبد المطلب يحبه، فأخذ بيده يقوده إلى المذبح ومعه المديّة، فبكى بنات عبد المطلب وكنّ قياما، وقالت إحداهنّ لأبيها: أعذر فيه بأن تضرب في إبلك السوائم التي في الحرم، فقال للسادن: اضرب عليه بالقداح، وعلى عشرة من الإبل، وكانت الديّة يومئذ عشرة من الإبل، فضرب فخرج القدح على عبد الله، فجعل يزيد عشرا عشرا، كل ذلك

(١) أورد الزرقاني في شرح المواهب ١/٩٤ هذا الاعتراض وناقشه.

(٢) في الأصل: «أهيب»، والذي أثبت عن المعارف لابن قتيبة ص ٥٢، والزرقاني ١: ٩٤.

(٣) التكملة عن طبقات ابن سعد ١: ٥٣ (قسم أول)، وسيرة ابن هشام ١: ١٦٠؛ وتاريخ

الطبري ٢: ١٧٣.

(٤) السادن: خادم بيت الأصنام.

(٥) في طبقات ابن سعد ١: ٥٣ (قسم أول): «وعلى عشر من الإبل»، وكانت الديّة يومئذ

عشرا من الإبل.

يُخْرِجُ الْقِدْحَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ حَتَّى كَلَّتْ مِائَةٌ ^(١) ، فَضْرَبَ [بِالْقِدْحِ] ^(٢) خَرَجَ عَلَى الْإِبِلِ ، فَكَبَّرَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ وَالنَّاسُ مَعَهُ ، وَاحْتَمَلَ بَنَاتُ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ أَخَاهُ عَبْدَ اللَّهِ ، وَقَدَّمَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ الْإِبِلَ فَتَحَرَّهَا بَيْنَ الصَّفَا وَالْمُرْوَةِ ، وَخَلَّى بَيْنَهَا وَبَيْنَ كُلِّ مَنْ وَرَدَهَا مِنْ إِنْسِيٍّ أَوْ سَبْعٍ أَوْ طَائِرٍ ، لَمْ يَذُبْ عَنْهَا أَحَدًا ، وَلَمْ يَأْكُلْ مِنْهَا هُوَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : كَانَتْ الدِّيَّةُ ^(٤) يَوْمَئِذٍ عَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ ، وَعَبْدُ الْمُطَّلَبِ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ دِيَّةَ النَّفْسِ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ ، بَجَرَتْ فِي قُرَيْشٍ وَالْعَرَبِ مِائَةٌ ، وَأَقْرَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ ^(٥) .

هَذَا مَا أَوْرَدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ فِي طَبَقَاتِهِ . وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هِشَامٍ ^(٧) فِي السَّيَرَةِ : قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ قَدْ نَذَرَ حِينَ لَقِيَ مِنْ قُرَيْشٍ مَا لَقِيَ ^(٨) عِنْدَ حَفَرِ زَمْزَمَ : ثَلَاثِينَ وَلَدًا لَهُ عَشْرَةَ نَفَرًا ، ثُمَّ بَلَغُوا مَعَهُ حَتَّى يَمْتَعُوهُ ، لِيَنْتَحِرْنَ أَحَدَهُمْ لِلَّهِ تَعَالَى عِنْدَ الْكَعْبَةِ ، فَلَمَّا تَوَافَى بَنُوهُ عَشْرَةً ، وَعَرَفَ أَنَّهُمْ سَمِعُونَهُ جَمْعَهُمْ ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ بِنَذْرِهِ ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الْوَفَاءِ لِلَّهِ بِذَلِكَ ^(٩) ، فَأَطَاعُوهُ وَقَالُوا كَيْفَ نَصْنَعُ ؟ قَالَ : لِيَأْخُذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ قِدْحًا ، ثُمَّ لِيَكْتُبَ فِيهِ اسْمَهُ ، ثُمَّ أَتُونِي ،

- ١٥ (١) رَوَاةُ ابْنِ سَعْدٍ ١ : ٥٣ (قِسْمُ أَوَّلٍ) : « حَتَّى كَلَّتْ الْمِائَةُ » . (٢) عَنْ طَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ ١ : ٥٣ (قِسْمُ أَوَّلٍ) . (٣) رَوَاةُ ابْنِ سَعْدٍ ١ : ٥٤ (قِسْمُ أَوَّلٍ) : « أَوْطَارُهُ لَا يَذُبُّ » . (٤) فِي الْأَصْلِ : « عَنْهُمَا ، وَكَانَتْ » ، وَالْمُنْبِتُ رَوَاةُ ابْنِ سَعْدٍ ١ : ٥٤ (قِسْمُ أَوَّلٍ) . (٥) فِي ابْنِ سَعْدٍ ١ : ٥٤ (قِسْمُ أَوَّلٍ) : « مِائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ ، وَأَقْرَبَهَا » . (٦) انْظُرِ الْخَبَرَ عَنِ الْبُشَيْرِ ٣ : ٨٩ (قِسْمُ أَوَّلٍ) . (٧) السَّيَرَةُ ١ : ١٦٠ . وَانْظُرِ الطَّبْرِيَّ ٢ : ١٧٣ . (٨) فِي الطَّبْرِيِّ ٢ : ١٧٣ : « مَا لَقِيَ فِي حَفَرٍ » . (٩) فِي الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ ٢ : ٢٤٨ : « فَتَعَزَّزَ رَجُلٌ بِذَلِكَ » . (١٠) فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ ٢ : ١٧٣ : « بِأَخْذِ كُلِّ وَاحِدٍ » . (١١) فِي سَيَرَةِ ابْنِ هِشَامٍ : « ثُمَّ يَكْتُبُ » ، وَفِي دَلَالِ النَّبُوَّةِ لِلْبَيْهَقِيِّ ١ : ٢٢١ : « قِدْحًا ، فَيَكْتُبُ » . (١٢) فِي دَلَالِ النَّبُوَّةِ لِلْبَيْهَقِيِّ ١ : ٢٢١ : « ثُمَّ يَأْتُونِي » .

فَفَعَلُوا ثُمَّ أَتَوْهُ ، فَدَخَلَ بِهِمْ عَلَى هُبَلٍ فِي جَوْفِ الْكُفَّةِ ، وَكَانَ هُبَلٌ عَلَى بَثْرِ
فِي جَوْفِ الْكُفَّةِ ، وَكَانَتْ تِلْكَ الْبُزْهَى الَّتِي يُجَمَّعُ فِيهَا مَا يُهْدَى لِلْكُفَّةِ ، وَكَانَ عِنْدَ
هُبَلٍ قِدَاحٌ سَبْعَةٌ ، كُلُّ قِدَحٍ مِنْهَا فِيهِ كِتَابٌ ، قَدَحٌ فِيهِ « الْعَقْلُ » إِذَا اخْتَلَفُوا
فِي « الْعَقْلِ » ^(٢) مِنْ يَحْمِلُهُ مِنْهُمْ ضَرَبُوا بِالْقِدَاحِ السَّبْعَةَ ، فَعَمَلَى ^(٣) مَنْ خَرَجَ قِدَحُ « الْعَقْلِ »
حَمْلُهُ ؛ وَقِدَحٌ فِيهِ « نَعَمْ » لِلأَمْرِ إِذَا أَرَادُوهُ يُضْرَبُ بِهِ فِي الْقِدَاحِ ، فَإِنْ خَرَجَ قِدَحُ
« نَعَمْ » عَمِلُوا بِهِ ؛ وَقِدَحٌ فِيهِ « لَا » ، فَإِنْ خَرَجَ ذَلِكَ الْقِدَحُ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ الْأَمْرَ ؛
وَقِدَحٌ فِيهِ « مِنْكُمْ » ؛ وَقِدَحٌ فِيهِ « مُلْصَقٌ » ؛ وَقِدَحٌ فِيهِ « مِنْ غَيْرِكُمْ » ؛ وَقِدَحٌ
فِيهِ « الْمِيَادُ » إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَنْحَفِرُوا لِلْمَاءِ ضَرَبُوا بِالْقِدَاحِ فِيهَا ذَلِكَ الْقِدَحُ ، فَنُفِثَا
خَرَجَ عَمَلُوا بِهِ .

وَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْتَنُوا غَلَامًا أَوْ يُنْكِحُوا مَنَكَهَا ، أَوْ يَدْفَنُوا مَيِّتًا ،
أَوْ شَكُوا فِي نَسَبِ أَحَدِهِمْ ، ذَهَبُوا إِلَى هُبَلٍ وَبِمِائَةِ دِرْهَمٍ وَجَزْوَورٍ ، فَأَعْطَوْهَا
صَاحِبَ الْقِدَاحِ الَّذِي يَضْرِبُ بِهَا ، ثُمَّ قَرَّبُوا صَاحِبَهُمُ الَّذِي يُرِيدُونَ بِهِ مَا يُرِيدُونَ ،
ثُمَّ قَالُوا : يَا إِلَهَنَا ! هَذَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ قَدْ أَرَدَنَا بِهِ كَذَا وَكَذَا ، فَأَخْرِجِ الْحَقَّ فِيهِ ، ثُمَّ
يَقُولُونَ لِصَاحِبِ الْقِدَاحِ : اضْرِبْ ! فَإِنْ خَرَجَ عَلَيْهِ « مِنْكُمْ » كَانَ مِنْهُمْ وَبَسِطًا ،
وَإِنْ خَرَجَ عَلَيْهِ « مِنْ غَيْرِكُمْ » كَانَ حَالِفًا ، وَإِنْ خَرَجَ عَلَيْهِ « مُلْصَقٌ » كَانَ عَلَى

(١) فِي الطَّبَرِيِّ ٢ : ١٧٣ : « وَكَانَتْ هُبَلٌ أَعْظَمُ أَصْنَامِ قَرِيشٍ ، وَكَانَتْ عَلَى بَثْرِ فِي جَوْفِ » .
وَانْظُرِ الزُّرْقَانِي ١ / ٩٥ ، وَالْخَبَرُ عَنِ الْبَشْرِ ٣ : ١٦٠ (قِسْمٌ أَوَّلٌ) . (٢) الْعَقْلُ : الدِّينَةُ .

(٣) فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ١ : ١٦٠ ، وَالْخَبَرُ عَنِ الْبَشْرِ ٣ : ٨٦ (قِسْمٌ أَوَّلٌ) : « السَّبْعَةُ » ، فَإِنْ خَرَجَ
الْعَقْلُ فَعَمَلَى . (٤) فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ١ : ١٦٠ ، وَالْخَبَرُ عَنِ الْبَشْرِ ٣ : ٨٦ (قِسْمٌ أَوَّلٌ) : « فِيهِ « لَا » ،

إِذَا أَرَادُوا أَمْرًا ضَرَبُوا بِهِ فِي الْقِدَاحِ فَإِذَا » . (٥) فِي الطَّبَرِيِّ ٢ : ١٧٣ : « الَّذِي يَضْرِبُهَا » .

(٦) الْوَسِيطُ : الْخَالِصُ النَّسَبُ ، وَالشَّرِيفُ فِي قَوْمِهِ . وَرَوَاةُ الطَّبَرِيِّ : « كَانَ مِنْكُمْ وَبَسِطًا » .

(١) لا تَسَبُّ لَهُ وَلَا حَلْفَ ، وَإِنْ خَرَجَ فِي شَيْءٍ مِمَّا سَوَىٰ هَذَا مِمَّا يَعْمَلُونَ
 بِهِ « نَعَمْ » عَمِلُوا بِهِ ، وَإِنْ خَرَجَ عَلَيْهِ « لَا » آخَرُوهُ عَامَّةً ذَلِكَ حَتَّى يَأْتُوهُ بِهِ مَرَّةً
 أُخْرَى ؛ يَنْتَهُونَ فِي أُمُورِهِمْ إِلَى ذَلِكَ مِمَّا خَرَجَتْ بِهِ الْقِدَاحُ ؛ فَقَالَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ
 لِصَاحِبِ الْقِدَاحِ : أَضْرِبْ عَلَى بَنِي هَؤُلَاءِ بِقِدَاحِهِمْ هَذِهِ ، وَأَخْبِرْهُ بِنَذْرِهِ الَّذِي نَذَرَهُ ،
 فَأَعْطَاهُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ قِدْحَهُ الَّذِي فِيهِ أَسْمُهُ ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ أَصْغَرَ
 بَنِي أَبِيهِ ، وَهُوَ أَحَبُّ وَلَدِهِ إِلَيْهِ ، وَهُوَ أَبُو رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا
 أَخَذَ صَاحِبُ الْقِدَاحِ الْقِدَاحَ لِيَضْرِبَ بِهَا قَامَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ عِنْدَ هُبَلٍ يَدْعُو اللَّهَ ،
 ثُمَّ ضَرَبَ صَاحِبُ الْقِدَاحِ فَخَرَجَ الْقِدْحُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ، فَأَخَذَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ بِيَدِهِ
 وَأَخَذَ الشُّفْرَةَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى إِسَافٍ وَنَائِلَةَ لِيَذْبَحَهُ ، فَقَامَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ مِنْ أُنْدِيتِهَا
 فَقَالُوا : مَاذَا تَرِيدُ يَا عَبْدَ الْمُطَّلَبِ ؟ قَالَ : أَذْبَحُهُ ، فَقَالَتْ لَهُ قُرَيْشٌ وَبَنُوهُ : وَاللَّهِ
 لَا تَذْبَحْهُ حَتَّى تُعْذِرَ فِيهِ ؛ لَنْ فَعَلْتَ هَذَا لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَأْتِي بِابْنِهِ حَتَّى يَذْبَحَهُ ، فَمَا بَقَاءُ

(١) في الطبري ٢ : ١٧٣ : « على منزله منهم » .

(٢) عن الطبري ٢ : ١٧٣ وابن هشام ١ : ١٦٠ ، وفي الأصل : « لانسب إليه ولا حلف » .

(٣) في الأصل : « خرج فيه شيء » ، تصحيف ، والتصويب عن الطبري ٢ : ١٧٣ .

(٤) رواية الطبري ٢ : ١٧٣ : « آخروه عامهم في ذلك حتى يأتوا به » .

(٥) في ابن هشام ١ : ١٦٠ : « الذي نذر ، فأعطاه » ، وفي الطبري ١ : ١٧٣ « الذي نذر ،

فأعطى كل » . (٦) لعله يريد كان أصغر بنه حين أراد الوفاء بنذره ، ويوجب هذا التوجيه

أنه قد سلف له أن عبد المطالب لم يتزوج أم حزة إلا بعد الفداء ، فيكون بذلك ولده منها أصغر من

عبد الله . وانظر شرح الزرقاني على المراتب ١ : ٩٤ ، والروض الأنف ١ / ١٠٣ .

(٧) كذا في الطبري ٢ / ١٧٣ ، وفي رواية ابن هشام ١ : ١٦٠ : « فأخذه عبد المطالب » .

(٨) هذه رواية الطبري ٢ : ١٧٣ ، وفي سيرة ابن هشام ١ : ١٦٢ ، والبداية والنهاية ٢ : ٢٤٨ :

« ثم أقبل به » . (٩) في تاريخ الطبري ٢ : ١٧٣ ، وسيرة ابن هشام ١ : ١٦٢ ،

والبداية ٢ : ٢٤٨ : « لا تذبجه أبدا » . (١٠) في الأصل : « تعذره » ، تصحيف .

الناس على هذا ؟ ! وقال له المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ^(١١) [بن يقظة ^(١٢)] - وكان عبد الله ابن أخت القوم - : لا تدبجه حتى تُعذّر فيه ، فإن كان فداؤه بأموالنا فدّيناه ، وقالت له قريش وبنوه : لا نفعل ، وأنطلق به إلى الحجاز فإن به عرافة لها ^(١٤) تأييع فسلها ، ثم أنت على رأس أمرك ، إن أمرتك بذبحه ذبحته ، وإن أمرتك بأمر لك وله فيه نخرج قبيلته ، فانطلقوا حتى قَدِموا المدينة فوجدوها - فيما يزعمون - بجيبر ، فركبوا [إليها] ^(١٥) حتى جاءوها فسألوها ، وقصّ عليها عبد المطلب خبره [وخبر ابنه] ^(١٦) ، فقالت لهم : قد جئني الخبر ، كم الدية فيكم ؟ قالوا : عشر ^(١٧) من الإبل ، قالت : فارجعوا إلى بلادكم وقربوا عشراً من الإبل ، ثم أضربوا عليها ^(١٨) وعليه بالقِداح ، فإن خرجت على صاحبكم فزيّدوا من الإبل حتى يرضى ربكم ، ^(١٩)

- ١٠ (١) في سيرة ابن هشام ١ : ١٦٢ : « بن عمرو » ، وفي الطبري ٢ : ١٧٣ ، وابن الأثير ٢ : ٦ ، والخبر عن البشر ٣ : ٨٧ (قسم أول) ما يوافق رواية المؤلف . (٢) تكملة عن سيرة ابن هشام ١ : ١٦٢ ، والطبري ٢ : ١٧٧ . (٣) في سيرة ابن هشام ، وتاريخ الطبري ، والخبر عن البشر ٣ : ٨٧ (قسم أول) : « القوم ، والله لا تدبجه أبداً حتى تعذّره » . (٤) اسمها قطبة في قول ، وسجاح في قول آخر . وانظر السجّل ١ : ١٠٣ ، والبداية ٢ : ٢٤٨ ، وشرح الزرقاني على المواهب ١ : ٩٦ . (٥) في الأصل : « ثم آيت » . والمثبت عن ابن هشام ١ : ١٦٢ ، والطبري ٢ : ١٧٤ ، والخبر عن البشر ٣ : ٨٧ ، والبداية ٢ : ٢٤٨ . (٦) الطبري ٢ : ١٧٤ : « أن تدبجه » ، البداية ٢ : ٢٤٨ : « بذبحه فاذبحه » . (٧) ابن هشام ١ : ١٦٢ ، والطبري ٢ : ١٧٤ : « وله فيه فرج » . (٨) في الأصل : « فركبوا حتى » ، والتكملة عن الطبري ٢ : ١٧٣ (٩) تكملة عن ابن هشام ١ : ١٦٢ ، والبداية ٢ : ٢٤٨ . (١٠) اختصر النويري . والنص كما يرويه ابن هشام ١ : ١٦٢ ، والخبر عن البشر ٣ : ٨٧ ، وابن كثير في البداية ٢ : ٢٤٨ : « ... فقالت لهم أرجعوا عني اليوم حتى يأتيني تايبي فأسأله ، فرجعوا من عندها ، فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله ، ثم غدوا عليها فقالت لهم ... الخ » . (١١) في سيرة ابن هشام ١ : ١٦٢ ، والخبر عن البشر ٣ : ٨٧ : « الإبل ، وكانت كذلك ، قالت » . (١٢) في البداية ٢ : ٢٤٨ : « بلادكم ، ثم قربوا صاحبكم وقربوا » . (١٣) في الطبري : « فزيّدوا في الإبل » .

وإن نَحَرَجْتَ عَلَى الْإِبِلِ فَانْحَرُوهَا عَنْهُ ، فَقَدْ رَضِيَ رَبُّكُمْ وَتَجَا صَاحِبُكُمْ ، فَخَرَجُوا حَتَّى قَدِمُوا مَكَّةَ (١) وَفَعَلُوا ذَلِكَ ، وَالْقِدَاحُ تَقَعُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ، وَعَبْدُ الْمَطْلَبِ يَزِيدُ عَشْرًا عَشْرًا ، وَهُوَ قَائِمٌ يَدْعُو حَتَّى بَلَغَتْ الْإِبِلُ مِائَةَ ، فَخَرَجَ الْقِدْحُ عَلَى الْإِبِلِ ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ وَمَنْ حَضَرَ : قَدْ أَتَيْتُمْ ، رَضِيَ رَبُّكَ يَا عَبْدَ الْمَطْلَبِ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ : لَا وَاللَّهِ ! حَتَّى أَضْرِبَ عَلَيْهِ بِالْقِدَاحِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَضَرَبُوا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ وَعَلَى الْإِبِلِ ، وَعَبْدُ الْمَطْلَبِ قَائِمٌ يَدْعُو ، فَخَرَجَ الْقِدْحُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ عَلَى الْإِبِلِ ، فَتُحَرَّتْ عِنْدَ ذَلِكَ . وَذَكَرَ نَحْوَ مَا تَقْدَمُ .

ذَكَرَ زَوَاجَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ أَمَنَةَ

بِنْتُ وَهَبٍ أُمِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ وَاقِدٍ بِسَنَدٍ يَرْفَعُهُ ، قَالَ : كَانَتْ أَمَنَةُ بِنْتُ وَهَبٍ بِنْتُ عَبْدِ مَنَافٍ بِنْتُ زُهْرَةَ بِنْتِ كِلَابٍ ، فِي حِجْرِ عَمِّهَا وَهَيْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، فَشَفَى إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَطْلَبِ بِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ أُمِّي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

(١) اخْتَصَرَ الْمُؤَلِّفُ نَصَ ابْنِ إِسْحَاقَ أَيْضًا ، وَقَدْ وَرَدَ مُفَصَّلًا فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ١ : ١٦٣ ، وَالْخَبَرُ عَنِ الْبُشَيْرِ ٣ : ٨٧ (٢) فِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ ٢ : ١٧٤ ، وَسِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ١ : ١٦٤ ، وَالْخَبَرُ عَنِ الْبُشَيْرِ ٣ : ٨٨ : « قَدْ أَتَيْتُمْ رِضَا رَبِّكَ » عَلَى الْإِضَافَةِ .

(٣) فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ١ : ١٦٤ : « يَا عَبْدَ الْمَطْلَبِ ، فَرَعَمُوا أَنَّ عَبْدَ الْمَطْلَبِ قَالَ ... الخ » . (٤) فِي الطَّبَرِيِّ ٢ : ١٧٤ ، وَسِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ١ : ١٦٤ ، بِدَايَةِ ٢ : ٢٤٩ ، وَالْخَبَرُ عَنِ الْبُشَيْرِ ٣ : ٨٨ : « أَضْرِبْ عَلَيْهَا » . (٥) طَبَقَاتُ ١ : ٥٨ (قِسْمُ أَوَّلٍ) .

(٦) زُهْرَةُ بِضَمِّ الزَّايِ وَسُكُونِ الْهَاءِ ، وَفِي صَحَاحِ الْجَوْهَرِيِّ « زَهْرٌ » : أَنَّ زُهْرَةَ اسْمُ امْرَأَةٍ عَرَفَ بِهَا بَنُو زُهْرَةَ . قَالَ السَّبِيلِيُّ ١ : ٧٩ : « وَهَذَا مُتَكَبِّرٌ غَيْرٌ مَعْرُوفٌ ، وَإِنَّمَا زُهْرَةُ جَدُّهُمْ كَمَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ » ، وَقَالَ : اسْمُ زُهْرَةَ الْمُتَعَبَةِ . وَانْظُرِ الزُّرْقَانِي ١ : ١٠٣ ، وَتَاجَ الْعُرُوسِ (زَهْرٌ) .

فخطب

فخطب عليه آمنة فزوجها عبد الله ، وخطب إليه عبد المطلب بن هاشم في مجلسه ذلك أبنته هالة بنت وهيب على نفسه ، فزوجه إياها ، فكان تزوجهما في مجلس واحد ، فولدت هالة لعبد المطلب حمزة ، وكان حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم في النسب ، وأخاه من الرضاعة .

ونقل أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر رحمه الله : أن عبد الله ابن عبد المطلب تزوج آمنة وهو ابن ثلاثين سنة . قال : وقيل بل كان يومئذ ابن خمس وعشرين سنة .

وعن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه ، وعن أبي الفياض الخثعمي قال : لما تزوج عبد الله آمنة أقام عندها ثلاثا ، وكانت تلك السنة عندهم .

وقال أبو محمد عبد الملك بن هشام عن محمد بن إسحاق : إن عبد المطلب لما فدى ابنه عبد الله أخذ بيده ، وخرج به حتى أتى وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وهو يومئذ سيد بني زهرة نسبا وشرفا ، فزوجه أبنته آمنة ، وهى يومئذ أفضل امرأة في قريش نسبا وموضعا ، قال : فزعموا أنه دخل عليها حين أملكها مكانه فوقع عليها ، فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) في ابن سعد ١ : ٥٨ (قسم أول) : « حمزة . فكان » .

(٢) في الاستيعاب ١ : ١٦ :

(٣) القائل ابن سعد (١ : ٥٨ قسم أول) .

(٤) السيرة ١ : ١٦٤ .

(٥) أملك المرأة بالبناء للجهول : تزويجها .

(٦) في البداية ٢ : ٢٤٩ : « فحملت منه برسول الله » .

ذكر خبر المرأة التي عرّضت نفسها على عبد الله بن عبد المطلب وما أبدته من سبب ذلك

قد اختلف في هذه المرأة، فمنهم من يقول: هي قُتَيْلَة^(١)، بنتُ نَوْفَل، بن أسد،
ابن عبد العزى، بن قُصَيٍّ، وهي أخت وُرَقَة بن نَوْفَل. قال السهيلي^(٢): اسمها رُقَيْقَة بنت
نَوْفَل تُكْنَى أم قتال، وهي أخت وُرَقَة بن نَوْفَل. ومنهم من يقول: هي فاطمة
بنتُ مَرْ الحَنَمِيَّة، وقيل غيرها. ونحن نذكر ما قالوه في ذلك.

فأما عبد الملك بن هشام فقال: لما انصرف عبد المطلب يوم الفداء آخذًا
بيد ابنه عبد الله، فمر به على امرأة من بني أسد، وهي أخت وُرَقَة بن نَوْفَل،
وهي عند الكعبة، فقالت له حين نظرت إلى وجهه: أين تذهب يا عبد الله؟
قال: مع أبي، قالت: لك مثل الإبل التي تُحَرَّت عنك وقع على الآن. قال:
أنا مع أبي، ولا أستطيع خلافه ولا فراقه، فخرج به عبد المطلب حتى أتى وهب
ابن عبد مناف. وذكر خبر زواجه بأمنة، وأنه وقع عليها كما ذكرناه آنفا.

قال: ثم خرج من عندها، فأتى المرأة التي عرّضت عليه ما عرّضت، فقال
لها: مالك لا تعرضين على اليوم ما كنتِ عرضتِ على بالأمس؟ قالت له:
فارقك النور الذي كان معك بالأمس، فليس لي بك اليوم حاجة.

(١) بضم القاف وفتح المثناة الفوقية فتحية ماكنة. (٢) في طبقات ابن سعد ١: ٥٨.
(قسم أول): «بن قصي: أخت ورقة». وفي الأصل: «قصي بن أخت ورقة». تصحيف،
والثبت عن الطبري ٢: ١٧٣، وانظر السهيلي ١: ١٠٢. (٣) في الروض الأنف ورقة ٥٣ ب.
(٤) في الأصل: «رقية»، تصحيف. وانظر الزرقاني ١: ١٢٣ (بولاق).
(٥) هو قول أبي نعيم، وابن عساكر رواية عن ابن عباس. وانظر الروض ١: ١٠٤، ١٠٢.
(٦) في السيرة ١: ١٦٤. وانظر الطبري ٢: ١٧٤، البداية ٢: ٢٤٩.
(٧) في الطبري ٢: ١٧٤، ابن الأثير ٢: ٧، والبيهقي ١: ٢٤ ب: «إن معي أبي».

وقال الواقدي^(١) : هي قُبَيْلَةُ بِنْتُ نُوْفَلٍ . وعن ابن عباس رضى الله عنهما :
إنها امرأة من بنى أسد ، وهي أخت ورقة .

قال الواقدي^(٢) : كانت تنظر وتعتاف^(٣) ، فترها عبد الله فدعته يستبضع منها ،
ولزمت طرف ثوبه فأبى وقال : حتى آتيك^(٤) ، وخرج مسرعاً حتى دخل على آمنه
فوقع عليها ، فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم رجع إلى المرأة وهي تنتظره
فقال : هل لك في الذي عرضت عليّ ؟ فقالت : لا . مررت وفي وجهك نور
ساطع ، ثم رجعت وليس فيه ذلك النور .

قال^(٥) : وقال بعضهم قالت : مررت وبين عينيك غرة مثل غرة الفرس ،
ورجعت وليس هي في وجهك .

وقال محمد بن عمر بن واقد ، عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبيه ،
عن أبي الفياض الخثعمي^(٦) ، قال : مر عبد الله بامرأة من خثعم يقال لها : فاطمة

(١) نقله ابن سعد ١ : ٥٨ - ٥٩ (قسم أول) .

(٢) نقله ابن سعد في الطبقات ١ : ٥٨ (قسم أول) .

(٣) في دلائل النبوة للبيهقي (١ : ورقة ١٢٥) : « وكانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل ، وكان
قد تنصر واتبع الكتب ، يقول : إنه لكائن في هذه الأمة نبي في بنى إسرائيل » ، وانظر البداية والنهاية
٢ : ٢٤٩ ، والزرقاني ١ : ١٠١ .

(٤) في طبقات ابن سعد ١ : ٥٨ (قسم أول) : « ونرج سريما » .

(٥) الفائق الواقدي .

(٦) نقله ابن سعد ١ : ٥٩ (قسم أول) .

(٧) في طبقات ابن سعد ١ : ٥٩ (قسم أول) : « الكلبي عن أبي الفياض » ، وانظر ابن الأثير

٢ : ٤ ، ودلائل النبوة لأبي نعيم ١ : ٣٩ .

بنتُ مر، وكانت من أجمل الناس وأشبه وأعفه، وكانت قد قرأت الكتب،^(٣)
 وكان شبابُ قُرَيْشٍ يتحدثون إليها، فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت :
 يا فتى ! من أنت ؟ فأخبرها، قالت : هل لك أن تقف عليّ وأعطيك مائة^(٤) من
 الإبل ؟ فنظر إليها وقال :

أنا الحرامُ فالنماتُ دونَه * والحِلُّ لا حلَّ فاستنيتَه

* فكيف بالأمر الذي تنوينه^(٥) *^(٦)

ثم مضى إلى أمراته آمنه، فكان معها، ثم ذكر الخبعية وجمالها، وما عرضت
 عليه، فأقبل عليها فلم ير منها من الإقبال عليه آخرًا كما رآه منها أولاً، فقال : هل لك
 فيما قلت لي ؟ فقالت : « قد كان ذلك مرةً فاليوم لا »^(٧)، فذهبت مثلاً، وقالت :
 أي شيء صنعت بعدى ؟ قال : وقعت على زوجتي آمنه، قالت : إني والله لست

(١) في الطبري ١٧٤ : ٢ : « كاهنة من خشم يقال لها فاطمة بنت مر مشهورة من أهل تبالة ،
 قد قرأت الكتب » . وانظر البداية ٢ : ٢٥٠ ، وابن الأثير ٢ : ٤ ، والزرقاني ١ : ١٠٢ .

(٢) كذا في الأصل ، وطبقات ابن سعد ، وانظر السيرة الحلبية ١ : ٣٩ .

(٣) رواية ابن سعد ١ : ٥٥ (فسم أول) : « قرأت الكتب » .

(٤) في دلائل النبوة لأبي نعيم ١ : ٣٩ ، والبداية ٢ : ٢٥٠ : « تقف على الآن » .

(٥) في الأصل : « فكيف للأمر » ، وفي دلائل النبوة لأبي نعيم ١ : ٣٩ : « فكيف لي
 الأمر » ، والمثبت عن الطبري ، وابن الأثير ٢ : ٤ ، والبداية والنهاية ٢ : ٢٥٠ ، وعبون الأثر
 ١ : ٢٤ .

(٦) هكذا يرويه أيضا الميداني في جمع الأمثال ٢ : ٢٥ ، وفي ابن الأثير ، وأبي نعيم والبداية ،
 وعبون الأثر ١ : ٢٤ : « الذي تبغته » .

(٧) رواية الميداني ٢ : ٣٤ : « قد كان ذلك مرة » . والمثل يضرب في التسلم والإجابة
 بعد الاجترام .

(١) بصاحبة زينة، ولكنى رأيتُ نور النبوة في وجهك، فأردت أن يكون ذلك في،
وأبى الله إلا يجعله حيث جعله .

وبلغ شباب قُرَيْش ما عرَضت على عبد الله وتأبىه عليها، فذكروا ذلك لها،
فأنشأت تقول :

إني رأيتُ ^(٢)مُحْيِلَةَ عَرَضَتِ * فتَلَلَّاتُ بِمَخَاتِمِ الْقَطَرِ ^(٣)
فَلَمَّا تَهَا ^(٤)نُورًا يَضِيءُ لَهُ * مَا حَسُولَهُ كِلَاضَةُ الْفَجْرِ ^(٥)

ورأيتُه شَرَفًا أَبْوًى بِهِ * مَا كُلُّ قَادِحٍ زَنِدُهُ يُورِي ^(٦)
لَهُ مَا زُهْرِيَّةٌ سَلَبَتْ * ثَوْبِيكَ مَا اسْتَلَبَتْ وَمَا تَدْرِي ^(٧)
وقالت أيضا : ^(٨)

بَنِي هَاشِمٍ قَدْ غَادَرَتِ مِنْ أَخِيكُمُ * أَمِينَةُ إِذْ لِلْبَاءِ يَعْتَلِجَانِ ^(٩)
كَمَا غَادَرَ الْمَصْبَاحُ بَعْدَ خُبُوه * فَتَائُلٌ قَدْ مِثَّتْ لَهُ بَدَهَانِ ^(١٠)

- (١) في الطبري ٢ : ١٧٤ ، وابن الأثير ٢ : ٤ : « رية » .
(٢) المحيلة بالضم : السحابة التي إذا رأيتها حسيها ماطرة . والمحيلة بالفتح : السحابة .
(٣) رواية الميداني ٢ : ٣٥ « نشأت » .
(٤) لماتها : أي أبصرتها ولمحتها . وفي الأصل : « فلما تها نور » تصحيف ، وانظر لسان العرب
« لما » ، والطبري ٢ : ١٧٤ .
(٥) في ابن الأثير ٢ : ٤ : « يضيء به » .
(٦) في الطبري ٢ : ١٧٤ ، وابن الأثير ٢ : ٤ : « فريجة نخرا » .
(٧) رواية ابن الأثير ٢ : ٤ : « منك الذي سلبت وما تدري » .
(٨) في الأصل : « وقال » ، تصحيف .
(٩) رواية الطبري ، وابن الأثير ، وابن كثير : « للياه يتركبان » .
(١٠) هكذا يرويه الميداني ٢ : ٣٥ ، وفي ابن الأثير ، والبداية : « عند نخوده » .

وما كُلُّ ما يَحْيِي الفَتَى من تِلَادِهِ ^(١) * بِحَزْمٍ ولا ما فَاتَهُ لِيَوَانِ ^(٢)
 فَاجِئِلْ إِذَا طالَبْتَ أَمْرًا فَإِنَّهُ * سَيَكْفِيكَ جَدَانِ يَصْطَرِمَانِ
 سَتَكْفِيكَ إِذَا يَدُ مَقْفَعِلَةٍ ^(٣) * وَإِذَا يَدُ مَبْسُوطَةٍ بَيَانِ ^(٤)
 وَلَمَّا قَضَتْ مِنْهُ أَمِينَةٌ ما قَضَتْ * نَبَا بَصَرِي عَنْهُ وَكَلَّ لِسَانِي ^(٥)

وعن أبي يزيد المدني قال: بُنِيتُ أَنْ عَبْدَ اللَّهِ أَبَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 أتى على امرأة من خَثَمَ فَرَأَتْ بَيْنَ عَيْنَيْهِ نَوْراً ساطِعاً إلى السماء فقالت: هل لك
 في؟ قال: نعم حتى أرمي الجَمْرَةَ، فأنطلق فرمى الجَمْرَةَ، ثم أتى أَمْرَانَهُ آمَنَةً بِنْتَ
 وَهَبٍ، ثم ذكر الخُثْعَمِيَةَ فَأَنَّاها فقالت: هل أتيتَ أَمْرَةً بَعْدِي؟ قال نعم، أَمْرَاتِي
 آمَنَةُ بِنْتُ وَهَبٍ، قالت: فلا حاجة لي فيكَ، إنك مررتَ وبينَ عَيْنَيْكَ نور
 ساطعٌ إلى السماء، فلَمَّا وَقَعْتَ عَلَيْهَا ذَهَبَ، فَأَخْبَرَهَا أَنَّهَا قد حَمَلَتْ بِخَيْرِ أَهْلِ
 الْأَرْضِ.

وقال محمد بن إسحاق: حَدَّثَنِي أَبِي إِسْحَاقُ بْنُ يَسَّارٍ، أَنَّهُ حَدَّثَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ
 إِذَا دَخَلَ عَلَى أَمْرَةٍ كَانَتْ لَهُ مَعَ آمَنَةَ بِنْتِ وَهَبٍ، وَقَدْ عَمِلَ فِي طِينٍ لَهُ، وَبِهِ
 آثَارُ مِنَ الطِّينِ، فَدَعَاها إِلَى نَفْسِهِ فَأَبْطَأَتْ عَلَيْهِ لَمَّا رَأَتْ عَلَيْهِ مِنْ آثَارِ الطِّينِ،

(١) رواية الميداني ٢: ٣٥: «وما كل ما نال الفتى من نصيبه».

(٢) رواية الطبري، وابن الأثير: «ملاده * لعزم».

(٣) مقفلة: متقبضة، منشجة الأصابع.

(٤) رواية ابن الأثير، والطبري: «قضت * حوت منه فخرًا ما لذلك شأني».

(٥) في الأصل: «المدني»، والمثبت عن طبقات ابن سعد ١: ٦٠ (قسم أول).

(٦) في طبقات ابن سعد ١: ٦٠ (قسم أول): «ثم ذكر يعني الخثعمية».

(٧) في طبقات ابن سعد: «قد حملت خير أهل».

(٨) في الأصل: «أنه حدثه»، تصحيف.

فخرج من عندهما فتوضأ وغسل ما كان به من ذلك الطين ، ثم نرج عايدها إلى
آمنة فزبها ، فدعته فأبى عليها ، وعمد إلى آمنة فدخل عليها ، فأصابها فحملت
بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مرّت بأمراته تلك فقال لها : هل لك ؟
قالت : لا . مررت بي وبين عينيك غرة ، فدعوتك فأبيت ، ودخلت على آمنة
فذهبت بها .

قال ابن إسحاق ^(٣) : وزعموا أن أمراته تلك كانت تُحدث : أنه مر بها وبين عينيه
مثل غرة الفرس ، قالت : فدعوته رجاء أن تكون تلك بي ، فأبى عليّ ، ودخل على
آمنة فأصابها ، فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، أوسط قومه نسبا ، وأعظمهم
شرفاً من قبل أبيه وأمه . والله الفعال .

ذكر حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم

وما رآته ، وما قيل لها

حملت به صلى الله عليه وسلم أيام التشريق في شعب أبي طالب عند الجحرة
الوسطى ، رواه أبو عمر بن عبد البر ^(٤) عن الزبير بن بكار ، وحكاه غيره أيضا .

وقيل حملت به في دار وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ^(٥) .

وروى محمد بن عمر بن واقد الأسلمي ^(٦) قال : حدثني علي بن يزيد ، بن عبد الله ، بن

وهب بن زمعة عن أبيه ، عن عمته قالت : كنا نسمع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) في سيرة ابن هشام ١ : ١٦٥ : « فدعته إلى نفسها فأبى » .

(٢) في سيرة ابن هشام ١ : ١٦٥ : « غرة بيضاء ، فدعوتك فأبيت علي ، ودخلت » .

(٣) نقله ابن هشام ١ : ١٦٥ . (٤) في الاستيعاب ١ : ١٦ .

(٥) في الأصل : « وهب بن عبد مناف » ، تصحيف ، والتصويب عن الاستيعاب ١ : ١٦ .

(٦) رواه ابن سعد في الطبقات ١ : ٦٠ (قسم أول) ، وانظر الزرقاني ١ : ١٠٦ .

لَمَّا حَمَلَتْ بِهِ آمَنَةُ بَنَتْ وَهَبَ كَانَتْ تَقُولُ : مَا شَعَرْتُ أَنِّي حَمَلْتُ بِهِ ، وَلَا وَجَدْتُ لَهُ ثِقْلَةً كَمَا تَجِدُ النِّسَاءَ ، إِلَّا أَنِّي قَدْ أَنْكَرْتُ رَفَعَ حَيْضَتِي ، فَرُبَّمَا كَانَتْ تَرْفَعُنِي وَتَعُودُ ؛ وَأَتَانِي آتٍ ، وَأَنَا بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ فَقَالَ : هَلْ شَعَرْتِ أَنَّكَ حَمَلْتِ ؟ فَكَأَنِّي أَقُولُ مَا أَدْرِي ، فَقَالَ : إِنَّكَ قَدْ حَمَلْتِ بِسَيِّدِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَنَبِيِّهَا ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ ، قَالَتْ : فَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا يَقْنُ عِنْدِي الْحَمْلُ ، ثُمَّ أَهْمَلَنِي حَتَّى إِذَا دَنَتْ وَلَادَتْنِي أَنَا نِي ذَلِكَ الْآتِي فَقَالَ : قَوْلِي : «أُعِيْذُهُ بِالوَاحِدِ الصَّمَدِ ، مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ» . قَالَتْ : فَكُنْتُ أَقُولُ ذَلِكَ .

وَفِي رَوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ أَنَّهُ قِيلَ لَهَا : إِنَّكَ قَدْ حَمَلْتِ بِسَيِّدِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، فَإِذَا وَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ فَقُولِي : «أُعِيْذُهُ بِالوَاحِدِ ، مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ ، ثُمَّ سَمِيَهُ مُحَمَّدًا» .

وَفِي رَوَايَةِ أُخْرَى : امْرَأَتُ أُمِّهِ وَهِيَ حَامِلٌ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ تَسْمِيَةَ أَحْمَدَ . قَالَتْ أُمُّهُ : فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبَائِي ، فَقُلْنَ لِي : تُعَلِّقُ حَدِيدًا فِي عَضْدَيْكَ وَفِي عُنُقِكَ ، قَالَتْ : فَفَعَلْتُ ، فَلَمْ يَكُنْ يُتْرَكُ عَلَيَّ إِلَّا أَيَّامًا ، فَاجَدَّهُ قَدْ قُطِعَ ، فَكُنْتُ لَا أَتَعْلَقُهُ .

وَعَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ : قَالَتْ آمَنَةُ : لَقَدْ عَلِقْتُ بِهِ ، فَمَا وَجَدْتُ لَهُ مَشَقَّةَ حَتَّى وَضَعْتُهُ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَرَأَتْ حِينَ حَمَلَتْ بِهِ أَنَّهُ تَخَرَّجَ مِنْهَا نُورٌ رَأَتْ بِهِ قُصُورَ بَصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ . قَدْ تَوَاتَرَتْ الْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ بِذَلِكَ .

(١) - الثِّقْلَةُ بفتح المثلثة والقاف : الثقل ، عن الزرقاني ١ : ١٠٦ .

(٢) - فِي الْأَصْلِ : «ذَنَا وَلَادَتْنِي» تصحيف ، والمثبت عن الزرقاني ١ : ١٠٦ وجون الأثر ٢٤٠ .

(٣) - نقله ابن هشام ١ : ١٦٦ . (٤) - أنظر الزرقاني ١ : ١٠٨ .

(٥) - سيرة ابن هشام ١ : ١٦٦ . (٦) - فِي الْأَصْلِ : «وَرَأَيْتُ» تصحيف .

وحكى الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي في كتاب "الأعلام" ^(١)
 له عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : وكان من دلائل حمل آمنة برسول الله
 صلى الله عليه وسلم أن كَلَّ دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت : حُلْ
 بمحمد ورب الكعبة ، وهو إمام الدنيا وسراج أهلها ؛ ولم تبق كاهنة في قريش
 ولا في قبيلة من قبائل العرب إلا حُجبت عن صاحبها ؛ وانترع علم الكهنة منهم
 ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوسا .

قال : وقال كعب الأحبار : وأصبحت يومئذ أصنام الدنيا كلها منكوسة
 مضغوطة فيها شياطينها ، وأصبح عرش إبليس عدو الله منكوسا .

قال : وقال ابن عباس رضى الله عنهما : وأصبح كل ملك أخرس لا ينطق يومه ^(٢)
 ذلك ، وفزت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالإشارات ، وكذلك أهل البحار ^(٣)
 [صار] ينشر بعضهم بعضا ، وله في كل شهر من شهوره نداء في الأرض ، ونداء ^(٤)
 في السماء : أن أبشروا ، فقد آن لأبي القاسم أن يخرج إلى الأرض ميمونا مباركا . ^(٥)
 والله الموفق للفعال .

(١) انظر الزرقاني ١ : ١٠٨ .

(٢) في الزرقاني ١ : ١٠٨ : « وكلت الملوك حتى لم يقدرُوا في ذلك اليوم على التكلم » .

(٣) في الأصل : « ومرت وحش » تصحيف ، والتصويب عن الزرقاني ١ : ١٠٨ .

(٤) في الأصل : « وحش » تصحيف .

(٥) عن شرح الزرقاني على المواهب ١ : ١٠٨ .

(٦) في الزرقاني ١ : ١٠٨ : « من شهور حله » .

(٧) في الزرقاني ١ : ١٠٨ : « فقد آن أن يظهر أبو القاسم » .

ذكر وفاة عبد الله بن عبد المطلب

روى أبو عبد الله محمد بن سعد، بسند يرفعه إلى محمد بن كعب، وأيوب بن عبد الرحمن بن أبي صَصعة، قالاً : خرج عبد الله بن عبد المطلب إلى الشام إلى غَزَّة في غير من عِيرَات قُرَيْش يَحْمِلُونَ تِجَارَات، ففَرَّغُوا مِنْ تِجَارَاتِهِمْ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا فَمَزُوا بِالْمَدِينَةِ وَعَبَدُ اللَّهِ يَوْمئِذٍ مَرِيضٌ فَقَالَ : أَنَا أَخْلَفُ عِنْدَ أَخَوَالِي بَنِي عَدَى ابْنِ النَّجَّارِ ، فَأَقَامَ عِنْدَهُمْ مَرِيضًا شَهْرًا ، وَمَضَى أَصْحَابُهُ فَقَدِمُوا مَكَّةَ ، فَسَأَلَهُمْ عَبْدُ الْمَطْلَبِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ، فَقَالُوا : خَلَفْنَاهُ عِنْدَ أَخَوَالِهِ وَهُوَ مَرِيضٌ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَطْلَبِ وَلَدَهُ الْحَارِثَ ^(١) ، فَوَجَدَهُ قَدْ تَوَفَّى وَدُفِنَ فِي دَارِ النَّابِغَةِ ^(٢) ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَدَى بْنِ النَّجَّارِ ، فَرَجَعَ إِلَى أَبِيهِ فَأَخْبَرَهُ ، فَوَجَدَ عَلَيْهِ عَبْدُ الْمَطْلَبِ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتَهُ وَجَدًا شَدِيدًا ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمئِذٍ حَمْلٌ .

ولعبد الله يوم تُوِّفَى خمس وعشرون سنة .

قال الواقدي : هذا هو أثبت الأقاويل ، والرواية في وفاة عبد الله وسنه عندنا .

وعن هشام بن السائب الكلبي عن أبيه ، وعن عوانة بن الحكم قالاً : توفى عبد الله بن عبد المطلب بعد ما أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية وعشرون شهرًا ، ويقال سبعة أشهر ، وقيل شهران .

قال محمد بن سعد : والأول أثبت . وقال السهيلي ^(٣) : «وأكثر العلماء على أنه كان

في المهد» ، قال : «ذكره الدولابي وغيره» . والله تعالى أعلم . ^(٤)

(١) في ابن الأثير ٢ : ٣ : أن المبعوث كان الزبير لا الحارث . (٢) هذه إحدى روايتي الطبري ؛ وفي ابن الأثير ٢ : ٤ : «النابغة الجعدي» ؛ وزواية الطبري الأخرى وعليها اقتصر الزرقاني ١ : ٢١٠ : «النابغة» بالبناء المثناة ثم الموحدة بعد الألف ، ثم العين المهملة ؛ والنابغة رجل من بني عدى بن النجار . (٣) الروض الأنف ١ : ١٠٧ . (٤) الدولابي يفتح الدال وضما هو محمد بن أحمد

ابن حماد بن سعيد الأنصاري أبو بشر . انظر الأنساب للسمعاني ٢٣٣ ب .

قال الواقدي : وترك عبد الله بن عبد المطلب أم أيمن ، وأسمها بركة ، وخمسة أجمال أوارك ، بمعنى تأكل الأراك ، وقطعة غنم ، فورث ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . والله خير الوارثين .

ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة شرفها الله تعالى ، قال الزبير بن بكار :
ولد صلى الله عليه وسلم في الدار التي كانت لمحمد بن يوسف أخى الحجاج . قال
القرطبي رحمه الله في كتاب «الأعلام» له : إن الدار كانت في الرقاق المعروف بزقاق
المولد ، وكانت في مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم في يد عقيل بن أبي طالب
ثم في أيدي ولده ، ثم اشتراها محمد بن يوسف الثقفي من ولد عقيل ، فأدخل البيت
في دار بناها وسمّاها البيضاء ، فكان البيت في الدار إلى أن حجت الحزيران
أم الهادي والرشد ، فأخرجت البيت وجعلته مسجدا يشرع في زقاق المولد .

وكان مولده صلى الله عليه وسلم عام الفيل بعد قدوم أصحاب الفيل بخمس
وخمسين ليلة ، في يوم الاثنين من شهر ربيع الأول ، قيل لليلتين خلتا منه ، وقيل

(١) انظر البداية والنهاية ٢ : ٢٦١ ، وعيون الأثر ١ : ٢٦ .

(٢) في شرح الزرقاني على المواهب ١ : ١٣٦ : «... بزقاق المدك» بدال مهمة .

(٣) في شرح المواهب ١ : ١٣٦ : «فأدخل البيت الذي ولد فيه المصطفى في داره التي يقال لها

البيضاء» . وسميت البيضاء لأنها بنيت باليخس وطليت به . السيرة الحلبية ١ : ١٢٢ .

(٤) هكذا في الكامل لابن الأثير ١ : ١٨٦ . وفي الروض الأضيق ١ : ١٠٧ . والزرقاني

١ : ١٣٦ : «وأما الدار التي لمحمد بن يوسف فبنتها زبيدة ، يعني زوجة هارون الرشيد مسجدا

لحجته ، وهي عند الصفا» . وانظر شرح المقامات للثعالبي ٢ : ٢٠٤ . وفي السيرة الحلبية ١ : ١٢٢ .

«بمحاولة للتوفيق بين النصين» . انظر شرح الزرقاني ١ : ١٣٦ .

(٥) هو قول حكاة الديماطي وآخرون . وانظر الزرقاني ١ : ١٣٦ .

أول اثنين منه من غير تعيين ، وقيل وُلِدَ في شهر رمضان لاثنتي عشرة ليلة خلت^(١) منه ، وهو العشرون من نيسان سنة ثمانمائة واثنين للإسكندر ذي القرنين .

والمشهور أنه ولد في شهر ربيع الأول ، فيقول القائل : كيف يمكن أن تكون حملت به في أيام التشريق ، وولد في شهر ربيع الأول ، والمدة بينهما إما أربعة أشهر ، أو ستة عشر شهرا ، ولم يُنقل إلينا أنه صلى الله عليه وسلم وُلِدَ لأقل من تسعة أشهر ولا أكثر منها ؟ فالجواب أن الحج إذ ذاك لم يكن محصورا في ذي الحجة ، بل قد ثبت أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه حج بالناس في السنة التاسعة من الهجرة ، ووافق الحج في ذي القعدة ، فلما حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع في السنة العاشرة ، خطب فقال في خطبته : « ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم : ثلاثة^(٢) متواليات ، ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » ، فيمكن أن يكون الحج لما حملت آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم وافق في جمادى الآخرة ، ولا يمتنع هذا والله أعلم .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن آمنة بنت وهب قالت : لقد علقت به ، تعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما وجدت له مشقة حتى وضعته ؛

٢١
١٤

(١) في شرح الزرقاني على المواهب ١ : ١٣٠ — ١٣٢ ، تفصيل هذه الأقوال ، مع نسبتها لقائلها . وانظر الروض الأنف ١ : ١٠٧ ، وعيون الأثر ١ : ٢٦ .

(٢) في الروض الأنف ٢ : ٣٥١ : « والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا » .

(٣) في لسان العرب (رجب) : « إنما قيل رجب مضافة إليه ، لأنهم كانوا أشد تعظيلا له من غيرهم ، فكانهم اخصوا به » ، وفي الروض الأنف ٢ : ٣٥١ : « إنما قال رجب مضر ، لأن ربيعة كانت تحرم في رمضان وتسميه رجبيا ، ... فين صلى الله عليه وسلم أنه رجب مضر ، لا رجب ربيعة ، وأنه الذي بين جمادى وشعبان » .

(١) فلما فصل مني خرج منه نور أضاء له ما بين المشرق إلى المغرب ، ثم وقع على الأرض على يديه ، ثم أخذ قبضة من تراب فقبضها ، ورفع رأسه إلى السماء .

وقال بعضهم : وقع جائيا على ركبتيه رافعا رأسه إلى السماء ، وخرج معه نور أضاء له قصور الشام وأسواقها ، حتى رأيت أعناق الإبل ببصري . وعن حسان ابن عطية : أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ولد وقع على كفيه وركبتيه شاخصا بصره إلى السماء .

قالت أمه : فولدته نظيفا والله كما يولد السخل ما به قدر . وقالت فاطمة بنت عبد الله أم عثمان بن [أبي] العاصي ، وكانت شهدت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وضعته أمه آمنة وذلك ليلا ، قالت : فما شئ أنظر إليه من البيت إلا نور ، وإني لأنظر إلى النجوم تدنو حتى إني لأقول لتقعن علي .

وذكر الخطيب أبو بكر بن ثابت رحمه الله ، عن آمنة قالت : لما ولدت محمدا صلى الله عليه وسلم ثم خرج من بطني نظرت إليه ، فإذا هو ساجد لله عز وجل رافع يديه إلى السماء كالمترعرع المبتهل ، ثم رأيت نحاية بيضاء قد أقبلت تنزل من السماء حتى غشيته ، فغيبته عن عيني برحة ، فسمعت قائلا يقول : طوفوا بمحمد مشارق الأرض ومغاربها ، وأدخلوه البحار كلها ليعرف جميع الخلائق كلها باسمه

(١) انظر إسان العيون ١ : ٤٦ .

(٢) انظر الروض الأنف ١ : ١١١ — ١١٢ : والسيرة الحلبية ١ : ٥٦ .

(٣) انظر السيرة الحلبية ١ : ٥٦ .

(٤) في الأصل : « عثمان بن العاص » ، والمثبت عن عيون الأثر ١ : ٢٧ ، والسيرة الحلبية

١ : ٥٨ ، وشرح المواهب ١ : ١١٦ .

(٥) في صحة هذا الحديث كلام لم . انظره في إسان العيون ١ : ٥٨ .

(٦) في السيرة الحلبية ١ : ٥٤ : والزرقاتي ١ : ١١٢ : « ساجد قد زفع أصبعيه كالمترعرع » .

وصفته ، ويعرفوا بركته ، إنه حبيب لي ، لا يبقى شيء من الشرك إلا ذهب به .
 (١) قالت : ثم انجلت عني في أسرع من طرفة عين ، فإذا أنا به مُدرَجٌ في ثوب أبيض
 أشدَّ بياضا من اللبن ، وتحتَه حريرة خضراء قد قبض على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ
 الرطب الأبيض ، وإذا قائل يقول : قد قبض محمد صلى الله عليه وسلم مفاتيح
 النُصرة ، ومفاتيح الدنيا ، ومفاتيح النبوة .

وذكر الخطيب أيضا عنها في شأن المولد : قالت : رأيت صحابة أعظم من
 الأولى ولها نور ، أسمع فيها صهيل الخيل ، وخفقان الأجنحة ، وكلام الرجال ، حتى
 غَشِيَتْهُ ، قالت : وغِيبَتْ عني وجهه أطول وأكثر من المرة الأولى ، فسمعتُ منادياً
 ينادي : طوفوا بحمد جميع الأرضين ، وعلى مآلِد النبيين ، واعرضوه على كل روحاني
 من الجن ، والإنس ، والملائكة ، والطير ، والوحوش ، وأعطوه خلق آدم ، ومعرفة
 شيث ، وشجاعة نوح ، وخُلة إبراهيم ،^(٢) ولسان إسماعيل ، ورضا إسحاق
 وفصاحة صالح ، وحكمة لوط ، وبُشرى يعقوب ، وجمال يوسف ، وشدة موسى
 وطاعة يونس ، وجهاد يوشع ، وصوت داود ، وحُب دانيال ، ووقار إلياس
 وعصمة يحيى ، وزُهد عيسى ، وأغمسوه في جميع أخلاق النبيين عليه وعليهم السلام .
 ثم انجلت عني في أسرع من طرفة العين ، فإذا به قد قبض على حريرة خضراء
 (٣)

(١) في الأصل : « قال » . (٢) في شرح الزرقاني ١ : ١١٣ : « ... رأيت صحابة عظيمة

لها نور » . (٣) تريد الملائكة المتشككين بصفة الرجال . وانظر الزرقاني ١ : ١١٣ .

(٤) في الزرقاني ١ : ١١٣ : « وغيب عني فسمعت مناديا » .

(٥) في الأصل : « وحكمة إبراهيم » تصحيف : والتصويب عن الزرقاني ١ : ١١٣ ، والإشارة

إلى الآية : « واتخذ الله إبراهيم خليلاً » .

(٦) في الزرقاني ١ : ١١٤ : « في أخلاق النبيين » .

(٧) رواية الزرقاني ١ : ١١٤ : « قالت ، ثم انجل عني فإذا به » .

مطوية طيباً شديداً، ينبع من تلك الحرية ماءً معيناً^(١)، وإذا قائل يقول: ينجح ! قبض محمد صلى الله عليه وسلم على الدنيا كلها، لم يبق خلق كثير من أهلها إلا دخل في قبضته طائفاً بإذن الله . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن أبيه ، قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مخنونا مسرورا^(٢) ، وأعجب ذلك عند المطالب ، وحظي عنده ، فقال : ليكونن لأبي هذا شأن .

وفي رواية : لما ولدت أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أرسلت إلى جده عبد المطالب ، فجاء البشير وهو جالس في الحجر مع ولده ورجال من قومه ، فأخبره أن أمة ولدت غلاماً ، فسر بذلك ، وقام هو ومن معه ، فدخل عليها ، فأخبرته بكل ما رأت ، وما قيل لها فيه ، وما أمرت أن تسميه . قال : فأخذه عبد المطالب فأدخله الكعبة ، وقام عندها يدعو الله ، ويشكر ما أعطاه . قال الواقدي : وأخبرت أن عبد المطالب قال يومئذ :

الحمد لله الذي أعطاني * هذا الغلام الطيب الأردان

قد ساد في المهدي على الغلمان * أعيدته بالبيت ذي الأركان

حتى أراه بالغ البيان * أعيدته من شر ذي شأن

* من حاسد مضطرب العنان *

وقال القرطبي : وقال أبو طالب : كنت تلك الليلة التي ولد فيها محمد في الكعبة أصليح فيها ما تهتم منها ، فلما انتصف الليل ، إذا أنا بالبيت الحرام قد مال يحوانبه

(١) في شرح المواهب ١ : ١١٤ : « وإذا قائل » .

(٢) رواية الزرقاني ١ : ١١٤ : « ثم يبق خلق من أهلها إلا » .

(٣) أي مقطوع السرة . عن الزرقاني ٢ : ١٢٤ .

الأربعة ، نغز ساجدا في مقام إبراهيم عليه السلام ، كالرجل الساجد ، ثم أسنوى قائما ، وأنا أسمع له تكبيرا عجيبا ينادى : الله أكبر ! الله ربُّ محمد المصطفى ! الآن طهرني ربّي من أنجاس المشركين ، وحمية الجاهلية ! ونظرت إلى الأصنام كلها تنقيض كما ينتفض الثوب ، ونظرت إلى الصنم الأعظم « هُبَل » قد انكب في الحجر ، وسمعت متناديا ينادى : ألا إن آمنة قد ولدت محمدا ! وقد سكبت عليها سحاب الرحمة ، هذا طست الفردوس قد انزل ليغسل فيه الثانية .

٢٣
١٤

وعن حسان بن ثابت الأنصاري^(١) ، قال : والله إنى لَغلامٍ يَفْعَةُ ابن سبع سنين أو ثمان ، أعقل كل ما سمعت ، إذ سمعت يهوديا يصرخ على أطمه يثرب : يا معشر يهود ! حتى إذا اجتمعوا إليه ، قالوا له : ويلك ! مالك ؟ قال : طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به .

ذكر أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكناه

وأسماءه صلى الله عليه وسلم كثيرة ، منها ما جاء بنص القرآن ، ومنها ما نقل إلينا من الكتب السالفة والصحف المتزلة ، ومنها ما جاء في الأحاديث الصحيحة ومنها ما اشتهر على السنة الأئمة من الأئمة رضوان الله عليهم .

روى عن جبير بن مطعم^(٢) ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لي خمسة

(١) رواه البيهقي وأبو نعيم . وانظر الزرقاني ١ : ١٢٠ .

(٢) الأطمه : الحصن ، أنت على معنى البقعة .

(٣) في شرح المواهب ١ : ١٢٠ : « طلع نجم أحمد الذي ولد به في هذه الليلة » .

(٤) انظر شرح المواهب ٣ : ١١٥ .

(٥) هي رواية مالك في الموطأ ، والبخاري عن طريقه ، وفي رواية الأكثرية : « إن لي خمسة

أسماء . » وانظر الزرقاني ٣ : ١١٥ .

أسماء : أنا مجد ، وأنا أحمد ، وأنا الماسح الذي يحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يُحشّر الناس على قَدَمي ^(١) ، وأنا العاقب . قيل لأنه عَقَبَ غيره من الأنبياء . وروى عنه عليه السلام : « لي عشرة أسماء » ، فذكر الخمسة هذه ، قال : « وأنا رسول الرحمة ، ورسول الراحة ، ورسول الملاحم ، وأنا المقفّي ؛ قَفَّيت النبيّن ، وأنا قَمِّمٌ » .

قال القاضي عياض : والقَسَمُ : الجامع الكامل ، قال : كذا وجدته ولم أروه وأرى صوابه : قُتِمَ بالثاء ^(٣) ، وروى النقاش عنه عليه [الصلاة] والسلام ^(٤) « لي في القرآن سبعة أسماء : مجد ، وأحمد ، ويس ، وطه ، والمدثر ، والمزمل ، وعبدُ الله » . وفي حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : أنه كان عليه السلام يسمّي لنا نفسه أسماء ؛ فيقول : أنا مجد ، وأحمد ، والمقفّي ، والحاشر ، ونبيّ التوبة ونبيّ الملحمّة ، ويروى المرّحمة ، والرحمة ؛ ومعنى المقفّي : معنى العاقب .

وقد جاءت من ألقابه وأسمائه صلى الله عليه وسلم في القرآن عدّة كثيرة سوى ما ذكرناه ، منها النور ؛ لقوله تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ ، والسراج المنير ، والشاهد ، والمبشّر والنذير ، وداعى الله ؛ قال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾

(١) روى « قديمي » بكسر الميم ، وفتحها على الثانية ، ومعناه على الروايتين : يحشرون بعد الزمان الذي بعث فيه ؛ وفي رواية : يحشرون على عقبي . وانظر الزرقاني ٣ : ١١٦ .

(٢) في شرح المواهب ٣ : ١٤١ : أن « القيم » اسم آخر غير « قثم » ، ورد في كتب الأحاديث .

(٣) فسر الزرقاني ٣ : ١٢٠ نقلا عن القاضي عياض بأنه الجامع للخير ، أو الجواد .

(٤) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد المرصلي المتوفى سنة ٣٥١ . مترك الحديث .

وانظر الزرقاني ٣ : ١١٨ .

(٥) عن شرح المواهب ٣ : ١١٨ ، حيث يروى هذا الحديث .

والبشير لقوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، والمنذر لقوله : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مِّنْ
يَحْشَاهَا ﴾ ، والمذكر لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾ ، والشهيد لقوله :
﴿ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ ، والخبير لقوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾
قال القاضي بكر بن العلاء : ^(١) المأمور بالسؤال غير النبي صلى الله عليه وسلم ، والمستول
الخبير هو النبي صلى الله عليه وسلم ؛ والحق المبين لقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ
الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴾ ، وقوله : ﴿ قَدْ
جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ ، وقوله : ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾ ، قيل : مجد
وقيل : القرآن ، والرؤوف الرحيم ؛ لقوله تعالى : ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ،
والكريم ، والمكين ، والأمين ؛ لقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ
ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٌ ﴾ ، والرسول ، والنبي الأئمة ؛ لقوله : ﴿ الَّذِينَ
يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴾ ، والولي ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ ،
والفاتح ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم ، في حديث الإسراء عن ربه تعالى : « وجعلتك
فاتحًا وخاتمًا » ، وفيه من قول النبي صلى الله عليه وسلم فاتحًا وخاتمًا ، وقدم
الصدق ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ ؛ قال
قتادة والحسن وزيد بن أسلم : قدمُ صدق هو محمد صلى الله عليه وسلم ؛ والعروة
الوثقى قيل : مجد ، وقيل : القرآن ؛ والهادي ، لقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

(١) هو بكر بن محمد بن العلاء بن زياد القشيري أبو الفضل البصري ثم المصري المتوفى سنة ٣٤٤ هـ .

ذكر ما جاء في تسميته صلى الله عليه وسلم محمداً وأحمد
ومن تسمى بمحمد قبله صلى الله عليه وسلم من العرب ، واشتقاق ذلك
أما اشتقاق هذه التسمية ، فمحمداً أممٌ علمٌ ، وهو منقول من صفة من قولهم :
رجلٌ محمدٌ ؛ وهو الكثير الخصال المحمودة ؛ والمحمد في لغة العرب : هو الذي
يُحمد محمداً بعد حمد مرةً بعد مرة . قال السهيلي ^(١) : « لم يكن محمد حتى كان أحمد
حمد ربه فنبأه وشرّفه ؛ فلذلك تقدّم اسم أحمد على [الاسم الذي هو] محمد ^(٢)
فذكره عيسى عليه السلام باسمه أحمد » .

وهو صلى الله عليه وسلم أول من سُمّي بأحمد ، ولم يُسم به أحد قبله من سائر
الناس ؛ وفي هذا حكمة عظيمة باهرة ؛ لأن عيسى عليه السلام قال : ﴿ وَبَشِّرَا
رَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَيْنَيْ أَصْنَمِهِ أَحْمَدٌ ﴾ ، فمنع الله تعالى بحكمته أن يُسمّى أحدٌ به
ولا يدعى به مدعو قبله ، حتى لا يتدخل لبس على ضعيف القلب .

وأما محمد ، فإن الله تعالى حمى أن يُسمّى به أحدٌ من العرب ، ولا من غيرهم
إلى أن شاع قبل وجوده وميلاده صلى الله عليه وسلم : أن نبيّاً يُبعث اسمه محمد
قد قرب إبان مولده ، فسَمّى قوم من العرب أبناءهم . ^(٣)

قال أبو جعفر محمد بن حبيب : وهم ستة لاسابع لهم : محمد بن سفيان بن مجاشع
جده الفرزدق الشاعر ، وهو أول من سُمّي محمداً ، ومحمد بن أحبة بن الجلاح ^(٤)
^(٥)

(١) في الروض الأنف ١ : ١٠٦ . (٢) عن السهيلي ١ : ١٠٦ . (٣) هذا قول
للقاضي عياض ، نقله عنه البغدادى في الخزانة ٢ : ٢٤ . (٤) انظر المحبر ص ١٣٠ .

(٥) في خزانة الأدب للبغدادى ٢ : ٢٤ : « وذكر عبدان المروزي أن محمد بن أحبة بن الجلاح
أول من سمى محمداً في الجاهلية » . (٦) ذكر البلاذرى منهم : محمد بن عقبة بن أحبة . وهو محمد
ابن أحبة ، ينسب إلى أبيه مرة ، وإلى جده مرة أخرى . انظر الخزانة ٢ : ٢٤ ، والمحبر ص ١٣٠ .

(١) الأوسى ، ومحمد بن حسان الجعفي ، ومحمد بن مسleme الأنصاري ، ومحمد بن براء
 البكري ، ومحمد بن نزع السلمي ، وذكر فيهم أيضا محمد بن اليعمدي من الأزدي
 واليمن تقول : إنه أول من تسمى بمحمد . وذكر أبو الخطاب بن دحية فيهم :
 محمد بن عتارة اللبي الكاني^(٢) ، ومحمد بن حرماز بن مالك التيمي المعمرى^(٤) . وقال
 أبو بكر بن فورك : « لا يعرف في العرب من تسمى قبله بمحمد سوى محمد بن
 سفيان ، ومحمد بن أحيحة ، ومحمد بن حران^(٥) ، وإن آباء هؤلاء الثلاثة وقَدُوا على
 بعض الملوك ، وكان عنده علم من الكتاب الأول ، فأخبرهم ، ببغث النبي صلى الله
 عليه وسلم وبأسمه ، وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملا ، فطمع في ذلك^(٧)
 فنذر كل واحد منهم إن ولد له ولد ذكر أن يُسَيِّيه محمدا . »

(١) يقول ابن حجر : إن محمد بن مسلمة ولد بعد ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فعنه من بين
 هؤلاء خطأ . وقال زين الدين العراقي : العبد صحيح من حيث إن النبوة لم تكن ظهرت بعد . وانظر
 خزنة الأدب ٢ : ٢٤ .

(٢) في المحبر ص ١٣٠ : « محمد بن بر بن عتارة » : وضبط البلاذري اسم أبيه فقال : محمد بن بر
 بتشديد الراء ليس بعدها ألف ابن طريف بن عتارة ، ويقال في نسبته العتواري . وقد غفل ابن دحية
 حيث عده فيهم محمد بن عتارة وهو هو ، نسب إلى جده الأعلى . انظر الخزنة ٢ : ٢٤ .

(٣) كذا في الخزنة ٢ : ٢٤ ، وفي المحبر ص ١٣٠ : « الحرماز بن مالك بن عمرو بن تميم » .

(٤) في الأصل : « التيمي » ؛ والتصويب من نص المحبر ص ١٣٠ .

(٥) في الخزنة ٢ : ٢٤ : « محمد بن حران بن أبي حران » واسمه ربيعة بن مالك الجعفي .

وفي الروض الأنف ١ : ١٠٦ : « محمد بن حران بن ربيعة » .

(٦) في الروض ١ : ١٠٦ نقلا عن ابن فورك : « وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وقَدُوا » .

(٧) في الروض الأنف ١ : ١٠٦ نقلا عن ابن فورك : « حاملا ، فنذر » .

وذكر ابن سعد فيهم: محمد الجُشمي^(١). وقال ابن الأثير: محمد بن عدي بن ربيعة بن سعد بن سواد بن جُشم بن مُعَدٍ؛ عدَّاه في أهل المدينة، وروى عبد الملك بن أبي سويد المقرئ عن جد أبيه خليفة، قال: سألت محمد بن عدي كيف سماك أبوك محمدا؟ فضحك، ثم قال: أخبرني أبي عدي بن ربيعة، قال: خرجت أنا وسفيان بن مجاشع، ويزيد بن ربيعة بن كنانة، بن حُرْقُوص ابن مازن، وأسامة بن مالك بن العنبر يزيد ابن جفنة، فلما قربنا منه نزلنا إلى شجرات وغدير، فأشرف علينا دبراني فقال: إني لأسمع لغة ليست لغة أهل هذه البلاد فقلنا: نعم! نحن من مُضَرَ، قال: أي المُضَرِّين؟ قلنا: خِندِف، فقال: إنه يُعَمِّشُ وشيكا نبي منكم، نخذلوا نصيبكم منه تسعدوا، قلنا ما اسمه؟ قال: محمد فأتينا ابن جفنة، فلما انصرفنا ولد لكل منا ابن فسماه محمدا.

وقال محمد بن سعد: «أخبرنا محمد بن علي، عن مسامة، عن علقمة، عن قتادة بن السَّكَن^(٢)، قال: كان في بني تميم محمد بن سفيان بن مجاشع، ومحمد الجُشمي في بني سواد، ومحمد الأسيدي^(٣)، ومحمد الفقيمي^(٤)، سموهم طمعا في النبوة؛ ثم حى الله تعالى كل من تسمى بمحمد أن يدعى النبوة، أو يدعها أحده، أو يظهر عليه سبب يُشكك أحدا في أمره، حتى تحقق ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم. والله أعلم بالصواب وإليه المرجع.

(١) أمد القامة ٤ : ٢٥٢ . (٢) في خزانة الأدب للبنداء ٢ : ٢٤ عن ابن سعد : «عداه في أهل الكوفة» . (٣) انظر خزانة الأدب ٢ : ٢٤ . (٤) في خزانة الأدب ٢ : ٢٤ : «يزيد بن عمرو بن ربيعة» . (٥) في الخزانة أيضا : «ابن مالك بن حبيب ابن العنبر» . (٦) في الخزانة ٢ : ٢٤ ، ٢٥ قلا عن ابن سعد : «ابن سعد عن علي بن محمد عن مسامة بن محارب عن قتادة» . (٧) في شرح المواهب ٣ : ١٦٠ : «محمد بن الأسيدي»، قال : «وهو بضم الهذزة وفتح السين المهملة وكسر التحتية الضليلة» . (٨) انظر شرح المواهب ٣ : ١٦٠

ومنها مَآذٍ مَآذٍ ؛ ومعناه طَيْبٌ طَيْبٌ ، وَحَمَاطِيَا ، وَالْحَاتِمَ وَالْحَاتِمَ ؛ حَكَاهُ
كُتُبُ الْأَحْبَارِ ، قَالَ : فَقُلْتُ فَالْحَاتِمَ الَّذِي خُتِمَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ ، وَالْحَاتِمَ أَحْسَنَ الْأَنْبِيَاءِ
خَلْقًا وَخَلْقًا ، وَيُسَمَّى بِالسَّرْيَانِيَةِ مُشْفَجٌ ^(٣) ، وَالْمُنَجِّمَاتُ ، وَاسْمُهُ أَيْضًا فِي التَّوْرَةِ : أَحِيدٌ ^(٥) ،
وَرَوَى ذَلِكَ عَنْ ابْنِ سِيرِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ .

ومن اسمائه ونعوته عليه السلام التي جرت على ألسنة أئمة الأمة

المصطفى ، والمجتبى ، والحبيب ، ورسول رب العالمين ، والشفيع المشفع
والمُتَّقِي ، والمُصْلِح ، والطاهر ، والمُهَيَّم ، والصادق ، والضَّحَّوك ، والقَتَّال ^(٦) ،
وسيد ولد آدم ، وسيد المرسلين ، وإمام المتقين ، وقائد الفِرِّ الْمُجَبِّلِينَ ، وحبيب الله
وخليل الرحمن ، وصاحب الخوض المورود ، واللواء المعقود ، والشفاعة والمقام
المحمود ، وصاحب الوسيلة والفضيلة ، والدرجة الرفيعة ، وصاحب التاج والمِعْرَاج
والقَضِيب ، وراكب البراق والناقة والتَّجِيب ، وصاحب الحجة والسلطان ، والخاتم
والعلامة والبرهان ، وصاحب الهراوة والنعلين . صلى الله عليه وسلم .

(١) بيم مفتوحة ، فألف غير مبهوزة ، فذال معجمة منونة ، ثم ميم فألف فذال معجمة . وانظر الزرقاني
٣ : ١٤٠ و ١٦٩ و ١٩٠ . (٢) بفتح الحاء وسكون الميم ، وطاء مهملة مخففة ، وألفين بينهما
تحتية . وفي شرح الشفاء للشمسي ؛ بفتح الحاء وفتح الميم . قال الهروي : معناه حامى الحرم . وانظر الزرقاني
٣ : ١٨٨ . (٣) بشين معجمة وفاء مشددة مفتوحة ، ثم حاء مهملة بوزن محمد ؛ ويرى بالفاء
بدل الفاء مفتوحة ومكسورة . انظر الزرقاني ٣ : ١٨٨ و ١٨٩ . (٤) بضم الميم الأولى وكسر
الثانية ، وقيل بفتحهما ، وسكون النون الأولى وفتح الحاء المهملة وتشديد النون الثانية بعد الألف ؛ ومعناه
كما في الزرقاني ٣ : ١٨٨ روح القدس . (٥) قيل : يهزء مضمومة ، وحاء مكسورة
فباء ساكنة بعدها ذال ، وقيل بفتح الهزء وسكون الحاء المهملة وفتح المثناة التحتية ، وقيل بفتح الهزء
وسكون الباء . وفي تهذيب الأسماء واللغات للنوي ١ : ٢٢ : « أن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : وإنما
سميت أحيد لأنني أحيد عن أمتي نار جهنم » ، وانظر الزرقاني ٣ : ١٨٨ .

(٦) قال ابن فارس : سمي به لحرصه على الجهاد ، ومسارفته إلى القتال . وانظر الزرقاني ٣ : ١٤٠ .

قالوا : ومعنى صاحب القضيبي : السيف ، وقع ذلك مفسراً في الإنجيل ؛
قال : معه قضيبي من حديد يقاتل به ، وأتمته كذلك ؛ وأما الهراوة التي وصفت^(١)
بها ، فهي في اللغة العصا ، ولعلها القضيبي المشقوق الذي انتقل إلى الخلفاء ؛ وأما^(٢)
صاحب الناج ، فالمراد به الإمامة ، ولم تكن حينئذ إلا للعرب .

وكانت كنيته المشهورة أبا القاسم ، وعن أنيس أنه لما ولد له إبراهيم ، جاءه
جبريل فقال : السلام عليك يا أبا إبراهيم^(٣) .

ذكر مراضع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وإخوته من الرضاعة ، وما ظهر من معجزاته في زمن رضاعه
وحال طفولته صلى الله عليه وسلم

- ١٠ قال محمد بن عمر بن واقد الأسلمى : أول من أرضع رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٤) ثوبية ، وهي جارية أبي لهب ، أرضعته بلبن ابنها مسروح^(٥) أي ما قبل أن تقدم
حليمة السعدية ، وكانت قد أرضعت قبله عمه حمزة بن عبد المطلب ، وأرضعته
بعده أبا سلمة بن عبد الله بن عبد الأسد المخزومي ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلها وهو بمكة ، وكانت خديجة تكرمها وهي يومئذ مملوكة ، وطلبت إلى
أبي لهب أن يتباعها منه لتعتقها فأبى أبو لهب ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم^{١٥}
إلى المدينة أعتقها أبو لهب ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث إليها

(١) انظر شرح المواهب للزرقاني ٣ : ١٨٤ . (٢) انظر شرح المواهب ٣ : ٢٨٤ .

(٣) للرسول صلى الله عليه وسلم كنى أنس . انظرها في شرح المواهب ٣ : ١٥١ .

(٤) بضم المثلة وفتح الواو ، وسكون التحتية . توفيت سنة سبع من الهجرة . وفي إسلامها خلاف

مذكور في شرح المواهب ١ : ١٣٧ . (٥) بفتح الميم وسكون السين المهملة ، وذكر في السيرة

الحالية ١ : ٨٥ ، أنه بضم الميم أيضاً ، وانظر شرح المواهب ١ : ١٣٧ .

بصلة وكسوة ، حتى جاء خبرها أنها قد ماتت سنة سبع عند مَرِجعه من خيبر ، فقال :
ما فعل ابنها . سروح ؟ ف قيل : مات قبلها ولم يبق من قرابتها أحد .

ثم أرضعته حليلة بنت أبي ذؤيب ، وأبو ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شجنة^(١) ،
ابن جابر بن رزام بن ناصرة بن فصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن^(٢) ،
ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر^(٣) ، واسم أبيه
الذي أرضعته : الحارث بن عبد العزى بن رفاعه بن ملان بن ناصرة . ويقال^(٤)
هلال بن ناصرة بن فصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن^(٥) .

وإخوته من الرضاعة منها : عبد الله بن الحارث ، وأئيسة بنت الحارث ، وحذافة^(٦)
بنت الحارث وهي الشياء^(٧) ، وكانت الشياء تحضن رسول الله صلى الله عليه وسلم
مع أمها .

قال أبو عبد الله محمد بن إسحاق كانت حليلة بنت أبي ذؤيب تُحدث أنها خرجت^(٨)
من بلدها مع زوجها وابن لها تُرضعه في نسوة من بني سعد بن بكر تلمس الرضعاء

(١) شجنة ، بكسر الشين المعجمة بفتح ساكنة فتون مفتوحة للتأنيث ، ويروى « شجنة » بالسين المهملة .
وانظر شرح المواهب ١ : ١٤٤ . (٢) كذا في سيرة ابن هشام ١ : ١٦٩ ، وفي شرح المواهب ١ :
١٤٤ : « بن ناصر » . (٣) بضم الفاء ، وفتح الصاد بوزن « صمية » في ضبط ابن دريد ، وفتح الفاء
وكسر الصاد في ضبط ابن سيده . وانظر تاج العروس (فصى) . (٤) رواية ابن هشام ١ : ١٦٩ :
« بن قيس بن عيلان » . (٥) في سيرة ابن هشام ١ : ١٧٠ : « واسم أبيه الذي أرضعته
صلى الله عليه وسلم : الحارث » . (٦) كذا في سيرة ابن هشام ١ : ١٧٠ ، وفي الأصل :
« ملال » تصحيف . (٧) بضم الحاء المهملة ، وفتح الدال المعجمة بعدها ألف مد ، ثم فاء كما
في شرح السيرة لأبي ذر الخثني ١ : ٥٥ قلاع ابن عبد البر ، ويروى « جذامة » بالجيم ، و « خدامة »
بالخاء المعجمة . وانظر شرح المواهب ١ : ١٤٦ . (٨) بفتح الشين المعجمة وسكون التحتية
المتناة ، ويقال لها أيضا : الشياء . وانظر الزرقة ١ : ١٤٦ .

(٩) نقله ابن هشام في السيرة ١ : ١٧١ . وانظر شرح المواهب ١ : ١٤١ .

قال الواقدي : إنهن كنّ عشراء ، قالت : في سنة شهباء لم تُبق شيئا ، فخرجتُ على أتان^(١) .
 لي قراء معنا شارف لنا ، والله ما يُبصُّ بقطرة ، وما تنام لنا ليلتنا أجمع مع صبيتنا الذي^(٢) .
 معي من بكائه من الجوع ، ما في ثديي ما يغنيه ، وما في شارفنا ما يغذيه ، ولكنا نرجو^(٣) .
 الغيث والفرج ، فخرجتُ على أتانى تلك ، فلقد أذمتُ بالركب حتى شق ذلك عليهم^(٤) .
 ضعفا وعجفا حتى قدمنا مكة ، فما منا امرأة إلا وقد عُرض عليها رسول الله صلى الله^(٥) .
 عليه وسلم فتأباه إذا قيل لها إنه يتيم ، وذلك أنا كنا نرجو المعروف من أبي الصبي^(٦) ؟
 فكنا نقول : يتيم ، ما عسى أن تصنع أمه وجدته ؟ فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذتُ^(٧) .
 رضيعا غيري ، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي : والله إنى لأكره أن أرجع من بين^(٨) .
 صواحي ولم آخذ رضيعا ، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلاخذنه ، قال : لا عليك^(٩) .
 أن تفعل ، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة . قلنا : فذهبتُ إليه فأخذته ، وما حملني^(١٠) .
 على أخذه إلا أنى لم أجد غيره ، فلما أخذته رجعت به إلى رحلي ، فلما وضعته^(١١) .
 في حجرى ، أقبل عليه ثدياى بما شاء الله من لبن ، فشرب حتى روى ، وشرب معه

- (١) شهباء : ذات جذب وخط ، وانظر السيرة الحلبية ١ : ٨٩ . (٢) في سيرة ابن هشام ١ : ١٧١ : « لم تبق لنا شيئا » . (٣) أتان قراء : لونها بياض فيه كدرة ، وفي السيرة الحلبية ١ : ٨٩ : قراء : شديدة البياض . (٤) الشارف : الناقة المستة . (٥) ما تبص : ما ترشح بشئ . (٦) في السيرة لابن هشام ١ : ١٧١ ، وشرح المواهب ١ : ١٤٢ : « وما تنام لنا أجمع مع صبيتنا الذي معنا » . (٧) رواية ابن هشام ٢ : ١٧١ : « ولكنا كنا نرجو » . (٨) في السيرة الحلبية ١ : ٨٩ : أذمت بالركب أى جاءت بما تدم عليه ، وفي شرح السيرة للبخاري ١ : ٥٥ : « ومن رواه أذمت فعناه تأخرت بالركب أى تأخر الراكب بسببها » . (٩) العجف : الخزان . (١٠) رواية ابن هشام ١ : ١٧٢ : « إنا إنما كنا » . (١١) في شرح المواهب ١ : ١٤٢ : « صواحي ليس معي رضيع ، لأنطلقن إلى » . (١٢) في سيرة ابن هشام ١ : ١٧٢ ، وشرح المواهب ١ : ١٤٣ : « قالت » ، ولعل تذكر الفعل على إرادة معنى الشخص .

أخوه حتى روى، ثم ناما، وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك فإذا بها خافل، فحلب منها ما شرب وشربت، حتى انتهينا رياء وشبعاء، فبتنا بخير ليلة.

قالت : يقول صاحبي حين أصبحنا : تعلمي والله يا حليلة لقد أخذت نسمة مباركة، قالت : قلت والله إني لأرجو ذلك، قالت : ثم خرجنا فركبت أنا في وحملة عليها معي، فوالله لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حرهم، حتى إن صواحي ليقلن لي : ونحك يا بنت أبي ذؤيب [ويحك] ! اربعي علينا . أليست هذه أنا أنك التي كتبت خرجت عليها ؟ فأقول لهن : بلى والله ! إنها لمي هي ، فيقلن : والله إن لها لساناً . قالت : ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد ، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجذب منها ، فكانت غنمي تروح على حين قدمنا به معنا شباعاً لبناً ، فنحلب ونشرب ، وما يحلب إنسان قطرة لبن وما يجدها في ضرع حتى كان الحاضر من قومنا يقولون لرعيانهم : ويلكم ! اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب ، قالت : فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخيرة حتى مضت سنتاه وفصلته ، وكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان ، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جفراً ، قالت : قدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا لما كنا نرى من بركته ، فكلمنا أمه . وقلت لها : لو تركت بني عندى حتى يغلظ ، فلإني أخشى عليه وباء مكة ، قالت : فلم نزل به حتى ردته معنا فرجعنا به

- (١) في الأصل : « ما لا يقدر على شيء » ، والمثبت عن سيرة ابن هشام ١ : ١٧٣ .
 (٢) عن ابن هشام ١ : ١٧٣ . (٣) اربعي : انتظري . وفي السيرة الحلبية ١ : ٩٠ :
 اربعي : اعطني علينا بالرفق وعدم الشدة في السير . (٤) في السيرة لابن هشام ١ : ١٧٣ ،
 وشرح المواهب ١ : ١٤٥ : « ولا يجدها » . (٥) الحاضر : المقيم في المنزل ، وانظر السيرة
 الحلبية ١ : ٩٠ . (٦) الجفر : الشدبد الغليظ . (٧) في سيرة ابن هشام ١ : ١٧٣ :
 « قالت : فلم نزل بها » .

- فوالله إنه بعد مَقَدَمنا بأشهر مع أخيه لَقِيَ بِهِمْ^(١) لَنَا خَلْفَ بَيوتنا إِذْ أَنَا أَنَا أَخُوهُ
يَسْتَدُّ^(٢) فَقَالَ لِي وَلَا بِيَسِه : ذَاكَ أَخِي الْقُرَشِيُّ قَدْ أَخَذَهُ رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيْضُ
فَأُضْجِعَاهُ فَشَقَّا بَطْنَهُ ، فَهَمَا يَسُوطَانَهُ^(٣) ، قَالَتْ : نَخْرَجْتَ أَنَا وَأَبُوهُ نَحْوَهُ ، فَوَجَدْنَاهُ^(٤)
قَائِمًا مَتَّقًا وَجْهَهُ ، فَالْتَزَمْتُهُ وَالْتَزَمَهُ أَبُوهُ ، فَقُلْنَا : مَا لَكَ يَا بَنِي ؟ قَالَ :
جَاءَنِي رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيْضُ ، فَأُضْجِعَانِي فَشَقَّا بَطْنِي ، فَالْتَمَسَا فِيهِ شَيْئًا لَا أَدْرِي
مَا هُوَ ؟ قَالَتْ : فَرَجَعْنَا إِلَى خِيَابِنَا ، فَقَالَ لِي أَبُوهُ : يَا حَلِيمَةُ ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ
هَذَا الْغَلَامُ قَدْ أَصِيبَ ، فَالْحَقِيهِ بِأَهْلِهِ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ بِهِ ، قَالَتْ : فَاحْتَمَلْنَاهُ
فَقَدِمْنَا بِهِ عَلَى أُمِّهِ ، فَقَالَتْ : مَا أَقْدَمَكَ يَا ظُئْرُوقَ دَكْنِثٍ حَرِيصَةً عَلَيْهِ وَعَلَى مَكَثِهِ
عِنْدَكَ ؟ فَقُلْتُ : قَدْ بَلَغَ اللَّهُ يَا بَنِي ، وَقَضَيْتُ الَّذِي عَلَيَّ ، وَتَخَوَّفْتُ الْأَحْدَاثَ عَلَيْهِ ،
فَأَدْبَيْتُهُ عَلَيْكَ كَمَا تَحِبُّنَ ، قَالَتْ : مَا هَذَا شَأْنُكَ فَاصْدُقْنِي خَبْرَكَ ! فَلَمْ تَدْعُنِي حَتَّى
أَخْبَرْتَهَا ، قَالَتْ : أَتَخَوَّفْتُ عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ ؟ قُلْتُ نَعَمْ . قَالَتْ كَلَّا وَاللَّهِ ! مَا لِلشَّيْطَانِ
عَلَيْهِ مِنْ سَبِيلٍ ، وَإِنْ لُبْنَى لَشَأْنَا ، أَفَلَا أَخْبَرَكَ خَبْرَهُ ؟ قُلْتُ : بَلَى ! قَالَتْ : رَأَيْتَ
حِينَ حَمَلْتُ بِهِ أَنَّهُ خَرَجَ مِنِّي نَوْرٌ أَضَاءَ لَهُ قَصُورٌ بِصُرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ، ثُمَّ^(٥)
حَمَلْتُ بِهِ ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِنْ حَمَلٍ قَطُّ كَانَ أَخْفَ وَلَا أَيْسَرَ مِنْهُ ، وَوَقَعَ حِينَ وَلَدْتُهُ
وَإِنَّهُ لَوَاضِعٌ يَدَيْهِ بِالْأَرْضِ ، وَرَافِعٌ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، دَعَاكَ عَنْكَ وَأَنْتَ لَطِيفٌ رَاشِدٌ .
هَكَذَا نَقَلَ ابْنُ هِشَامٍ فِي سِيرَتِهِ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ .

- (١) إليهم: الصغار من أولاد الضأن . (٢) اشتد في عدوه: أسرع . (٣) في السيرة
الخلية ١ : ٩٣ : « يسوطانه : يدخلان يديهما في بطنه » ، وفي شرح الخشني ١ : ٥٦ : « يقال
سقط اللبن أو الدم أو غيرها أسوطه : إذا ضربت بعضه ببعض ، واسم العود الذي يضرب به السوط » .
(٤) في الأصل : « قال : نخرجت » ، والمثبت عن سيرة ابن هشام ١ : ١٧٤ .
(٥) انتفع لونه : تنيرت جلده وجهه من خوف أو مرض ، وذهب دمه . (٦) في سيرة ابن هشام
١ : ١٧٤ : « فأدبته إليك » . (٧) في الأصل : « أضاء له قصرى وبصرى من أرض الشام » ،
والمثبت عن شرح المواهب ١ : ١٥٠ ؛ وفي سيرة ابن هشام ١ : ١٧٤ : « أضاء لي قصور بصرى » .

وقال محمد بن سعد في كتابه المترجم بالطبقات عن الواقدي: كان عمره يوم شق بطنه أربع سنين، وإن حليمة أتت به أمه آمنة بنت وهب وأخبرتها خبره وقالت: إنا لا نرّده إلا على جدّ أعفنا، ثم رجعت به أيضا، فكان عندها سنة أو نحوها، لا تدّعه يذهب مكانا بعيدا، ثم رأت غمامة تظّله، إذا وقف وقفت، وإذا سار سارت، فأفزعها ذلك من أمره، فقدمت به إلى أمه لترّده وهو ابن خمس سنين، فأضلّها في الناس، فالتمسته فلم يجده، فأتت عبد المطلب فأخبرته، فالتمسه فلم يجده، فقام عند الكعبة فقال:

لَا هُمْ رُدُّ رَاكِبِي مُحَمَّدًا * أُرْدُّهُ رَبِّي وَأَصْطَنِعَ عِنْدِي يَدَا
أَنْتَ الَّذِي جَعَلْتَهُ لِي عَضُدًا * لَا يَبْعِدُ الدَّهْرُ بِهِ فَيَبْعِدَا
* أَنْتَ الَّذِي سَمَّيْتَهُ مُحَمَّدًا *

قال ابن اسحاق: يزعمون أنه وجدته ورقة بن نوفل بن أسد ورجل آخر من قريش، فأتيا به عبد المطلب، فقالا: هذا أبوك وجدناه بأعلى مكة، فأخذه عبد المطلب فجعله على عنقه وهو يطوف بالكعبة يعوّذه ويدعوه، ثم أرسل به إلى أمه آمنة. وعن خالد بن معدان الكلاعي: أن نفرا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا له: يا رسول الله! أخبرنا عن نفسك، قال: نعم. أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام، وأسترضعت في بني سعد بن بكر، فبينما أنا مع أخ لي خالف بيوتنا نرعى بهما لنا، إذ أتاني رجلان

(١) كذا في سيرة ابن هشام ١: ١٧٦، وانظر السيرة الحلبية ١: ٩٤.

(٢) نقله ابن هشام ١: ١٧٦. (٣) ترجمته في تهذيب التهذيب ٣: ١١٨. وقد روى

هذا الخبر ابن هشام في السيرة ١: ١٧٥. (٤) انظر عيون الأثر ١: ٣٥.

(١) عليهما ثياب بيض بطشت من ذهب مملوءة نلجا، فأخذاني فشقا بطني، ثم أخرجنا قلبي فشقا، فاستخرجنا منه علقة سوداء فطرحاها، ثم غسل بطني وقلبي بذلك النلج حتى أنقياه، ثم قال أحدهما لصاحبه : زنه بمشرة من أمته، فوزنني بهم فوزنتهم، ثم قال : زنه بمائة من أمته، فوزنني بهم فوزنتهم، ثم قال : زنه بالف من أمته، فوزنني بهم فوزنتهم، فقال : دعه عنك، فلو وزنته بأمته لوزنتها .

(٢) قال محمد بن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم أن مما هاج أمه السعدية على رده إلى أمه، مع ما ذكرت لأمه مما أخبرتها عنه، أن نفرا من الحبشة نصارى رأوه معها حين رجعت به بعد فطامه، فنظروا إليه وسالوها عنه وقلوبه ثم قالوا لها : لناخذن هذا الغلام فلنذهب به إلى ملكنا وبلدنا، فإن هذا غلام كائن له شأن نحن نعرف أمره، فلم نكد تنقلت به منهم .

مَعِينُ التَّارِخِ
لَأَهْلِ التَّارِخِ
(٣) ونقل محمد بن سعد : أن أمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم لما دفعته لحليمة السعدية قالت لها : احفظي أبنی، وأخبرتها بما رأت، فزبها اليهود فقالت : ألا تحذوني عن أبنی هذا؟ فإني حملته كذا، ووضعت كذا، ورأيت كذا، كما وصفت أمنة، فقال بعضهم لبعض : أقتلوه ! ثم قالوا : أيتيم هو؟ فقالت : لا . هذا أبوه وأنا أمه، فقالوا : لو كان يتيما لقتلناه، قالت : فذهبت به .

(٤) وحضنته صلى الله عليه وسلم أم أيمن [بركة] الحبشية حتى كبر، فأعتقها وزوجها زيد بن حارثة، فولدت له أسامة بن زيد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثها من أبيه . والله أعلم .

(١) كذا في عيون الأثر : ١ : ٣٥ ، وفي سيرة ابن هشام : ١ : ١٧٥ : « ثم أخذاني فشقا بطني واستخرجنا » . (٢) نقله ابن هشام في السيرة : ١ : ١٧٧ . (٣) الطبقات : ١ : ٧١ . (قسم أول) ، وانظر السيرة الحلبية : ١ : ٩٠ . (٤) في السيرة الحلبية : ١ : ٩٥ : « لها أمة » . (٥) في السيرة الحلبية : ١ : ٩٥ : « يتيما قتلناه » . (٦) عن السيرة الحلبية : ١ : ١٠٥ .

ذكر وفاة آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الواقدي وغيره من أهل العلم : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه
آمنة بنت وهب ، فلما بلغت سنه ست سنين خرجت به إلى أخواله بنى عدي بن
النجار بالمدينة تزورهم به ، ومعه أم أيمن تحضنه ، وهم على بعيرين ، فزلت به في دار
الناطقة ، فأقامت به عندهم شهرا ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر أمورا كانت
في مقامه ذلك لما نظر إلى أطم بن عدي بن النجار عرفه وقال : كنت ألاعب أُنيسة
جارية من الأنصار على هذا الأطم ، وكنت مع غلمان من أخوالي ، ونظر إلى الدار
فقال : ها هنا زلت بي أمي ، وفي هذه الدار قبر أبي عبد الله ، وأحسن العوم في بر
بنى عدي بن النجار ، وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون إليه ، فقالت أم أيمن :
فسمعت أحدهم يقول : هذا نبي هذه الأمة ، وهذه دار هجرته ، فوعيت ذلك
كله من كلامه ، ثم رجعت به إلى مكة ، فلما كانوا بالأبواء^(١) [توفيت آمنة بنت وهب
فقبرها هناك ، فرجعت به أم أيمن على البعيرين اللذين قدموا عليهما إلى مكة ، وكانت
تحضنه مع أمه ثم بعد أن ماتت ، فلما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم] في عمرة
الحديبية قال : « إن الله أذن لمحمد في زيارة قبر أمه » فأتاه صلى الله عليه وسلم فأصلحه
وبكى عنده ، وبكى المسلمون لبكائه ، فقبل له ، فقال : أدركتني رحمته فبكي .
والله الرحمن .

(١) في الأصل ، وطبقات ابن سعد : « الناطقة » بالنون ، وفي شرح المواهب للزرقاني ١ : ١٦٣ :

« الناطقة بوقفة فوحدة فهملة : رجل من بنى عدي بن النجار » .

(٢) في الزرقاني ١ : ١٤٦ : « ينظرون إلى » ، قالت أم » .

(٣) الأبواء بفتح الهمزة : موضع بين مكة والمدينة ، وهو إلى المدينة أقرب . معجم البلدان ١ : ٩٢ .

(٤) ما بين المربعين عن الزرقاني ١ : ١٦٤ ، وطبقات ابن سعد ١ : ١٧٧ (قسم أول) .

(٥) في السيرة الحلبية ١ : ١٠٥ : « قبل له في ذلك » .

ذكر كفالة عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال: ولما تُوِّفِّت أُمُّهُ آمَنَةُ قَبَضَهُ إِلَيْهِ جَدُّهُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَصَّيَّهُ إِلَيْهِ وَرَقَّ عَلَيْهِ رِقَّةٌ لَمْ يَرَقِّهَا عَلَى وَلَدِهِ، وَكَانَ يَقْرُبُهُ مِنْهُ وَيَدْنِيهِ، وَيَدْخُلُ عَلَيْهِ إِذَا خَلَا وَإِذَا نَامَ، وَيَجْلِسُ عَلَى فِرَاشِهِ، وَكَانَ يَوْضَعُ لِعَبْدِ الْمَطْلَبِ فِرَاشًا فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، فَكَانَ بَنُوهُ يَجْلِسُونَ حَوْلَ فِرَاشِهِ ذَلِكَ حَتَّى يُخْرِجَ إِلَيْهِ، لَا يَجْلِسُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ بَنِيهِ إِجْلَالًا لَهُ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِي وَهُوَ غَلَامٌ حَتَّى يَجْلِسَ عَلَيْهِ، فَيَأْخُذُهُ أَعْمَامُهُ لِيُؤَخِّرُوهُ عَنْهُ، فَيَقُولُ عَبْدُ الْمَطْلَبِ إِذَا رَأَى ذَلِكَ مِنْهُمْ: دَعُوا ابْنِي، فَوَاللَّهِ إِنَّ لَهُ لَشَأْنًا، ثُمَّ يُجْلِسُهُ مَعَهُ عَلَيْهِ، وَيَمْسَحُ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ، وَيُسِّرُهُ مَا يَرَاهُ يَصْنَعُ.

وقال قوم من بنى مُدَلِّجٌ لِعَبْدِ الْمَطْلَبِ: احْفَظْ بِهِ، فَإِنَّا لَمْ نَرَقْدًا أَشْبَهَ بِالْقَدَمِ الَّتِي فِي الْمَقَامِ مِنْهُ؛ فَقَالَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ لِأَبِي طَالِبٍ: اِسْمَعْ مَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ.

وسندكر إن شاء الله خبر سيف بن ذى يزن مع عبد المطلب، وما بَشَّرَهُ مِنْ أَمْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قالوا: وَكَانَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ لَا يَأْكُلُ طَعَامًا إِلَّا قَالَ: عَلَى يَابْنِي فَيُؤْتَى بِهِ إِلَيْهِ فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَمَانِي سِنِينَ، هَلَكَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ بْنُ هَاشِمٍ؛ وَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ أَوْصَى ابْنَهُ أَبَا طَالِبٍ بِحَفِظِهِ وَكَفَالَتِهِ؛ [وَكَانَتْ] (٢) وَفَاةُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ابْنِ هَاشِمٍ لَثْمَانٍ مُضَيْنٍ مِنْ عَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَجْجُونِ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ

(١) بنو مدج: قبيلة من بكتانة، وهم القافة العارفون بالآثار والعلامات، وانظر السيرة الحلبية

٢٧
١٤

ابن اثنتين وثمانين سنة ، وقيل ابن مائة وعشر سنين ^(١) حكاه السهيلي ^(٢) ؛ قال : « وهو أول من خَضِبَ بالسَّوَادِ مِنَ الْعَرَبِ » .

قال ابن قتيبة ^(٣) : إِنَّهُ كَبِرَ وَعَمِيَ ، وَكَانَ يَرْفَعُ مِنْ مَائِدَتِهِ لِلطَّيْرِ وَالْوَحُوشِ فِي رُءُوسِ الْجِبَالِ ، وَيُقَالُ لَهُ الْفَيَاضُ لِحُودِهِ ، وَمُطْعِمُ طَيْرِ السَّمَاءِ . قال ابن الأثير ^(٤) : « وهو أول من تَحَنَّنَ بِحِرَاءِ ، فَكَانَ إِذَا دَخَلَ شَهْرَ رَمَضَانَ صَبَّحَ حِرَاءً وَأَطْعَمَ الْمَسَاكِينَ » .
ومسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَتَذْكُرُ مَوْتَ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ ؟ قال : نعم .
أنا يومئذ ابن ثمانين سنين ، قالت أُمُّ أَيْمَنَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا يَوْمَئِذٍ يَبْكِي خَلْفَ سَرِيرِ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ .

قال : وَلَمَّا هَلَكَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ وَلَّى زَمْزَمَ وَالسَّقَايَةَ عَلَيْهَا بَعْدَهُ أَبْنَةُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مِنْ أَحَدِثِ إِخْوَتِهِ سَنًا ، فَلَمْ تَزَلْ إِلَيْهِ حَتَّى قَامَ الْإِسْلَامُ وَهُوَ بِيَدِهِ ، فَأَقْرَظَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَا مَضَى .

وعن عبد الله بن عباس وغيره ، قالوا : لَمَّا تَوَفَّى عَبْدُ الْمُطَّلَبِ قَبَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُمَهُ أَبُو طَالِبٍ ، قِيلَ بِوَصِيَّةٍ مِنْ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ ، فَأَحْبَبَهُ حُبًّا شَدِيدًا ، وَكَانَ لَا يَفَارِقُهُ ، وَكَانَ يُخَصِّمُهُ بِالطَّعَامِ ^(٥) ، وَكَانَ إِذَا أَكَلَ عِيَالُ أَبِي طَالِبٍ جَمِيعًا أَوْ فَرَادَى ^(٦) .

(١) في عمر عبد المطلب أقوال أخرى تجدها في السيرة الحلبية ١ : ١١٢ ، وشرح المواهب ١ : ١٨٩ .

(٢) الذي حكاه السهيلي ١ : ٥ ، ونقله عنه الزرقاني ١ : ١٨٩ : أنه عاش مائة وأربعين سنة .

فلعل هذا القول سقط من نص التويري .

(٣) في المعارف ص ٢٣

(٤) في الكامل ٢ : ٦

(٥) في السيرة الحلبية ١ : ١١٤ : « وكان يخصمه بأحسن الطعام » .

(٦) هو قول حكاه الواقدي . ونقله الزرقاني ١ : ١٨٩

لم يَشَبَعُوا^(١)، وإذا أكل معهم النبي صلى الله عليه وسلم شَبَعُوا؛ فكان إذا أراد أن يَفْذِيَهُمْ^(٢) قال: كما أتم حتى يَحْضُرَ ابْنِي؛ فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فباكل معهم؛ فَيُفْضِلُونَ من طعامهم، وإن لم يكن معهم لم يَشَبَعُوا، فيقول أبو طالب: إنك لمبارك؛ وكان الصبيان يُصْبِحُونَ رُفَصًا شُعْنًا، وَيُصْبِحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَهِنًا كَحِلَا^(٣).

ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشام مع عمه أبي طالب، وخبر بحيرا الراهب

قالوا: لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم آنتى عشرة سنة وعشرة أيام، خرج أبو طالب في رَكْبٍ تاجرا إلى الشام، فلما تميا للرجيل تعلق به رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فرَّق له أبو طالب وقال: والله لأُخْرِجَنَّ^(٤) به، ولا يفارقنِّي ولا أفارقه أبدا، فخرَّج به معه، فلما نزل الركب بُصِّرَ من أرض الشام، وبها راهب يُقال له بِحِيرًا في صَوْمَعَةٍ له، وكان إليه علم أهل البصرانية، ولم يزل في تلك الصَّومَعَةِ راهبٌ إليه يصير علمهم عن كتاب فيها يتوارثونه كابرًا عن كابر، فلما نزلوا ذلك العام يَحِيرًا وكانوا كثيرا ما يَمْرُونَ به قبل ذلك، وهو لا يكلمهم، فصنع لهم طعاما كثيرا، وذلك أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو في صومعته، في الركب حين أقبلوا، وغمامة تَظْلُهُ من بين القوم،

(١) ذلك لأن أبا طالب كان مقلدا من المال. انظر السيرة الحلبية ١: ١١٤.

(٢) في السيرة الحلبية ١: ١١٤: «... أن يَفْذِيَهُمْ أُرَيْمِشِيم يقول لهم».

(٣) في النهاية لابن الأثير ٣: ١٧١: «يُصْبِحُونَ غَمَصًا رُفَصًا، ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم

مقيلا، دُهِنًا كَحِلَا». وانظر الزرقاني ١: ١٨٩.

(٤) انظر السيرة الحلبية ١: ١١٤.

(٥) في السيرة الحلبية ١: ١١٨: «حتى كان ذلك العام صنع لهم».

فلما نزلوا في ظل شجرة قريبا منه ، نظر إلى الغمامة وقد أظلت الشجرة ، وتهصرت^(١)
 أغصانها على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها ، فلما رأى بَحيرا ذلك^(٢)
 نزل من صومعته ، وقد أمر بذلك الطعام فصنع ، ثم أرسل إلى القوم فقال : إني
 قد صنعتُ لكم طعاما يا معشر قريش ، فإنا أحب أن^(٣) نتحضرُوا كلكم ؛ صغيركم
 وكبيركم ، وعبدكم وحرّمكم ؛ فقال له رجل منهم : يا بَحيرا إن لك لسانا اليوم : قال
 له بَحيرا : صدقت ، قد كان ما تقول فاجتمعوا إليه ، وتخلف رسولُ الله صلى الله
 عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنّته في رحال القوم تحت الشجرة ، فلما نظر
 بَحيرا في القوم لم ير الصّفة التي يعرف ، فقال : يا معشر قريش لا يتخلف منكم
 أحد عن طعامي ، قالوا : ما تخلف عنك أحد ينبغي أن يأتيك إلا غلام ، وهو
 أحدث القوم سنّا تخلف في رحالهم ، قال : لا تفعلوا أدعوه فليحضر ، فقال رجل من
 قريش : والآلات والعزى إن كان للؤمّا بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن
 طعام من بيننا ، ثم قام فاحتضنه وأجلسه مع القوم ، فلما رآه بَحيرا جعل يلحظه لحظا
 شديدا وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يحدها عنده من صفته ، حتى إذا فرغ
 القوم من طعامهم وتفرّقوا قام إليه بَحيرا فقال له : يا غلام ، أسألك بحق الآلات
 والعزى إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه ، فقال : لا تسألني بهما ! فوالله ما أبغضت
 شيئا قط بغيرهما ، فقال له : فإِنَّ الله إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه ! فقال : سلني

(١) تهصرت : تهدلت عليه .

(٢) في السيرة الحلبية ١ : ١١٨ : « وكان صلى الله عليه وسلم وجدهم قد سبقوه إلى في الشجرة ،

فلما جلس مال في الشجرة عليه » .

(٣) في السيرة الحلبية ١ : ١١٨ : « ... قريش ، وأحب أن تحضروا » .

(٤) في السيرة الحلبية ١ : ١١٩ : « ثم قام إليه فاحتضنه » ، وفي شرح المواهب ١ : ١٩٥ :

« فقال رجل من قريش ... ثم قام الحارث بن عبد المطلب فأقنى به » .

٥

١٠

١٥

٢٠

عما بدا لك، فجعل يسأله عن أشياء من حاله في نومه، وهيبته، وأموره، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يُخبره، فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته، ثم نظر إلى خاتم النبوة بين كتفيه، وكان مثل أثر المحجم، فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني؟ قال له بحيرا: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً، قال: فإنه ابن أخي، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حُبلى به، قال: صدقت أرجع بابن أخيك إلى بلده فاحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت، لَيَبَغْنَ شراً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسيرغ به إلى بلاده، فخرج أبو طالب سريعا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام.

- ١٠ رَوَى أَن زُرَيْرًا وَمَسَامَا وَدَرِيَسَا، وَهَم نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، قَدْ كَانُوا رَأَوْا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ مَا رَأَى بِحِيرًا فِي ذَلِكَ السَّفَرِ الَّذِي كَانَ فِيهِ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، فَأَرَادُوهُ، فَزَدَهُمْ عَنْهُ بِحِيرًا، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ وَمَا يَجِدُونَ فِي الْكِتَابِ مِنْ ذِكْرِهِ وَصِفَتِهِ، وَأَنَّهُمْ إِنْ أَجْمَعُوا لَمْ أُرَادُوا بِهِ لَا يَخْلُصُوا إِلَيْهِ، فَعَرَّفَهُمْ مَا قَالَ لَهُمْ فَتَرَكُوهُ وَأَنْصَرَفُوا عَنْهُ؛ قُل: فَشَبَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْنُؤُهُ اللَّهُ وَيَحْفَظُهُ وَيَحْوَطُهُ لِمَا يَرِيدُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ وَأَصْطَفَائِهِ إِيَّاهُ خَيْرُ الْحَافِظِينَ. وَاللَّهُ الْمَعِينُ.
- ١٥

(١) في شرح المراهب ١: ١٩٦: «عن أشياء من حاله ونومه... الخ».

(٢) هذه رواية ابن هشام ١: ١٩٣ أيضاً، وفي السيرة الحلبية ١: ١١٩: «ما هو ابنك».

(٣) في عيون الأثر ١: ٤٢، والسيرة الحلبية ١: ١١٩: «إلى بلاده، واحذر».

(٤) كذلك في عيون الأثر ١: ٤٢. وفي السيرة الحلبية ١: ١١٩: «وأرادوا به سوا فردم».

عنه بحيرا».

(٥) في السيرة الحلبية ١: ١١٩: «يخلصوا إليه، فمنذ ذلك تركوه وأنصرفوا عنه»، وفي سيرة

ابن هشام ١: ١٩٤: «ولم يزل بهم حتى عرفوا ما قال لهم، وصدقوا بما قال فتركوه».

ذَكَرُ رَعِيَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْغَنَمَ ^(١)

عن عبد الله بن عُمر رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من نبي إلا قد رَعَى الغنم ، قالوا : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا . وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما بعث الله نبيا إلا راعى غنم " ، قال له أصحابه : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا ، رعيتهما لأهل مكة بالقراريط .

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، قال : مرروا على النبي صلى الله عليه وسلم بثمر الأراك فقال : عليكم بما أسود منه ، فإني كنت إذا راعى الغنم ، قالوا : يا رسول الله ، رعيتهما ؟ قال : نعم . وما من نبي إلا قد رعاها . ^(٢)

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه نحوه .

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام ^(٣) : ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة ، وقيل ابن عشرين ، هاجت حرب الفجار ، فشهد بها صلى الله عليه وسلم ، وكان يُنَبِّلُ على أعمامه أى يرد عليهم النبيل ^(٤) .

(١) رعيته : بفتح الراء بمعنى رعيه ، وانظر السيرة الحلبية ١ : ١٢٥ .

(٢) فى معنى « القراريط » فى هذا الحديث خلاف ؛ قيل : هى أجزاء من الدراهم والدنانير ؛ قال سويد بن سعيد : يعنى كل شاة بقيراط ؛ وقيل : القراريط موضع بمكة ، ولم يقصد فى الحديث القراريط من الذهب والفضة ؛ لأن العرب لم تكن تعرف القراريط بهذا المعنى . وانظر السيرة الحلبية ١ : ١٢٦ . (٣) السيرة ١ : ١٩٥ .

(٤) قال ابن هشام ١ : ١٩٨ ، قلا عن ابن إسحاق : « وإنما سمي يوم الفجار بما استحل هذان الحيان ، كناية وقيس عيلان ، فيه من المحارم » .

(٥) فى سيرة ابن هشام ١ : ١٩٨ : « ... كنت أنبيل على أعمامى : أى أرد عليهم نبيل عدوهم إذا رموهم بها » .

وقد تقدّم ذكر حرب الفجار في وقائع العرب ، وذلك في الباب الخامس من القسم الرابع من الفن الخامس من كتابنا هذا ؛ وهو في السفر الثالث عشر من هذه النسخة والله الموفق للصواب وإليه المرجع .

ذكر حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم حلف الفضول

- ٥ قال محمد بن عمر بن واقد [بسند] يرفعه إلى حكيم بن حزام : كان حلف الفضول منصرف فريش من حرب الفجار ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ابن عشرين سنة ، وكان الفجار في شوال ، وهذا الحلف في ذي القعدة ، وكان أشرف حليف كان قط ، وأول من دعا إليه الزبير بن عبد المطلب ، فأجتمعت بنو هاشم وزهرة ، وبنو أسد بن عبد العزى وبنو تيم في دار عبد الله بن جُدعان ، فصنع لهم طعاما ، فتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكون مع المظلوم حتى يؤدي إليه حقه " ما بل بجر صوفة " ، فسَمَّت قريش ذلك الحلف حلف الفضول .

(٢) وقال ابن هشام : تعاقدوا وتعاهدوا على ألا يحدوا بمكة مظلوما من أهلها ، وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه ؛ وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته .

- ١٥ وعن جُبَيْر بن مُطِيع ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أحبُّ أن لي بحليف حضرته في دار ابن جُدعان حمر النعم وأني أغدربه ؛ هاشم وزهرة وتيم تعاقدوا أن يكونوا مع المظلوم " ما بل بجر صوفة " ، ولو دُعيت به لأجبت ، وهو حلف الفضول .

(١) انظر السيرة الحلبية ١ : ١٢٩ (٢) السيرة ١ : ١٢١

(٣) أي أني لا أحب الغدربه وإن أعطيت حمر النعم في ذلك .

(٤) يعني لو قال فأنزل من المظلومين في الإسلام : يال حلف الفضول لأجبت .

قال الواقدي : ولا نعلم أحدا سبق بنى هاشم بهذا الحلف . وحكى أبو الفرج
 الأصفهاني^(١) في سبب تسمية هذا الحلف حلف الفضول : أن قوما من قريش قالوا
 في هذا الحلف : هذا والله فضل من الحلف ، فسمى حلف الفضول ؛ قال :
 وقال آخرون : تحالفوا على مثل حلف تحالف عليه قوم من جرهم^(٢) في هذا الأمر
 لا يقرون ظُلما بظن مكة إلا غيروه ؛ وأسماءهم : الفضل بن شراة ، والفضل بن
 قضاة ، والفضل بن سماعة .

وروى أيضا بسنده إلى أبي إسحاق بن الفضل قال : إنما سُمِّيَ قريش هذا
 الحلف حلف الفضول لأن نفرا من جرهم يقال لهم الفضل والفضال والفضيل تحالفوا
 على مثل ما تحالف عليه قريش ، قال : وقال الواقدي : والصحيح أن قوما من
 جرهم يقال لهم فضل وفضالة وفضل ومفضل تحالفوا على مثل هذا فلما تحالفت
 قريش بهذا الحلف سَمَّوه بذلك . والله الموفق للصواب .

ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشام

المرة الثانية في التجارة وحديث نسطور

قال : ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم نحسا وعشرين سنة قال له عمه
 أبو طالب : أنا رجل لا مال لي ، وقد أشتد الزمان علينا ، وهذه غير قومك قد

(١) الأغاني ١٦ : ٦٥

(٢) في السيرة الحلبية ١ : ١٣١ : « هم ثلاثة من جرهم كل واحد منهم يقال له الفضل ، وهم الفضل
 ابن فضالة ، والفضل بن وداعة ، والفضل بن الحارث » .

(٣) في الأغاني ١٦ : ٦٥ : « الأمر أن لا يقروا » .

(٤) الأغاني ١٦ : ٦٧

(٥) الأغاني ١٦ : ٧٠

(٦) في الأغاني ١٦ : ٧٠ : « على مثل هذا في أيامهم ، فلما » .

حَضَرَ خُرُوجَهَا إِلَى الشَّامِ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ تَبَعَتْ رِجَالَ مَنْ قَوْمُكَ فِي صِيَرَاتِهَا،^(١)
فَلَوْ جِئْتَهَا فَعَرَضْتَ نَفْسَكَ عَلَيْهَا لَأَسْرَعَتْ إِلَيْكَ؛ وَبَلَغَ خَدِيجَةُ ذَلِكَ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ
تَقُولُ: أَنَا أَعْطَيْكَ ضِعْفَ مَا أُعْطِيَ رِجَالُ مَنْ قَوْمُكَ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: هَذَا رِزْقُ
سَاقَةِ اللَّهِ إِلَيْكَ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ مَيْسِرَةُ غُلَامٍ خَدِيجَةٍ، وَجَعَلَ
مُحْمَدٌ يُوَصُّونَ بِهِ أَهْلَ الْعِيرِ، فَسَارُوا حَتَّى قَدِمُوا بَصْرَى، فَتَزَلَّ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ، فَقَالَ
تَسْطُورًا الرَّاهِبُ^(٢): مَا نَزَلَ تَحْتَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ قَطُّ إِلَّا نَبِيٌّ. ثُمَّ سَأَلَ مَيْسِرَةَ عَنْ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَفِي عَيْنَيْهِ حُمْرَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ لَا تَفَارِقُهُ؛^(٣)
قَالَ: هُوَ نَبِيٌّ، وَهُوَ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ؛ ثُمَّ بَاعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِلْعَةً^(٤)
فَوْقَ بَيْنِهِ وَبَيْنَ رَجُلٍ تَلَاحُجٍّ، فَقَالَ لَهُ: أَحْلَفُ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا حَلَفْتُ بِهِمَا قَطُّ، وَإِنِّي لَأَمْرٌ فَأَعْرِضْ عَنْهُمَا، فَقَالَ الرَّجُلُ
الْقَوْلُ قَوْلُكَ، ثُمَّ قَالَ لِمَيْسِرَةَ: هَذَا وَاللَّهِ نَبِيٌّ تَجِدُهُ أَجْبَارًا مَنَعُوتًا فِي كُتُبِهِمْ؛ وَكَانَ
مَيْسِرَةَ إِذَا كَانَتْ الْحَاجِرَةُ وَاشْتَدَّ الْحَزَنُ يَرَى مَا لَيْكِنَ يُظَلِّلَانِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مِنَ الشَّمْسِ، فَوَعَى ذَلِكَ كُلَّهُ، وَبَاعُوا تِجَارَتَهُمْ، وَرَبِحُوا ضِعْفَ مَا كَانُوا يَرْبِحُونَ؛
فَلَمَّا رَجَعُوا وَكَانُوا بِمَرِّ الظُّهْرَانِ قَالَ مَيْسِرَةُ: يَا مُحَمَّدُ! انْطَلِقْ إِلَى خَدِيجَةٍ فَأَخْبِرْهَا^(٥)

(١) جمع الجمع لعير.

(٢) بضم الموحدة: مدينة حوران فاحت صلحا سنة ١٣ هـ، وهي أول مدينة فاحت بالشام.

انظر الزرقاني ١: ١٩٤.

(٣) ففتح النون وسكون السين وضم الطاء وألف مقصورة. عن الزرقاني ١: ١٩٨.

(٤) كانت هذه الحرة في بياض عينه، وهي الشككة، وجاء في وصفه أنه كان أشكل العينين.

(٥) رواية الزرقاني ١: ١٩٩، والسيرة الحلبية ١: ١٣٣: «هو هو»، وهو آخر الأنبياء.

(٦) في السيرة الحلبية ١: ١٣٤: «ثم قال الرجل لميسرة».

(٧) مر الظهران: واد بين مكة وعسفان، وهو الذي تسميه العامة بطن مرو، وهو المعروف الآن

بوادى فاطمة. عن السيرة الحلبية ١: ١٣٥.

بما صنع الله على وجهك^(١)، فإنها تعرف [لك]^(٢) ذلك، فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل مكة في ساعة الظهيرة وخديجة^(٣) في طية لها، فرأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بعيره، ومآكان يظللان عليه^(٤)، فأرته نساءها، فعجن لذلك، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها فغبرها بما رجحوا في وجههم ذلك، فسترت به^(٥)، فلما دخل مبصرة عليها أخبرته بما رأت، فقال: قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام، وأخبرها بما قال تسطورا، وبما قال الآخر الذي حالقه في البيع^(٦)، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجارته، فربحت ضعف ما كانت تبيع، وأضعفت له ما سئمت له. والله المعين.

ذكر تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد
قال الواقدي بسند يرفعه إلى نفيسة بنت منية^(٧)، قالت: كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي امرأة حازمة جادة شريفة لبيبة، وهي يومئذ أوسط قریش نسبا، وأعظمهم شرفا، وأكثرهم مالا، وكل قومها كان حريصا على نكاحها لو قدر على ذلك، قد طلبوها وبذلوا لها الأموال^(٨)، فأرسلتني ديسيسا إلى محمد بعد أن رجع في غيرها من الشام، فقلت: يا محمد، ما يمنعك أن تتزوج؟ فقال: ما بيدي ما أتزوج به، قلت: فإن كفت ذلك، ودعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ألا تجيب؟ قال: فن هي؟ قلت خديجة، قال: وكيف لي بذلك؟

- (١) الوجه: الوجهة. (٢) عن طبقات ابن سعد ١: ٨١٢ (نسم أول).
(٣) الطية: الغرفة. (٤) في الأصل: «بجبرها»، والمثبت عن ابن سعد، والسيرة الحلية ١: ١٣٥، وفي شرح المواهب ١: ١٩٩: «فأخبرها». (٥) حالقه: استعلقه.
(٦) في الأصل: «بنت منه»، تصحيف. (٧) في السيرة الحلية ١: ١٣٧.
(٨) «أوسط نساء قریش نسبا». (٨) في السيرة الحلية ١: ١٣٧: «وذكروا لها الأموال». (٩) الديسيس: من تدسه لباتيك بالأخبار. فلم تقبل.

(١) قلت على ، فانا أفعل ، فذهبتُ فَأَخْبَرْتُهَا ، فأرسلتُ إليه : أن أنت لساعة كذا وكذا ، وأرسلتُ إلى عمها عمرو بن أسد ليُزَوِّجها . وقيل : إنها أرسلتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول : يا بن العم ! إني قد رَغِبْتُ فيكَ لقربائِكَ مِنِّي ، وشرفِكَ في قومِكَ ، وَسِطَتِكَ وَأَهْلِكَ عِنْدِهِمْ ، وَحُسْنِ خُلُقِكَ وَصَدَقِ حَدِيثِكَ ، ثم عرضتُ نَفْسَهَا عليه ، فذكر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذلك لأعمامه ، فخرج معه حمزة ابنُ عبد المطلب حتى دخل على خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدٍ ، وقيل : بل عمرو بن خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدٍ ، وقيل : بل عمرو بن أمية عمَّها ، وكان شيخًا كبيرًا وهو الصحيح ، فخطبها إليه . قيل : وحضر أبو طالب ورؤساء مُضَرَ ، فخطب أبو طالب فقال :

” الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم ، وزرع إسماعيل ، وَضِئْفَى مَعَدٍ ، وعنصر مُضَرَ ، وجعلنا حَصَنَةً بَيْتِهِ ، وَسُؤَاسَ حَرَمِهِ ، وجعل لنا بيتًا معجوجًا ، وَحَرَمًا آمِنًا ، وجعلنا الحكم على الناس ؛ ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبد الله ، لا يوزن به رجل إلا رَجَحَ به ، فإن كان في المال قُلٌّ فإن المال ظِلٌّ زَائِلٌ ، وأمر حائلٌ ، ومحمد من قَدِ عَرَفْتُمْ قَرَابَتَهُ ، وقد خطب خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وبَدَّلَ لها من الصَّدَاقِ ما آجِلُهُ وعَاجِلُهُ من مَالٍ كَذَا ، وهو والله بعدَ هذا له نَبَأٌ عَظِيمٌ ، وَخُطْبٌ جَلِيلٌ “ . فترَوَّجها صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس وعشرين سنة وشهرين وعشرة أيام ، وخَدِيجَةُ يومئذ بنت ثمان وعشرين سنة ، وقيل : بنت أربعين سنة ، وَأَصْدَقَهَا صلى الله عليه

(١) في السيرة الحلية ١ : ١٣٧ : « بذلك ، فقلت بلى وأنا أفعل » :

(٢) سِطْنَك : شرفك .

(٣) ضِئْفَى مَعَدٍ : أى معدنه وأصله .

(٤) عنصر مُضَرَ : أى أصله .

(٥) في شرح المواهب ١ : ٢٠١ : « ومحمد من قَدِ عَرَفْتُمْ » .

(٦) في السيرة الحلية ١ : ١٣٩ ، وشرح المواهب ١ : ٢٠٢ : « عظيم ، وخطر جليل » .

وسلم ثلثي عشرة أوقية ونسًا ذهبًا ؛ الأوقية أربعون ، والنس عشرون ، فذلك
نعمائة درهم .^(١)

وروى ابن هشام : أنه أصدقها صلى الله عليه وسلم عشرين بكرة .

ذكر حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم هدم الكعبة وبناءها
قالوا : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم نحسا وثلاثين سنة شهد هدم
الكعبة وبناءها ، وتراخت قريش بحكمه فيها ؛ وكان سبب هدم الكعبة وبناءها
ما روى عن ابن عباس ، ومحمد بن جبير بن مطعم ، قالا : كانت الجُرُوفُ ^(٢) مطلة على
مكة ، وكان السَّيل يدخل من أعلاها حتى يدخل البيت فانصدع ، فخافوا أن
ينهدم ، وسرق منه حليته وغزال من ذهب كان عليه درُّ جواهر .

قال محمد بن إسحق ^(٣) : وكان كثر الكعبة في بئر في جوفها ، فوجد عند دُويك
مولى لبني مَلِج بن عمرو من خِزاعة . قال ابن هشام : فقطعت قريش يده ،
وزعمت قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دُويك .

وكانت الكعبة فوق القامة ، فأرادوا رفعها وتسقيفها ، وكانوا يهيمون بذلك
ويهابون هدمها ، فلما سرق الكثر حملهم ذلك على هدمها وبناءها ؛ قال :
وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جُدة لرجل من تجار الروم فتحطمت . قال
الواقدي : كان رأس أصحاب السفينة رجلا روميا اسمه باقوم ، فنجَّتها ^(٤) الريح إلى ^(٥)

(١) السيرة ٢٠١ : ١ . (٢) في الأصل وطبقات ابن سعد ١ : ٩٣ (قسم أول) : « الجرف
مطلة » . (٣) نقله ابن هشام في السيرة ١ : ٢٠٥ ، وعبارته : « وذلك أن قرا سرقوا كثر الكعبة ،
وإنما كان يكون في بئر » الخ . (٤) القائل ابن إسحق ، وانظر سيرة ابن هشام ١ : ٢٠٥ .
(٥) باقوم ، بموجدة فألف فتاف مضمومة فواو ساكنة فيم ؛ ويقال : باقول باللام ؛ وهو تجار
قبطي ، وقيل رومي . وانظر الزرقاني ١ : ٢٠٣ . (٦) نجَّتها : أى دفعها .

(١) الشَّعْبِيَّة ، وكانت مرفأ السفن قبل جُدَّة فَنَحَطَمَتْ ؛ فخرج الوليد بن المغيرة في نفر من قريش فابتاعوا خَشَبَهَا ، وقدم معهم بأقوم الرومي .

(٢) قال ابن اسحق : فأعدوا الخشب لنسقيفها ، وكان بمكة رجل قِبْطِيّ نجار ، فتهيا لهم في أنفسهم بعض ما يُصْلِحُهَا ؛ وكانت حِجَّةٌ تخرج من بئر الكعبة التي كان يُطْرَحُ فيها ما يُهْدَى لها ، فتنشَرُّ كل يوم على جدار الكعبة ، ولا يدنو منها أحد إلا أحرألت (٣) أي رفعت رأسها وكشّت وفتحت فاهها ، فكانوا يهابونها ؛ فبينما هي يوما تتشَرَّقُ بعث الله طائراً فاخططها فذهب بها ، فقالت قريش : إنا لندرجو أن يكون الله قد رضى ما أردنا ؛ عندنا عاملٌ رفيق ، وعندنا خشب ، وقد كفانا الله عز وجل الحيلة .

(٦) فلما أجمعوا أمرهم على هدمها وبنائها ، قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وهو خال أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتناول من الكعبة حجراً ، فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه ، فقال : يامعشر قريش ، لا تدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيباً ، لا يدخل فيها مهر بغي ، ولا بيع ربأ ، ولا مظالم أحد من الناس . ويقال إن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم هو الذي قال هذا القول .

قال الواقدي : فأمرُوا بجمع الحجارة ، وبناء الكعبة منها ؛ فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم ، وكانوا يضعون أوزرهم على عواتقهم ويحملون الحجارة ، ففعل

(١) معجم البلدان ٥ : ٢٧٥ . (٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٠٥ .

(٣) تشريق : تبرز للشمس . عن الخشني ١ : ٦٣ .

(٤) في شرح الخشني على سيرة ابن هشام ١ : ٦٣ : « أحرألت : رفعت ذنبها » .

(٥) صوت باحتكاك بعض جلدها ببعض . عن الخشني ١ : ٦٣ .

(٦) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٠٥ : « أمرهم في » .

ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فليط به : أى سقط من قيام، ونودى : عورتك ! فكان ذلك أول ما نودى ، فقال له أبو طالب : يابن أنى اجعل لى زارك على رأسك ، فقال : ما أصابنى [ما أصابنى ^(١)] إلا من التّعري ، فما رؤيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم عورة بعد ذلك .

قال ابن إسحاق ^(٢) : ثم إن قريشا جرأت الكعبة ^(٣) ، فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة ، وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم ، وكان ظهر الكعبة لبني جحج وسهم ، وكان شق الحجر لبني عبد الدار ^(٤) ابن قصي وبني أسد بن عبد العزى وبني عدى بن كعب ، وهو الحطيم ^(٥) .

وقال الواقدي : وقع لبني عبد مناف وزهرة وجه البيت ، وهو ما بين الركن الأسود إلى ركن الحجر ، ووقع لبني أسد بن عبد العزى وبني عبد الدار ما بين ركن الحجر إلى ركن الحجر الآخر ، ووقع لبني مخزوم ما بين ركن الحجر إلى الركن اليماني ، ووقع لبني جحج وعدى وعامر بن لؤى ما بين الركن إلى الركن الأسود .

قال ابن إسحاق ^(٦) : ثم إن الناس هابوا هدمها ، وقرقوا منه ، فقال الوليد بن المغيرة : أنا أبدأكم فى هدمها ، فأخذ المعول ، ثم قام عليها وهو يقول : اللهم لم ترع ^(٧) ،

١٥ (١) فى الأصل : « ما أصابنى إلا فى تعري » ، والكلمة والتصويب عن الزرقانى ١ : ٢٠٦ ، والسيرة الحلبية ١ : ١٤٣ . (٢) نقله ابن هشام ١ : ٢٠٧ ، والطبرى ٢ : ٢٠٠ ، ٢٠١ . (٣) فى الأصل والطبرى ٢ : ٢٠٠ : « تجزأت » ، والمثبت عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٠٧ . (٤) الشق : الناحية . (٥) سعى حطياً لأن الناس يزدحجون فيه حتى يحطم بعضهم بعضاً . وانظر شرح السيرة لخشنى ١ : ٦٣ . (٦) نقله ابن هشام . (٧) لم ترع : لم تفرع . قال السبيل ١ : ١٣١ : « وهى كلمة فقال عند تسكين الروح والتأيس ، وإظهار الدين والبر فى القول ، ولا روع فى هذا الوطن فينبى ، ولكن الكلمة تقتضى إظهار قصد البر ، فذلك تكلموا بها » .

ويقال : لم تَزِغْ^(١) ، اللَّهُم إنا لا نريد إلا الخير؛ ثم هدم من ناحية الركنين ، فقبض
الناس به تلك الليلة^(٢) ، وقالوا : ننظر ، فإن أصيب لم نهدم منها شيئا ، ورددناها
كما كانت ، وإن لم يُصبه شيء فقد رضى الله ما صنعنا فهدم ، فأصبح الوليد من
ليلته غاديا على عمله ، فهدم وهدم الناس معه حتى انتهى الهدم بهم إلى أساس
إبراهيم عليه السلام ، فأفضوا إلى حجارة خضر كالأسنة^(٣) أخذ بعضها بعضا ، فأدخل
رجل من قريش علة بين حجرين منها ليقلع بها أحدهما ، فلما تحرك الحجر تنقضت
مكة بأسرها^(٤) ، فاتهوا عن ذلك الأساس .

قال : ثم إن القبائل جمعت الحجارة لبنائها ، كل قبيلة تجمع على حدة ، وبنوا
حتى بلغ البنيان موضع الركن^(٥) . والله المستعان .

ذكر اختلاف قريش في رفع الركن وتراضيه

بالنبي صلى الله عليه وسلم وخبر التهامي السجستاني

قال ابن إسحاق^(٦) : ولما بلغ البنيان إلى موضع الركن اختصموا فيه ، كل
قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى ، حتى تجاوزوا وتخالقوا واعتدوا
للقتال^(٧) ، فقررت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ، ثم تعافدوا هم وبنو عدى بن كعب

- ١٥ (١) لم تَزِغْ : لم تزل عن دينك ، ولا تخرجنا عنه ، وانظر الخشني ١ : ٦٣ . (٢) عن الطبري ٢ : ٢٠١ . (٣) جمع سنان ، شبهها بأسنة الرماح في الخضرة ، وتروى : « كالأسنة » . وانظر سيرة ابن هشام ١ : ٢٠٧ ، وشرح المواهب ١ : ٢٠٤ ، والروض الأنف ١ : ١٣٢ . (٤) تنقضت : اهتزت ، ورواية الطبري ٢ : ٢٠١ : « انقضت » . (٥) القائل ابن إسحاق ، وانظر سيرة ابن هشام ١ : ٢٠٩ ، والطبري ٢ : ٢٠١ . (٦) يريد الحجر الأسود لأنه مبنى بالركن فسمى ركنًا ، وفي تاريخ الطبري ٢ : ٢٠١ : « حتى إذا بلغ البنيان موضع الركن » . (٧) سيرة ابن هشام ١ : ٢٠٩ . (٨) في سيرة ابن هشام ، والطبري ٢ : ٢٠١ : « حتى تجاوزوا [اتجاوز كل إلى قبيله] ، وتخالقوا واعتدوا للقتال » .

ابن لُؤيٍّ على الموت ، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم ، فُسِّمُوا لَعَنَةَ الدَّمِ ، فكثرت قُرَيْشٌ على ذلك أربع ليالٍ أو خمساً ، ثم اجتمعوا في المسجد قتشاوروا وتناصفوا ، فقال أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكان إذ ذاك أَسَنَ قُرَيْشٍ كُلِّهَا : يا معشر قُرَيْشٍ ! اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أولَ داخل يدخل ؛ فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، هذا عهد ، رضينا به ؛ فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر ، قال صلى الله عليه وسلم : هَلُمَّ إِلَى ثَوْبَا فَأَتِي بِهِ ، وقيل : بل بَسَطَ رداءه في الأرض ، وأخذ الركن فوضعه فيه بيده ، ثم قال : لِيَأْتِ مِنْ كُلِّ رُجْعٍ مِنْ أَرْبَاعِ قُرَيْشٍ رَجُلٌ ، فكان من رُجْعِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ عُبَيْدُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وفي الرُّجْعِ الثَّانِي أَبُو زَمْعَةَ ، والرُّجْعِ الثَّالِثُ أَبُو حَذِيفَةَ بْنُ الْمُغِيرَةِ ، والرُّجْعِ الرَّابِعِ قَيْسُ بْنُ عَدِيٍّ .

هكذا نقل الواقدي ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لِيَأْخُذْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِزَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَا الثَّوْبِ ثُمَّ أَرْفَعُوهُ جَمِيعًا ففعلوا ، ثم وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده في موضعه ، فذهب رجل من أهل نجد لِيَنَاقِلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَجْرًا يَشُدُّ بِهِ الرُّكْنَ ، فقال العباس بن عبد المطلب : لا . ونحاه ، وناول [العباس] رسول الله صلى الله عليه وسلم حجراً ، فشَدَّ بِهِ الرُّكْنَ ، فغضب النَّجْدِيُّ حينئِذٍ ، فقال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّهُ لَيْسَ يَلْبِسُنِي مَعْنَا فِي الْبَيْتِ إِلَّا مَنًا ، فقال النَّجْدِيُّ : يَا عَجَبًا لِقَوْمِ أَهْلِ شَرَفٍ ، وَعُقُولٍ ، وَسِنٍّ ، وَأَمْوَالٍ ، عَمَدُوا إِلَى أَصْغَرِهِمْ سِنًّا ، وَأَقْلَهُهُمْ مَالًا ، فَرَأَسُوهُ عَلَيْهِمْ فِي مَكْرَمَتِهِمْ وَجُودِهِمْ كَانَهُمْ

(١) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٠٩ : « ... فِيهِ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ مِنْ بَابِ هَذَا الْمَسْجِدِ يَقْضِي بَيْنَكُمْ فِيهِ فَعْلُوا ، فَكَانَ أَوَّلَ دَاخِلٍ » ، وانظر الطبري ٢ : ٢٠١ .

(٢) في الأصل وطبقات ابن سعد ١ : ٩٤ (قسم أول) : « لِيَأْتِ » تصحيف .

(٣) عن طبقات ابن سعد ١ : ٩٤ (قسم أول) .

خَدَمَ لَهُ ، أَمَا وَاللَّهِ لَيُفَرِّقَنَّهُمْ شَيْعَا ، وَلَيَقْسِمَنَّ بَيْنَهُمْ حُطُوطًا وَجُدُودًا . وَيَقَالُ إِنَّ
النَّجْدَى إِبْلِيسُ لَعْنَةُ اللَّهِ . فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ : ^(١)

إِنَّ لَنَا أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ فِي الْحُكْمِ وَالْعَدْلِ الَّذِي لَا نَنْكَرُهُ
وَقَدْ جَهِدْنَا جَهْدَهُ لِنَعْمُرَهُ وَقَدْ عَمَرْنَا خَيْرَهُ وَأَكْثَرَهُ ^(٢)

* فَإِنْ يَكُنْ حَقًّا فَقَبِلْنَا أَوْفَرَهُ *

قَالَ : ثُمَّ بَنَوْا حَتَّى اتَّهَوْا إِلَى مَوْضِعِ الْخَشَبِ ، وَكَانَ خَمْسَةَ عَشَرَ جَائِزًا سَقَفُوا الْبَيْتَ
عَلَيْهِ ، وَبَنَوْهُ عَلَى سِتَّةِ أَعْمِدَةٍ ، وَأَخْرَجُوا الْحَجَرَ مِنَ الْبَيْتِ ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهَا : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ قَوْمَكَ اسْتَقْصَرُوا فِي بَنِيَانِ
الْكَعْبَةِ ، وَلَوْلَا حَدَاثَةُ عَهْدِهِمْ بِالشَّرْكِ أَغْدَتْ فِيهِ مَا تَرَكُوا مِنْهُ ، فَإِنْ بَدَأَ لِقَوْمِكَ
مَنْ بَعْدِي أَنْ يَبْنُوهُ ، فَهَلُمُّ أَرْبِكَ مَا تَرَكُوا مِنْهُ ، فَأَرَاهَا قَرِيبًا مِنْ سَبْعَةِ أَذْرُعٍ فِي الْحَجَرِ ،
وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَلَجَعَلْتُ لَهَا بَادِينَ شَرْقِيًّا وَغَرْبِيًّا ، أَنْتَدِرِينَ لَمْ كَانَ قَوْمُكَ
رَفَعُوا بَابَهَا ؟ قَالَتْ : فَقُلْتُ : لَا أَذْرَى . قَالَ : تَعَزَّزْنَا أَنْ لَا يَدْخُلَهَا إِلَّا مَنْ أَرَادُوا .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَكَانَتِ الْكَعْبَةُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَمَانِي عَشْرَةَ
ذِرَاعًا ، وَكَانَتْ تُكَمَّى الْقَبَائِطِيُّ ^(٣) ثُمَّ كُسِيَتْ الْبُرُودُ ، وَأَوَّلُ مَنْ كَسَاهَا الدِّيْبَاجُ الْحُجَّاجُ
ابْنُ يَوْسُفَ . ^(٤)

(١) فِي الْأَصْلِ : «لَيُفَرِّقَنَّهُمْ سَبَقًا» وَلَيَقْسِمَنَّ بَيْنَهُمْ حُطُوطًا وَجُدُودًا . وَانْظُرِ السَّيْرَةَ الْجَلِيلَةَ :
١٤٥ : ١ ، وَطَبَقَاتُ ابْنِ سَلَمَةَ : ٩٤ (قَسَمَ أَوَّلًا) . (٢) انْظُرِ الرُّوسَ الْأَنْفَ : ١٣٢ .
(٣) فِي طَبَقَاتِ ابْنِ سَلَمَةَ : «دِيَابِ كَبِيرَةٍ» . (٤) الْحَائِزُ : خِوَالِخُشْبَةِ الَّتِي تَوْضَعُ عَلَى أَطْرَافِ
الْعَوَارِضِ فِي سَقْفِ الْبَيْتِ . وَفِي الْأَصْلِ : «حَابِرًا» تَصْغِيرُ . (٥) فِي الْأَصْلِ : «اسْتَقْصَرُوا
مِنْهُ» وَانْظُرِ صَحِيحَ الْبُخَارِيِّ ٢ : ١٤٦ - ١٤٧ : ٢ : «فَوَدَّ أَنْ يَرَى :
فَقَرَّتْ مِنَ الْحَجَرِ سِتَّةَ أَذْرُعٍ أَوْ نَحْوَهَا» . (٦) فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ٢ : ١٤٧ : ٢ : «فَوَدَّ أَنْ يَرَى :
فَقَرَّتْ مِنَ الْحَجَرِ سِتَّةَ أَذْرُعٍ أَوْ نَحْوَهَا» . (٧) فِي السَّيْرَةِ : ١ : ٢١١ . (٨) الْقَبَائِطِيُّ :
ثِيَابٌ بَيْضٌ كَانَتْ تَصْنَعُ بِمِصْرَ . (٩) الْبُرُودُ : ثِيَابٌ خَفِيفَةٌ . (١٠) فِي الرُّوسِ الْأَنْفَ :
١٣٠ : أَنْ ابْنَ الزُّبَيْرِ كَسَاهَا الدِّيْبَاجَ قَبْلَهُ ، وَكَانَ خَالِدُ بْنُ جَعْفَرٍ بَنَ كَلَابَ مِنْ كَسَاهَا الدِّيْبَاجَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ .

وحيث انتهينا إلى هذه الغاية من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فلنذكر من بشر به .

ذكر المبشرات برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مولده ومبعثه وبعد ذلك

جاءت البشائر برسول الله صلى الله عليه وسلم في كتب الله تعالى المنزل على
أنبيائه صلوات الله عليهم ، وفيما نقل إلينا من كلامهم ، ووُجد بخطهم ، وبشربه
أخبار يهود ، وعلماء النصارى ، عما انتهى إليهم من العلوم التي تلقوها عن الأنبياء
صلوات الله عليهم ، ونقلوها من صحفهم ، ومُحَبَّثات كتبهم ، وذخائر أضرارهم ، حتى
اعترف قوم بنبوته صلى الله عليه وسلم قبل مولده وظهوره بما شاء الله من السنين ،
وأوصوا به من بعدهم ؛ (فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ) ، وبشربه
أيضا قبل مبعثه كهان العرب ، عما كان يأتيهم من أخبار السماء على لسان شياطينهم
الذين كانوا يسترقون السَّمْعَ ومُنِعُوا الشَّهْتَ ، كما أخبرنا الله تعالى في قوله : (وَإِنَّا
كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَادًا رَصِدًا) ، ونطق الحائِثُ من
أجواف الأصنام بالبيشارة به ، فكان ذلك سببا لإسلام من سمع أصواتها من سبقت
له من الله الحُسنى ، وهدهاء وأرشدته إلى اتباع الحق ، والإيمان برسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وبما جاء به من عند الله ، على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى في مواضعه .

فأما ما جاءت به الكتب المنزل من الله تعالى مما يدل على نبوة سيدنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقد جاء ذلك في القرآن العزيز ، وفي التوراة ، والإنجيل ،
وزبور داود ، وكتب الأنبياء : شعيا ، وشمعون ، وحزقييل عليهم السلام .

(١) في الأصل : « وما نقل »

فأما ما جاء في القرآن العزيز فقد قال الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ، قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكَ إِصْرِي قَالُوا أَفَرَرْنَا قَالَ فَاثْمِدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ . قال أهل التفسير : أخذ الله الميثاق بالوحي ؛ فلم يبعث نبيا إلا ذكر له مجدا ونعته ، وأخذ عليه ميثاقه : إن أدركه يؤمنن به ؛ وقيل : أن يئنه لقومه ، وياخذ ميثاقهم أن يبينوه لمن بعدهم ؛ وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ ﴾ الخطاب لأهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم .

١٠ وعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، أنه قال : لم يبعث الله نبيا من آدم قمن بعده ، إلا أخذ عليهم العهد في عهد صلى الله عليه وسلم : لئن بُعث وهو حي يؤمنن به ولننصرتنه وياخذ العهد بذلك على قومه . ونحوه عن السددي وقناة .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَنُوحٌ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ . روى عن قتادة : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كنت أول الأنبياء في الخلق ، وآخرهم في البعث . قال القاضي عياض : فلذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره ، صلى الله عليه وسلم أجمعين .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشري عيسى» الحديث . يشير بدعوة إبراهيم عليه السلام إلى قوله تعالى إخبارا عنه : ﴿ رَبَّنَا وَابْتِئ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

(١) في الأصل : «عليه» ، وانظر شرح المواهب ٦ : ١٦٣ (٢) انظر شرح المواهب ٦ : ١٦٣

وأما ما جاء في كتب الله السالفة ، فقد علمنا قطعاً أن أهل الكتاب بدّلوا في كتب الله تعالى المنزلة على أنبيائهم ، وحرفوا كلماتها عن مواضعه ، وحذفوا منها أشياء فيها صريح ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بغياً منهم وحسداً ومُحَرِّداً وتكلاً وافتراء على الله تعالى . هذا لا مِرْيَةَ عندنا فيه ولا خلاف ، وقد اتفقوا على أشياء في كتبهم وترجموها بالعربية ، تدل على نبوة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نحن نذكرها إن شاء الله ، وكنتموا فيها ما أَخْبَر به من أسلم من أحبار يهود وغيرهم ، وعرض ذلك على من استمتر على كفره ، فلم يسعه إنكاره بل أقزبه ، على ما نذكر إن شاء الله تعالى في مواضعه .

فأما ما اتفقوا عليه مما جاء في التوراة وترجموه بالعربية ورضوا ترجمته فن ذلك قوله : « جاء الله من طور سيناء ، وأشرق لنا من ساعير ، واستعلن من جبال فاران » . وفي ترجمة أخرى كذلك : « تجلّى الله من طور سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال فاران » . قال العلماء : وفي هذا تصريح بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن الطور هو الجبل الذي اضطلقى الله تعالى موسى عليه بتكليمه ، وساعير : جبل بالشام منه ظهرت نبوة عيسى بن مريم ، والقرب منه قرية الناصرة التي ولد فيها ، وفاران : هي مكة شرفها الله تعالى .

(١) في معجم البلدان ٦ : ٣٢٣ : « ... وفي التوراة : جاء الله من سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من فاران » ، فجاء من سيناء ، تكليمه لموسى ، وإشارته من ساعير (وهي جبال فلسطين معجم ٥ : ١٠) : لإزالته الإنجيل على عيسى ، واستعلنه من جبال فاران : لإزالته القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم . وفاران : ~~بجبال مكة~~ بجبال مكة .

(٢) في الأصل : « الطور وهو » . وانظر « خير البشر » لابن ظفر ص ٩ .

قال الشيخ حجة الدين أبو هاشم محمد بن ظفر في كتابه المترجم بخير البشر: ^(١)

لا يخالف في هذا أحد من أهل الكتاب . قال : « وأما قوله : جاء الله من ^(٢) طور سيناء فإن محي الله هو محي كتابه وأمره كما قال الله تعالى : ﴿ فَأَنبَأَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ ؛ أى أَنبَأَهُمْ أَمْرُهُ . وقوله : « وأشرق لنا من ساعير » كناية عن ^(٣)

ظهور أمره وكلامه ، قال : وكذلك قوله : « واستعلن من جبال فاران » ، أى ظهر ^(٤) أمره ، وكتابه ، وتوحيده ، وحمده ، وما شرعه رسولُه من ذكره بالأذان والتلبية ^(٥) وغير ذلك ؛ قال ابن ظفر : « وقرأت في ترجمة للتوراة خطا بالموسى عليه السلام ، ^(٦)

والمراد به الذين اختارهم لميقات زبه فأخذتهم الرجفة خصوصا ، ثم سائر بني إسرائيل عموما : والله ربك يقيم نبيا من إخوانك ، فأسمع له كالذى سمعت ربك في حوربت ^(٧) يوم الاجتماع حين قلت : لا أعود أسمع صوت الله ربى لثلاث أموت ، فقال الله لى : ^(٨)

نعم ما قالوا ، وسأقيم لهم نبيا مثلك من إخوانهم ، وأجعل كلامي في فمه ، فيقول لهم : كل شئ أمره به ، وأيما رجل لم يطع من تكلم باسمي فإنى أستم منه .

وفي هذا أدلة على نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ، منها قوله : « من إخوانهم » ^(٩) وموسى وقومه من بني إسحاق ، وإخوانهم بنو إسماعيل ، ولو كان الموعود من ^(١٠)

-
- (١) في الأصل : « هشام » تصحيف . (٢) ص ٩ .
 (٣) في خير البشر : « سيناء ، فجى » . (٤) في الأصل : « ظهور أنوار كلامه »
 والمثبت عن ابن ظفر . (٥) في خير البشر (ورقة ه من النسخة المخطوطة) : « وما شرعه لرسوله من الآداب والتلبية » . (٦) في خير البشر ص ١٠ وانظر الزرقاني ٦ : ٢٠٠ . (٧) في خير البشر ص ١٠ من المطبوعة : « قلت لا أسمع صوت الله » ، وفي المخطوطة (ق ه ب) : « أسمع كلام الله ربى » .
 (٨) في المخطوطة من خير البشر (ق ه ب) : « فقال الله لى : نعم ، نعم » .
 (٩) في خير البشر (ق ه ب) : « وفي هذا الكلام أدلة » .
 (١٠) في خير البشر (ق ه ب) : « ولو كان هذا النبي الموعود » .

بنى إسماعيل ، لكان من أنفسهم ، لا من إخوتهم ، كما قال تعالى إخبارا عن إبراهيم في دعوته : (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ) ، وكما قال تعالى : (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ) ؛ ومنها قوله : « نيليا مثلك » ، وقد قال في التوراة : « لا يقوم في بنى إسرائيل أحد مثل موسى » ، وفي ترجمة أخرى : « مثل موسى لا يقوم في بنى إسرائيل أبدا » ؛ ومنها قوله : « أجعل كلامي في فم » ، فهو واضح أن المقصود به عهد صلى الله عليه وسلم ، لأن معناه : أوحى إليه بكلامي فينطق به ؛ وقوله : « أيما رجل لم يطع من تكلم باسمي فإني أنتقم منه » دليل على كذب اليهود في قولهم : إن الله أمرنا بمعصية كل نبي دعا إلى دين سمي نسخا لبعض ما شرعه موسى صلى الله عليه وسلم . والله تعالى أعلم .

وأما ما اتفقوا عليه ، ورضوا ترجمته مما في الإنجيل فن ذلك ما ترجموه في الإنجيل : أن عيسى عليه السلام قال : « إن أحببتموني فاحفظوا وصيتي ، وأنا أطلب إلى أبي فيعطيكم بآرقليط آخر يكون معكم الدهر كله » ، فهذا تصريح بأن الله سيبعث إليهم من يقوم مقامه ، وينوب عنه في تبليغ رسالات ربه ، وسياسة خلقه منابه ، وتكون شريعته باقية مخلدة أبدا » ، ولم يأت بذلك بعد عيسى إلا عهد صلى الله عليه وسلم .

ومنه ما ترجموه : « إن هذا الكلام الذي سمعتموه ليس هو لي ، بل للآب الذي أرسلني ، كلمكم بهذا وأنا معكم ، فاما البارقليط : روح القدس الذي يرسل أبي باسمي ، فهو يعلمكم كل شيء ، ويدرككم جميع ما أقول لكم » .

قال ابن طفر : قولهم : « أبى » : فهذه اللفظة عندنا مبدلة محرفة ، وليست منكرة الاستعمال عند أهل الكنائس إشارة إلى الرب سبحانه ، لأنها عندهم لفظة

تعظيم يخاطب بها المتعلم معلّمه الذى يستمد العلم منه ؛ قال : ومن المشهور مخاطبة
النصارى عظماء دينهم بالآباء الروحانية ؛ قال : وأما قوله : « يرسله أبى باسمى »
فهو إشارة إلى شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم له بالصدق والرسالة ، وما تضمنه
القرآن من مدحه وتنزيهه عما افتراه اليهود فى أمره .

وما ترجموه ورَضُوا ترجمته قولهم : إنه قال : « إذ قال البارْقِلِيط الذى أرسل
إليكم من عند أبى ، روح الحق الذى يخرج من الأب ، فهو يشهد لى ، وأتم
تشهدون لى أيضا لكيثوثكم معى من أول أمرى » .

قال : قوله « روح الحق الذى يخرج من الأب » كناية عن كلام الله المنزل على
رسوله صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى : (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا) .

وقوله : « يشهد لى » تصريح بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ لم يشهد للمسيح
عليه السلام بالنبوة ، والتزاهة عما افترى عليه ، وبأنه روح الله وكلّته وصفيه
ورسوله ، كتاب سوى القرآن ، ولم تزل الأئمّة تكذب المتبعين للمسيح ، واليهود
يفترون العظائم من البهتان ، حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فشهد للمسيح
بما شهد به حوارِيُّوه الذين كانوا معه من أول أمره ، والمهتدون من أمته .

قال : ومما رَضَوْه من الترجمة أيضا عن الإنجيل قوله فيه : « إن انطلق خير لكم ،
لأنى إن لم أنطلق لم يأتكم البارْقِلِيط ؛ فإذا انطلقت أرسلتُ به إليكم ، فإذا جاء فنَدَّ
أهل العلم » . قال : فهذا ظاهر ، وقوله : « أرسلت به إليكم » إن كان سالما
من التحريف ، فعناه مثل معنى قوله : « إن لم أنطلق لم يأتكم » ، وقوله :
« فنَدَّ » وصفٌ صريح للنبي صلى الله عليه وسلم ، فهو الذى فنَدَّ علماء اليهود
والنصارى فيما أطبقوا عليه من أن المسيح قُتِل وصلب بعد أن عُدِّب ، وما انفرد

به علماء اليهود من بُهتانهم في الطعن على المسيح ، وما انقرد به علماء النَّصَارَى من الدعوة إلى ألوهية المسيح ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم قنْد جميعهم . والتَّفْنِيدُ : التَّخْطِئَةُ وتَقْيِيحُ القول والرأى .

قال ابن ظفر : وقرأت في ترجمة أخرى للإنجيل : أنه قال : « البارْقَلِيط لا يَحْيِيكُمْ ما لم أذهب ، فإذا جاء ونَجَّ العالم على الخطيئة ، ولا يقول من تلقاء نفسه ، ولكنه ما يسمع يكلمهم به ، ويسوسهم بالحق ، ويخبرهم بالحوادث والغيوب » . ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي ونج العلماء من أهل الكتاب على كتمان الحق ، وتحريف الكلام عن مواضعه ، وبيع الذين بالثمن البَخْس من عَرْض الدنيا ، وهو الذي أخبر بالحوادث والغيوب .

وقال ابن ظفر : والذي صح عندي في معنى البارْقَلِيط : أنه الحكيم الذي يَعْرِف السِّر ؛ وقد تقدّم ما يدل على أنه الرسول .

وأما ما جاء في زبور داود عليه السلام مما ترجمه أهل الكتاب ، فمن ذلك قوله : « اللهم أجعل جاعل السنة يحيا ، يعلم الناس أنه بشر » ؛ ويفهم من هذا : أن داود عليه السلام أطلعه الله تعالى على ما سيقوله النَّصَارَى في المسيح إذا أرسله ، من أنه إلهٌ معبود ، فدعا الله سبحانه بأن يبعث محمداً صلى الله عليه وسلم فيعلمهم أن المسيح بشر .

وفيه أيضاً مما ترجموه : « أنه فاضت الرحمة على شفّيتك ، من أجل ذلك أبارك عليك ، إلى الأبد ، فتقلد السيف ، فإن بهاءك وحدك الغالب ، واركب كلمة الحق ، فإن ناموسك وشرائعك مقرونةً بهيئة يمينك ؛ والأئم يخرجون تحتك » ؛ قال : فالذي قرئت شريعته بهيئة يمينه ، وخرت الأئم تحتَه ، هو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومنها، وذكر رجلا فقال : « فإذا قام ^(١) جاز من البحر إلى البحر، ومن عند الأنهار إلى مُنْقَطَعِ البرِّ، وخرَّ أهل الجزائر قدَّامه على وجوههم ورُكَبهم، ولحس أعداؤه التراب لهيبته ، وجاءته الملوك بالقرايين ، ودانت له الأمم بالطاعة ؛ لأنه يَخْلُص الضعيف المغلوب البائس من هوَّ أَوْى منه ، ويقوَّى الضعيف الذي لا ناصر له ، ويرحم المساكين ، ويصلِّي ويباركُ عليه في كلِّ وقت، ويدوم ذكره إلى الأبد » .

فهذا في غاية الظهور أن المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما ما ترجموه من كتاب شعيا عليه السلام ورَضُوا ترجمته فقلوه : ^(٢) « عبيد الذي سُرَّت به نفسى أنزل عليه وحى ، فيُظهِر ^(٤) في الأمم عدلى ، ويوصيهم بالوصايا ، لا يضحك ، ولا يسمع صوته في الأسواق ؛ يفتح العيون العور، والآذان الثَّم ، ويحيى القلوب الغُلف ؛ وما أعطيه لا أعطى أحدا ، مُشَقَّح ^(٥) ^(٦) يحمده الله حمدا جديدا ، يأتي من أقصى الأرض ، تفرح البرية وسكانها يهللون الله على كلِّ شرف، ويكررونه على كل رابية، ولا يضعف ولا يغلب، ولا يميل إلى الهوى ولا يذل الصالحين الذين هم كالقصبَة الضعيفة، بل يقوَّى الصديقين ، وهو ركن المتواضعين ، وهو نور الله الذى لا يطفأ، أثرُ سلطانِه على كَتِفَيْهِ » .

(١) في خير البشر لابن ظفر ص ١٩ : « فقال فإذا جاز من البحر » .

(٢) ويقال أيضا : « شعيا » ، بين مهلة ، و « أشعيا » . وانظر السيرة الحلية ١ : ٢١٣ ،

٢١٨ ، وتاج العروس ١٠ : ١٨٨ . (٣) في الأصل : « قوله » .

(٤) في السيرة الحلية ١ : ٢١٩ : « . . . ولا يسمع صوته في الأصوات لأن ضحكه كان التسم » .

(٥) في السيرة الحلية ١ : ٢١٩ : « . . . وما أعطيه لا أعطى أحدا » .

(٦) في السيرة الحلية ١ : ٢١٩ : مشقح بالثين المعجمة والحاء المهملَة : أى زاهى » وانظر

الزرقانى ٦ : ١٨٩ .

قال ابن ظفر^(١) : هذه ترجمة السريانيين ، وعبر العبرانيين عنه بأن قالوا : « على كتفيه علامة النبوة » ؛ فهذا كله صريح في البشارة به صلى الله عليه وسلم ، مع ما فيه من ذكر قيام دولة العرب بقوله : « تفرح البرية وسكانها » ؛ وأما قوله : [مُشَقَّح]^(٢) فهو محمد ، لأن الشَّقْح بلغتهم الحمد .

ومما ترجموه منه أن شيعاء عليه السلام قال : « قم نَظَّاراً فانظر ما ترى ، فأخبر به ، فقلت : أرى راكبين مقبلين ، أحدهما على حمار ، والآخر على جمل ؛ يقول أحدهما لصاحبه : سقطت بابل وأصنامها » فهذه بشارة صريحة بمحمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه راكب الجمل لا محالة ، ولأن مُلك بابل إنما ذهب بنبوته صلى الله عليه وسلم وعلى يد أصحابه ، على ما ذكره إن شاء الله تعالى .

قال : وقد كان على باب من أبواب الإسكندرية صورة جمل من نحاس ، عليه راكب من نحاس . في هيئة العسب مؤتزر مُرتد ، عليه عمامة ، وفي رجليه نعلان ، كل ذلك من نحاس ؛ وكانوا إذا تظالموا يقول المظلوم للظالم : أعطني حتى قبل أن يخرج هذا فياخذني بحقي منك ، شئت أو أبيت ، ولم يزل الصنم على ذلك حتى آفتح عمرو بن العاص أرض مصر ، فغيبوا الصنم .

ومنه : « أيتها العافر ! افرحى وأهترى وانطلق بالتسبيح ، فإن أهلك يكونون أكثر من أهلي » . قال : فالعافر مكة ، لأنها بوا غير ذى زرع ، أو لأن الله لم يبعث

(١) كذا في خير البشر ص ١٤ ، وانظر السيرة الحلبية ١ : ٢١٩ .

(٢) في الأصل : « وأما قوله فهو محمد » ، والشككة عن خير البشر لابن ظفر ، وانظر السيرة

الحلبية ١ : ٢١٩ .

(٣) ورد هذا الخبر في السيرة الحلبية ١ : ٢١٨ بصورة تختلف عما هنا .

(٤) القائل ابن ظفر في خير البشر ص ١٧

بها نبيا في ذلك الزمن دون غيرها، فهي عاقرة، وقوله : « انطلقى بالتسييح » إشارة إلى عمارتها بأهل ذكر الله ، وقوله : « يكون أدلك أكثر من أهلي » ، قال : إن سليم من التحريف وسوء العبارة « فَنَ » زائدة، والمعنى أن المسلمين يكونون أكثر أهل طاعة الله وتوحيده ، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أمته أكثر أهل الجنة. والآل والأهل يُكْتَبُ بهما عن [الجماعة] الخاصة ، قال عبد المطلب بن هاشم :
 نحن آل الله في بلدتنا لم نزل آلا على عهد إرم^(١)
 ولما روجع أبو بكر الصديق رضي الله عنه في استخلافه عمر بن الخطاب وقيل له : ماذا تقول لربك وقد استخلفت علينا فظا غليظا ؟ فقال : أقول تركتُ على أهلك خير أهلك . والله الفعال .

- ١٠ ومن كتاب شمعون عليه السلام مما ترجموه ورضوا ترجمته قوله : « جاء الله بالبينات من جبال فاران ، وامتلاأت السموات والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته » ، وقد تقدم أن جبال فاران هي جبال مكة شرفها الله ، وبجيء الله هو مجيء كتابه .
- ومن كتاب حزقيل عليه السلام مما ترجموه من قصة ذكر فيها ظهور اليهود وعزتهم ، وكفرانهم للنعم ، فشبههم فيها بالكزرة حيث قال : « لم تلبث تلك الكزرة أن قُليت بالسخطة ، ورُمي بها على الأرض ، فأحرقت السائمُ أثرها ، فعند ذلك غُرس غرس في البدو ، وفي الأرض المهملة العطشى ، فخرجت من أغصانه الفاضلة نارا فأكلت تلك الكزرة حتى لم يوجد فيها قضيب » .

- (١) في خير البشر : « يكونون أكثر طاعة لله وتوحيده له » . (٢) في الأصل : « بهما عن الخاصة » ، والتكلمة عن خير البشر . (٣) في الأصل ، وخير البشر ص ٩ : « إلا » .
- (٤) لا يزال المؤلف ينقل عن ابن ظفر : وإرواية عنده : « جاء الله بالبيان » .
- (٥) في الأصل : « بالكزرة ثم قل » . وانثبت عن خير البشر .
- (٦) في خير البشر : « أن قطعت » .

قال : فلا شك أن أرض البدو المهملّة العَطَشَى هي أرض العرب ، وغَرَسُ
الله الذي غَرَسه فيها هو محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد أنزى الله به اليهود
والله أعلم .

٣٦
١٤

ومما نقل من كلام خَيَّقُوق ، وهو الذي زعمت اليهود أنه ادّعى النبوة في عهد
بُحْتَنَصَّر ، وحكوا عنه أنه قال : « إذا جاءت الأُمَّة الآخِرَة يَسِيحُ بهم صاحبُ الجَمَلِ
— أو قال : راكِبُ الجَمَلِ — تسبيحا جديدا في الكائس الجُدُد ، فافرحوا ، وسيروا
إلى صَهيون بقلوب آمنة ، وأصوات عالية ، بالتسبيحة الجديدة التي أعطاكم الله
في الأيام الآخرة ، أُمَّة جديدة بأيديهم سيوف ذوات شُفرتين ، فينتقمون من الأمم
الكافرة في جميع الأقطار » . ولا شك أن رَاكِبَ الجَمَلِ أو صاحب الجَمَلِ من الأنبياء
هو محمد صلى الله عليه وسلم ، والأُمَّة الجديدة هي العرب ، والكائس الجدد هي
المساجد ، وصَهيون : مكة ، والتسبيحة الجديدة : « لِيَكُ اللّهُم لِيَكُ » .

ونقل أيضا عن خَيَّقُوق هذا أنه قال : « جاء الله من اليمن ، وظهر القدس على
جبال فاران ، وامتلاّت الأرض من تجميد أحمد ، وملك يمينه رقاب الأمم ،
وأضاءت الأرض لنوره ، وحملت خيله في البحر » . والله أعلم .

ومما وجد بخط موسى بن عمران عليه السلام ما رَوَى مَعْمَرُ عن الزُّهْرِي أنه
قال : أشخصني هشام بن عبد الملك إلى الشام ، فلما كنتُ بالبقاء وجدتُ حجرا
مكتوبا عليه بالخط العبراني ، فطلبتُ مَنْ يقرؤه ، فأرشدت إلى شيخ ، فانطلقتُ
به إلى الحجر ، فقرأه وضحك ، فقلت : ممّ تضحك ؟ قال : أمر عجيب ، مكتوب على
هذا الحجر : باسمك اللهم جاء الحق من ربك ، لسان عربي مبين ؛ لا إله إلا الله
محمد رسول الله . وكتبه موسى بن عمران بخط يده .

وإنما ألحقنا هذا الخبر بما قبله لأن موسى صلى الله عليه وسلم إنما يكتب بخطه ما تلقاه عن الله تعالى ، أو عن كُتبه المُنزلة ؛ وهذا الذي أوردناه مما جاء في كتب الله السالفة هو الذي أبداه أهل الكتاب وأثبتوه ، وترجموه ورضوا ترجمته في تحريفهم وتبديلهم .

وَأَمَّا مَا كَتَمَهُ أَهْلُ الْكِتَابِ قَمَا فِيهِ صَرِيحٌ ذِكْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَلُّا عَلَيْهِ وَأَخْبَرْنَا بِهِ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ مَن جَازَ لَنَا أَنْ نَرُوهُ عَنْهُ وَقَبِلَ رَوَايَتَهُ ؛ مِثْلَ وَهَبٍ ، وَكَعْبِ الْأَحْبَارِ ، وَأَبِي ثَعْلَبَةَ بْنِ أَبِي مَالِكٍ .

فَأَمَّا مَا جَاءَ عَنْ وَهَبِ بْنِ مَنْبَةَ . فَإِنَّهُ رَوَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : قَرَأْتُ فِي بَعْضِ كُتُبِ اللَّهِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى نَبِيِّ بْنِ إِسْرَائِيلَ : « أَنْ قُمْ فِي قَوْمِكَ ، فَقُلْ بِأَسْمَاءِ أَسْمَعِي ، وَيَا أَرْضِ أَنْصَتِي ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَرِيدُ أَنْ يَقْصَّ شَأْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ : أَنِّي رَبِّيتُهُمْ يَتِيمَتِي ، وَأَتَرْتُهُمْ بِكَرَامَتِي ، وَاخْتَرْتُهُمْ لِنَفْسِي ، وَأَنِّي وَجَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَالْغَنَمِ الشَّارِدَةِ الَّتِي لَا رَاعِيَ لَهَا ، فَزِدْتُ شَارِدَهَا ، وَجَعَلْتُ ضَالَّتَهَا ، وَدَاوَيْتُ مَرِيضَهَا ، وَجَبَرْتُ كَسِيرَهَا ، وَحَفِظْتُ سَمِينَهَا ؛ فَلَمَّا فَعَلْتُ بِهَا ذَلِكَ بَطَرْتُ ، فَتَنَاطَحَتْ كِبَاشُهَا ، فَقَتَلَ بَعْضُهَا بَعْضًا . فَوَيْلٌ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ الْخَاطِئَةِ ، وَبِئْسَ لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ؛ إِنِّي قَضَيْتُ يَوْمَ خَلَقْتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَضَاءً حَتْمًا ، وَجَعَلْتُ لَهُ أَجَلًا مُؤَجَّلًا لَا بَدَّ مِنْهُ ، فَإِنْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ فَلْيَخْبِرُوكَ مَتَى حَتْمَتُهُ ، وَفِي أَيِّ زَمَانٍ يَكُونُ ذَلِكَ ، فَإِنِّي مُظْهِرُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ، فَلْيَخْبِرُوكَ مَتَى يَكُونُ هَذَا ، وَمَنْ الْقِيَمُ بِهِ ، وَمَنْ أَعْوَانُهُ وَأَنْصَارُهُ ، إِنْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ فَإِنِّي بَاعْتُ بِذَلِكَ رَسُولًا مِنَ الْأَمِينِينَ . لَيْسَ بَقِطٌ وَلَا غَلِيظٌ ، وَلَا صَحَّابٌ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَلَا قَوْلَالٌ بِالْهَيْجَرِ وَالْخَنَى ، أَسَدُّهُ

(١) فِي الْأَصْلِ : « بِهِ ابْنُ أَسْلَمٍ » تَصْحِيفٌ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَأَمَّا » .

بكل جميل ، وأَهَبَ له كُلَّ خُلُقٍ كريم ، وأَجَمَلَ السَّكِينَةَ على لسانه ، والتَّقْوَى ضَمِيرَهُ ، والحِكْمَةَ منطقَهُ ، والصدقَ والوفاء طَبِيعَتَهُ ، والعفوَ والمعروفَ خُلُقَهُ ، والحقَّ شَرِيعَتَهُ ، والعدلَ سِيرَتَهُ ، والإسلامَ مِلَّةَهُ ، أَرَفَعَ به من الوَضِيعَةِ ، وَأَغْنَى به من الْعَيْلَةِ ، وَأَهْدَى به من الضَّلَالَةِ ، وَأَوَلَّفَ به بين قلوب متفرقة ، وأَهْوَأَ مختلفة ، وأَجَمَلَ أَمَّتَهُ خَيْرَ الْأُمَمِ إِيمَانًا بِي وَتَوْحِيدًا لِي ، وإِخْلَاصًا بما جَاءَ به رَسُولِي ، ^(١) أَلْهِمَهُمُ التَّسْبِيحَ والتَّحْمِيدَ والتَّجْئِدَ لِي فِي صَلَوَاتِهِمْ وَمَسَاجِدِهِمْ وَمُنَقَلَبَاتِهِمْ وَمُتَوَاقِعِهِمْ ، يَخْرُجُونَ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ آتِبْغَاءَ مَرْضَاتِي يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِي صُفُوفًا ، وَيَصَلُّونَ لِي ^(٢) قِيَامًا وَرُكُوعًا وَسُجُودًا ، يَكْبُرُونَنِي عَلَى كُلِّ شَرْفٍ ، رَهْبَانًا بِاللَّيْلِ ، أَسَدًا بِالنَّهَارِ ؛ ذَلِكَ فَضْلِي أَوْتِيَهُ مِنْ أَشَاءَ ، وَأَنَا ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ » .

٣٧
١٤

ومنه ما روى عنه أنه قال : قرأت في بعض الكتب القديمة : « قال الله تبارك وتعالى : وعزّيتي وجلّالي لأُنزِلَنَّ على جبال العرب نورا يملأ ما بين المشرق والمغرب ، ولأُخْرِجَنَّ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ نَبِيًّا عَرَبِيًّا أُمِّيًّا يُؤْمِنُ بِهِ عِدَدُ نَجْمِ السَّمَاءِ وَنَبَاتِ الْأَرْضِ ، كُلُّهُمْ يُؤْمِنُ بِي رَبًّا ، وَبِهِ رَسُولًا ، وَيَكْفُرُونَ بِمِلَالِ آبَائِهِمْ ، وَيَفْتَرُونَ مِنْهَا . قَالَ مُوسَى : سُبْحَانَكَ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ ! لَقَدْ كَرَّمْتَ هَذَا النَّبِيَّ وَشَرَّفْتَهُ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : يَا مُوسَى إِنِّي أَنْتَقِمُ مِنْ عَدُوِّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأُظْهِرُ دَعْوَتَهُ عَلَى كُلِّ دَعْوَةٍ ، وَسُلْطَانَتَهُ وَمَنْ مَعَهُ عَلَى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَأُخْرِجُ لَهُمْ مِنْ كُنُوزِ الْأَرْضِ ، وَأُذِلَّ مِنْ خَالِفِ شَرِيعَتِهِ ؛ يَا مُوسَى : بِالْعَدْلِ رَبِّيتَهُ ، وَبِالْقِسْطِ أَخْرَجْتُهُ ؛

(١) فِي خَيْرِ الْبَشَرِ لَا بَيْنَ ظَنَرِ : « . . . وَتَوْحِيدًا بِي ، وَإِخْلَاصًا لِمَا جَاءَ بِهِ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَالتَّجْئِدَ فِي صَلَوَاتِهِمْ » . وَالمُتَّبِعُ عَنْ خَيْرِ الْبَشَرِ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « وَيَصَلُّونَ قِيَامًا » ، وَالتَّكْمِلَةُ عَنْ ابْنِ ظَفَرٍ حَيْثُ النُّفْلُ عَنْهُ .

(٤) فِي خَيْرِ الْبَشَرِ : « وَمِنْ آتِيهِ » . (٥) فِي خَيْرِ الْبَشَرِ : « بِالْعَدْلِ زَيْنَهُ » .

ويعزّزني لأستنقذني به أمّا من النار ، فتحت الدنيا بإبراهيم ، وختمتها بمحمد ،
 مثل كتابه الذي يحيى به ، فأعقلوه يا بني إسرائيل مثل السقاء المملوء لبنا يُخَضُّصُ
 فيخرج زُبداً ، بكتاب أخيم الكتب ، وبشريعت أخيم الشرائع ، فمن أدركه ولم يؤمن
 به ولم يدخل في شريعته فهو من الله برىء ، أجعل أمتّه يبنون في مشارق الأرض
 ومغاربها مساجد ، إذا ذكر أسمى فيها ذكر آمم ذلك النبي معي ، لا يزول ذكره
 من الدنيا حتى تزول .

وأما ما جاء عن كعب الأحبار رحمه الله ، فمن ذلك ما روى أن عمر بن
 الخطاب رضى الله عنه قال : يا كعب ، أدركت النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد
 علمت أن موسى بن عمران تمنى أن يكون في أيامه فلم تسلم على يده ، ثم أدركت
 أبا بكر وهو خير مني فلم تسلم على يده ، ثم أملت في أرباعي ، فقال : يا أمير
 المؤمنين ، لا تعجل عليّ ، فإنني كنت أثبت حتى أنظر كيف الأمر ؟ فوجدته
 كالذي هو في التوراة . قال عمر : كيف هو فيها ؟ قال : رأيت في التوراة أن
 سيد الخلق ، والصفوة من ولد آدم ، يظهر من جبال فاران من منابت
 القَرْظ من الوادى المقدس ، فيظهر التوحيد والحق ، ثم ينتقل إلى طيبة ،
 فتكون حروبه وأيامه بها ، ثم يقبض فيها ، ويدفن بها . قال عمر : ثم ماذا
 يا كعب ؟ قال كعب : ثم يلي بعده الشيخ الصالح . قال عمر : ثم ماذا ؟
 قال كعب : ثم يموت متبعاً . قال عمر : ثم ماذا ؟ قال كعب : ثم يلي بعده
 القرن الحديد — وفي لفظ : مدرع من حديد — قال عمر : وأدقراه^(١) ثم ماذا ؟
 قال كعب : ثم يُقتل شهيداً ، قال عمر : ثم ماذا ؟ قال كعب : ثم يلي صاحب

(١) الدفر بالذال المهملة : التنز ، وقصد عمر التراض : فذكر راحة الحديد وأعرض عن صفاته
 الحسنة من القوة والقطع .

الجباء والكرم ، قال عمر : ثم ماذا ؟ قال كعب : ثم يُقتل مظلوما ، قال عمر :
ثم ماذا ؟ قال كعب : ثم يلى صاحب المحجة البيضاء ، والعدل والسواء ، صاحب
الشرف التام ، والعلم الجلام ، قال عمر : ثم ماذا ؟ قال كعب : ثم يموت شهيدا
سعيدا ، قال عمر : ثم ماذا ؟ قال كعب : ثم ينتقل الأمر إلى الشام ، قال عمر :
حسبك يا كعب .

ومما جاء عنه ما روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : أن رجلا جاء
إلى كعب الأحبار من بلاد اليمن فقال له : إن فلانا الخبر اليهودى أرسلنى إليك
برسالة ، قال كعب : هاتها ! فقال : إنه يقول لك : ألم تكن فينا سيّدا شريفا
مطاعا ؟ فما الذى أخرجك من دينك إلى أمة مجد^(١) ؟ فقال له كعب : أترك
راجعا ؟ قال : نعم ، قال : فإن رجعت إليه فخذ بطرف ثوبه ثلاثا فمك
وقل له : يقول لك كعب : أسألك بالذى رد موسى إلى أمته ، وأسألك بالذى
فلق^(٢) البحر لموسى ، وأسألك بالذى ألقى الألواح إلى موسى بن عمران فيها علم
كل شيء ، أأستجد في كتاب الله أن أمة مجد ثلاثة أتلات ، فثلاث يدخلون
الجنة بغير حساب ، وثلاث يدخلون الجنة برحمة الله ، وثلاث يحاسبون حسابا يسيرا
ثم يدخلون الجنة ؛ فإنه سيقول لك : نعم . فقل له : يقول لك كعب : اجعلنى
في أى هذه الثلاثة شئت .

ومنه ما رواه عطاء بن يسار وأبو صالح عنه أنه قال : أجد في التوراة :
أحمد عبدى المختار ، لا فقط ، ولا غليظ ، ولا صخاب في الأسواق ، ولا تجيز

(١) كذا في خير البشر ص ٢٧ . والمعروف : « الجح » . (٢) في خير البشر ص ٢٨ :

« أمة أحد » . (٣) في خير البشر ص ٢٥ : « فرق البحر لموسى » . (٤) في خير

البشر ص ٢٨ : « أبو صالح عن كعب الأحبار » .

بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح . يغفر ، أتمه الجمدون ؛ يحمدون الله على كل حال ، ويسبحونه في كل منزلة ، ويكبرونه على كل شرف ، يأترون على أوساطهم ، ويصونون أطرافهم^(١) ، وهم رعاة الشمس ، ومؤذنه ينادى في جو السماء ، وصفتهم في الصلاة سواء ؛ رهبان بالليل ، أسد بالنهار ، لهم بالليل دوى كدوى النحل ، يصلون الصلاة حيثما أدركتهم من الأرض ؛ مولده مكة ، مهاجرة طابة ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الأمة العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، فيفتح الله به أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا .

٣٨
١٤

ومنه ما روى أن معاوية بن أبي سفيان قال لكعب : دُلّني على أعلم الناس بما أنزل الله على موسى لأسمع كلامك معه ، فذكر له رجلا من اليهود باليمن ، فاشخصه إليه ، فجمع معاوية بينهما ، فقال له كعب : أمالك بالذي فرق البحر لموسى أتجد في كتاب الله المتزل أن موسى نظر في التوراة فقال : يا رب إني أجد أمة مرحومة ، وهي خير أمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الأول^(٢) ، ويؤمنون بالكتاب الآخر^(٣) ، ويقاثلون أهل الضلالة ، حتى يقاتلوا الأعور الكذاب ، فأجعلهم يا رب أمتي ، قال : هم أمة أحمد ؟ قال الحبر : نعم أجد ذلك ، ثم قال : كعب للحبر : أنشدك الله الذي فرق البحر لموسى ، أتجد في كتاب الله المتزل أن موسى نظر في التوراة فقال : رب إني أجد أمة إذا أشرف أحدهم على شرف كبير ، وإذا هبط واديا حمد الله ، الصعيد

(١) في شرح المواهب ١ : ٣٦١ : « يشدون أوساطهم ، ويظهرون أطرافهم » ؛ وشد الوسط عبارة عن الاجتهاد في العبادة ، وتطهير الأطراف كناية عن الوضوء .

(٢) قيل : الكتاب الأول هو التوراة ، وقيل : المراد جنس الكتب السابقة . انظر السيرة الحلية

١ : ٢١٧ .

(٣) هو القرآن . انظر السيرة الحلية ١ : ٢١٧ .

لهم ظهور ، يتطهرون به من الجنابة كظهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء ، حيث كانوا قلهم مسجد ، غُرَّ مُحَجَّلُونَ مِنَ الْوُضوءِ ، فاجعلهم أمتي . قال : هم أمة أحمد ؟ فقال الخبر : نعم أجد ذلك ؛ قال : أنشدك الله الذي فرق البحر لموسى ، أتجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال : رب إني أجد أمة إذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كُتِبَتْ له حسنة مثلها ، وإذا عملها أضعفت له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، وإذا هم بسيئة ولم يعملها لم تُكْتَبْ عليه ، فإذا عملها كُتِبَتْ عليه سيئة مثلها ، فاجعلهم أمتي ، قال : هم أمة أحمد ؟ قال الخبر : نعم ، أجد ذلك ؛ قال كعب : أنشدك الله الذي فرق البحر لموسى ، أتجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال : يا رب إني أجد أمة يا كلون كفاراتهم وصدقاتهم ، لأنهم يطعمونها مساكينهم ولا يحرقونها كما كان غيرهم من الأمم يفعل ؟ . وجاء في حديث آخر غير هذا مما هو منسوب إلى كتب الله السالفة : « يا كلون قرايتهم في بطونهم ^(١) » . والمراد الضحايا .

ومنه ما روى عنه أنه قال : كان لأبي سِفرٍ من التوراة يجعله في تابوت ويختم عليه ، فلما مات أبي فتحتُه ، فإذا فيه : إن نبيا يخرج في آخر الزمان هو خير الأنبياء ، وأتمه خير الأمم ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله ، يكبرون الله على كل شرف ، ويصفون في الصلاة كصفوفهم في القتال ، قلوبهم مصاحفهم ، يأتون يوم القيامة غُرًّا مُحَجَّلِينَ ، اسمه أحمد ، وأتمه الحمدادون ، يحدون الله على كل شدة ورخاء ، مولده مكة ، ودار هجرته طابة ، لا يلقون عدوا إلا وبين أيديهم

(١) في خبر البشر : « قرايتهم » .

(٢) في خبر البشر : « قرايتهم » .

(٣) في الأصل : « آخر الأنبياء » .

ملائكة معهم رماح ، تَحْنُ اللهُ عَلَيْهِم كَتَحْنُ الطير على فراخها ، يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ؛
يَأْتِي ثُلُثُ مِنْهُمْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، ثُمَّ يَأْتِي ثُلُثُ مِنْهُمْ بِذُنُوبٍ وَخَطَايَا ،
فَيُغْفَرُ لَهُمْ ، وَيَأْتِي ثُلُثُ بِذُنُوبٍ وَخَطَايَا عَظَامٍ ، يَقُولُ اللهُ : اذْهَبُوا بِهِمْ فِرْزَانِهِمْ
وَانْظُرُوا إِلَى أَعْمَالِهِمْ ، فَيَرِزُونَهُمْ وَيَقُولُونَ : رَبَّنَا ! وَجَدْنَاهُمْ قَدْ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ،
وَوَجَدْنَا أَعْمَالَهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ أَمْثَالَ الْجِبَالِ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَشْهَدُونَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ،
فَيَقُولُ اللهُ : وَعِزَّتِي لَا أَجْعَلُ مَنْ أَخْلَصَ لِيَ الشَّهَادَةَ كَنْ كَفَرِي ؛ قَالَ كَعْبُ :
فَأَنَا أَرْجُو أَنْ أَكُونَ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

ومنه ما روى أن رجلين جلسا يتحدثان وكعبُ الأحبار قريبٌ منهما ، فقال
أحدهما : رأيت فيما يرى النائم كأن الناس حُشِرُوا ، فرأيت التَّيِّدِينَ كُلَّهُمْ لَمْ يَنْزِلْ
نُورَانٌ ، ورأيت لأشْيَاعِهِمْ نُورًا نَورًا ، ورأيتُ مَجْدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما من
شُعْرَةٍ فِي رَأْسِهِ وَلَا جَسَدِهِ إِلَّا وَفِيهَا نُورٌ ، ورأيتُ أَتْبَاعَهُ وَلَهُمْ نُورَانٌ نُورَانٌ ، فقال
له كعب : اتَّقِ اللهَ تَعَالَى يَا عَبْدَ اللهِ ! وَاَنْظُرْ مَا تَتَحَدَّثُ بِهِ ، فقال الرجل : إِنَّمَا
هِيَ رُؤْيَا مَنَامٍ أَخْبَرْتُ بِهَا عَلَى مَا أَرَيْتُهَا ، فقال كعب : وَالَّذِي بَعَثَ مَجْدًا بِالْحَقِّ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ ، إِنَّ هَذَا لَفِي كِتَابِ اللهِ
الْمَنْزُورِ عَلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ كَمَا ذَكَرْتُ .

وَأَمَّا مَا جَاءَ عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ وَهُوَ أَبُو مَالِكٍ ، وَكَانَ مِنْ أَجْبَارِ يَهُودَ ، فَقَدْ رَوَى
الْوَاقِدِيُّ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ لَهُ : يَا أَبَا مَالِكِ ! أَخْبِرْنِي

(١) فِي الْأَصْلِ : « كَتَحْنُ » . (٢) فِي خَيْرِ الْبَشَرِ : « نَأْتِي ثُلَّةٌ مِنْهُمْ فَيَدْخُلُونَ » .

(٣) فِي خَيْرِ الْبَشَرِ : « نَأْتِي ثُلَّةٌ » . (٤) فِي الْأَصْلِ : « فَيَرِزُونَهُمْ » تَصْغِيرٌ .

(٥) فِي خَيْرِ الْبَشَرِ : « لِأَتْبَاعِهِمْ » . (٦) فِي خَيْرِ الْبَشَرِ : « مَا تَتَحَدَّثُ » .

(٧) انظر خير البشر لابن ظفر ص ١٠ .

(١) بصفة النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة، فقال : إن صفته في تورا بنى إسرائيل التي لم تبدل ولم تُغيّر أحد، من ولد إسماعيل بن إبراهيم ، وهو آخر الأنبياء ، وهو النبي العربي ، يأتي بدين إبراهيم الحنيف ، يأتزر على وسطه ، ويغسل أطرافه ، في عيَّه حمرة ، وبين كَتِفَيْهِ خاتم النبوة ، ليس بالقصير ولا بالطويل ، يلبس الشملة ، ويجترى بالبلغة ويركب الحمار ، ويمشي في الأسواق ، سيفه على عاتقه ، لا يبالي من لقي من الناس ، معه صلاة لو كانت في قوم نوح ما أهلكوا بالطوفان ، ولو كانت في قوم عاد ما أهلكوا بالريح ، ولو كانت في ثمود ما أهلكوا بالصيحة ، مولده مكة ، ومنشؤه وبدء نبوته بها ، ودار هجرته يثرب بين لائتي حرة ونخيل وسبخة ، وهو أُمِّي لا يكتب ولا يقرأ المكتوب ، وهو الحماد بحمد الله على كل شدة ورخاء ، سلطانه بالشام ، وصاحبه من الملائكة جبريل ، يأتي من قومه أذى شديدا ، ثم يدال عليهم فيحصدهم حصدا ، تكون له وقعات يثرب ، منها له ومنها عليه ، ثم له العاقبة ، معه قسوم هم إلى الموت أسرع من الماء من رأس الجبل إلى أسفله ، صدورهم أناجيئهم ، وقربانهم دماؤهم ، ليوث النهار رهبان الليل ، يُرعب عدوه منه مسيرة شهر ، يباشر القتال بنفسه حتى يُجرح ويكلم ، لا شرطة معه ولا حرس ، الله يحرسه .

وكان من هؤلاء أيضا عبد الله بن سلام (٢) ومخيريق (٣) وسندكر أخبارهما إن شاء الله تعالى عند ذكر إسلامهما بعد الهجرة على ما تقف عليه هناك .

هذه رواية من أسلم من أهل الكتاب .

(١) في خير البشر ص ١٠ : « بنى هارون » .

(٢) في خير البشر : « ويحارب على البلغة ، ويركب الجمل » .

(٣) بتخفيف اللام كما في الروض الأنف ٢ : ٢٥ ، وانظر شرح الشفا للخفاجي ٣ : ٢٦٤ .

(٤) في الأصل : « مخبرق » تصحيف ، والتصحيح عن سيرة ابن هشام ٢ : ١٦٤ ، وانظر

الروض الأنف ٢ : ٢٦ ، ونسب الرياض ٣ : ٢٦٥ .

وأما من بشر به صلى الله عليه وسلم من أهل الكآبين ممن لم يسلم ظاهرا، ولا علم لهم لإسلام، ومن أقرب بنبوته صلى الله عليه وسلم ولم يدركه مكان .

(١) فن هؤلاء من بشر به وأخبر بنبوته قبل مولده، ومنهم من ذكر ذلك حال مولده لقرائن كان يرُقب وقوعها تدل على مولده فوقعت؛ ومنهم من بشر به في حال طفولته، ومنهم من بشر به قبل مبعثه، ومنهم من ذكر صفته بعد مبعثه ورؤيته له، وذكر قومه بها وحقق عندهم أنه هو، ودليل كل منهم ما كان يحده عنده من أخباره في الكتب السالفة التي تلقاها عن أسلافه، ومنهم من أظهر صحفا كانت عنده فيها صريح ذكره وصفته، ومنهم من أظهر تمثال صورته، وصور بعض أصحابه وهبتهم، وكان ذلك مصورا في بيوت في بيوتهم على ما تذكر ذلك مسهباً إن شاء الله .

فأما من بشر به وأخبر بنبوته وصفته صلى الله عليه وسلم قبل مولده؛ فن ذلك ما حكاه ابن إسحاق في خبر تبَّع الأول، قال : وكان من الخمسة الذين كانت لهم الدنيا بأسرها، وكان له وزراء، واختار منهم واحدا، وأخرجه معه، وكان يسمى عماريشا، وأخذة لينظر في مملكته، وخرج معه مائة ألف من الفرسان، وثلاثة وثلاثون ألفا، ومائة ألف وثلاثة عشر ألفا من الرجال، وكان إذا أتى بلدة يختار منها عشرة رجال من حكمائها، حتى جاء إلى مكة، فكان معه مائة ألف رجل من العلماء والحكماء الذين اختارهم من البلدان، فلم يهتبه أهل مكة

(١) في الأصل : « من » .

(٢) في الأصل : « سيبا » .

(٣) وردت هذه البشري في ممرات الأوراق ص ١١٠ .

(٤) في ممرات الأوراق هنا وفيما يأتي : « عماريا » .

ولم يعظموه ، فغضب لذلك ، ثم دعا وزيره عماريا وقال : كيف شأن أهل هذه البلدة ؟ فإنهم لم يهابوني ، ولم يخافوا عسكري ، فقال : أيها الملك إنهم قوم عَرَبٌ جاهلون لا يعرفون شيئا ، وإن لهم بيتا يقال له كعبة ، وهم مُعجَبون بهذا البيت ، وهم قوم يعبدون الطواغيت ، ويسجدون للأصنام . فقال الملك : وهم مُعجَبون بهذا البيت ؟ قال : نعم ، فنزل بعسكره ببطحاء مكة ، وفكر في نفسه دون الوزير ، وعزم على هدم الكعبة ، وتسميتها خربة ، وأن يقتل رجالهم ، ويسبي نساءهم ، فأخذه الله بالصُداع ، وتفجّر من جبهته وأذنيه ومُنخريه وفمه ماء مُتِن ، فلم يصير عنه أحد طرفة عين من تن الريح ، فاستيقظ لذلك وقال لوزيره : إجمع العلماء والحكماء والأطباء وشاورهم في أمري ، فاجتمع عنده الأطباء والعلماء والحكماء ، فلم يقدروا على المُقام عنده ، ولم يمكنهم مداواته ، فقال : إني جمعت الأطباء والعلماء والحكماء من جميع البلدان ، وقبِد وقعت في هذه الحادثة ولم يقدروا على مُداواتي ، فقالوا بأجمعهم : إنا نَقْدِر على مُداواة ما يعْرِض من أمور الأرض ، وهذا شيء من السماء لا نستطيع ردّ أمر السماء ، ثم اشتد أمره ، وتفترق الناس عنه ، ولم يزل أمره في شدّة حتى أقبل الليل ، فغاء أحد العلماء إلى الوزير وقال : إن بيني وبينك سرا ، وهو إن كان الملك يصدّقني في حديثه عاجلته ، فاستبشر الوزير بذلك وأخذ بيده ، وحمله إلى الملك ، وأخبره بما قال الحكيم ، وما التمس من صدق الملك ، حتى يعالج علته ، فاستبشر الملك بذلك ، وأذن له في الدُخول ، فلما دخل قال : أريد الخلوّة ، فأُخِل له المكان ، فقال : نويت لهذا البيت سوءا ؟ قال : نعم ؛ إني نويتُ خرابه ، وقتل

(١) في ثمرات الأوراق : « عماريا ، وقال كيف شأنت هذه البلدة » .

(٢) في الأصل : « عريون » ، والتصويب عن ثمرات الأوراق .

رجالهم ، وسَيَّ دَرَارِيَهُمْ ، فقال له : إِنَّ وجعك وما بُليتَ به من هذا ، اعلم أن صاحب هذا البيت قَوِيٌّ يعلم الأسرار ، فبادر وأخرج من قلبك ما هممتَ به من أذى هذا البيت ولك تحير الدنيا والآخرة ، قال الملك : أفعل ، قد أخرجتُ من قلبي جميع المكروهات ، ونويت جميع الخيرات ، فلم يخرج العالم من عنده حتى برئ من علته ، وعافاه الله بقدرته ، فأمن بالله من ساعته ، وخرج من منزله صحيحاً على دين إبراهيم عليه السلام ، وخلع على الكعبة سبعة أثواب ، وهو أول من كسا الكعبة ، ودعا أهل مكة ، وأمرهم بحفظ الكعبة ، وخرج إلى يثرب ، وهي يومئذ بقعة فيها عين ماء ليس فيها بيتٌ مبنًى ولا بناء ، فنزل على رأس العين هو وعسكره وجميع العلماء الذين كانوا معه ، ومعهم رئيسهم عماريشا الذي كان يرى برأيه .

- ١٠ ثم إن العلماء والحكماء اجتمعوا ، وكانوا أربعة آلاف ، فأخرجوا من بينهم أربعائة هم أعلمهم ، وبأيع كل واحد منهم صاحبه أن لا يخرجوا من ذلك المقام وإن ضربهم الملك أو قتلهم ، فلما علم الملك ما قد عزموا عليه ، قال للوزير : ما شأنهم يمتنعون عن الخروج معي ، وأنا محتاج إليهم ؟ وأي حكمة في نزولهم في هذا المكان ، واختيارهم إياه على سائر النواحي ، فلما أتاها الوزير وسألهم عما عزموا عليه ، واختيارهم المقام بهذه البقعة ، قالوا له : أيها الوزير ! إن شرف ذلك البيت ، وشرف هذه البقعة التي نحن فيها يشرف رجل يُبعث في آخر الزمان ، يقال له محمد ووصفوه ، ثم قالوا : طوبى لمن أدركه وآمن به ، وقد كنا على رجاء أن نُدركه أو يُدركه أولادنا ، فلما سمع الوزير مقالتهم همَّ بالمقام معهم ، فلما جاء وقت الرحيل أمرهم الملك أن يرتحلوا ، فقالوا : لا نفعل ، وقد أعلمنا الوزير بحكمة مقامنا ، فدعا الوزير فأخبره بما سمع منهم ، فتفكر الملك وهم أن يقيم معهم سنة رجاء أن يدرك محمداً صلى الله عليه وسلم ، فأقام وأمر الناس أن يبنوا أربعائة دار ، لكل رجل من العلماء
- ٢٠

دار ، واشترى لكل واحد منهم جارية وأعتقها وزوجها برجل منهم ، وأعطى كل واحد منهم عطاءً جزيلاً ، وأمرهم أن يقيموا في ذلك الموضع إلى أن يمضي زمانُ النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم كتب كتاباً وختمه بخاتم من ذهب ، ودفعه إلى العالم الكبير ، وأمره أن يدفع الكتاب إلى محمد صلى الله عليه وسلم إن أدركه ، وإلا أوصى به أولاده بمثل ما أوصاه به ، وكذلك أولاده حتى ينتهي أمره إلى محمد صلى الله عليه وسلم . وكان في الكتاب : أما بعد فإني آمنتُ بك وبكتابك الذي أنزل عليك ، وأنا على دينك وسنتك ، وآمنتُ بربك ورب كل شيء ، وآمنتُ بكل ما جاء من ربك من شرائع الإيمان والإسلام ، فإن أدركك فيها ونعمت ، وإن لم أدركك فاشفع لي ، ولا تنسني يوم القيامة ، فإني من أمتك الأولين ؛ وتابعيك قبل مجيئك ^(١) ، وأنا على ملتك وملة أبيك إبراهيم عليه السلام . ثم ختم الكتاب ونقش عليه : (لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ) وكتب على عنوانه إلى محمد بن عبد الله نبي الله رسوله ، وخاتم النبيين ، ورسول رب العالمين ، صلى الله عليه وسلم ، من تبع الأول حمير بن حمير ^(٢) ابن وردع أمانة الله في يد من وقع اليه إلى أن يوصله إلى صاحبه ، ودفع الكتاب ^(٣) إلى الرجل العالم الذي أبراه من علقته . وصار تبع من يثرب حتى مات بقلسان من بلاد الهند .

وكان من اليوم الذي مات فيه تبع إلى اليوم الذي لم يمض فيه النبي صلى الله عليه وسلم ألف سنة لا تزيد ولا تنقص ، وكان الأنصار الذين نصرُوا النبي صلى الله عليه وسلم من أولاد أولئك العلماء والحكماء ، فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، سأله أهل القبائل أن يتزل عليهم على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى ؛ فكانوا يتعلقون بناقته وهو يقول : خلوا الناقة فإنها مأمورة ، حتى جاءت إلى دار أبي أيوب ، وكان من أولاد العالم الذي أبرأ تبعاً برأيه .

(١) في ثمرات الأوراق : « وقد بايعتك » . (٢) كذا في الأصل .

قال ابن إسحاق: واستشار الأنصارُ عبدَ الرحمن بن عوف في إيصال الكتاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم لما ظهر خبره قبل هجرته، فأشار عبد الرحمن أن يدفعوه إلى رجل ثقة، فاختاروا رجلاً يقال له أبو ليلى وكان من الأنصار، فدفعوا الكتاب إليه وأوصوه بحفظه، فأخذ الكتاب وخرج من المدينة على طريق مكة، فوجد النبي صلى الله عليه وسلم في قبيلة من بني سليم، فعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعاه وقال: أنت أبو ليلى؟ فقال: نعم، قال: معك كتاب تبع الأول؟ قال: نعم، فبقى الرجل متفكراً، وقال في نفسه: إن هذا من العجائب، ثم قال له أبو ليلى: من أنت، فإني لست أعرفك؟ إن في وجهك أثر السحر، وتوهم أنه ساحر، فقال له: بل أنا محمد رسول الله، هات الكتاب، فأخرجه ودفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم ودفعه إلى عليّ كرم الله وجهه، فقرأه عليه، فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم كلام تبع قال: مرحباً بالأخ الصالح ثلاث مرّات، ثم أمر أبا ليلى بالرجوع إلى المدينة، فرجع وبشر القوم بقدم النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك ما روى ابن أبا كريب تبارك بن أسعد ملك اليمن أحد التابعين^(١) لما قصد بلاد الشرق، جعل طريقه على يثرب، فلم يهجم أهلها، وخلف بين أظهرهم ابنه له، فقتل غيلة، فقدمها وهو مجمع لإخراها واستنصال أهلها وقطع نخيلها، فجمع له أهل المدينة ورؤسهم يومئذ عمرو بن طلحة أحد بني النجار، وهو عمرو بن معاوية بن عمرو بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن النجار، وطلحة أمه، وهي بنت عامر بن زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة^(٢).

(١) انظر الكامل لابن الأثير في «ذكر حوادث العرب أيام قباض».

(٢) في التيجان ص ٢٩٤، وسيرة ابن هشام ١ : ٢١ : «المشرق».

(٣) انظر سيرة ابن هشام ١ : ٢١.

قال محمد بن إسحاق ^(١) :

وكان رجل من بني عدى بن النجار ويقال له أحمر، عدا على رجل من أصحاب
تُبَّع حين نزل بهم فقتله ، وذلك أنه وجدّه في عَدَقٍ له يَحْدُهُ ، فضربه بمنجّله فقتله ،
وقال : إنما التمر لمن أبره ، فزاد ذلك تُبَّعًا حَتَفًا عليهم فاقْتَلَوْا ، فكان أهل المدينة ،
وهم هذا الحى من الأنصار يقاتلون به بالنهار ويَقْرُونَهُ بالليل ، فيُعْجِبُهُ ذلك منهم
ويقول : والله إن قومنا لَكِرَام . وفى ذلك يقول حسان بن ثابت من قصيدة
لم يذكر فيها قومه :

قَرَوُا تُبَّعًا بِيضَ الْمَوَاضِي صَحَّاءَ وَكُومَ عِشَارٍ بِالْعِشِيَّاتِ نَهَضَ

قال فبينما تُبَّع على ذلك من حربهم إذ جاءه حَبْرَان من أحبار يهود من بنى قُرَيْظَةَ
عالمَان راسِمَان ، حين سمعا بما يُريد من إهلاك يَثْرِب وأهلها ، فقالا له : أيها
الملك ، لا تفعل ، فإنك إن أبَيْتَ إلا ما تريد حِيلَ بَيْنَكَ وبينها ، ولم نَأْمَنَ عليك
عاجِلَ العقوبة ، فقال لهما : ولم ذلك ؟ قالَا : هى مُهَاجِرَتُنِي يخرج من هذا الحَرَم
من قُرَيْش آخر الزمان ، تكون داره وقراره . فرأى تُبَّع أن لهما علما ، فَأَنْصَرَفَ عن
المدينة وَاتَّبَعَهُمَا على دينهما .

ومن ذلك خبر سلمان الفارسي وقصته في سبب إسلامه وهجرته إلى المدينة .
رَوَى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، قال : حدثني سلمان الفارسي
من فيه ، قال : كنتُ رجلا فارسيا من أهل أَصْبَهَانَ ، من أهل قَرْيَةٍ يقال لها بَجَى ،

(١) نقله ابن هشام في السيرة ١ : ٢١ ، وانظر الخميس للديار بكري ١ : ٢٧ .

(٢) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٢ : « فبينما تبع على ذلك من قتالهم » .

(٣) طر البداية والنهاية ٢ : ٣١٠ ، سيرة ابن هشام ١ : ٢٢٨ .

وكان أبى دهمقان^(١) قريبه ، وكنت أحب خلق الله إليه ، ثم لم يزل به حبة إياى حتى حبسنى فى بيته كما تحبس الجارية ، واجتهدت فى المجوسية حتى كنت قطن النار^(٢) الذى يوقدها لا يتركها تحبوس ساعة ؛ قال : وكان لأبى ضيعة عظيمة ، فشغل فى بنائى له يوما ، فقال يابنى : إنى قد شغلت فى بنائى هذا اليوم عن ضيعتى ، فاذهب إليها ، فأمرنى فيها ببعض ما يريد ثم قال : ولا تحبس عنى ، فإنك إن احتبست عنى كنت أهم إلى من ضيعتى وشغلتنى عن كل شىء من أمرى ؛ قال : فخرجت أريد ضيعة التى بعثنى إليها ، فررت بكنيسة من كنائس النصارى ، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون ، وكنت لا أدرى ما أمر الناس بحبس أبى إياى فى بيته ؛ فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون ، فلما رأيتهم أعجبتنى صلاتهم ، ورغبت فى أمرهم وقلت : هذا والله خير من الدين الذى نحن عليه ، فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس ، وتركض ضيعة أبى فلم آتيا ، ثم قلت لهم : أين أصل هذا الدين ؟ قالوا : بالشام ، فرجعت إلى أبى وقد بعث فى طلبى ، وشغلته عن عمله كله ، فلما جثته قال : أى بئى ! أين كنت ؟ ألم أكن عيشت إليك ما عيشت ؟ قلت : يا أبت ! مررت بأناس يصلون فى كنيسة لهم ، فأعجبني ما رأيته من دينهم ، فوالله ما زلت من عندهم حتى غربت الشمس ، قال : أى بئى ! ليس فى ذلك الدين خير ، دينك ودين آبائك خير منه ، قلت له : كلا والله ! إنه خير من ديننا ، قال : نخافنى بفعل فى رجلى قيذا ثم حبسنى فى بيته ، فبعثت إلى النصارى فقلت لهم : إذا قدم عليكم ركب من الشام تجار فأخبرونى بهم ، قال : فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى فأخبرونى بهم ، فقلت : إذا قضا حوائجهم ، وأرادوا الرجعة

(١) الدهقان رئيس الإقليم ، أو مقدم القرية أو زعيم فلاحى العجم (تاج — دهقان) .

(٢) قطن النار : خادما . (٣) فى السيرة ١ : ٢٢٩ : « الحبس » .

إلى بلادهم ، فأذِنُونِي بِهِمْ ، فلما أَرَادُوا الرَّجْعَةَ أَخْبَرُونِي بِهِمْ ، فَأَلْقَيْتُ الْحَدِيدَ
 مِنْ رَجُلِي ، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ ، فَلَمَّا قَدِمْتُهَا قُلْتُ : مَنْ أَفْضَلُ أَهْلِ
 هَذَا الدِّينِ عَلَيَّ ؟ قَالُوا الْأَسْقَفُ فِي الْكَنِيسَةِ ، يَحْتَنُهُ فَقُلْتُ : إِنِّي رَغِبْتُ فِي هَذَا
 الدِّينِ ، وَأُجِيبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ وَأَخْدَمَكَ وَكُنَيْسَتَكَ ، وَأَتَعَلَّمَ مِنْكَ ، وَأَصِلِّي
 مَعَكَ ، قَالَ : أَدْخُلْ ، فَدَخَلْتُ مَعَهُ ، فَكَانَ رَجُلٌ سُوءٌ ، يَأْمُرُهُم بِالصَّدَقَةِ
 وَيُرْغِبُهُمْ فِيهَا ، فَإِذَا جَمَعُوا إِلَيْهِ شَيْئًا مِنْهَا أَكْتَرَهُ لِنَفْسِهِ وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ ، حَتَّى
 جَمَعَ سَبْعَ قِلَالٍ مِنْ ذَهَبٍ وَوَرِقٍ ، قَالَ : وَأَبْغَضْتُهُ بَغْضًا شَدِيدًا لِمَا رَأَيْتُهُ يَصْنَعُ ،
 ثُمَّ مَاتَ وَاجْتَمَعَتْ لَهُ النَّصَارَى لِيَدْفِنُوهُ فَقُلْتُ لَهُمْ : إِنْ هَذَا رَجُلٌ سُوءٌ ، يَأْمُرُكُمْ
 بِالصَّدَقَةِ وَيُرْغِبُكُمْ فِيهَا ، فَإِذَا جِئْتُمُوهُ بِهَا أَكْتَرَهَا لِنَفْسِهِ ، وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ مِنْهَا
 شَيْئًا ، فَقَالُوا لِي : وَمَا عَلِمُكَ بِذَلِكَ ؟ قُلْتُ : أَنَا أَدْلِكُمْ عَلَى كِتْرِهِ ، قَالُوا : فَدَلَّنَا
 عَلَيْهِ ، فَأَرَيْنَاهُمْ مَوْضِعَهُ ، فَاسْتَخْرَجُوا سَبْعَ قِلَالٍ مَلْمُوءَةٍ ذَهَبًا وَوَرِقًا ، فَلَمَّا رَأَوْهَا
 قَالُوا : وَاللَّهِ لَا نَدْفِنُهُ أَبَدًا ، فَصَلَّبُوهُ وَرَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ ، وَجَاءُوا بِرَجُلٍ آخَرَ فَعَلَوْهُ
 مَكَانَهُ . قَالَ : يَقُولُ سَلْمَانُ : فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا لَا يَصِلِي الْخَمْسَ أَرَى أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ ،
 وَأَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا ، وَلَا أَرْغَبُ فِي الْآخِرَةِ ، وَلَا أَدَابَ لَيْلًا وَنَهَارًا مِنْهُ ، قَالَ : فَاجِيبْتُهُ
 حَبَا لَمْ أَحِبَّهُ شَيْئًا قَبْلَهُ ، فَأَقَمْتُ مَعَهُ زَمَانًا ، ثُمَّ خَضَرَّتْهُ الْوُفَاةُ فَقُلْتُ لَهُ : يَا فُلَانُ
 إِنِّي قَدْ كُنْتُ مَعَكَ وَأَحْبَبْتُكَ حَبَا لَمْ أُحِبَّهُ شَيْئًا قَبْلَكَ ، وَقَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَى مِنْ
 أَمْرِ اللَّهِ ، فإِنِّي مَنِ تَوَصَّى بِي وَبِمِ تَأْمُرُنِي ؟ قَالَ : أَيْ بُنَيَّ ، وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ الْيَوْمَ
 أَحَدًا عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ ، لَقَدْ هَلَكَ النَّاسُ ، وَبَدَلُوا وَتَرَكُوا أَكْثَرَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ ،
 إِلَّا رَجُلًا بِالْمَوْصِلِ ، وَهُوَ فُلَانُ ، وَهُوَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ ، فَالْحَقُّ بِهِ . قَالَ : فَلَمَّا
 مَاتَ وَغُيِّبَ لَحَقْتُ بِصَاحِبِ الْمَوْصِلِ فَقُلْتُ لَهُ : يَا فُلَانُ إِنْ فُلَانًا أَوْصَانِي عِنْدَ
 مَوْتِهِ أَنْ الْحَقُّ بِكَ ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّكَ عَلَى أَمْرِهِ ، فَقَالَ لِي : أَقِمْ عِنْدِي ، فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ

- (١) فوجدته خير رجل على أرض صاحبه، فلم يلبث أن مات، فلما حضرته الوفاة قلت له : يا فلان إن فلانا أوصى بي إليك ، وأمرني بالثقوق بك ، وقد حضر بك من أمر الله ما ترى ، فإلى من توصى بي وبم تأمرني ؟ قال : يا بني والله ما أعلم رجلا على مثل ما تكلم عليه إلا رجلا بنصيبين ، وهو فلان ، فالتحق به ، فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين ، فأخبرته خبري ، وما أمرني به صاحبي ، فقال : أقم عندي ، فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبه ، فأقمت مع خير رجل ، فوالله ما لبث أن نزل به الموت ، فلما حضر قلت له : يا فلان إن فلانا كان أوصى بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إليك ، فإلى من توصى بي وبم تأمرني ؟ قال يا بني والله ما أعلمه بقي أحد على أمرنا ، فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية ، فأخبرته خبري ، فقال : أقم عندي ، فأقمت عند خير رجل على هدي أصحابه وأمرهم ، قال : واكتسبت حتى كانت لي بقرات وغنيمة ، قال : ثم نزل به أمر الله ، فلما حضر قلت له : يا فلان إني كنت مع فلان فأوصى بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إليك ، فإلى من توصى بي وبم تأمرني ؟ قال : يا بني والله ما أعلمه أصبح أحد على مثل ما تكلم عليه من الناس أمرك أن تأتيه ، ولكنه قد أظلم زمان .
- ١٠ نبي هو مبعوث يدين إبراهيم عليه السلام ، يخرج بأرض العرب ، مهاجرة إلى أرض بين حرتين بينهما نخيل ، به علامات لا تخفى ؛ يا كل الهدية ولا يا كل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل ، قال : ثم مات وغيب ، ومكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث ، ثم مر بي نفر من كلب فجار فقلت لهم ، احملوني إلى أرض العرب ، وأعطيكم بقراتي هذه ،
- ٢٠

(١) في السيرة لابن هشام ١ : ٢٣١ : « على أمر » .

وَعُثِمَتِي هَذِهِ ، قَالُوا : نَعَمْ . وَأَعْطَيْتُهُمُوهَا وَحَمَلُونِي مَعَهُمْ ، حَتَّى [إِذَا] بَلَغُوا وَادِيَ الْقَرْيَ ظَلَمُونِي فَبَاعُونِي مِنْ رَجُلٍ يَهُودِيٍّ عَبْدًا ، فَكُنْتُ عَنْدهُ ، وَرَأَيْتُ النَّخْلَ ، وَرَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ الْبَلَدُ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي ، وَلَمْ يَحْسَقْ فِي نَفْسِي ؛ فَبَيْنَا أَنَا عَنْدهُ ، إِذْ قَدِمَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمٍّ لَهُ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَاِبْتَاغَنِي مِنْهُ ، فَحَمَلَنِي إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا فَعَرَفْتُهَا بِصَفَةِ صَاحِبِي ، فَأَقَمْتُ بِهَا . وَبُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ مَا أَقَامَ ، لَا أَسْمَعُ لَهُ بِذِكْرِ مَعِيَ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ شُغْلِ الرِّقِّ ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَتَقَى رَأْسَ عَذِيقِ لِسَيْدِي أَنْعَمَلَ فِيهِ فِيهِ بَعْضَ الْعَمَلِ ، وَسَيْدِي جَالِسٌ تَحْتِي إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ ، حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ : يَا فُلَانُ ، قَاتَلَ اللَّهُ بَنِي قَيْلَةَ ^(١) ، إِنَّهُمْ وَاللَّهِ الْآنَ لَيُجْتَمِعُونَ بَقِيَاءَ ^(٢) ، عَلَى رَجُلٍ قَدِمَ عَلَيْهِمْ مِنْ مَكَّةَ الْيَوْمَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، قَالَ : فَلَمَّا سَمِعْتُهُ أَخَذْتَنِي الْعُرْوَاءُ ^(٣) حَتَّى ظَنَنْتُ أَنِّي سَاقِطٌ عَلَى سَيْدِي ، فَتَزَلَّتْ عَنِ النَّخْلَةِ فَبَعَثْتُ أَقُولُ لِابْنِ عَمِّهِ ذَلِكَ : مَاذَا تَقُولُ ؟ فَغَضِبَ سَيْدِي وَلَكِنِّي لَمَكُنِّي لَمَكَةً شَدِيدَةً ، ثُمَّ قَالَ : مَا لَكَ وَهَذَا ؟ أَقِيلَ عَلَى عَمَلِكَ ، فَقُلْتُ لَا شَيْءَ إِلَّا إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أُسْتَشِيرَهُ عَمَّا قَالَ . قَالَ سَلَمَانُ : وَكَانَ عِنْدِي شَيْءٌ قَدْ جَمَعْتُهُ ، فَلَمَّا أَمْسَيْتُ أَخَذْتُهُ ثُمَّ ذَهَبْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بَقِيَاءَ ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ ، وَمَعَكَ أَصْحَابٌ لَكَ غُرَبَاءُ ذَوُوا حَاجَةٍ ، وَهَذَا شَيْءٌ كَانَ عِنْدِي لِلصَّدَقَةِ ، فَأَرَيْتُكُمْ أَحَقَّ بِهِ مِنْ غَيْرِكُمْ ، قَالَ : فَقَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : كُلُوا ! وَأَمْسَكَ يَدَهُ

(١) يريد الأوس والخزرج ؛ لأن قبيلة بنت كامل أم الأوس والخزرج . وانظر سيرة ابن هشام

(٢) قباء بالضم : قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة .

(٣) العرواء : الزعدة والانفاس من الحمى والبرد .

(٤) في سيرة ابن هشام ٠ ٢٣٣ : « أَنِّي سَاقِطٌ » .

فلم يأكل . قال : قلت في نفسي : هذه واحدة ، ثم انصرفت عنه فجمعت شيئا ،
 وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ثم جئته به ، فقلت :
 إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة ، وهذه هدية أكرمتك بها ، قال : فأكل منها ،
 وأمر أصحابه فأكلوا معه ، قال : قلت في نفسي : هاتان ثنتان . قال : ثم جئت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بقيق الغرقد^(١) قد تبع جنازة رجل من أصحابه ،
 على شملتان لي ، وهو جالس في أصحابه ، فسألت عليه ثم استدردت أنظر إلى
 ظهره ، هل أرى الخاتم الذي وُصف لي ، فلما رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم
 استدبرته ، عرفت أني أستثيت من شيء وُصف لي ، فالتقي رداءه عن ظهره
 فنظرت إلى الخاتم فعرفته فأكببت عليه أقبلة وأبكي ، فقال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم : تحول ! فتحولت بفلسيت بين يديه ، فقصصت عليه حديثي كما حدثتك
 يابن عباس ، فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسمع ذلك أصحابه .

ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر وأحد .
 قال سلمان : ثم قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : كاتب يا سلمان ، فكاتب
 صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحبيها له بالفقير ، يعني الآبار الصغار ، وأربعين أوقية ،
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : أعينوا أحاكم ، فأعانوني بالنخل ؛
 الرجل بثلاثين ودية^(٢) ، والرجل بعشرين ودية ، والرجل بخمس عشرة ودية ، والرجل
 بعشيرة^(٣) ، يعين الرجل بقدر ما عنده ، حتى اجتمعت لي ثلاثمائة ودية ، فقال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم : أذهب يا سلمان فققرها ، فإذا فرغت فأتني ، أكن أنا

(١) بقيق الغرقد : مقبرة أهل المدينة .

(٢) الودي : صغار النخل واحدها ودية .

(٣) فقرها : أي احفرها .

أَصْعَمَهَا بِيَدِي . قَالَ : فَفَقَرْتُ ، وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي حَتَّى إِذَا فَرَعْتُ جَبْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ ،
فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعِيَ إِلَيْهَا ، فَبَعَلْنَا نَقَرَبُ إِلَيْهِ الْوَدِي ، وَيَضَعُهُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ حَتَّى إِذَا قَرَعْنَا ، فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلَمَانَ بِيَدِهِ
مَا مَاتَ مِنْهَا وَدِيَّةً وَاحِدَةً ، فَأَدَّيْتُ النَّخْلَ ، وَبَقِيَ عَلَى الْمَالِ ، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِثْلِ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ مِنْ بَعْضِ الْمَعَادِنِ ، فَقَالَ : مَا فَعَلَ
الْفَارِسِيُّ الْمُكَاتَّبُ ؟ قَالَ : فَدُعِيتُ ، فَقَالَ : خَذْ هَذِهِ فَأَدِّهَا مِمَّا عَلَيْكَ يَا سَلَمَانُ ،
قَالَ : وَقَلْبُ وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِمَّا عَلَيَّ ؟ فَقَالَ : خُذْهَا ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيُؤَدِّي
بِهَا عَنْكَ ، وَفِي رَوَايَةٍ : فَأَخَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَلَّبَهَا عَلَى لِسَانِهِ ثُمَّ قَالَ :
خُذْهَا فَأَوْفِيهِمْ مِنْهَا . قَالَ : فَأَخَذْتُهَا فَوَزَنْتُ لَهُمْ مِنْهَا — وَالَّذِي نَفْسُ سَلَمَانَ بِيَدِهِ —
أَرْبَعِينَ أَوْقِيَةً ، فَأَوْفَيْتُهُمْ حَقَّهُمْ مِنْهَا ، وَعَتَقَ سَلَمَانٌ . فَشَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَنْدَقَ حُرًّا ، ثُمَّ لَمْ يُقَتْنِي مَعَهُ مَشْهَدٌ .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بِسَنَدٍ رَفَعَهُ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، أَنَّهُ قَالَ : حَدَّثْتُ
عَنْ سَلَمَانَ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَخْبَرَهُ : إِنْ صَاحِبُ
عُمُورِيَّةٍ قَالَ لَهُ : أَتَيْتَ كَذَا وَكَذَا مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ، فَإِنْ بِهَا رَجُلَانِ غِيْضَتَيْنِ يَخْرُجُ
فِي كُلِّ سَنَةٍ مِنْ هَذِهِ الْغِيْضَةِ إِلَى هَذِهِ الْغِيْضَةِ يَمْتَرِضُهُ ذَوَا الْأَسْقَامِ ، فَلَا يَدْعُو
لِأَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا شَفِي ، أَسْأَلُهُ عَنْ هَذَا الدِّينِ الَّذِي تَبْتَغِي ، فَهُوَ يُخْبِرُكَ عَنْهُ ، قَالَ سَلَمَانُ :
فَخَرَجْتُ حَتَّى جِئْتُ حَيْثُ وَصَفَ لِي ، فَوَجَدْتُ النَّاسَ قَدْ اجْتَمَعُوا بِمَرْضَاهُمْ هُنَاكَ ،

(١) فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ١ : ٢٣٥ : « حَتَّى فَرَعْنَا » .

(٢) قَلْبَهُ ابْنُ هِشَامٍ ١ : ٢٣٦ .

(٣) الْغِيْضَةُ : الشَّجَرُ الْمُلْتَفُّ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « مِنْ هَذِهِ الْغِيْضَةِ مُسْتَجِيرًا ذَوَا الْأَسْقَامِ » ، وَالْمَثَبُ عَنْ سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ

حتى يخرج لهم تلك الليلة مُستجيزاً من إحدى الفِئتين إلى الأخرى، فعشيه الناس بمرضاهم لا يدعوا لمرض إلا شُفي، وغلبوني عليه، فلم أخلص إليه حتى دخل الفِضة التي يريد أن يدخل إلى منكبه، قال: فتناولته، فقال: من هذا؟ والتفت إلى، قلت يرحمك الله أخبرني عن الحنيفية دين إبراهيم، قال: إنك لتسألني عن شيء ما يسأل عنه الناس اليوم، وقد أظلل زمانُ نبيٍّ يبعث بهذا الدين من أهل الحرم، فإنه، فهو يملكك عليه، ثم دخل. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كنت صدقتني يا سلمان، لقد لقيت عيسى ابن مريم.

وقد روى حديثُ إسلام سلمان على غير هذا الوجه، إلا أنه غير مُنافٍ له فيما هو مختصُّ برسول الله صلى الله عليه وسلم. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع.

وأما من بشر به عند مولده صلى الله عليه وسلم للقرائن التي كان يتوقع وقوعها تدل على مولده، فوقعت.

فمن ذلك ما روى أن يهودياً قال لعبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا سيد البطحاء إن المولود الذي كنت حدثتكم عنه قد وُلد البارحة، فقال عبد المطلب: لقد وُلد لي البارحة غلام، قال اليهودي: ما سميتَه؟ قال: سميتُه محمداً، قال اليهودي: هذه ثلاثُ يشهدن على بنوته؛ إحداهن: أن نَجْمه طلع البارحة، والثانية: أن اسمه محمد، والثالثة: أنه يُولَد في صُباة قومه، وأنت يا عبد المطلب صبا بهم.

(١) رواية ابن هشام ١: ٢٣٦، والبداية ٢: ٢١٤: «إلا منكبه». (٢) ابن هشام ١:

٢٣٦: «فقلت». (٣) في سيرة ابن هشام ١: ٢٣٦، والبداية ٢: ٣١٤: «ثلاث صدقتني».

(٤) لم في هذا الحديث كلام تجده في البداية لابن كثير ٢: ٣١٤. (د) في الأصل:

«صبا بهم» ح صباة القوم: خالصتهم وخيارهم. وهي حاشية أدخلت بالمتن فيما أظن.

ومنه ما روى أن حسان بن ثابت قال : والله إنى لعملى أطمى فارع فى السحر^(١)
إذ سمعت صوتا لم أسمع قط صوتا أنقذ منه^(٢) ، وإذا هو صوت يهودى على أطم من^(٣)
أطام اليهود معه شُعلة نار ، فاجتمع الناس إليه وأنكروا صُراخه فقالوا : مالك
وبك ! قال حسان : فسمعتُه يقول : هذا كوكبٌ أحمر قد طلع ، وهو كوكب
لا يطلع إلا بالنبوة ، ولم يبق من الأنبياء إلا أحمد ، قال حسان : بفعل الناس
يضحكون منه ويعجبون لما أتى به ، قال : وكان أبو قيس أحد بنى عدى بن
النجار قد ترهب ولبس المسوح ، فقيل له يا أبا قيس ! أنظر ما قال هذا اليهودى !
قال : صدق وإن انتظار أحمد هو الذى صنع به ما صنع ، ولعل أن أدركه فأومن
به ، فلما بلغه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم بمكة آمن به ، وقدم النبي صلى الله عليه
وسلم المدينة وقد نالت السن من أبى قيس .

وقد أشرنا إلى خبر حسان هذا عند ذكرنا لمولد رسول الله صلى الله عليه
وسلم . والأخبار فى هذا الباب كثيرة ، فلا نطول بسردها .

وأما من بشر به صلى الله عليه بعد مولده فى حال طفولته وحداثة سنه .

فمن ذلك خبر سيف بن ذى يزن ، وقصته مع عبد المطلب ، وكان من خبره
ما رواه الشيخ الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البهقى رحمه الله فى كتابه المترجم بدلائل
النبوة قال : أخبرنا أبو سهل محمد بن نصرويه بن أحمد المروزي بنيسابور ، قال :
حدثنا أبو عبد الله محمد بن صالح المعافى ، قال : حدثنا أبو يزن الحميرى إبراهيم
ابن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن عفير بن زُرعة بن سيف بن ذى يزن ، قال :

(١) الأطم : حصن مبنى بحجارة ، أو كل بيت مربع سطح .

(٢) فى خير البشر ص ٥٥ : « أنقذته » .

(٣) فى الأصل : « وإذا صوت يهودى » ، والمثبت عن ابن ظفر ص ٥٥ .

خَدَّثَنِي عُمَى أَحْمَدُ بْنُ حَبِيشَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي عُفَيْرٌ ، قَالَ :
 خَدَّثَنِي أَبِي زُرْعَةَ بْنُ سَيْفِ بْنِ ذِي يَزَنَ ، قَالَ : لَمَّا ظَهَرَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزَنَ
 عَلَى الْحَبَشَةِ ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَوْلِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسِتَيْنَ أُمَّةً وَفُودَ
 الْعَرَبِ وَأَشْرَافُهَا وَشِعْرَاؤُهَا لَتَهْنَتِهِ ، وَتَذَكُّرُ مَا كَانَ مِنْ بَلَاءِهِ وَطَلَبِهِ بِنَارِ قَوْمِهِ ،
 وَأَتَاهُ وَقَدْ قَرِيشٌ ، مِنْهُمْ : عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بْنُ هَاشِمٍ ، وَأُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ
 بْنُ جُدْعَانَ ، وَأَسَدُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى ، وَوَهْبُ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ ، وَقُصَيُّ بْنُ عَبْدِ الدَّارِ ،
 فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَدْنَاهُ وَهُوَ فِي قَصْرِ يُقَالُ لَهُ عُجْدَانُ ، وَالْمَلِكُ مُضَيَّحٌ بِالْعَبِيرِ ، وَعَلَيْهِ
 بُرْدَانُ أَخْضَرَانِ ، مُرْتَدٍ بِأَحَدِهِمَا مُتَرِّقٌ بِالْآخَرِ ، سَيْفُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ
 الْمُلُوكُ ، فَأَخْبَرَ بِمَكَانِهِمْ فَأَذِنَ لَهُمْ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، فَدَنَا مِنْهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ فَاسْتَأْذَنَهُ
 فِي الْكَلَامِ ، فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ مِنْ يَتَكَلَّمُ بَيْنَ يَدَيِ الْمُلُوكِ فَقَدْ أَذِنَا لَكَ ، فَقَالَ :
 إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَحَلَّكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ مَحَلًّا رَفِيمًا شَاغِحًا مَنِيْعًا ، وَأَنْبَتَكَ نَبَاتًا طَابَتْ
 أُرُومَتُهُ ، وَعَظُمَتْ جُرُثُومَتُهُ ، وَثَبَتَ أَصْلُهُ ، وَبَسَقَ فَرْعُهُ ، فِي أَطْيَبِ مَوْضِعٍ
 وَأَكْرَمِ مَعْدِنٍ ؛ وَأَنْتَ - أَيْتَ اللَّهُ - مَلِكُ الْعَرَبِ الَّذِي عَلَيْهِ الْإِعْتِمَادُ ،
 وَمَعْقِلُهَا الَّذِي تَلَجَّأُ إِلَيْهِ الْعِبَادُ ، سَلَفُكَ خَيْرُ سَلَفٍ ، وَأَنْتَ لَنَا مِنْهُمْ خَيْرُ خَلْفٍ ، فَلَنْ
 يَهْلِكَ ذِكْرُكَ مِنْ أَنْتَ خَلْقُهُ ، وَلَنْ يَحْمَلَ ذِكْرُكَ مِنْ أَنْتَ سَلْفُهُ ، نَحْنُ أَهْلُ حَرَمِ اللَّهِ
 وَسَدَنَةُ بَيْتِ اللَّهِ ، أَشْخَصْنَا إِلَيْكَ الَّذِي أَهْبَجْنَا مِنْ كَشْفِكَ الْكَرْبِ الَّذِي فَدَحْنَا ،
 فَنَحْنُ وَفَدُ الْهَنْشَةِ ، لَا وَفَدُ الْمَرْزَةِ .

قَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مِنْ أَنْتَ أَيُّهَا الْمُتَكَلِّمُ ؟ فَقَالَ : أَنَا عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بْنُ هَاشِمٍ ،
 قَالَ : ابْنُ أَخِينَا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : أَدْنَاهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ وَعَلَى الْقَوْمِ فَقَالَ :

(١) فِي دَلَالِ النَّبُوَّةِ لِلْبَيْهَقِيِّ (ق ٩٥ و) : « وَلَنْ يَحْمَلَ مِنْ » .

(٢) فِي دَلَالِ النَّبُوَّةِ لِلْبَيْهَقِيِّ : « الْمَلِكُ وَمِنْ » .

مرحباً وأهلاً [وأرسلها مثلاً ^(١)] ، وكان أول من تكلم بها ، وناقاً ورجلاً ،
 ومُستَنَاحاً سهلاً ، ومَلِكاً رَجُلًا ^(٢) ، يُعطى عطاءً جَزَلاً ، قد سمع الملكُ مقاتلَكم ،
 وعَرَفَ قِرايتَكم ، وقيلَ وسيلَكم ، فإنكم أهلُ الليل والنهار ، ولكم الكرامة ما أقمتم ،
 والحِباء إذا ظعنتم ، ثم أنهبوا إلى دار الضيافة والوفود ، وأجريت عليهم الأتزال ^(٣) ،
 فأقاموا بذلك شهراً لا يصلون إليه ، ولا يؤذن لهم في الانصراف ، ثم انتبه لهم انتباهة
 فأرسل إلى عبد المطلب فأدناه ثم قال له : يا عبد المطلب ، إني مُفَضِّلُكَ من سِرِّ
 عليٍّ أمراً لو غيرك يكون لم أُنَجِّ به ، ولكني رأيتُكَ مَعِدَنَهُ ، فأطعنتك عليه ^(٤) ، فليكن
 عندك مُجَبَّأً ^(٥) حتى يأذن الله عز وجل فيه ، إني أجد في الكتاب المكنون ، والعلم
 المخزون الذي أذخرناه لأنفسنا ، واحتجناه دون غيرنا ، خبراً عظيماً وخطراً جسيماً ،
 فيه شرف الحياة ، وفضيلة الوفاة للناس عامة ، ولرهطك كافة ، ولك خاصة ، فقال له ^(٦)
 عبد المطلب : مثلك أيها الملك سرٌّ وبرٌّ ، فما هذا فداك أهل الوبر زمراً بعد زمراً ؟
 قال : إذا ولد بتهامة ، غلام بين كتفيه شامة ، كانت له الإمامة ، ولكم به الرعامة ،
 إلى يوم القيامة . قال عبد المطلب : أيها الملك ، لقد أُبْتُ بخير ما أب بمثله وإفد
 قوم ، ولولا هيبَةُ الملك وإجلاله وإعظامه ، لسانته من بشارته إياي ما أزداد به ^(٧)
 سروراً . قال له الملك : هذا حينه الذي يولد فيه أو قد وُلِدَ اسمُه محمد ، يموت أبوه ^(٨)
 وأمه ، ويكفله جدُّه وعمه ، قد ولدناه مراراً ، والله باعته جِهاراً ، وجاعلٌ له منا

(١) عن دلائل النبوة للبيهقي . (٢) الرجل بكسر الراء وفتح الباء : الكثير العطاء .
 (٣) الأتزال جمع نزل ، وهو قرى الضيف وإكرامه . (٤) في دلائل النبوة للبيهقي :
 « أظلمتُك ظلمة » . (٥) في دلائل النبوة للبيهقي : « مخبياً » . (٦) في الأصل :
 « واحتجبتنا » والمثبت عن البداية ١ : ٣٢٩ . (٧) في الأصل : « وأن يطل » تصحيف .
 (٨) في دلائل النبوة للبيهقي : « فاهو » . (٩) في البداية ١ : ٣٢٩ : « غلام به
 علامة ، بين كتفيه » . (١٠) في الأصل : « من سازه » .

أنصاراً يُعزُّ بهم أوليائهم، ويُذلُّ بهم أعداءهم، ويضرب بهم الناس عن عرض،
ويستفتح بهم كرائم الأرض، يعبد الرحمن، ويدخض أودح الشيطان، وتحمده
النيران وتكسر الأوثان، قوله فصل، وحكمه عدل، يأمر بالمعروف ويفعله،
وينهى عن المنكر ويبطله. قال له عبد المطلب: عز جدك، ودام ملكك، وعلا
كعبك، فهل الملك ساذني بإفصاح؟ فقد أوضح لي بعض الإيضاح، قال له سيف
[ابن ذي يزن^(٢)]: والبيت ذي الحجب، والعلامات على النصب، إنك لحسده^(٣)
يا عبد المطلب غير كذب، قال: نخر عبد المطلب ساجدا، فقال له سيف ارفع
رأسك، تلج صدرك، وعلا كعبك^(٤)، فهل أحسست بشيء مما ذكرْتُ؟ قال:
نعم أيها الملك، إنه كان لي ابن وكنت به مُعجبا، وعليه رفيقا، وإني زوجه كريمة^(٥)
من كرائم قومي أمانة بنت وهب بن عبد مناف، فجاءت بغلام وسميته محمدا، مات أبوه
وأمه، وكفلته أنا وعمه. قال له ابن ذي يزن: إن الذي قلت لك كما قلت، فاحتفظ^(٦)
بابنك واحذر عليه اليهود، فإنهم أعداء، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا، وأطو
ما ذكرْتُ لك دون هؤلاء الرهط الذين معك، فإني لست آمن أن تُدخلهم النفاسة،
من أن تكون لكم الرياسة، فينصبون له الحبائل، ويبغون له الغوائل، وهم فاعلون^(٧)
ذلك أو أبناؤهم من غير شك، ولولا أني أعلم أن الموت مجتاحي قبل مبعثه، لمرت^(٨)

٤٦
١٤

(١) في البداية ٢ : ٣٢٩ : « ويستريح بهم » .

(٢) عن دلائل النبوة للبيهقي ، وفي البداية ١ : ٣٣٠ : « فقال ابن ذي يزن » .

(٣) في البداية ، ودلائل النبوة للبيهقي : « على النصب » .

(٤) في البداية ١ : ٣٣٠ : « وعلا أمرك » .

(٥) البداية : « كرائم قومه » . (٦) في الأصل : « فاحتفظ من ابنك » .

(٧) في الأصل : « وينمون له » ، تصحيف .

(٨) في الأصل : « وأبناؤهم عن شك » .

بجئلي ورجلي حتى أجيء يثرب دار ملكه^(١)، فإني أجد في الكتاب الناطق، والعلم السابق، أن يثرب استحكام أمره، وأهل نصرته، وموضع قبره، ولولا أني أفيه الآفات، وأحذر عليه العاهات، لأعليت^(٢) على — حدائث سنه — أمره، ولأوطأت على أسنان العرب كعبه^(٣)، ولكن صأصرفت ذلك إليك من غير تقصير بمن معك، ثم دعا بالقوم، وأمر لكل رجل منهم بعشرة أعبد منود، وعشر إماء سود، وحلتين من حلل البرود، وخمسة أرطال ذهب، وعشرة أرطال فضة، ومائة من الإبل، وكريش مملوء عنبرا، ولعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك، وقال [له]^(٤) : إذا حال الحول فأتني بخبره، قال : فمات سيف بن ذي يزن قبل أن يحول عليه الحول، وكان عبد المطلب كثيراً ما يقول : يا معشر قريش، لا يغبطني رجل منكم يمزيل عطاء الملك، وإن كثرت، فإنه إلى نقاد، ولكن يغبطني بما يبقى لي ولعقب ذكركم وغره، فإذا قيل وما هو؟ قال : سيعلم ما أقول ولو بعد حين .

قال البيهقي وقد روى هذا الحديث أيضا عن الكلبي أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما .

ومن ذلك رؤيا رقيقة بنت أبي صيفي وقصة استسقاء عبد المطلب بن هاشم وكان من خبرها ما رواه أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي^(٥) رحمه الله بسند عن محرم بن نوفل عن أمه رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم، وكانت لدة عبد المطلب، قالت : تتابع علي قريش سنون^(٦) ألحلت الضرع^(٥)، وأرقت العظم^(٦)، قالت :

(١) في دلائل النبوة للبيهقي : « حتى أصير يثرب دار ملكي » . وفي الأصل : « حتى أجيء يثرب » .

(٢) في البداية ١ : ٣٣٠ . « ولأوطأت أسنان العرب كعبه » .

(٣) عن البداية ١ : ٣٣٠ . (٤) في دلائل النبوة (ورقة ٩٧ و) .

(٥) في دلائل النبوة : « ألحلت الجلد » . (٦) في الأصل : « العظم فبتنا » .

فبينما أنا نائمة اللهم أو مَهْوَمَةٌ إذا هاتَفُ يصرخ بصوت صَحِيلٍ صَبَّتْ يقول : معشر قريش ، إن هذا النبي المبعوث منكم قد أَظْلَمَكُمْ أَيامه ، وهذا إبان نجومه ، وفي رواية عنها : مبعوث منكم ، وهذا إبان تَخْرِجِهِ بِخَيْلٍ بِالْخَيْرِ وَالْخَصْبِ ، وفي رواية بالحيا وَالْخَصْبِ ، ألا فانظروا رجلا منكم وَسِيطًا عَظَمًا جَسَامًا أبيض بَضًّا ، أَوْطَفَ الأهداب ، سهل الخَدَيْنِ ، أَشَمُّ العَرْنَيْنِ ، له نخر يكظم عليه ، وسنة تهدي إليه ،^(١) ألا فليخلُص هو وولده وليهبط إليه من كل بطن رجلٌ فليشْتَوْا من الماء ، ولْيَمْسُوا من الطيب ، ثم ليستاموا الركن . وفي رواية وليطُوفُوا بالبيت سبعا ، ثم ليرتقوا أبا قُبَيْسٍ فليستَسْقِ الرجل ، وليؤْمِنَ القوم [ألا وفيهم الطاهر والطيب لذاته ، ألا بُعِثْكُمْ هُنْتُمْ وَعِشْتُمْ] ، قالت : فأصبحتُ — عِلِمَ الله — مذعورة قد اقشعرَّ جلدي ، وولاه عَقْلِي ، واقتصصْتُ رُؤْيَايَ ، فوالْحُرْمَةِ وَالْحَرَمِ مَا بَقِيَ أَبْطِحِي إِلَّا قَالَ : هذا شَيْبَةُ الْحَمْدِ ، هذا شَيْبَةُ ، وتَنَامَتْ إِلَيْهِ رَجَالَاتُ قُرَيْشٍ ، وَهَبَطَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ بَطْنٍ رَجُلٌ ، فَشَنُّوا وَطَبَّيُّوا ، واستاموا وطاقوا ، ثم ارتقوا أبا قُبَيْسٍ ، وطفقوا جَنَابِيهَ مَا يَبْلُغُ سَعِيمٍ مَهْلَةٍ ، حتى إذا استوى بِذُرْوَةِ الْجَبَلِ ، قام عبد المطلب ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلام قد أَيْقَعَ أَوْ كَرَّبَ ، فقال عبد المطلب : اللهم سَادَّ الْخَلَّةَ ، وكاشف الكُرْبَةِ ، أنت مُعَلِّمٌ ، وفي رواية عالم غير مُعَلِّمٍ ومسئول غير مُبْخَلٍّ ، وهذه عِيْدَاؤُكَ وَإِمَاؤُكَ عِذْرَاتُ حَرَمِكَ يَشْكُونُ إِلَيْكَ سَتَّهْمٌ أَذْهَبَ الْخُفَّ وَالظَّلْفَ ، اللهم فامطرن غَيْثًا مُغْدِقًا مَرِيحًا ، فوالْكَمْبَةِ مَا رَأَوْا حَتَّى تَفْجَّرَ السَّمَاءُ بِمَا شَاءَ ، واكتض

- (١) في دلائل النبوة : « وليلدلف إليه » . (٢) الشن : الصب المتقطع . وفي رواية لليبي أيضا : « فليشربوا من الماء » . (٣) عن دلائل النبوة لليبي ورقة ٩٦ ظ . (٤) في الأصل : « الحمد وتناقت » . (٥) في الأصل : « فشَنُوا وطمَّيُوا » . (٦) في الأصل : « بعد حرمك » ، والثبت عن البيهقي . (٧) في دلائل النبوة لليبي : « سَتَّهْمٌ أَلْ خَلَّتْ » . (٨) كذا في الأصل ، وفي حاشية دلائل النبوة لليبي ورقة ٩٦ ظ : « وكظ » .

الوادی بقیجیه ، فسمعتُ شیخانَ قریش وجِلَّتْها : عبدَ الله بن جُدعان ، وحَرْبُ ابن أمیة ، وهشامُ بن المغيرة ، يقولون لعبد المطلب : هنيئاً لك أبا البطحاء أى عاش بك أهل البطحاء ، وفي ذلك نقول رُقِيقَةً :

بشِیةَ الحمیدِ أَسَقَى الله بلدَتَنَا * لما فقدنا الحیا واجلُودَ المطرِ
بِحَادِ بالماءِ جَوْنِيَّ لَهُ سَیْلٌ * دانٍ فعاثت به الأنعام والشجرُ^(٢)
مَتاً مِنْ^(٣) الله بالمیمون طائرُهُ * وخیرٍ من بُشِّرَتْ یوماً به مُضَرُّ^(٤)
مبارکِ الأمرِ یُسْتَسْقَى الغمامُ به * ما فی الأثام له عِدلٌ ولا خَطَرُ

وأما من بَشَّرَ به صلى الله عليه وسلم قبيل مبعثه ، فمن ذلك خبر اليهودي الذي هو من بني عبد الأشهل . وكان من خبره ما رواه أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي بسنده عن سلمة بن سلامة بن وقش ، قال : كان بين أبياتنا يهودي ، فخرج على نادى قومه بني عبد الأشهل ذات غداة ، فذكر البعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان ، فقال ذلك لأصحابه وثي لا يرون أن بعثاً كائن بعد الموت ، وذلك قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : ويحك يا فلان ، وهذا كائن ؟ إن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار ، يُجزَّون من أعمالهم ؟ قال : نعم ، والذي يحلف به ، لو ددت أن حظي من تلك النار أن تُوقدوا أعظم تنوير في داركم فتحملونه ، ثم تقذفوني فيه ، ثم تطيقوا عليّ ، وأني أنجو من النار غدا فقبل له يا فلان ، فما علامة ذلك ؟ قال : نبي يُبعث من ناحية هذه البلاد ، وأشار بيده نحو مكة

(١) في الأصل : « شيخان من » ، والمثبت عن البيهقي (ورقة ٩٦ ظ) .

(٢) رواية البيهقي (ق ٩٧ و) : « وقد قدنا » .

(٣) رواية البيهقي : « به الأمصار » .

(٤) رواية البيهقي : « سيل من » .

والبن . قالوا : فتي تراه ؟ فرمى بطرفه ، فرآني وأنا مضطجع بفناء باب أهل ،
وأنا أحدث القوم [فقال] : إن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه فباذهب الليل
والنهار حتى بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإنه لحى بين أظهرهم فأمتنا به
وصدقناه ، وكفربه بغيا وحسدا ، فقلنا له : يا فلان ، ألسنت الذي قلت ما قلت
وأخبرتنا ؟ فقال : بلى . ولكن لا أومن به .

ومنه خبر إسلام أسيد وثعلبة ابني سعية وراشد بن عبيد .

روى البيهقي رحمه الله عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن شيخ من بني قريظة ،
قال : هل تدرون عم كان إسلام أسيد وثعلبة ابني سعية ، وأسيد بن عبيد ، تقي من
بني هذل لم يكونوا من بني قريظة ، ولا النضير ، كانوا فوق ذلك ؟ فقلت : لا .
قال : فإنه قدم علينا رجل من الشام من يهود يقال ابن الهبيان ، وكنيته أبو عمير ، كذا
ذكره الواقدي ، فأقام عندنا ، والله ما رأينا رجلا قط لا يصلّي الخمس خيرا منه ،
فقدم علينا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين ، فكنا إذا أحطنا وفل
علينا المطر نقول : يا ابن الهبيان ، اخرج فاستسقي لنا ، فيقول : لا والله ، حتى تقدموا
أمام تخرجكم صدقة ، فنقول : كم ؟ فيقول : صاع من تمر أو مدين من شعير

(١) أسيد بفتح الحزة وكسر السين المهملة كما في الروض الأنف .

(٢) روى حديث إسلامهما ابن هشام في السيرة ١ : ٢٢٦ بالسند نفسه ، وابن كثير في البداية
٢ : ٣٠٩ وانظر خير البشر ص ٣٥ وما بعدها

(٣) في الأصل : « وراشد بن عبيد » تصحيف . والتصويب عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٦ .

(٤) هذل بفتح الهاء والذال أيضا ، وقيل يسكون الذال . انظر السيرة الحلبية ١ : ١٨٥ .

(٥) في تاريخ الطبري : « وهم قمر من بني هذل ليسوا من بني قريظة ولا النضير ، نسبهم فوق ذلك ،
هم بنو عم القوم » . وفي سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٧ « هذل إخوة بني قريظة ، كانوا معهم في جاهليتهم
ثم كانوا سادتهم في الإسلام » .

(٦) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٢٧ ، والسيرة الحلبية ١ : ١٨٥ « صاعا من تمر » .

فَنُخْرِجُهُ، ثُمَّ يُخْرِجُ إِلَى ظَاهِرِ حَرَّتِنَا وَنَحْنُ مَعَهُ، فَيَسْتَسْقِي، فَوَاللَّهِ مَا يَقُومُ مِنْ مَجْلِسِهِ
 حَتَّى يَمُرَّ السَّحَابُ؛ ^(١) قَدْ فَعَلَ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ وَلَا مَرَّتَيْنِ، وَلَا ثَلَاثَةَ، فَحَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ،
 وَاجْتَمَعْنَا إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، مَا تَزَوُّنَهُ أُخْرِجَنِي مِنْ أَرْضِ النَّمْرِ وَالنَّمِيرِ إِلَى أَرْضِ
 الْبُؤْسِ وَالْجُوعِ؟ قَالُوا: أَنْتَ أَعْلَمُ، قَالَ: إِنَّهُ إِنَّمَا أُخْرِجَنِي [أَنْ] أَتَوَقَّعَ خُرُوجَ نَبِيٍّ قَدْ
 أَظَلَّ زَمَانُهُ، هَذِهِ الْبِلَادُ مُهَاجِرَةٌ، [وَكُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَبْعَثَ] فَأَتَيْعَهُ، [وَقَدْ أَظْلَمَ
 زَمَانُهُ] فَلَا تُسَبِّقُنَّ إِلَيْهِ إِذَا خَرَجَ يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ بِسَفْكِ الدِّمَاءِ، وَسَيُ
 الدَّرَارَى وَالْفَسَاءِ مِمَّنْ خَالَفَهُ، فَلَا يَنْتَعِمُ ذَلِكَ مِنْهُ. ثُمَّ مَاتَ؛ فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ
 الَّتِي قُبِحَتْ فِيهَا قُرَيْظَةُ قَالَ أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ الْفَتِيَّةُ، وَكَانُوا شَبَابًا أَحْدَانًا: يَا مَعْشَرَ
 يَهُودَ: وَاللَّهِ إِنَّهُ لِلنَّبِيِّ الَّذِي ذَكَرَ لَكُمْ ابْنُ الْهَيَّانِ، فَقَالُوا: مَا هُوَ بِهِ، قَالُوا: بَلَى
 وَاللَّهِ! لِمَنْهَا لَصِيفَتُهُ، ثُمَّ نَزَلُوا فَاسْلَمُوا، وَخَلَّوْا أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَهَالِيَهُمْ؛ فَلَمَّا
 فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ الْحِصْنَ رَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ.

وَمِنْهُ مَا رَوَى أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ كَانَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُمَا، قَالَ: خَرَجْتُ إِلَى الْيَمَنِ فِي تِجَارَةٍ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
 فَتَزَلْتُ عَلَى شَيْخٍ مِنَ الْأَزْدِ عَالِمٍ، قَدْ قَرَأَ الْكُتُبَ وَحَوَى عِلْمًا كَثِيرًا، وَأَتَى عَلَيْهِ مِنْ

٤٨
١٤

(١) فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ، وَالسِّيَرَةُ الْخَلِيبِيَّةُ: «فَنُخْرِجُهَا ثُمَّ يُخْرِجُ بِنَا... فَيَسْتَسْقِي».

(٢) فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ، وَالسِّيَرَةُ الْخَلِيبِيَّةُ: «حَتَّى يَمُرَّ السَّحَابُ، وَفَسَقَ».

(٣) فِي السِّيَرَةِ الْخَلِيبِيَّةِ ١: ١٨٥: «مِنْ أَهْلِ النَّمْرِ»، بِالْحَرَكِ، وَبِإِسْكَانِ الْمِيمِ، وَهُوَ الشَّجَرُ الْمَلْتَفُ.

(٤) عَنْ سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ١: ٢٢٧.

(٥) فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ١: ٢٢٨: «وَاللَّهِ إِنَّهُ لَوُصِفَتْ».

(٦) انْظُرْ خَيْرَ الْبَشَرِ لابْنِ ظَفَرٍ ص ٥٨ — ٥٩، وَالسِّيَرَةُ الْخَلِيبِيَّةُ ١: ٢٧٤.

(٧) رَوَايَةُ ابْنِ ظَفَرٍ ص ٥٨: «عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ».

السن ثلاثمائة وتسعون سنة، فلما تأملني قال: أحسبك تيمًا قفلت: نعم، أنا من تيم^(٢)
 ابن مرة؛ أنا عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة،^(٣)
 قال: بقيت لي فيك واحدة، قلت: ماهي؟ قال: اكشف لي عن بطنك، قلت:
 لا أفعل أو تخبرني لم ذلك، فقال: إني لأجد في العلم الصحيح الصادق أن نبيًا
 يبعث بالحرم يعاونه على أمره قتي وكهل، فاما الفتى فخواض غمرات، وكشاف
 معضلات، واما الكهل فابيض نحيف، على بطنه شامة، وعلى فخذه اليسرى
 علامة، ولا عليك أن تريني ماخني على، قال أبو بكر رضى الله عنه: فكشفت^(٤)
 له عن بطني، فرأى شامة سوداء فوق سرتي، فقال: هو أنت ورب الكعبة،^(٥)
 وإني متقدم إليك في أمر فاحذره، قلت: وما هو؟ قال إياك والميل عن الهدى
 وتمسك بالطريقة المثلى، وخف الله عز وجل فيما أعطاك وخولك.

قال أبو بكر رضى الله عنه: فقضيت باليمن أربي، ثم أتيت الشيخ لأودعه،
 فقال: أحامل أنت مني أنباء إلى ذلك النبي؟ قلت: نعم، فأنشأ يقول:

(١) ابن ظفر: «من السن ثلاثة وتسعون».

(٢) في خير البشر لابن ظفر: «أحبك حربيا»، فقال أبو بكر: قفلت»، وفي السيرة الحلية

١ : ٢٧٥ : «أحبك حربيا، أحبك قرشيا، أحبك تيمًا». واطار الزرقاني ١ : ٢٤٠ .

(٣) في خير البشر: «بن سعيد».

(٤) في الأصل: «لقيت»، تصحيف. والتصويب عن خير البشر، والسيرة الحلية ١ : ٢٧٥ .

(٥) في خير البشر: «فلا عليك».

(٦) في خير البشر والسيرة الحلية ١ : ٢٧٥. وشرح المواهب ١ : ٢٤٠ : «أنت هو».

(٧) كذا في السيرة الحلية ١ : ٢٧٥، ورواية ابن ظفر في خير البشر: «الشيخ أودعه».

(٨) في خير البشر، وشرح المواهب ١ : ٢٤٠ : «أحامل أنت مني أبياتا إلى ذلك النبي».

قفلت»، وفي السيرة الحلية: «أحافظ حتى أبياتا في الشعر قلتما في ذلك النبي، قلت نعم».

ألم تر أني قد سئمت معاشري * ونفسي وقد أصبحت في الحى راھنا^(١)
حيث وفي الأيام للمرء عبرة * ثلاث مئين ثم تسعين آھنا^(٢)
وصاحبت أھباراً أناروا بعلھم * غياھب جھل ما ترى فيه طائنا^(٣)
وكم راھب فوق عنشيل قائم^(٤) * لقيت وما غادرت في البحث كاھنا
وكلھم لما تعطشت قال لي * بأن نبياً سوف تلقاه دائنا^(٥)
بمكة والأوثان فيها عزيرة * فبركھما حتى تراھا كواھنا^(٦)
فما زلت أدعو الله في كل حاضر * حلت به سراً وجھراً معالنا
وقد نحدث مني شرارة فؤقي * وألقيت شيخاً لا أطيق الشواھنا^(٧)
وأنت ورب البيت تلقى محمداً * بعالمك هذا قد أقام البراھنا
فخى رسول الله عني فإني * على دينه أحيآ وإن كنت واهنا^(٨)
فيا ليتني أدركته في شيبتي * فكنت له عبداً وإلا العجاھنا^(٩)
عليه سلام الله ما ذر شارق * نألق هنافا من النور هافنا^(١٠)

- (١) في خير البشر ص ٦٢ : « الراهن : المقيم الثابت » . (٢) رواية ابن ظفر :
« ثلاث مئين ثم تسعين » . (٣) في مخطوط خير البشر ١٤ ط : « وصافيت » .
(٤) الطائين : العارف بالشيء . . (٥) كذا في الأصل .
(٦) في مخطوطة خير البشر : « كائنا » .
(٧) في الأصل : « ... والأوثان منها ... كواھنا » .
(٨) الشواھن : الطرق المتداخلة المتخالفة ؛ أي لا أطيق السير في هذه الأرض ، عن ابن ظفر .
(٩) الواهن : الضعيف . (١٠) العجاھن : الخادم .
(١١) كذا . وفي خير البشر ص ٦٢ : « وقوله : هافنا هو الضعيف » . ولم أجد في معاجم اللغة ما يؤيد ، ولعلها : « آفنا » .

- قال أبو بكر رضى الله عنه : خَفِظْتُ وَصِيَّتَهُ وَشِعْرَهُ وَقَدِمْتُ مَكَّةَ ، بِخَافِي شَيْبَةٍ بِنِ رَبِيعَةَ ، وَأَبُو جَهْلٍ بِنِ هِشَامٍ ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ ، وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَرِجَالَاتُ قُرَيْشٍ مُسَلِّمِينَ عَلَيَّ ، فَقُلْتُ : هَلِ حَدَّثَ أَمْرٌ ؟ فَقَالُوا : حَدَّثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ ؛ هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ ، وَلَوْلَا أَنْتَ مَا أَنْتَظَرْنَا بِهِ ، فَإِذَا جِئْتَ فَأَنْتَ الْبَغِيَّةُ وَالنُّهْيَةُ ^(٢) ، قَالَ : فَأَظْهَرْتُ لَهُمْ تَعَجُّبًا وَصَرَفْتُهُمْ عَلَى أَحْسَنِ شَيْءٍ ، وَذَهَبْتُ أَسْأَلُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقِيلَ لِي : هُوَ فِي مَتَرٍ خَدِيجَةٍ ، فَقَرَعْتُ الْبَابَ عَلَيْهِ فَخَرَجَ إِلَيَّ فَقُلْتُ : يَا مُحَمَّدُ ، فَقَدْتُ مِنْ نَادِي قَوْمِكَ فَاتَهْمُوكَ بِالْغَيْبَةِ وَتَرَكْتَ دِينَ آبَائِكَ ، فَقَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ وَإِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ [فَأَمِنَ بِاللَّهِ] ، فَقُلْتُ وَمَا آيَتُكَ ؟ قَالَ : الشَّيْخُ الَّذِي لَقِيتَهُ بِالْمِنَى ، قُلْتُ : وَكَمْ مِنْ شَيْخٍ قَدْ لَقِيتُ ، وَبَعْتُ مِنْهُ وَاشْتَرَيْتُ ، وَأَخَذْتُ وَأَعْطَيْتُ ! قَالَ : الشَّيْخُ الَّذِي أَخْبَرَكَ عَنِّي ، وَأَفَادَكَ الْأَبْيَاتَ ، قُلْتُ : مَنْ أَخْبَرَكَ بِهَذَا يَا حَبِيبِي ؟ قَالَ : الْمَلِكُ الْعَظِيمُ الَّذِي كَانَ يَأْتِي الْأَنْبِيَاءَ قَبْلِي ، فَقُلْتُ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ . قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَانصرفت وما أحد أشدَّ سرورًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامي .
- وَأَمَّا مِنْ ذَكَرَ صِفَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَبْعَثِهِ وَرُؤْيَيْهِ لَهُ ، وَذَكَرَ قَوْمَهُ بِهَا ، وَحَقَّقَ عَنْدهُمْ أَنَّهُ هُوَ ، لِمَا كَانَ يَجِدُ عَنْدهُ مِنَ الْعِلْمِ بِصِفَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٤٩
١٤

(١) فِي خَيْرِ الْبَشَرِ : « قَالُوا حَدَّثَ » .

(٢) فِي السِّيَرَةِ الْخَلِيطَةِ ١ : ٢٧٥ : « فَأَنْتَ الْغَايَةُ وَالْكَفَايَةُ » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « فَصَرَفْتُهُمْ فِي حَسَنِ مَسْ » ، وَالمُتَّبَعُ عَنْ السِّيَرَةِ الْخَلِيطَةِ ١ : ٢٧٥ ، وَانْظُرْ شَرْحَ الْمَوَاهِبِ ١ : ٢٤٠ .

(٤) عَنْ السِّيَرَةِ الْخَلِيطَةِ ١ : ٢٧٥ ، وَخَيْرِ الْبَشَرِ (وَرَقَّةٌ ١٥ ظ) وَشَرْحَ الْمَوَاهِبِ ١ : ٢٤٠ .

فمن ذلك ما روى أن صفية بنت حُيَّ بن أخطب قالت : كنت أحب الناس إلى أبي ، وكان عمي أشدَّ حبًّا لي ، فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم بقباء ، ثم رجعا من عنده ثقيلين لا يلتفتان نحوي ، ولا ينظران إلي ، فسمعتُ عمي يقول لأبي : هل تعرفه ؟ قال : نعم . قال فإذا عندك فيه ؟ قال : عداوته إلى آخر الدهر ، قال عمي لأبي : أُنشدك الله أن تطيعني يا بني في هذا ، ثم أعصني فيما سواه ، هلم تبعه ، فقال أبي : لا ، والله لا أراك له عدوا ، فقال عمي : إنك تهلكا ، وتهلك نفسك ، إن هذا نبي السيف ، وجعل عمي يكلمه وهو يابى إلا كلامه الأول ، قالت صفية : فلما كان الليل ، وجدت نسوة من بني النضير جالسات يقرن : والله ما أحسن حُيَّ ابن أخطب بخلاف أخيه ، إنا لنعلم أن هذا نبي مذكور في الكتب ، وقالت تجوز منهن : سمعتُ أبي يقول لإخوتي : إن نبيا من العرب يقال له أحمد ، مولده بمكة ، ودار هجرته يثرب ، وهو خير الأنبياء ، فإن خرج وأنتم أحياء ، فاتبعوه ؛ قالت صفية : وإذا هن كلهن يُزرين على أبي ، ويتعبن عليه فعلة .

ومنه ما قاله كعب بن عمرو لبني قريظة عند حصارهم . وسند كذا ذلك إن شاء الله في الغزوات ، وقد تقدم خبر بحيرا ، وتسطور ، فلا فائدة في إعادته هنا .

وأما من أظهر صحفا كانت عنده فيها صريح ذكره صلى الله عليه وسلم ، فمن ذلك ما روى أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم بورقة ورثها عن أبيه عن جده ، وذكر أن سلفه كانوا يتوارثونها على وجه الدهر ، فإذا فيها : « اسم الله وقوله الحق ، وقول الظالمين في تبار ، هذا ذكر لأمة تأتي في آخر الزمان ، يأترون على أوساطهم ، وينسلون أطرافهم ، ويخوضون البحر إلى أعدائهم ، فيهم صلاة

لو كانت في قوم نوح ما هلكوا في الطوفان ؛ أو في ثمود ما أهلكوا بالصيحة » ،
قال : فقرئت الورقة على الناس ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظها .

ومنه ما روى أن علي بن أبي طالب رضى الله عنه نزل باليلج^(١) إلى جانب دير ،
فأتاه قَيمُ الدير فقال يا أمير المؤمنين : إني ورثت عن آبائي كتاباً قديماً كتبه أصحاب
المسيح عليه السلام ؛ فإن شئت قرأته عليك ؛ قال : نعم ، هات كتابك ؛ فجاء بكتاب
فإذا فيه : الحمد لله الذي قضى ما قضى ؛ وسطر ما سطر ، إته باعث في الأميين
رسولاً يعلمهم الكتاب والحكمة ، ويدلهم على سبيل الجنة ، لا قَظْ ولا غَلِظْ ،
ولا حَتَاب في الأسواق ، ولا يَجْزَى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، أمته
الحمادون لله في كل هُبوب ونَشِر وصُعود ، تذلل ألسنتهم بالتكبير والتهليل ، يُنصر
دينهم على كل من ناواه .

ومنه ما روى أن أبا ذؤيب الزاهد قال : دخلت في سياحتي ديرا فقلت
للمراهب القَيم عليه : أعندك فائدة ؟ قال : نعم . لك يا عربى ، قلت : هاتها !
قال : فأنخرج لى ورقة فيها أربعة أسطر ، فذكر أنها من الكتب المنزلة ؛
ففى السطر الأول منها : يقول الجبار تبارك وتعالى : أنا الله لا إله إلا أنا وحدى
لا شريك لى ؛ والسطر الثانى : عهد المختار عبدى ورسولى ؛ والسطر الثالث :
أمته الحمادون ، أمته الحمادون ، أمته الحمادون ؛ والسطر الرابع : رعاة الشمس ،
رعاة الشمس ، رعاة الشمس .

وأما من أظهر تَمثال صورته صلى الله عليه وسلم وصُور بعض أصحابه رضى الله
عنهم ، وذلك مصُور عندهم في بيوت في بيعهم .

فمن ذلك ما روى عن دحية بن خليفة الكلبي رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قيصر أنه قال : لقيت قيصر بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بدمشق ، فأدخلت عليه خاليا ، فناولته الكتاب فقبل خاتمه وقضه وقرأه ، ثم وضعه على وسادة أمامه ، ثم دعا بطارقته وزعماء دينه فقام فيهم على وسائل بنيت له ، ثم خطبهم فقال : هذا كتاب النبي الذي بشر به عيسى المسيح ، وأخبر أنه من ولد إسماعيل ، قال : فتخروا نخرة عظيمة ، وحاصوا فأوى إليهم بيده أن اسكتوا ، ثم قال : إنما جربتمكم لأرى غضبك لدينكم ، ونصركم له ، وصرفهم ، ثم استدعاني من الغد فأخاني ، وأسنى بحديثه ، وأدخلني بيتا عظيما فيه ثلاثمائة وثلاثة عشر صورة ، فإذا هي صور الأنبياء المرسلين صلى الله عليهم وسلم فقال : انظر من صاحبك من هؤلاء ، فنظرت فإذا صورة النبي صلى الله عليه وسلم كأنما ينطق ، قلت : هو هذا ، فقال : صدقت ، ثم أراني صورة عن يمينه فقال : من هذا ؟ قلت : هذه صورة رجل من قومه اسمه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فأشار إلى صورة أخرى عن يساره ، قلت : هذه صورة رجل من قومه يقال له عمر رضي الله عنه ، فقال : إنا نجد في الكتاب أن بصاحبيه هذين يُيم الله أمره . قال دحية : فلما قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته ، قال : صدق ، بأبي بكر وعمر يُيم الله هذا الأمر بعدى . والله الموفق .

ومنه ما روى عن حكيم بن حزام قال : دخلت الشام للتجارة قبل أن أسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فأرسل قيصر إلينا ، بجشناه ومعنا أُمّية بن

(١) في الأصل : «وصرفه» . (٢) في الأصل : «صلى الله عليه» . (٣) حديث حكيم هذا مرروى في السيرة الحلبية ١ : ١٨٦ . (٤) في السيرة الحلبية ١ : ١٨٦ : «الشام لتجارة» . (٥) في السيرة الحلبية ١ : ١٨٦ : «فأرسل إلينا ، ملك الروم» .

أَبِي الصَّلْتِ التَّقْفِيَّ ، فقال : من أى العرب أنتم ؟ وما قرابتكم من هذا الرجل الذى يزعم أنه نبي ؟ فقال حكيم : فقلت أنا ابن عمه ، يجمعنى وإياه الأب الخامس ، فقال : هل أنتم صادقى فيما أريكوه وأسألكم عنه ؟ قلنا : نعم ، نصدُك أيها الملك ، فقال : أنتم ممن أتبعه أو ممن ردّ عليه ؟ قلنا : ممن ردّ عليه ما جاء به وعاداه ، ولكنا نصدُك مع هذا ، قال : أحلفوا لى بألحكم لتصدُقننى فى جميع ما أسألكم عنه وأعيرضه عليكم ، فحلفنا له وأعطيناه من الموائيق ما أَرْضاه ، فسألنا عن أشياء مما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه بها ، ثم نهض واستنهضنا معه ، فأتى كنيسة فى قصره ، فأمر بفتحها ودخل ونحن معه ، وجاء إلى سترٍ وأمر بكشفه فإذا صورة رجل ، قال : أتعرفون من هذه صورته ؟ قلنا : لا . قال : هذه صورة آدم ، ثم تَبَعَ أَبَوَابًا يَفْتَحُهَا وَيَكْشِفُ عَنْ صُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ ، ويقول : هذا صاحبكم ؟ فنقول : لا . حتى فَتَحَ بَابًا وَكَشَفَ لَنَا سِتْرًا عَنْ صُورَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : نعم ، هذه صورة صاحبنا ، فقال : أتدرون منذ كم صُورْت ؟ قلنا : لا . قال : منذ أكثر من ألف سنة ، فإن صاحبكم نبيُّ مرسلٍ قَاتَبِعُوهُ ، وَلَوِدِدْتُ أَنى عِنْدَهُ فَأَشْرَبَ مَا يَغْسِلُ مِنْ قَدَمَيْهِ .

وقد ورد فى الصحيحين خبرُ قِصَرِ مع أَبِي سُفْيَانَ لما سَأَلَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وسيأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

(١) فى السيرة الحلبية ١ : ١٨٦ : « أما هذا صاحبكم » .

(٢) فى السيرة الحلبية : « وإن صاحبكم لنبى » .

(٣) فى الأصل : « قدميه » .

(٤) صحيح البخارى ١ : ٤٨ ، ٤٥ : ٤٥ .

ومنه ما روى عن جبير بن مطعم^(١) أنه قال : لما بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم : خرجتُ تاجرا إلى الشام ، فأرسل إلى عظيم الأساقفة فأتيته فقال : هل تعرف هذا الرجل الذي ظهر بمكة ، يزعم أنه نبي ؟ قال : فقلت هو ابن عمي ، فأخذ يبدى وأدخلني بيتا فيه تماثيل وقال : انظر ترى صورته ههنا ؟ فنظرتُ فلم أَر شيئا فأخرجني من ذلك البيت ، وأدخلني بيتا أكبر منه فيه مثله ، وقال : انظر هل تراه ههنا ، فنظرتُ فإذا صورة النبي صلى الله عليه وسلم ، وإذا صورة أبي بكر وهو آخذ بعقب النبي صلى الله عليه وسلم ، وإذا صورة عمر وهو آخذ بعقب أبي بكر ، فقال : هل رأيته ؟ فقلت : نعم هوذا ، قال : أتعرف الذي أخذ بعقبه ؟ قلت : نعم ، هو ابن أبي حنيفة ، قال : وهل تعرف الذي هو آخذ بعقبه ؟ قلت : نعم ، هذا عمر بن الخطاب ابن عُمَا ، فقال : أشهد أنه رسول الله ، وأن هذا هو الخليفة من بعده ، وأن هذا هو الخليفة من بعد هذا .

وهذا باب متسع لو استقصينا له لطال ، ولو سطرنا ما وقفنا عليه منه لا نبسط هذه السيرة ، وخرجت عن حد الاختصار ، وفيما أوردناه كفاية .

فلنذكر بشارت كُهان العرب والله أعلم .

وأما من بشر به صلى الله عليه وسلم من كُهان العرب فقد قدمنا في الباب الثالث من القسم الثاني من الفن الثاني من كتابنا هذا أخبار الكهنة ، وذكرنا طرفا من إخبارهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، مما تستثنيه في هذا الموضع ، ونذكر ما عداه ، ولا يشترط الاستيعاب لتعذرده ، ولا إثبات جميع ما وقفنا عليه أيضا من ذلك لأنه يُوجب البسط والإطالة ، بل نذكر من ذلك ما تقف إن شاء الله تعالى عليه مما فيه الكفاية ، وإن كانت نبوة نبيتنا صلى الله عليه وسلم أظهر

(١) نقله في السيرة الحولية مختصرا ١ : ١٨٦ .

وأشهر وأقطع من أن يُحتاج فيها إلى ذكر ما ذكرناه ، وما نذكره ، وإنما نُورد ما أوردناه ليقف عليه من لم يتبع أحواله صلى الله عليه وسلم ، ولا طالع سيرة ، وليعلم أن امره صلى الله عليه وسلم لم يفجأ الناس ، بل جاءهم على بينة واستبصار ، وآثار وأخبار ، ومعجزات ظهرت ، نذكرها بعد إن شاء الله تعالى .

فمن بَشائر الكُفَّان رؤيا ربيعة بن نصر وتاويل سَطِيج وشَق لها .

قال محمد بن إسحاق بن يسار المَطَّلبي^(١) : كان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التَّابِعة ، فرأى رؤيا هالته [وفُطِع بها] ، فلم يدع كاهنا ولا ساحرا ولا [عائفًا ولا] مُنَجِّيًا من أهل مملكته إلا جمعه إليه ، فقال لهم : إني قد رأيت رؤيا هالتي وفُطِعْتُ بها ، فأخبروني بها وتاويلها ، قالوا له : اقصصها علينا نخبرك بتاويلها ، قال : إني إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تاويلها ، فإنه لا يعرف تاويلها إلا من عرفها قبل أن أخبر بها ، فقال له رجل منهم : فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سَطِيج وشَق ، فإنه ليس أحد أعلم منهما ، فأنهما يُخبرانه بما سأل عنه .

قال ابن هشام : واسم سَطِيج^(٢) : ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب ابن عدى بن مازن بن غسان . وشَق بن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرك بن قيس ابن عبقْر بن أثمار بن نزار .

(١) نقله ابن هشام في السيرة ١ : ١٥٠ ، وانظر دلائل أبي نعيم ص ٨٦ . (٢) زيادة عن ابن هشام ١ : ١٥٠ ، وفُطِع بالأمر : اشتد عليه . (٣) يذكر عن وهب ابن منبه أنه قال لسَطِيج أني لك هذا العلم ، فقال : لي صاحب من الجن استمع إلى أخبار السماء من طور سيناء حين كلم الله موسى . فهو يؤدِّي إلى من ذلك ما يؤدِّيه . انظر الروض الأنف ١ : ١٨٠ . (٤) في المعبرين ص ٤ - ٥ . ذكر سَطِيج ، ومولده ، وانظر الروض الأنف ١ : ١٩ ، والخشي ١ : ٧ . (٥) في الأصل : « بن حسان » والمثبت عن سيرة ابن هشام ١ : ١٦٥ .

قال ابن إسحاق :

فَبَعَثَ إِلَيْهِمَا ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ سَطِيجٌ قَبْلَ شِقِّ ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي رَأَيْتُ
رؤْيَا هَالِكِي وَقَطَعْتَ بِهَا فَأَخْبَرَنِي بِهَا ، فَإِنَّكَ إِنْ قَضَيْتَهَا أَصَبْتَ تَأْوِيلَهَا ، قَالَ : أَفْعَلُ ؟
رَأَيْتَ حُمَةً ^(١) ، خَرَجْتَ مِنْ طُلُمَةٍ ^(٢) ، فَوَقَعْتَ بِأَرْضِ تَهْمَةٍ ^(٣) ، فَأَكَلْتَ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ
رُءُوسٍ ^(٤) ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَا أَخْطَأْتَ مِنْهَا شَيْئًا يَا سَطِيجُ ، فَمَا عِنْدَكَ فِي تَأْوِيلِهَا ؟
قَالَ : أَحْلَفُ بِمَا بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ ^(٥) مِنْ حَنْشٍ ، لَتَهَيِّطُنَّ أَرْضَكُمْ الْحَبَشَ ، فَلَيَمْلِكَنَّ مَا بَيْنَ
أَيْنِ إِلَى جُرَشٍ ^(٦) ، فَقَالَ الْمَلِكُ : وَأَيُّكَ يَا سَطِيجُ إِنْ هَذَا لَنَا لَتَأَظْظَ مُوجِعٌ ، فَتَى هُوَ
كَأَنَّ ، أَفَى زَمَانِي أَمْ بَعْدَهُ ؟ قَالَ : لَا . بَلْ بَعْدَهُ بِحِينَ ، أَكْثَرُ مِنْ سِتِّينَ أَوْ سَبْعِينَ ،
يَمْضِينَ مِنَ السَّنِينَ ، قَالَ : أَفَيَدُومُ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِهِمْ أَمْ يَنْقَطِعُ ؟ قَالَ : لَا . بَلْ يَنْقَطِعُ
لِبُضْعٍ وَسَبْعِينَ مِنَ السَّنِينَ ، ثُمَّ يُقْتَلُونَ وَيُخْرَجُونَ مِنْهَا هَارِبِينَ ، قَالَ : وَمَنْ يَلِي ذَلِكَ
مِنْ قَتْلِهِمْ وَإِخْرَاجِهِمْ ؟ قَالَ : يَلِيهِ إِرْمُ ذِي يَزَنَ ^(٧) ، يُخْرِجُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَدَنَ ، فَلَا يَتْرُكُ
مِنْهُمْ أَحَدًا بِالْيَمَنِ ، قَالَ : أَفَيَدُومُ ذَلِكَ مِنْ سُلْطَانِهِ أَمْ يَنْقَطِعُ ؟ قَالَ : بَلْ يَنْقَطِعُ ،
قَالَ : وَمَنْ يَقْطَعُهُ ؟ قَالَ : نَجَى زَكَّى ، يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنْ قَبْلِ الْعَلِيِّ ، قَالَ : وَمَنْ هَذَا
النَّبِيُّ ؟ قَالَ : رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ غَالِبِ بْنِ فَهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ ، يَكُونُ الْمَلِكُ فِي قَوْمِهِ
إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ ، قَالَ : وَهَلْ لِلدَّهْرِ مِنْ آخِرٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، يَوْمَ يُجْمَعُ فِيهِ الْأَوَّلُونَ

(١) في سيرة ابن هشام : ١٦ : « فَإِنَّكَ إِنْ أَصَبْتَ أَصَبْتَ » . (٢) الحمة : قطعة
من قار ، وفي الأصل : « حجمة » تصحيف . (٣) في سيرة ابن هشام ١ : ١٦ : « بِأَرْضِ
تَهْمَةٍ » . والتهمة : الأرض المنخفضة ، انظر السهيلي ١ : ١٩ . (٤) الججمة : الرأس .
(٥) الحرة : أرض فيها حجارة سود . خشى ١ : ٨ . (٦) أين بفتح الهجزة وتكسر :
بلد باليمن . انظر السهيلي ١ : ١٩ ، والخشني ١ : ٨ . (٧) جرش بضم الجيم وفتح الراء : من
مخاليف اليمن من جهة مكة ، وقبل مدينة باليمن . (٨) في دلائل أبي نعيم ص ٨٧ : « لبضع
وستين » . (٩) رواية أبي نعيم : « بَلْ بَعْدَهُ بِحِينَ » .

والآخرون ، يَسْعَدُ فِيهِ الْمُحْسِنُونَ ، وَيَشْقَى فِيهِ الْمُسِيئُونَ ، قَالَ : أَحَقُّ مَا تُخْبِرُنِي ؟
قَالَ : نَعَمْ ، وَالشَّقَى وَالْغَسَقُ ، وَالْفَلَقُ إِذَا أُنْشِقَ ، إِنْ مَا أَنْبَأْتُكَ بِهِ لَحَقَ .

ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْهِ شَيْقُ فَقَالَ لَهُ كَقَوْلِهِ لَسَطِيحٌ ، وَكَتَمَهُ مَا قَالَ سَبَطِيحٌ ، لِيَنْظُرَ
أَيْتَفَقَانِ أَمْ يَخْتَلِفَانِ ؟ فَقَالَ ^(١) : نَعَمْ ، رَأَيْتَ حُمَةً ^(٢) ، خَرَجْتَ مِنْ ظُلُمَةٍ ، فَوَقَعْتَ بَيْنَ
رَوْضَةٍ وَأَكْمَةٍ ، فَأَكَلْتَ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ نَسَمَةٍ .

فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُمَا قَدْ اتَّفَقَا ، وَأَنْ قَوْلَهُمَا وَاحِدٌ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ :
مَا أَخْطَأْتَ يَا شَيْقُ مِنْهَا شَيْئًا ، فَمَا عِنْدَكَ فِي تَأْوِيلِهَا ؟ فَقَالَ : أَحْلَفُ بِمَا بَيْنَ
الْخَرْتَيْنِ مِنْ إِنْسَانٍ ، لِيَنْزِلَنَّ أَرْضَكُمْ السُّودَانُ ، فَلْيَغْلِبَنَّ عَلَى كُلِّ طِفْلةِ الْبَنَانِ ^(٣) ، وَلْيَمْلِكَنَّ
مَا بَيْنَ آيِنَ إِلَى تَجْرَانِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : وَأَيْبِكَ يَا شَيْقُ ، إِنْ هَذَا لَنَا لِفَائِظٌ مُوجِعٌ ،

فَتَى هُوَ كَائِنْ أَفَى زِمَانِي أَمْ بَعْدَهُ ؟ قَالَ : لَا ، بَلْ بَعْدَهُ بَزْمَانٌ ، ثُمَّ يَسْتَنْقِذُكُمْ مِنْهُمْ عَظِيمٌ
دُوشَانٌ ، وَيَذِيْقُهُمْ أَشَدَّ الْهُوَانِ ، قَالَ : وَمَنْ هَذَا الْعَظِيمُ الشَّانُ ؟ قَالَ : غَلَامٌ
لَيْسَ بَدَنِي ^(٤) وَلَا مَدَنِي ^(٥) يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْتِ ذِي يَزَنَ ، قَالَ : أَفِيدُومُ سُلْطَانُهُ أَمْ يَنْقُطِعُ ؟
قَالَ : بَلْ يَنْقُطِعُ بِرَسُولٍ مُرْسَلٍ ، يَأْتِي بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ بَيْنَ أَهْلِ الدِّينِ وَالْفَضْلِ ،

يَكُونُ الْمُلْكُ فِي قَوْمِهِ إِلَى يَوْمِ الْفَضْلِ ، قَالَ : وَمَا يَوْمُ الْفَضْلِ ؟ قَالَ : يَوْمٌ تُجْزَى
فِيهِ الْوَلَاةُ ، يَدْعَى فِيهِ مِنَ السَّمَاءِ بَدَعَوَاتٌ ، يُسْمَعُ فِيهَا الْأَحْيَاءُ وَالْأَمْوَاتُ ، وَيُجْمَعُ
فِيهَا النَّاسُ لِلْيَقَاتِ ، يَكُونُ فِيهِ لِمَنْ اتَّقَى الْفَوْزُ وَالْخَيْرَاتُ ، قَالَ : أَحَقُّ مَا تَقُولُ ؟

قَالَ : إِي وَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ رَفَعٍ وَخَفَضٍ ، إِنْ مَا أَنْبَأْتُكَ بِهِ لَحَقَ
مَا فِيهِ أَمَضٌ ^(٦) ، قَالَ : فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَبِيعَةَ بْنِ نَصْرٍ مَا قَالَا ، فَجَهَّزَ بَيْنَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « قَالَ » . (٢) فِي دَلَائِلِ أَبِي نَعِيمٍ ص ٨٧ : « جَمْعَةٌ » تَصْغِيرٌ .

(٣) الطِّفْلَةُ : النَّاعِمَةُ الرَّخِصَةُ . (٤) الدَّنَى : الْمَقْصَرُ فِي الْأُمُورِ أَوِ الدَّيِّقُ خَسِيمًا .

(٥) الدَّنَى : الَّذِي جَمَعَ الضَّعْفَ مَعَ الدَّهَاءَةِ . وَانْظُرِ الرُّوضُ الْأَفْ ١ : ١٩ .

(٦) الْأَمَضُ : الشُّكُّ أَوِ الْبَاطِلُ . خَشْيَ ١ : ٨ . وَانْظُرِ ابْنَ هَشَامٍ ١ : ١٩ .

إلى العراق بما يصلحهم ، وكتب إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور ،
فأسكنهم في الحيرة ، فمن بقية ولد ربيعة بن نصر النعمان المنذر .

ومن ذلك ما روى أن مرثد بن عبيد كلال قتل من غزاة غزاهما بغنائم
عظيمة ، فوعد عليه زعماء العرب وشعراؤها وخطباؤها يهنئونه ، ورفع الحجاب عن
الوافدين ، فأوسعهم عطاء ، واشتد سروره بتقريظ الخطباء والشعراء ، فبينما هو على
ذلك أرى في المنام رؤيا أخافته وذعرته . وهالته في حال نومه ، فلما انتبه أنسبها
حتى ما تذكر منها شيئا ، وثبت ارتياعه في نفسه لها ، فانقلب سروره حزنا ،
فاحتجب عن الوفود حتى أساءوا الظن به ، ثم حشد الكهان ، فجعل يخلو بكاهن كاهن
ثم يقول : أخبرني عما أريد أن أسألك ، فيجيبه الكاهن بأن لا علم عندي ، حتى
لم يدع كاهنا علمه ، فتضاعف قلقه ، فقالت له أمه ، وكانت قد تكهنت : آيت
اللعن ! إن الكواهن أهدي إلى ما تسأل عنه ، لأن أتباع الكواهن من الجن
ألطف من أتباع الكهان ، فأمر بمحشر الكواهن إليه ، وسألهم كما سأل الكهان
فلم يجد عند واحدة منهم علم ما أراد علمه ، فلما يئس من طلبته سلا عنها ، ثم إنه
بعد ذلك ذهب يتصيد فأوعل في الصيد ، وانفرد عن أصحابه ، فرفقت له أبيات
في ذرى جبل وقد لفحه الهجير ، فعدل إلى الأبيات ، وقصد مهلا بيتا منها كان
مُفردا عنها ، فبرزت إليه منه عجوز فقالت : انزل بالرحب والسعة ، والأمن
والدعة ، والجفنة المددعة ، والعلبة المترعة ، فترل عن جواده ودخل البيت ،
فلما احتجب عن الشمس وخفقت عليه الأرواح نام فلم يستيقظ حتى تصرم
الهجير ، فجلس يمسح عينيه فإذا بين يديه فتاة لم ير مثلها جمالا وقواما ،
فقالت له : آيت اللعن أيها الملك الهام ! هل لك في الطعام ؟ فاشتد إشفافه ،
وخاف على نفسه لما رأى أنها قد عمرت نفسه ، وتصامم عن كلمتها ، فقالت له :

- لا حذر ، فذاك البشر ، بخذلك الأكبر ، وحفظنا بك الأوفر ، ثم قربت إليه
 ثريدا وقديدا وحيسا ، وقامت تذب عنه حتى انتهى أكله ثم سقته لبنا صريفا
 وضريبا فشرب ما شاء ، وجعل يتأملها مقبلة ومدبرة فلا ت عيذه حسنا ، وقلبه
 هوى ، ثم قال لها : يا اسمك يا جارية ؟ قالت : اسمي عفياء ، قال لها : من الذى
 دعوته الملك الهام ؟ قالت : مرثد العظيم الشأن ، الحاشر الكواهن والكهّان ،
 لمعضلة يُعل بها الجان ، قال يا عفياء : أتعلمين ما تلك المعضلة ؟ قالت : أجل أيها
 الملك الهام ، إنها رؤيا منام ، ليست بأضغاث أحلام ، قال : أصبت يا عفياء ، فما
 تلك الرؤيا ؟ قالت : رأيت أعاصير زوايع ، بعضها لبعض تابع ، فيها لهب لاعم ،
 ولها دُخان ساطع ، يقفوها نهر مُندافع ، وسمعت فيما أنت سامع ، دعاء ذى جرس
 صاعد : هلموا إلى المِشارع ، هلموا إلى المِشارع ، روى جارح ، وغرق كارع .
 قال الملك : أجل هذه رؤياى ! فما تأويلها يا عفياء ؟ قالت : ^(١) الأعاصير الزوايع ،
 ملوك تباع ، والنهر علم واسع ، والداعى نبي شافع ، والجارح ولى له تابع ،
 والكارع عدو له منازع . قال : يا عفياء أَسْمُ هذا النبي أم خرب ؟ قالت : أقسم
 برافع السماء ، ومُزِلِ الماء من السماء ، إنه لمُبِطِلُ الدماء ، ومُنْطِقُ العقائل نطق
 الإماء . قال الملك : إلام يدعو يا عفياء ؟ قالت : إلى صلاة وصيام ، وصلة
 أرحام ، وكسر أصنام ، وتمطيل أزلام ، واجتناب آثام . قال الملك : يا عفياء ،
 من قومه ؟ قالت : مضر بن نزار ، ولهم منه تقع مثار ، يتجلى عن دُجج وإسار ، قال :
 يا عفياء : إذا ذبح قومه فمن أعضاده ؟ قالت : أعضاده غطاريف يمانون ، طائرهم
 به ميمون ، يعزبهم فيعزون ، ويُدْمِثُ بهم الحزون ، فإلى نصره يعترون ، فأطرق ^(٢)

٢٠ (١) فى الأصل : « قالت : الزوايع » . (٢) فى الأصل : « ومنزل الماء » ، والذى
 أثبت عن تاريخ الخميس ١ : ٢٩ . (٣) فى تاريخ الخميس : « ينزروهم فيغزون » .

الملك يؤامر نفسه في خطبتها، فقالت : أبيت اللعن ! إن تابى غيور، ولا مرمى صبور، وناكى مقبور، والكلف بى ثبور . فنهض الملك مُبادرا، بفال في صهوة جواده، وانطلق فبعث إليها بمائة ناقة كوما .

ويشبه ما ذكرناه رؤيا المويذان وقد تقدمت في أخبار الكهان .

ومن ذلك ما روى عن لبيب بن مالك اللهي أنه قال : حضرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرت الكهانة فقلت : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ! نحن أول من عرف حراسة السماء وزجر الشياطين ، ومنعهم من استراق السمع عند القذف بالنجوم؛ وذلك أنا اجتمعنا إلى كاهن لنا يقال له خطر بن مالك ، وكان شيخا كبيرا قد أتت عليه مائة سنة وثمانون سنة ، وكان أعلم كهاننا ، فقلنا له : يا خطر ، هل عندك علم من هذه النجوم التي يرى بها ؟ فإنا قد فزعنا لها ، وقد خفنا سوء عاقبتها ، فقال : اثنوني بسحر ، أخبركم الخبر ، بخير أم ضرر . وأمن أم حذر ، قال : فانصرفنا عنه يومنا ، فلما كان من غد في وجه السحر أتيناه ، فإذا هو قائم على قدميه شاخص إلى السماء بعينه ، فتأديناه يا خطر ، فأوما إلينا أن أمسكوا

(١) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠٨ : « حضرت مع » .

(٢) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠٨ : « فذكرت عنده الكهانة » .

(٣) رواية السيرة الحلبية : « وقد أتت عليه مائتا سنة ... وكان من أعلم » . وفي الخميس ١ : ٣٠ : « قد أتى عليه من العمر مائة وثمانون سنة ، وكان من أعلم » .

(٤) خطر بالخاء المعجمة والطاء المهملة والراء . عن السيرة الحلبية .

(٥) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠٨ : « اثنوني بسحر » .

(٦) هكذا رواية الديار بكرى في الخميس ١ : ٣٠ ، وفي السيرة الحلبية ١ : ٢٠٨ : « الخبر ،

الخبر أم الضرر » .

فأمسكنا، فانقض نجم من السماء عظيم، فصرخ الكاهن : أصابه إصابه^(١)، خابره
عقابه، عاجله عذابه، أجزقه شهابه، زابله جوابه، ياويله ما حاله، يلبله بلباله^(٢)،
عاوده خبأله، تقطعت حباله، وغرت أحواله، ثم أمسك طويلا، ثم قال :
يا معشر بنى قحطان، أخبركم بالحق والبيان، أقسمت بالكعبة ذات الأركان، والبلد
المؤمن السكان^(٣). قد منع السمع عتاة الجان، بناقِب بكف ذى سلطان، من أجل
مبعوث عظيم الشأن، يبعث بالتنزيل والقرآن، وبالهدى وفاضل الفرقان،
تبطل به عبادة الأوثان. قال : قلنا يا خطر، إنك لتذكر أمرا عجيبا، فماذا ترى
لقومك ؟ فقال :

أرى لقومى ما أرى لنفسى * أن يتبعوا خير نبي الإنس

١٠ برهانه مثل شعاع الشمس * يبعث من مكة دار الحمس^(٤)
* بحكم التنزيل غير اللبس *

قلنا : يا خطر، ومم هو ؟ فقال : والحياة والعيش، إنه لمن قريش . ما فى حكمه^(٥)
طيش، ولا فى خلقه هيش، يكون فى جيش وأى جيش، من آل قحطان وآل ريش^(٦).
قال : قلنا بين لنا من أى قريش هو، قال : والبيت ذى الدعائم، والركن

١٥ (١) إصابه : جمع وصب بحمل وجمال، فالهزمة بدل من الواو . عن السيرة الحلبية ١ : ٢٠٨ .
والمعروف أن جمع وصب أوصاب .

(٢) اللبنال : التيم .

(٣) فى السيرة الحلبية ١ : ٢٠٨ : « السدان » ، والسدان : العظم .

(٤) الحمس : بضم الحاء المهملة وإسكان الميم : هم قريش . وانظر السيرة الحلبية ١ : ٢٠٩ .

(٥) فى تاريخ الحميس : « ومن » .

(٦) هيش : أى ليس فى طبيعته وبجته قول قبيح . عن السيرة الحلبية ١ : ٢٠٩ .

(٧) إيش، ويقال : ريش، وهى قبيلة من الجح . عن السيرة الحلبية ١ : ٢٠٩ .

(١) والأحاثم، إنه لمن نجل هاشم، من معشيرة أكارم، يُبعث بالملاحم، وقتل كل ظالم؛ ثم قال: هذا هو البيان، أخبرني به رئيس الجاث؛ ثم قال: الله أكبر، جاء الحق وظهر، وانقطع عن الحق الخبر؛ ثم سكّت فأغشى عليه، فما أفاق إلا بعد ثلاث (٢) فقال: لا إله إلا الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد نطق عن مثل نبوة، وإنه ليُبعث يوم القيامة أمة وحده». والله أعلم.

ومنه ما روى أن سفيان بن مجاشع بن دارم احتمل ديات دماء كانت من قومه، فخرج يستعين فيها، فذفع إلى حى من تميم، فإذا هم مجتمعون إلى كاهنة تقول: «العزير من والآه، والدليل من خالاه، والموفور من مآلاه، والموتور من عاداه»؛ قال سفيان: من تذكّرين لله أبوك؟ فقالت: «صاحب حلّ وحرّم، وهدى وعلم وبطش وحلم، وحرب وسلّم، رأس رءوس، ورائض يموس، وماحى بوس، وماهد وُعوس، وناعيش منعوس»؛ قال سفيان: من هو الله أبوك؟ قالت: «نبي مؤيد، قد آن حين يوجد، ودنا أوان يولد، يبعث إلى الأحمر والأسود، بكتاب لا يفند، اسمه محمد»؛ قال سفيان: لله أبوك، أعربى هو أم عجمي؟ قالت: «أما والسماء ذات العنان، والشجر ذات الأفتان، إنه لمن معدّ بن عدنان، ففقدك يا سفيان»؛ فأمسك سفيان عن سؤالها، ثم إن سفيان وُلِدَ له غلام فسماه محمداً لما رجاه من أن يكون النبي الموصوف.

ومنه ما روى أن عمرو بن معديكرب عوتب على ارتداده عن الإسلام فقال: والله ما هو إلا الشقاء، ولقد علمت أن محمداً رسول الله قيل أن يوحى إليه، قيل: كيف كان ذلك يا أبا ثور؟ قال: حدث بين بنى زُبَيْدَ تناجش وتظالم، ونما

- (١) الأحاثم جمع الجمع لـ «حوم»، ويريد بها برزخهم. وانظر السيرة الحلبية ١: ٢٠٩.
(٢) في السيرة الحلبية: «ثم سكن وأغشى». (٣) في السيرة الحلبية: «بعد ثلاثة أيام».
(٤) كذا. ولعله «يسوس». (٥) في النص كلمات غير واضحة لم نهتد إلى تصويبها.

إلى أن سفك بعضهم دماء بعض ، ففزع حلمائهم إلى كهان لهم رجوا أن يكون عنده المخرج مما نزل بهم ، فقال الكهان : « أقسم بالسما ذات الأبراج ، والأرض ذات الأدرج ، والريح ذات العجاج ، والبحار ذات الأمواج ، والجبال ذات الفجاج ، إن هذا الإمراج والارتجاج ، للفتح ذو نتاج » ، قالوا : وما نتاجه ؟ قال : « ظهور نبي صادق ، بكتاب ناطق ، وحسام وإلق » ، قالوا : أين يظهر ؟ وإلام يدعو ؟ قال : « يظهر بصلاح ، ويدعو إلى الفلاح ، ويعطل القداح ، وينهى عن الرّاح والسّفاح ، وعن كل أمر قُبّاح » ، قالوا : ممن هو ؟ قال : « من ولد الشيخ الأكرم ، حافِر زَمَنَم ، ومُطعم الطير الحوُم ، والسباع الصُّوم » ، قالوا : وما اسمه ؟ قال : « اسمه مجد ، وعزّه سَرَمَد ، وخَصمه مُكَمَد » .

- ١٠ . فهذه جملة كافية من أخبار الكُهّان . فلنذكر مناطق به الجات من أجواف الأصنام ، وما سُمِع من الهواتف ، والله المستعان .
وأما من بشر به عليه الصلاة والسلام من الجات الذين نطقوا من أجواف الأصنام وما سمع من العتائر .

- ١٥ . فمن ذلك ما روى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما في سبب إسلام عمر ، وأنه كان قد ضمن لقريش قتل النبي صلى الله عليه وسلم ، وخرج لذلك ، فتر بقوم من نخاعة وقد اعتمدوا صنما لهم يريدون أن يتحاكوا إليه ، فقالوا لعمر : أدخل لتشهد الحكم ، فدخل معهم ، فلما مثلوا بين يدي الصنم سمعوا هاتفا من جوفه يقول :
يا أيها الناس ذوو الأجسام * ما أنتم وطائش الأحلام

- (١) رواية السيرة الحلبية ١ : ١٩٦ : « وحسام قال » . (٢) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠٢ : « كان أبو هريرة يحدث أن قوما من خثعم كانوا عند صنم لهم جلوسا ، وكانوا يتحاجون إلى أصنامهم ، فبينما الخثعميون عند صنم لهم إذ سمعوا هاتفا يهتف ويقول » . وانظر شرح المواهب ١ : ٢٧٦ (٣) رواية الأبيات بهذه الصورة في شرح المواهب ١ : ٢٧٦ ، وفي السيرة الحلبية ١ : ٢٠٣ . تختلف رواياتها عما هنا زيادة ونقصا ، وانظر دلائل أبي نعيم ص ٧٨ .

وَمُسْنَدُ الْحَكَمِ إِلَى الْأَصْنَامِ * أَصْبَحْتُ كَرَاتِعِ الْأَنْعَامِ
أَمَا تَرَوْنَ مَا أَرَى أَمَامِي * مِنْ سَاطِعٍ يَجْلُو دُجَى الظَّلَامِ
قَدْ لَاحَ لِلنَّاضِرِ مِنْ تَهَامِ * وَقَدْ بَدَا لِلنَّاضِرِ الشَّامِ
مَجْدُ ذُو الْبَرِّ وَالْإِكْرَامِ * أَكْرَمَهُ الرَّحْمَنُ مِنْ إِمَامِ
قَدْ جَاءَ بَعْدَ الشَّرْكِ بِالْإِسْلَامِ * يَأْمُرُ بِالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ
وَالْبِرِّ وَالصَّلَاتِ لِلْأَرْحَامِ * وَيُزَجِّرُ النَّاسَ عَنِ الْآثَامِ
فَبَادِرُوا مَسْبِقًا إِلَى الْإِسْلَامِ * بِلَا فُسُورٍ وَبِلَا إِحْجَامِ

قال : ففتزق القوم عن الصنم ولم يحضره يومئذ أحد إلا أسلم ، ثم ذكر ابن عباس انطلاَقَ عمر إلى منزل أخته على ما نذكر ذلك أو نحوه عند ذكرنا لإسلام عمر رضى الله عنه .

قال : ثم خرج لقصيد النبي صلى الله عليه وسلم ، فلقبه رجال من بني سليم قد تنافروا إلى صنم لهم ليحكم بينهم اسمه الضمار ، فدعوا عمر إلى الدخول معهم إليه ففعل ، فلما وقفوا بين يدي الصنم ممعوا هاتفا من جوفه يقول :

أَوْدَى الضَّمَارُ وَكَانَ يُعْبَدُ مَرَّةً ^(١) * قَبْلَ الْكِتَابِ وَقَبْلَ بَعْثِ مُحَمَّدٍ
إِنْ الَّذِي وَرِثَ النَّبُوَّةَ وَالْهُدَى * بَعْدَ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَدَى
سَيَقُولُ مَنْ عَبَدَ الضَّمَارَ وَمِثْلَهُ * لَيْتَ الضَّمَارَ وَمِثْلَهُ لَمْ يُعْبَدَ

(١) رواية السيرة الحلبية ١ : ٢٠٣ : « وسندوا » ، وانظر دلائل أبي نعيم ص ٧٨ .

(٢) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠٠ : « ... عباس بن مرداس قال : كان لمرداس السلي وثن

بعده يقال له ضمار » ، وانظر دلائل أبي نعيم ص ٧٩ .

(٣) ضمار بكسر الضاد المعجمة وميم مخففة بعدها ألف ثم راء مهملة ، عن السيرة الحلبية ١ : ٢٠٠ .

(٤) في السيرة الحلبية ١ : ٣٠٠ ، وشرح المواهب ١ : ٢٧٧ « يعبد مدة » .

أبشر أبا حفص بدين صادق * تهدي إليه بالكتاب المرشد
 واصبر أبا حفص قليلا إنه * يأتيك عن فرق أعز بني عدي
 لا تعجلن فأت ناصر دينه * حقا يقينا باللسان وباليد

قال : فعجب القوم منه ونكسه عمر ، وغير الله ما في صدره من عداوة رسول الله
 صلى الله عليه وسلم .

ومنه ما روى أن وائل بن حجر وكان ملكا مطاعا ، وكان له صتم من العقيق^(١)
 الأحمر يعبده ويحبه حبا شديدا ، ولم يكن يكلم منه ، إلا أنه كان يرجو ذلك ، فيكثر
 له السجود ، ويعتله العتائر ، فبينا هو نائم في الظهيرة آيقظه صوت منكر من الخدع
 الذي فيه الصتم ، فقام من مضجعه وأتاه فسجد أمامه ، فإذا قائل يقول :^(٢)

يا عجباً لوائل بن حجر * يُحال يدرى وهو ليس يدرى^(٣)
 ماذا يرجى من تحيت صخر * ليس يذى عُريف ولا ذى نكر^(٤)
 ولا يذى تقع ولا ذى ضر * لو كان ذا حجر أطاع أمرى^(٥)
 قال وائل : فرفعت رأسى واستويت جالسا ، ثم قلت : قد أسمعت أيها الناصح ، فإذا
 تأمرنى ؟ فقال :

ارحل إلى يثرب ذات النخل * وسر إليها سير مشعل^(٦)
 تدين يدين الصائم المصلى * مجد المرسل خير الرسل^(٧)

(١) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠٦ : « وكان قتيلا بن أقيال حضرموت ، وكان أبوه من ملوكهم » .

(٢) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠٦ : « وإذا قائل » .

(٣) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠٦ : « وأعجبا » .

(٤) الحجر : العقل . (٥) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠٦ : « أيها الهاف الناصح » .

(٦) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠٦ : « تدين دين » .

(٧) في السيرة الحلبية : « مجد النبي » .

قال وائل : ثم حرّ الصنم لوجهه فأنكسر أنفه ، واندقت عنقه ، فقامت إليه بفعله
رُفَاتًا ، ثم سرت مسرعًا حتى أتيت المدينة ، وذكر إسلامه بين يدي النبي صلى الله
عليه وسلم . والله المعين .

ومنه خبر مازن الطائي في سبب إسلامه

رواه البيهقي في دلائل النبوة بسند^(١) قال : كان مازن الطائي^(٢) بأرض عمان بقرية
تدعى سمايل ، وكان يبدن الأصنام لأهله ، وكان له صنم يقال له بآجر^(٣) ، قال مازن :
فمُتَرَّت ذات يوم عتيرة ، والعتيرة : الذبيحة^(٤) ، فسمعت صوتًا من الصنم يقول :
يا مازن : أقبل إلى أقبل ، تسمع ما لا يبجّل ، هذا نبي مرسل ، جاء بحق منزل ،
فأمن به كي تعدل ، عن حرّ نار تُشعل ، وقودها بالجندل .

قال مازن : فقلت والله إن هذا لعجب ، ثم عتت بعد عشرة أيام عتيرة
أخرى ، فسمعت صوتًا آخر أيقن من الأول وهو يقول : يا مازن أسمع تسر ،
ظَهَرَ خَيْر وَبَطَّن شَر ، بعث نبي من مضر ، بدين الله الكُبر^(٥) ، فدع نَحيتًا من
حجر ، تسلم من حرّ سقر ، قال مازن : فقلت إن هذا والله لعجب ، إنه
نَحِير يُرَاد بِي ، وقدم علينا رجل من أهل الحجاز فقلنا : ما الخبر وراءك ؟ قال :
^(٦)

(١) له ترجمة في أسد الغابة ٤ : ٢٦٩ ، وخبره هذا في دلائل أبي نعيم ص ٧٦ .

(٢) في دلائل أبي نعيم ص ٧٦ : « سمايا » ، وفي تاج العروس (معل ، شمل) : « وسمايل : اسم قرية ويقال بالثين ، وهي من أرض عمان » . (٣) بآجر ، بفتح الجيم ويكسر ، ويقال بالحاء المهملة . وانظر تاج العروس (بجر) . (٤) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠١ : « فمُتَرَّت » .

(٥) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠١ : « وهي الذبيحة مطلقًا ، وقبل في رجب خاصة » .

(٦) رواية أبي نعيم ص ٧٦ : « الله الأكبر » . (٧) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠١ ، ودلائل أبي نعيم ص ٧٧ : « قال : قد ظهر رجل يقال له أحمد يقول لي أنا » .

نخرج رجل بتهامة يقول لمن أتاه : أجيئوا داعي الله عز وجل ، يقال له أحمد ، قال : فقلت هذا والله نبأ ما سمعت ، فثرت إلى الصنم فكسرتة أجذاذا ، وشددت راحتي ورحلت ، حتى أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشرح إلى الإسلام فأسلمت ، وأنشأت أقول :

- كسرتُ باجر أجذاذا وكان لنا * ربا نظيف به ضلّا بتضليل
فالمأشئي هداًنا من ضلالتنا * ولم يكن دينه مني على بال^(٢)
ياراكبا بلفن عمرا وإخوته * أنى لما قال ربّي بآجرٍ قال^(٣)
قال مازن : فقلت يا رسول الله ، إني امرؤ مولع بالطرب وشرب الخمر ، وباهلوك^(٤)
من النساء ، وألحّت علينا السنون فأذهبن الأموال ، وأهزلن الذراري والرجال ،
وليس لي ولد ، فأدعُ الله أن يذهب عني ما أجد ، ويأتيني بالحيا ، ويهب لي ولدا ،
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن ، وبالحرام الحلال ،
[وبالخمر ريباً لا إثم فيه ، وبالعهر عفة الفرج]^(٦) وأتته بالحيا ، وهب له ولدا .
قال مازن : فأذهب الله عني كل ما أجد ، وأخصبت عمان ، وتزوجت أربع حرائر^(٧) ،
ووهب لي حيان بن مازن ، وأنشأت أقول :

- ١٥ (١) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠١ : « فزلت إلى الصنم » .
(٢) في السيرة الحلبية ١ : ٢٠١ : « دينه شينا » .
(٣) في دلائل أبي نعيم ص ٧٧ ، والسيرة الحلبية ١ : ٢٠١ : « عمرا وإخوتها » : ويعني بعزرو وإخوتها بنى الصامت وبنى خطامة ، وهي بطن من طي .
(٤) الملوكة من النساء : الفاجرة .
(٥) ألحّت علينا السنون : دامت علينا أيام القحط .
(٦) عن عيون الأثر ١ : ٧٦ ، والسيرة الحلبية ١ : ٢٠١ .
٢٠ (٧) في دلائل أبي نعيم ص ٧٧ : « حرائر » وحفظت شطر القرآن ، وانظر السيرة الحلبية ١ : ٢٠١ ، وعيون الأثر ١ : ٧٦ .

إليك رسول الله خبت مطيتي * تجوب القياfi من عُمان إلى العرج
لتشفع لي ياخير من وطئ الحصا * فيغفر لي ربي فأرجع بالفلج^(١)
إلى معشير خالفت في الله دينهم * فلا رأيهم رأيي ولا شرجهم شرجي^(٢)
وكننت أمراً بالمهر والخمر مولماً * شبابي حتى آذن الجسم بالنهج^(٣)
فبدلني بالخمر خوفاً وخشية * وبالعهر إحصانا وحصن لي فرجي^(٤)
فأصبحت همي في جهادٍ وبتي * فله ما صومي والله ما محي

قال مازن: فلما رجعت إلى قومي أنبوني وشتوني، وأمروا شاعرهم فهجاني،
فقلت إن هجوتهم فإنما أهجو نفسي، فتركهم، قال: ثم إن القوم ندموا وكننت
القيم بأمورهم، فقالوا ما عسى أن نصنع به، فجاءني منهم أزفة عظيمة فقالوا: يا بن
عم، عينا عليك أمراً فنهناك عنه، فإذا أبيت فنحن ناركوك، أرجع معنا، فرجعت
معهم، فأسلموا بعد كلهم.

ومازن هذا هو الذي أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم أرض عمان.

ومنه ما روى عن جبير بن مطعم عن أبيه قال: كنا جلوساً عند صنم لنا،
فإذا صائح يصيح من جوفه: اسمعوا إلى العجب، وتوقعوا حادثاً قد اقترب،
استراق السمع ذهب، وتسمى [الجن] بالشهب، لنبي من العرب، هاشمي النسب،

(١) في السيرة الحلية ١: ٢٠١، ٢٠٢: «ليغفر لي ذنبي»، والفلج: الفوز والظفر.

(٢) الشرح، بالشين: الشكل والطريق. عن السيرة الحلية ١: ٢٠٢؛ وفي الأصل: «مرجهم

مرجي». (٣) في الأصل: «بالرعب» والتصويب عن السيرة الحلية ١: ٢٠٢ ودلائل

أبي نعيم ص ٧٨. (٤) النهج: البلى. وانظر النهاية ٤: ١٨٥.

(٥) الأزفة: بفتح الهززة والفاء: الجماعة من الناس؛ وفي الأصل: «إن قلة» تصحيف.

مولده بمكة ، ومهاجرة يثرب ؛ قال : وهذا قبل أن يظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومنه ما روى عن عبد الله بن ساعدة الهذلي أنه قال : كما نعيد صنما يقال له سُبُوع ، وكانت لي غَمٌّ بِغَرِيبٍ فَسَقْتُهَا إِلَيْهِ وَأَدْنَيْتُهَا مِنْهُ أَرْجُو بَرَكَتَهُ ، فَسَمِعْتُ مِنْهَا دَايَا مِنْ جَوْفِ الصُّنَمِ يَقُولُ : الْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ ، سُدِلَتْ الْمَجْبُ ، وَرِمَتْ الْجَنِّ بِالشُّهْبِ ، وَسَقَطَتِ النُّصْبُ ، وَتَزَلَّ خَيْرُ الْكُتُبِ ، عَلَى خَيْرِ الْعَرَبِ ؛ قَالَ : فَسَقْتُ غَمِّي وَعَدْتُ إِلَى أَهْلِي ، وَقَدْ بَغَضْتُ إِلَى الْأَوْثَانِ ، فَجَعَلْتُ أَنْتَقِبُ عَنِ الْحَوَادِثِ حَتَّى بَلَغَنِي ظُهُورُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَيْتُهُ فَأَسْلَمْتُ .

وسنذكر إن شاء الله تعالى في خبر إسلام الجن ما هتفوا به فأسلم بسببه من أسلم لما سمعوا - ما تقف عليه هناك .

وحيث ذكرنا ما ذكرنا من المبشرات ، فلنذكر مبعثه صلى الله عليه وسلم .

ذكر مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بدئ به من النبوة

روى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت : أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به الرؤيا الصادقة ، لا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا في نويم إلا جاءت كفلق الصبح ،^(١) وحبب الله إليه الخلوة ، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده .

(١) في السيرة الحلبية ١ : ٢٣٣ : « الرؤيا الصالحة » ، قال : فالمراد بالصالحة الصادقة . واظهر

سيرة ابن هشام ١ : ٢٤٩

(٢) فلق الصبح : ضيازه .

وروى محمد بن إسحاق بن يسار المطلبى عن عبد الملك بن عبيد الله بن أبي سفيان^(١)
ابن العلاء بن حارثة الثقفى^(٢) ، وكان واعية^(٣) ، عن بعض أهل العلم أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين أراد الله بكرامته ، وأبدأه بالنبوة ؛ كان إذا خرج لحاجته
أبعد حتى تحسر عنه البيوت^(٤) ، ويُفِضُ إلى شعاب مكة^(٥) ويطون أوديتها^(٦) ، فلا يمر
بمحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله ، فلتفت حوله عن يمينه
وشماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة ؛ فكث صلى الله عليه وسلم كذلك
يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث ، ثم جاءه جبريل بما جاءه من كرامة الله وهو
بحراء في شهر رمضان .

وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : بعث الله^{١٠} محمدا صلى الله عليه وسلم
وله يومئذ أربعون سنة ويوم ، فأتاه جبريل ليلة السبت وليلة الأحد ، ثم ظهر له
بالرسالة يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان في حراء ، وهو أول
موضع نزل فيه القرآن .

وحكى أبو عمر بن عبد البر أن محمد بن موسى الخوارزمي قال : بُعث نبينا
صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لثمان خلت من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين
من عام الفيل . فكان من مولده إلى أن بعثه الله عز وجل أربعون سنة ويوم .

(١) فى الأصل : « بن عبد الله » ، والذى أثبت عن ابن هشام ١ : ٢٥٠

(٢) فى سيرة ابن هشام : « جارية » .

(٣) الواعية : الحافظ الفقيه ، والنال لبالغة .

(٤) تحسر : تبعده ، ويخلى عنها . عن الحسن ١ : ٧٥ .

(٥) الشعاب : المواضع الخفية بين الجبال . عن الحسن ١ : ٥٧ .

(٦) فى الأصل : « وتطوف » ، وصححت عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٠

وعن عبد الله بن الزبير وغيره : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور
 في حراء [شهرا] من كل سنة ، يطعم من جاءه من المساكين ، فإذا قضى صلى الله
 عليه وسلم جواره من شهره ذلك ، كان أول ما يبدأ به - إذا انصرف من جواره -

الكعبة قبل أن يدخل بيته ، فيطوف بها سبعا أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى
 بيته ، حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله به فيه من كرامته ما أراد ، من السنة التي

بَعَثَهُ فيها ، وذلك في شهر رمضان ، خرج صلى الله عليه وسلم إلى حراء كما كان يخرج
 لجواره ومعه أهله ، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسائه ، ورحم العباد

بها ، جاءه جبريل بأمر الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جاءني وأنا قائم
 بنمط من ديباج فيه كتاب ، فقال : اقرأ ، [قال] : قلت : ما أقرأ ؟ قال : ففتني به حتى

ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، قلت : ما أقرأ ؟ قال : ففتني به حتى
 ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، قلت : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء

منه أن يعود لي بمثل ما صنع . فقال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ
 مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ . قال : فقرأتها

ثم انتهت فانصرف عني ، وهبت من نومي ، فكأنما كتب في قلبي كتابا ، قال :
 فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول : يا محمد ،

أنت رسول الله ، وأنا جبريل ، قال : فرفعت رأسي أنظر [إلى السماء] ، فإذا جبريل
 في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول : يا محمد ، أنت رسول الله ، وأنا

(١) عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٠ . حراء : جبل على ثلاثة أميال من مكة .

معجم البلدان ٣ : ٢٣٩ . (٢) النمط : ضرب من الثياب المصبغة .

(٤) عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

(٥) ففتني ، وفي رواية : غطني ، أي عصفني عصرا شديدا حتى وجدت منه المشقة .

(٦) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٣ : « فكأنما كتب » .

جبريل، [قال] : فوقتُ أنظر إليه، فما أتقدم وما أتاخر، وجعلتُ أصرف وجهي
[عنه^(١)] في آفاق السماء، فما أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك، فما زلت واقفا ما
أتقدم أمامي وما أرجع ورأى حتى بعثت خديجة رُسُلها في طلبي، فبلغوا^(١) [أعلى] مكة
ورجعوا إليها، وأنا واقف في مكان ذلك؛ ثم انصرف عني .

وانصرفت راجعا إلى أهلي حتى أتيت خديجة، فجلست إلى نخذا [مضيفا إليها]^(٢)
فقلت : يا أبا القاسم أين كنت؟ فوالله لقد بعثت رُسلي في طلبك حتى بلغوا^(١) [أعلى]
مكة ورجعوا إليّ، فحدثتها بالذي رأيت، فقالت : أبشر يا بن عمّ وأبنت،
فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة^(٤) .

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن
عبد العزى^(٥)، وهو ابن عمها، وكان قد تنصر في الجاهلية وقرأ الكتب، وسمع
من أهل التوراة والإنجيل، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
رأى وسمع، فقال ورقة : قدّوس قدّوس، والذي نفس ورقة بيده، لئن كنت
صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، وإمّنه لنبيّ
هذه الأمة، فقول له فليثبت . فرجعت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأخبرته بقول ورقة بن نوفل، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره
وانصرف صمعا كما كان يصنع؛ بدأ بالكعبة فطاف بها، فلقيه ورقة بن نوفل وهو

(١) عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٢، ٢٥٣ . (٢) عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٢ .

ويقال أضفت إلى الرجل : إذا ملت نحوه ولصقت به، عن الخشني ١ : ٧٦ .

(٣) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٣ : « ثم حدثها . »

(٤) ابن هشام، وعبون الأثر ١ : ٨٦ : « إني لأرجو . »

(٥) في سيرة ابن هشام : « العزى بن قصي وهو ابن عمها وكان ورقة قد » .

يطوف بالكعبة فقال: يَا بَنِي آدَمَ، أَخْبِرْنِي بِمَا رَأَيْتُمْ وَسَمِعْتُمْ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكَ لَنَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَقَدْ جَاءَكَ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ الَّذِي جَاءَ مُوسَى، وَلَتُكَذِّبَنَّهُ، وَلَتُؤْذِنَنَّ، وَلَتُخْرِجَنَّهُ، وَلَتَقَاتِلَنَّهُ، وَلَنْ أَنَا أَدْرَكْتُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، لِأَنْصُرَنَّ اللَّهَ نَصْرًا يَعْلَمُهُ، ثُمَّ أَدْنَى رَأْسِهِ مِنْهُ فَقَبَّلَ يَافُوقَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَنْزِلِهِ.

وَذَكَرَ الْإِمَامُ الْعَدْلُ سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ فِي سِيَرِهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَخْبَرَ خَدِيجَةَ عَنْ جَبْرِيلَ، وَلَمْ تَكُنْ سَمِعَتْ بِاسْمِهِ قَطُّ، رَكِبَتْ إِلَى بَحِيرَا الرَّاهِبِ إِلَى الشَّامِ، قَالَ الزَّهْرِيُّ هُوَ حَبْرٌ مِنْ يَهُودِ تِمَاءَ، فَسَأَلَتْهُ عَنْ جَبْرِيلَ، فَقَالَ لَهَا: قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ، يَا سَيِّدَةَ نِسَاءِ قُرَيْشٍ، أَنَّى لَكَ بِهَذَا الْإِسْمِ؟ فَقَالَتْ: بَعْلِي ابْنُ عَمِّي أَخْبَرَنِي أَنَّهُ يَأْتِيهِ، فَقَالَ: قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ مَا عَلِمَ بِهِ إِلَّا نَبِيٌّ، فَإِنَّهُ السَّافِرُ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَنْبِيَائِهِ، وَإِنْ الشَّيَاطِينُ لَا تَجْتَرِئُ أَنْ تَمَثَّلَ بِهِ وَلَا تَنْسَمِيَ بِهِ.

وَكَانَ غُلَامٌ لِعَبْتَةَ بِنِ رُبَيْعَةَ بِنِ عَبْدِ شَمْسٍ أَسَمَهُ عَدَّاسٌ مِنْ أَهْلِ يَنْتَوَى مَدِينَةِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أُرْسِلَتْ تَسْأَلُهُ عَنْ جَبْرِيلَ فَقَالَ: قُدُّوسٌ [قُدُّوسٌ] أَنَّى لِهَذِهِ الْبِلَادِ بِذِكْرِ جَبْرِيلَ يَا سَيِّدَةَ نِسَاءِ قُرَيْشٍ؟ فَأَخْبَرَتْهُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ عَدَّاسٌ مِثْلَ قَوْلِ الرَّاهِبِ.

(١) الهاء المتصلة بهذه الأفعال للسكت.

(٢) نقله في السيرة الحلبية ١ : ٢٤٤ عن ابن دحية . وانظر ترجمة سليمان بن بلال التيمي في تهذيب

التهذيب لابن حجر ٤ : ١٧٥ .

(٣) في السيرة الحلبية ١ : ٢٤٤ : « كَتَبَتْ إِلَى بَحِيرَا » .

(٤) في السيرة الحلبية ١ : ٢٤٤ : « فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَجْتَرِئُ أَنْ يَمَثَّلَ بِهِ، وَلَا أَنْ يَنْسَمِيَ » .

(٥) معجم البلدان ٨ : ٣٦٨ .

(٦) عن السيرة الحلبية ١ : ٢٤٣ .

(١) وروى البخارى - رحمه الله - فى صحيحه بإسناده عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحياناً يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على^(٢) ، فيفصم عني^(٣) وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لى الملك رجلاً فيكلمنى فأعنى ما يقول. قالت عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي فى اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً.

(٥) وبسنده عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : أول ما يدئى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب إليه الخلاء، فكان يلحق بغار حراء، فيتحنث فيه، وهو التعبُّد الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزوَّد لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزوَّد لمثلها، حتى جاء الحق وهو فى غار حراء، فجاءه الملك فقال : اقرأ، قل : ما أنا بقارئ، قال : فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى فقال : اقرأ فقلت : ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى فقال : اقرأ فقلت : ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثالثة، ثم أرسلنى فقال : (اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم) فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم رجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد، فقال : زمِّلونى زمِّلونى، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد

(١) صحيح البخارى ١ : ٦ . (٢) الصلصلة : صوت الحديد إذا حرك .

(٣) ففصم عني : يقطع . (٤) يتفصد : يسيل عرقاً . (٥) صحيح البخارى ١ : ٧ .

- خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله، ما يُخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم،
وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق،
فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم
خديجة، وكان امرأاً تنصرف إلى الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب
من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له
خديجة: يا بن عم أسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا بن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره
رسول الله صلى الله عليه وسلم خبراً ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله
على موسى، يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم: أومخرجني هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي،
وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي.
قال ابن شهاب: (٢) وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله
الأنصاري قال وهو يحدث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: بينما أنا أمشي
إذ سمعتُ صوتاً من السماء، فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على
كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه، فرجعت فقلت: زملوني زملوني،
فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾،
فخمى الوحي وتتابع.
- قال محمد بن إسحاق: (٣)

- وحدثني إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير أنه حدث عن خديجة أنها
قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي ابن عم، أستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا؟
(١) رواية البخاري ٦: ١٧٤: «وكان يكتب الكتاب العربي»، ويكتب من الإنجيل بالعربية
ما شاء الله. (٢) لا يزال النقل عن صحيح البخاري ١: ٧.
(٣) قتله ابن هشام في السيرة عنه ١: ٢٥٤.

الذى يأتيك إذا جاءك ؟ قال نعم ، قالت : فإذا جاءك فأخبرني به ، فجاءه جبريل عليه السلام كما كان يصنع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا خديجة ، هذا جبريل قد جاءني قالت : قم يا بن عم فاجلس على نخذي اليسرى ، فقام فجلس عليها ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، قالت : فتحوّل فأقعِدْ على نخذي اليمنى ، قال : فتحوّل فقعِدْ على نخذي اليمنى ، فقالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، قالت : فتحوّل فاجلس في حجرى ، فتحوّل فجلس في حجرها ، ثم قالت : هل تراه ؟ قال : نعم : قال : فحَسَرْتُ وألقت نحارها ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم جالس في حجرها ثم قالت : هل تراه ؟ قال : لا . قالت يا بن عم : أثبت وأبشِرْ ، فوالله إنه لملك ، ما هذا بشيطان .

وكانت خديجة رضى الله عنها أول من آمن بالله وبرسوله وصدق بما جاء به . وحكى أبو عمر بن عبد البر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرَّ أمره ثلاث سنين ثم أمره الله تعالى بإظهار دينه والدعاء إليه ، فأظهره بعد ثلاث سنين من بعثته . قال : وقال الشعبي : أُخْبِرْتُ أن إسماعيل تراءى له ثلاث سنين . وروى ابن عبد البر بسنده إلى الشعبي قال : بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين ، ووُكِّلَ به إسماعيل عليه السلام ثلاث سنين ، ثم وُكِّلَ به جبريل عليه السلام . وفي رواية عنه : ثم بُعث إليه جبريل بالرسالة . وعنه أيضا قال : أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين ، فقرن نبوته إسماعيل عليه السلام ثلاث سنين ، وكان يعلمه الكلمة والشيء ، ولم ينزل عليه القرآن على لسانه ، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل عليه السلام ، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة .

(١) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٥ : « فاجلس » .

(٢) رواية ابن هشام : « فجلس » .

ذكر فترة الوحي عن النبي صلى الله عليه وسلم وما أنزل بعد فترته

قال : ^(١) وفترة الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة ^(٢) حتى شق ذلك عليه وأحزنه . واختلف في مدة فترة الوحي ، فقال ابن جريج : احتبس عنه الوحي اثني عشر يوما ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : خمسة عشر يوما ، وقيل : خمسة وعشرين . وقال مقاتل : أربعين يوما . والله أعلم .

روى البخاري - رحمه الله - عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، وراق الحديث بنحو ما تقدم ، قال : وفترة الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رموس شواهق الجبال ، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال : يا محمد إنك رسول الله حقا ، فيسكن لذلك جأشه ، وتقتر نفسه فيرجع ، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك ، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل وقال له مثل ذلك . قال : وتكلم المشركون عند فترة الوحي بكلام ، فأنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ ^(٣) السورة بكاملها ، وقيل في سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ترك قيام الليل ليلتين أو ثلاثا ^(٤) لشكوى أصابته ، فجاءت امرأة فقالت : يا محمد ، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك ^(٥) لم أره قريبا منذ ليلتين أو ثلاث ، فأنزل الله تعالى السورة .

(١) الفائق ابن إسحاق . وانظر سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٧ .

(٢) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٧ : « فترة في ذلك حتى » .

(٣) الجامع الصحيح ٦ : ١٧٢ ، ١٧٤ ، وانظر عيون الأثر ١ : ٨٥ .

(٤) الشكوى : المرض . (٥) في الأصل : « أو ثلاثا » .

قال القاضي أبو الفضل عياض بن موسى رحمه الله في كتابه المترجم (بالشفا بتعريف حقوق المصطفى) ^(١) : تَضَمَّنَتْ هَذِهِ السُّورَةُ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ وَتَنْوِيهِهِ بِهِ وَتَعْظِيمِهِ إِيَّاهُ سِتَّةَ وَجُوهٍ :

الأوَّل — الْقَسَمُ لَهُ عَمَّا أَخْبَرَ بِهِ مِنْ حَالِهِ بِقَوْلِهِ : ﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ أَيْ وَرَبِّ الضُّحَى ، وَهَذَا لِمَنْ عَظِيمُ دَرَجَاتِ الْمَبَرَّةِ .

الثَّانِي — بَيَانُ مَكَانَتِهِ عِنْدَهُ وَحَظُّوْتِهِ لَدَيْهِ بِقَوْلِهِ : ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ أَيْ مَا تَرَكَكَ وَمَا أَبْغَضَكَ ، وَقِيلَ مَا أَهْمَكَ بَعْدَ أَنْ أَصْطَفَاكَ .

الثَّالِث — قَوْلُهُ : ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : أَيْ مَالِكَ فِي مَرَجْعِكَ عِنْدَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِمَّا أَعْطَاكَ اللَّهُ مِنْ كَرَامَةِ الدُّنْيَا . وَقَالَ سَهْلٌ : أَيْ مَا ذَخَرْتُ لَكَ مِنَ الشَّفَاعَةِ وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ خَيْرُكَ مِمَّا أُعْطَيْتَكَ فِي الدُّنْيَا .

الرَّابِع — قَوْلُهُ : ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ ، وَهَذِهِ آيَةُ جَامِعَةٌ لَوُجُوهِ الْكَرَامَةِ وَأَنْوَاعِ السَّعَادَةِ وَشَتَاتِ الْإِنْعَامِ فِي الدَّارَيْنِ وَالزِّيَادَةِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : يُرْضِيهِ بِالْفَلَجِ فِي الدُّنْيَا وَالثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ . وَقِيلَ : يُعْطِيهِ الْحَوْضَ وَالشَّفَاعَةَ ، وَرُويَ عَنْ بَعْضِ آلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : «لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ أَرْجَى مِنْهَا ، وَلَا يَرْضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِهِ النَّارَ» .

(١) انظر شرح الخفاجي على الشفا ١ : ٢٠٤ وما بعدها .

(٢) نقله ابن هشام في السيرة ١ : ٢٥٩ ، وعبارته «قرضى من الفلج في الدنيا والثواب» . وانظر نسيم الرياض ١ : ٢٠٧ . والفلج : الفوز والظفر .

(٣) هو علي بن أبي طالب ، أو الحسن بن محمد بن الحنفية . وانظر نسيم الرياض ١ : ٢٠٧ .

الخامس — ما عده الله تعالى عليه من نعمه، وقرّره من آلائه قبله في بقية السورة، من هدايته إلى ما هداه له، أو هداية الناس به على اختلاف التفسير، ولا مال له فأغناه بما آتاه، أو بما جعله في قلبه من القناعة والغنى، ويتيا لخدب عليه عمه وآواه إليه، وقيل: آواه إلى الله، وقيل: يتيا لا مثال لك فأواك إليه، وقيل المعنى ألم يهْدِك فهدى بك ضالّا، وأغنى بك عائلًا، وآوى بك يتيا، ذكره بهذه المِن، وأنه — على المعلوم من التفسير — لم يهمله في حال صغره وعَيْلته ويُمّه، وقبل معرفته به ولا ودّعه ولا قلّاه، فكيف بعد اختصاصه واصطفائه . والله أعلم

السادس — أمره بإظهار نعمته عليه، وشكر ما شرفه به ينشره وإشادة ذكره بقوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، فإن من شكر النعمة تحدّث بها، وهذا خاص له، عام لأئمه .

وقال ابن إسحاق^(١): أي بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوة، فحدّث بها أي أذكرها وأذع إليها . قال: بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوة ^(٢) سرًّا إلى من يطمئن إليه من أهله . قال: ثم فُرِضَت الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم . والله الموفق لطاعته .

ذكر فرض الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

روى عن عائشة أم المؤمنين — رضى الله عنها — أنها قالت: ^(٣) افتُرِضَت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما افتُرِضَت ركعتين ركعتين ^(٤) كلّ صلاة، ثم إن الله تعالى أتمّها في الحضر أربعًا، وأقرّها في السّقر على فرضها الأول ركعتين . قال محمد بن إسحاق:

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٩ . (٢) في الأصل: «النبوة بسرى»، والصواب غن سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٩ . (٣) انظر سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٠ . (٤) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٠ : «افترضت عليه ركعتين» .

وحدثني بعض أهل العلم أن الصلاة حين افتُرِضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه جبريل وهو بأعلى مكة، فنهَز له بعقبه في ناحية الوادي، فَأَفْجَزَتْ منه عينٌ فتَوَضَّأَ جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر [إليه] ليريه (١) كيف الطهور للصلاة، ثم تَوَضَّأَ رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رأى جبريل تَوَضَّأَ، ثم قام به جبريل فصَلَّى به، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاته، ثم انصرف جبريل، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حَدِيْجَةِ فتَوَضَّأَ لها ليريه (٢) كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل، فتَوَضَّأت كما تَوَضَّأَ [لها] رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم صَلَّى بها كما صَلَّى به جبريل، فصَلَّتْ بصلاته. (٣)

وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: «لما فُرِضَت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه جبريل فصَلَّى به الظُّهْر حين مالت الشمس، ثم صَلَّى به العصر حين كان ظِلُّه مثله، ثم صَلَّى به المغرب حين غابت الشمس، ثم صَلَّى به العشاء الآخرة حين ذهب الشَّقَقُ، ثم صَلَّى به الصبح حين طلع الفجر، ثم جاء فصَلَّى به الظهر من غدٍ حين كان ظِلُّه مثله، ثم صَلَّى به العصر حين كان ظِلُّه مثله، ثم صَلَّى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالأمس، ثم صَلَّى به العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل الأول، ثم صَلَّى به الصبح مُسْفِرًا غير مشرقٍ، ثم قال: يا محمد الصلاة فيما بين صلاتك اليوم وصلاتك بالأمس». (٤)

(١) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٠ : «جبريل عليه السلام ورسول». (٢) عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٠ . (٣) في سيرة ابن هشام ١ : ١٦١ : «جبريل عليه السلام فجاء». (٤) عن ابن هشام، والنسبة الحلبية ١ : ٢٦٤ . (٥) للبيهقي في الروض الأنف ١ : ١٦٢ كلام في هذا الحديث وسنده يحسن الوقوف عليه . وانظر السيرة الحلبية ١ : ٢٦٤ . (٦) رواه ابن هشام ١ : ٢٦١ .

(٧) في الأصل : «الفجر ثم صَلَّى به الظهر حين كان» والذي أثبت عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٢ . (٨) ناقش البيهقي في الروض الأنف ١ : ١٦٣ لإيراد هذا الحديث هنا ، لأن هذه القصة كانت في القد من ليلة الإسراء، وذلك بعد ما نبئ النبي صلى الله عليه وسلم بخمسة أعوام . ثم ذكر كلامهم في ذلك .

ذكر أول من أسلم وآمن بالله تعالى وبرسوله

صلى الله عليه وسلم وصديق بما جاء به من عند الله

قد تقدم أن أول من آمن خديجة رضى الله عنها، وذهب محمد بن إسحاق إلى (١)
أن أول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى وصديق بما جاء به من الله (٢)
تعالى على بن أبي طالب، ثم زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، (٣)
ثم أبو بكر الصديق رضى الله عنهم . وسند ذكر إن شاء الله إسلام كل واحد منهم .
أما إسلام أبي بكر الصديق رضى الله عنه فالذى عليه الأكثر أن أول من
أسلم من الذكور، وقد روى أبو الفرج بن الجوزى رحمه الله في كتابه المترجم (بصفة
الصفوة) عن ابن عباس، وحسان بن ثابت، وأسماء بنت أبي بكر، وإبراهيم النخعي،
قالوا كلهم : أول من أسلم أبو بكر، قال: وقال يوسف بن يعقوب بن المناجشون :
أدركت أبي ومشيختنا محمد بن المنكدر ، وربيعه بن أبي عبد الرحمن، وصالح
ابن كيسان ، وسعد بن إبراهيم ، وعثمان بن محمد الأحنسي ، وهم لا يشكون أن أول
القوم [إسلاماً] أبو بكر (٦)

وروى أبو الفرج بسنده عن ابن عباس أنه قال : " أول من صلى أبو بكر
رضى الله عنه " ، ثم تمثل بأبيات حسان بن ثابت :

إذا تذكّرت شجواً من أنجي نَفْسٍ * فازكُر أخاك أبا بكرٍ بما فعلاً
خير البرية أنقاهَا وأعدّلَهَا * إلا النبيّ، وأولاها بما حملاً
الثاني التالي المحمود مشهده * وأول الناس حقاً صدق الرُّسُلَا

والله يهدي من يشاء ..

(١) نقله ابن هشام في السيرة ١: ٢٦٢ (٢) في سيرة ابن هشام ١: ٢٦٢: «بما جاءه» .

(٣) انظر سيرة ابن هشام ١: ٢٦٤، وأسد الغابة ٢: ٢٢٤ (٤) سيرة ابن هشام ١: ٢٦٦ .

(٥) ١: ٨٩ (٦) عن صفة الصفوة ١: ٨٩ (٧) صفة الصفوة ١: ٨٩ .

٦١
١٤

وأما إسلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه — فقد اختلف في سنة
حال إسلامه ؛ فقيل : أسلم وهو ابن عشر سنين ، وقيل : تسع سنين ، وقيل اثنتي
عشرة سنة ، وقيل أكثر من ذلك إلى عشرين سنة ، وهو بعيد ، لأنه آمن في ابتداء
الأمر وظهور النبوة . والله أعلم .

وكان من حديث إسلامه ، ما رواه محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي نجيع^(١)
عن مجاهد بن جبر بن أبي الحجاج ، قال : كان من نعمة الله على علي بن أبي طالب
ومما صنع الله له وأراد به من الخير أن قرّشا أصابتهم أزمة شديدة ، وكان
أبو طالب ذا عيال كثير ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه العباس ، وكان
من أيسر بني هاشم : يا عباس ، إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس^(٢)
ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق بنا إليه فلنخفف^(٣) عنه [من عياله ؛ أخذ من بنيهم رجلا ،
وتأخذ أنت^(٤) رجلا فنكفلهما عنه ، فقال العباس : نعم ، فانطلقا حتى لقيا أبا طالب ،
فقالا^(٥) له] : إنا نريد أن نخفف^(٦) عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه ،
فقال لهما [أبو طالب]^(٧) : إذا تركتما لي عقيلا فاصنعا ما شئتما ؛ ويقال قال : عقيلا^(٨)
وطالبا ؛ فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فضمه إليه ، وأخذ العباس

- (١) نقل ابن عبد البر في الاستيعاب ص ٢٧١ هذا القول عن ابن إسحاق ، ثم ذكر بقية الأقوال
في سنة يوم أسلم . (٢) نقله ابن هشام في السيرة ١ : ٢٦٢ .
(٣) في الأصل : « فلنخفف من عياله » ، والذي أثبت عن ابن هشام ١ : ٢٦٣ .
(٤) في الأصل : « وتأخذ رجلا » ، والمثبت عن ابن هشام ١ : ٢٦٣ .
(٥) في الأصل : « فنكفلهما » ، والمثبت عن ابن هشام ص ١٥٩ (طبعة أوربا) .
(٦) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٣ : « حتى آتيا » .
(٧) في الأصل : « فقالا إنا نريد » ، والمثبت عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٣ .
(٨) في الأصل : « فقال لهما إذا » ، والمثبت عن ابن هشام ١ : ٢٦٣ .

جعفرا [فضمه إليه ^(١)] ، فلم يزل على مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله نبياً فاتبعه على وآمن به وصدقته ، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم ^(٢) .

قال ابن إسحاق :

وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة وخرج معه على بن أبي طالب ^(٣) مستخفياً من عمه أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه فيصلبان الصلوات فيها ، فإذا أمسيا رجعا ، فكانا كذلك ما شاء الله أن يمكنا ، ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصلبان ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بن أخي ، ما هذا الدين الذي أراك تدين به ؟ قال : أي عم ، هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم ، يعني الله به رسولاً إلى العباد ، وأنت أي عم أحق من بذلت له النصيحة ، ودعوته إلى الهدى ، وأحق من أجابني إليه ، وأعاني عليه ، أو كما قال . فقال أبو طالب : أي ابن أخي ، إني والله لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه ، ولكن والله لا يخلص إليك شيء تكرهه ما بقيت .

وذكروا أنه قال لابنه علي : أي بني ما هذا الدين الذي أنت عليه ؟ فقال :

يا أبت ، آمنت برسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقته بما جاء به ، وصليت معه لله واتبعته . فزعموا أنه قال له : أما إنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه .

(١) في الأصل : « جعفرا فلم يزل » ، والزيادة عن ابن هشام : ١ : ٢٦٣ .

(٢) في سيرة ابن هشام : « حتى أسلم واستغنى عنه » .

(٣) في الأصل : « فيصلبان الصلاة » ، والمثبت عن سيرة ابن هشام : ١ : ٢٦٣ .

(٤) في سيرة ابن هشام : ١ : ٢٦٣ : « أبينا إبراهيم أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني » .

(٥) في سيرة ابن هشام : ١ : ٢٦٤ : « إني لا أستطيع » .

وأما إسلام زيد بن حارثة رضي الله عنه — فقال محمد بن إسحاق :
ثم أسلم زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس
الكلبي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد نسبته ابن الكلبي فقال : زيد
ابن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن يزيد بن امرئ القيس بن عامر
ابن النعمان بن عبدود بن امرئ القيس بن نعمان بن عمران بن عبد عوف بن عوف
ابن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب
ابن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمر
ابن مرة بن مالك بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .
قال أبو عمر : وربما اختلفوا في الأسماء وتقديم بعضها على بعض وزيادة شيء
فيها . قال : ولم يتابع ابن إسحاق على قوله « شرحبيل » وإنما « شراحيل » .
وقال ابن الكلبي : وأم زيد سعدى بنت ثعلبة بن عبد عامر بن أفلت ، من
بنى معن من طيء .

- (١) ترجمة زيد بن حارثة في الاستيعاب ١٩١ ، وأسد الغابة ١ : ٢٣٤ .
(٢) في الأصل : « قال » .
(٣) هذه رواية ابن عبد البر في الاستيعاب ، وفي سيرة ابن هشام ١ : ٦٢٤ : « العزى بن
امرئ القيس » .
(٤) في الاستيعاب ص ١٩١ .
(٥) في الأصل : « وزيادة في شيء منها » . والمثبت عن الاستيعاب ص ١٩١ ، حيث النقل عنه .
(٦) القائل ابن عبد البر .
(٧) في الأصل : « على شيء منها » ، وإنما هو شاحيل « تصحيف » والتعريب عن الاستيعاب
ص ١٩١ ، وانظر أسد الغابة ٢ : ٢٢٤ .
(٨) في الأصل : « عامر بن طيء » ، والذي أثبت عن الاستيعاب ص ١٩١ ، وأسد الغابة
٢ : ٢٢٤ .

(١) قال ابن إسحاق : وصلى زيد بعد علي بن أبي طالب . قال أبو محمد عبد الملك ابن هشام : وكان حكيم بن حزام بن خويلد قديم من الشام بزيق منه زيد بن حارثة ، وصيف ، فدخلت عليه عمنه خديجة بنت خويلد ، وهي يومئذ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لها : اختاري يا عمة ، أي هؤلاء الغلمان شئت فهو لك ، فاخترت زيدا ، فأخذته ، فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها ، فاستوهبه منها ، فوهبته له ، فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبناه ، وذلك قبل أن يوحى إليه ، وكان أبوه حارثة قد جزع عليه جزعا شديدا وبكى عليه حين فقده ، ثم قديم عليه وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن شئت فأقيم عندي ، وإن شئت فانطلق مع أبيك » ، قال : بل أقيم عندك ، فلم يزل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله ، فصعدقه وأسلم وصلى معه ، فلما أنزل الله عز وجل : (اُدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ) قال : أنا زيد ابن حارثة . وقد روى أبو عمر وغيره أن حارثة لما فقد ابنه زيدا قال :

بكيت على زيد ولم أدري ما فعل * أحيى يربى أم آتى دونه الأجل^(٢)
فوالله ما أدري وإن كنت سائلا * أغالك سهل الأرض أم غالك الجبل^(٣)
فيا ليت شعري هل لك الدهر رجعة^(٤) * فحسبي من الدنيا رجوعك لي بجل^(٥)

(١) نقله ابن هشام ١ : ١٦٤ .

(٢) في سيرة ابن هشام : « فيهم زيد » .

(٣) كذا في الاستيعاب ص ١٩٢ ، وفي سيرة ابن هشام ١ : ١٦٥ : « أحيى يربى » .

(٤) في سيرة ابن هشام :

« ... أدري وإن لسائل * أغالك بعدى السهل ... »

ورواية المؤلف عن ابن عبد البر في الاستيعاب .

(٥) ابن هشام : « أوبة » .

(٦) بجل ، بمعنى حسب . وفي أسد الغابة ٢ : ١٩٥ : « لي عل » .

تذكرني الشمس عند طلوعها * وتعرض ذكراه إذا قارب الطفل^(١)
 وإن هبت الأرواح هيجن ذكراه * فيا طول ما حزنني عليه وما وجل
 سأعمل نص العيس في الأرض جاهدا * ولا أسام التطواف أو تسام الإبل
 حياتي أو تأتي علي مني * وكل أمري^(٢) فإن وإن غره الأمل
 سأوصي به قيسا وعمرا كليهما * وأوصي يزيدا ثم من بعده جبل^(٣)
 يعني جبلة بن حارثة أخا زيد ، ويزيد أخا زيد لأمه ، وهو يزيد بن كعب
 ابن شراحيل .

قال : فحج ناس^(٤) من كلب فرأوا زيدا فعرفهم وعرفوه ، وقال لهم : أبلغوا^(٥)
 أهلي هذه الأبيات ، فإني أعلم أنهم قد جزعوا علي ، فقال :
 أحين إلى قومي وإن كنت نائيا * فإني قعيد البيت عند المشاعر
 فكفوا من الوجد الذي قد شجاكم * ولا تعملوا في الأرض نص الأباغر
 فإني بحمد الله في خير أسرة * كرام معد كبرا بعد كبار
 فأنطلق الكليون فاعلموا أباه ، فقال : ابني ورب الكعبة ، فوصفوا له موضعه
 وعند من هو ، فخرج حارثة وكعب ابنا شراحيل لفدائه ، وقديما مكة ، فسألا عن النبي^(٦)
 صلى الله عليه وسلم ، فقيل : هو في المسجد ، فدخلوا عليه فقالا : يا بن عبد المطلب ،

(١) رواية ابن هشام : « ... ذكراه إذا غربها أفل » .

(٢) ابن هشام : « فكل أمري » .

(٣) هذا البيت لم يورده ابن هشام .

(٤) القائل ابن عبد البر في الاستيعاب ص ١٩٢

(٥) في الأصل « أناس من كلب » ، والتصويب عن الاستيعاب ص ١٩٢

(٦) في الاستيعاب ص ١٩٢ : « أبلغوا عني أهلي » .

(٧) في الاستيعاب ص ١٩٢ ، وأسد الغابة ٢ : ٢٢٥ : « قدما » .

يَا بَنِي هَاشِمٍ، يَا بَنِي سَيِّدِ قَوْمِهِ، أَتَمُّ أَهْلُ حَرَمِ اللَّهِ وَجِيرَانُهُ، تَفَكَّرُونَ الْعَانِي، وَتُطْعَمُونَ الْأَسِيرَ، جِئْتُكَ فِي ابْنِنَا عِنْدَكَ، فَاثْمُنْ عَلَيْنَا وَأَحْسِنْ إِلَيْنَا فِي فِدَائِهِ؟ قَالَ: وَمَنْ هُوَ؟^(١) قَالَا: زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَهْلًا غَيْرَ ذَلِكَ؟» قَالُوا: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: «ادْعُوهُ فَأَخْبِرْهُ، فَإِنْ أَخْتَارَكُمْ فَهُوَ لَكُمْ، وَإِنْ اخْتَارَنِي فَهُوَ لِي، فَوَاللَّهِ مَا أَنَا بِالَّذِي اخْتَارَ عَلَيَّ مَنْ اخْتَارَنِي أَحَدًا». قَالُوا: قَدْ زِدْتَنَا عَلَى النَّصْفِ وَأَحْسَنْتَ إِلَيْنَا، فِدْعَاهُ فَقَالَ: «هَلْ تَعْرِفُ هَؤُلَاءِ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «مَنْ هَذَا؟» قَالَ: أَبِي، وَهَذَا عَمِّي، قَالَ: «فَأَنَا مَنْ قَدْ عَلِمْتَ، وَقَدْ رَأَيْتَ صَبِيَّتِي لَكَ، فَاخْتَرَنِي أَوْ اخْتَرِهَا»، فَقَالَ زَيْدٌ: مَا أَنَا بِالَّذِي اخْتَارَ عَلَيْكَ أَحَدًا، أَنْتَ مَنِيْ مَكَانَ الْأَبِ وَالْعَمِّ، فَقَالَا: وَيَحْكُ يَا زَيْدُ! اخْتَارَ الْعِبُودِيَّةَ عَلَى الْحُرِّيَّةِ، وَعَلَى أَيْبِكَ وَعَمِّكَ وَأَهْلِ بَيْتِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَدْ رَأَيْتُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ شَيْئًا مَا أَنَا بِالَّذِي اخْتَارَ عَلَيْهِ أَحَدًا أَبَدًا. فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ أَخْرَجَهُ إِلَى الْحِجْرِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ مَنْ حَضَرَ، اشْهَدُوا أَنَّ زَيْدًا ابْنِي يَرِثُنِي وَأَرِثُهُ». فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَبُوهُ وَعَمُّهُ طَابَتِ نَفْسُهُمَا وَانْصَرَفَا. وَدُعِيَ زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَتَّى جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، فَتَزَلَّتْ: (أَدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ)، فَدُعِيَ بِوَمَثَلِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، وَدُعِيَ الْأَدْعِيَاءُ إِلَى آبَائِهِمْ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) فِي الْأَصْلِ: «مَنْ هُوَ قَالَ» وَالْمُبْتَدِئُ عَنْ أَسَدِ الْغَابَةِ، وَالِاسْتِيعَابُ.

(٢) فِي الْأَصْلِ: «فَأَخْبِرْهُ».

(٣) فِي الْإِسْتِيعَابِ وَأَسَدِ الْغَابَةِ: «قَالَا».

(٤) فِي الْإِسْتِيعَابِ ١: ٥٢٨: «وَأَحْسَنْتَ فِدْعَاهُ».

(٥) عَنِ الْإِسْتِيعَابِ، وَانْظُرْ أَسَدَ الْغَابَةِ ٢: ٢٢٥.

(٦) فِي أَسَدِ الْغَابَةِ ٢: ٢٢٥: «قَدْ عَرَفْتُ».

(٧) فِي أَسَدِ الْغَابَةِ ٢: ٢٢٥: «فَقَالَ: مَا أُرِيدُهُمَا، وَمَا أَنَا بِالَّذِي».

(٨) فِي الْإِسْتِيعَابِ ص ١٩٢: «وَعَلَى أَهْلِ».

حُزُوبُ
مَعِينُ التَّارِيخِ
لَأَهْلِ التَّارِيخِ

ذكر من أسلم بدعاء أبي بكر الصديق - رضوان الله عليهم -
قال محمد بن إسحاق ^(١) :

لما أسلم أبو بكر الصديق رضي الله عنه أظهر إسلامه ، ودعا إلى الله تعالى وإلى
رسوله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو بكر رجلاً مألُفًا لقومه حبيبا مهلا ، وكان أنسب
فريش لفريش ، وأعلم فريش بها وبما كان فيها من خير وشر ، وكان رجلا تاجرا
ذا خلق ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر ، لعلمه
وتجارته وحسن مجالسته .

بفعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه ، فأسلم
بدعائه رضي الله عنه ، عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ،
وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، فناء بهم إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى استجابوا له ، فأسلموا وصلوا ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : " ما دعوتُ أحدا إلى الإسلام إلا كانت عنده كِبوة ونظر وتردد ، إلا
ما كان من أبي بكر بن أبي خُافة ، ما عكَمَ عنه حين ذكرته له وما تردد فيه " .

(١) نقله ابن هشام في السيرة ١ : ١٦٥

(٢) المؤلف : الموضع الذي يأنفه الناس ، ووصف أبي بكر به على نوع من التجوز .

(٣) في سيرة ابن هشام ١ : ١٦٥ : « إلى الله وإلى الإسلام » .

(٤) الخليفة الثالث قتل سنة ٣٥ . ترجمته في الاستيعاب ١ : ٤٨٧ والخلاصة للزرجي ص ١٢١ ،

وغيرها . (٥) ابن عمه رسول الله ، توفي سنة ٣٦ بعد وفاة الجبل . وانظر الاستيعاب ٢٠٧

(٦) المتوفى سنة ٣٢ على خلاف ، وانظر الاستيعاب ٤٠٢

(٧) آخر العشرة المبشرين موتاً ، مات بالعقيق بقصره على عشرة أميال من المدينة سنة ٥٦ على

خلاف . وانظر الاستيعاب ٥٥٨

(٨) أحد العشرة أيضا ، وكان الرسول يسميه طلحة الجود ، وطلحة الخبير . مات يوم الجبل

سنة ٣٦ . وانظر الاستيعاب ٢١٣ (٩) في الأصل : « وسلم حتى » .

(١٠) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٩ : « كانت فيه عنده كِبوة » .

(١١) ما عكَمَ : ما قلبت .

١٥

٢٠

٢٥

قال ابن إسحاق : فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا بالإسلام الناس فصلّوا وصدّقوا بما جاء من الله .

ثم أسلم أبو عبيدة ، وأسمه عامر بن عبد الله بن الجراح ، وأبو سلمة ، وأسمه عبد الله بن عبد الأسد ، والأرقم بن أبي الأرقم ، وأسمه أبي الأرقم عبد مناف بن أسد ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وعثمان بن مظعون ، وأخوه قدامة ، وعبد الله ابنا مظعون ، وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي ، وسعيد بن زيد ، وامراته فاطمة بنت الخطاب أخت عمر ،

- (١) أحد العشرة ، توفي سنة ١٨ في طاعون عمواس . وانظر الاستيعاب ٤٦٠
- (٢) ابن عمه النبي صلى الله عليه وسلم برة بنت عبد المطلب ، وأخوه من الرضاة . توفي بعد مرجعه من بدر . وانظر الاستيعاب ص ٣٧٩
- (٣) هو سابع من أسلم ، وهو من البدرين ، توفي سنة ٥٥ على خلاف ، وانظر الاستيعاب ٥٠ ، والإصابة ١ : ٢٨ .
- (٤) أسلم بعد ثلاثة عشر رجلا ، وهاجر إلى الحبشة . توفي في السنة الثانية من الهجرة ، وانظر الإصابة ٢ : ٤٦٤ والاستيعاب ٤٩٤ .
- (٥) يكنى أبا عمرو ، هاجر المهجرين وشهد بدرا . مات في خلافة علي ، واختلفوا في تحديد سنة وفاته . وانظر الإصابة ٣ : ٢٢٩ ، والاستيعاب ٥٤٨ .
- (٦) أبو محمد ، هاجر إلى الحبشة ، وقد وردت أخباره في ترجمة أخيه عثمان في الإصابة ٢ : ٤٦٤ ، ٢ : ٣٧١ : ٣٧٠ . وانظر الاستيعاب ٣٧٠ .
- (٧) كان رأس بني عبد مناف ، هاجر وشهد بدرا ، واستشهد بها ، وانظر الإصابة ٢ : ٤٤٩ ، والاستيعاب ٤٢٢ .
- (٨) المتوفى بالعتيق سنة ٥١ ، وهو أحد العشرة ، وانظر ترجمته في الاستيعاب ٥٥٢ .
- (٩) تكنى أم جميل ، ولها أثر في إسلام الخليفة عمر . انظر ترجمتها في الإصابة ٤ : ٣٨١ ، والاستيعاب ٧٧٤

وأسماء وعائشة بنتا أبي بكر ، وكانت عائشة صغيرة ، وخبّاب بن الأرت^(٣)
 حليف بني زُهرة ، وعمير بن أبي وقاص أخو سعد ، وعبد الله بن مسعود ،^(٥)
 ومسعود بن القاري ، وهو مسعود بن ربيعة ، [أو الربيع] ، وسليط بن عمرو^(٦)
 ابن عبد شمس ، وعيَّاش بن أبي ربيعة بن المغيرة ، وامراته أسماء بنت سلامة^(٧)
 ابن مخزبة التيمية ، وخبّيس بن حذافة بن قيس ، وعامر بن ربيعة حليف^(٩)
 آل الخطاب ، وعبد الله بن جحش وأخوه أبو أحمد بن جحش حليفا بني أمية ،^(١١)
^(١٢)
^(١٣)

(١) كانت تسمى ذات الطاقين ، وقد رويت عنها أحاديث . توفيت بمكة سنة ٧٣ عن سن عالية ،
 وانظر الاستيعاب ٧٢٤ .

(٢) زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، روى عنها كثير من الأحاديث . توفيت سنة ٥٧ . وانظر
 الاستيعاب ٧٦٤ .

(٣) أبو عبد الله التيمي ، عذب في سبيل الله ، ومات بالكوفة سنة ٣٧ . وانظر الاستيعاب ٦٤٨ .

(٤) قتل يوم بدر شهيدا وله من العمر ١٦ سنة . وانظر الاستيعاب ٤٣٦ .

(٥) أبو عبد الرحمن ، من زهاد الصحابة ، توفي بالمدينة سنة ٣٢ ، وانظر الاستيعاب ٣٧٠ .

(٦) يكنى أبا عمير ، وهو من القارة ، وهم الهون بن خزيمه بن مدركة . مات سنة ٣٠ . وانظر
 الاستيعاب ٢٨١ . وفي الأصل : « بن ربيعة وسليط » .

(٧) من المهاجرين الأولين ، شهد بدرا وسافر عن النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمامة ، وقتل سنة
 ١٤ ، وانظر الاستيعاب ٥٩٦ .

(٨) في الأصل : « عياد » ، والتصويب عن ابن هشام ٢٧٣ : ١ ، والاستيعاب ٥٠٨ : ٢ .
 وانظر الإصابة ٥ : ٤٧ .

(٩) في الأصل : « ابن حجر » ، والتصويب عن ابن هشام ٢٧٣ : ١ . وانظر الإصابة ٨ : ٧ .

(١٠) من المهاجرين الأولين ، مات بأحد . وانظر الاستيعاب ١٦٩ ، وسيرة ابن هشام ٢٧٤ : ١ .

(١١) كان حليف عمر بن الخطاب حسبما قال أبو عبيدة ، شهد بدرا وسائر المشاهد . وتوفي سنة ٣٣
 على خلاف . وانظر الاستيعاب ٤٦١ ، سيرة ابن هشام ٢٧٤ : ١ . وفي الأصل : « حليف الخطاب » .

(١٢) حليف لبني عبد شمس ، أو لحرب بني أمية ، وهو من المهاجرين الأولين ، مات يوم أحد
 ونُقل به ، ودفن مع حزة في قبر واحد . وانظر الاستيعاب ٣٥٢ ، سيرة ابن هشام ٢٧٤ : ١ .

(١٣) في اسمه عبد جحش ، وكان شاعرا . انظر ترجمته في الاستيعاب ٦٤١ ، وسيرة ابن هشام
 ٢٧٤ : ١ .

وجعفر بن أبي طالب، وامرأته أسماء بنت عميس^(٢)، وحاطب بن الحارث بن معمر^(١)،
وامرأته فاطمة بنت الجحلى بن عبد الله^(٣)، وأخوه خطاب بن الحارث، وامرأته فكيمة^(٤)
بنت يسار، ومعمر بن الحارث بن معمر^(٥)، والسائب بن عثمان بن مظعون، والمطلب^(٦)
ابن أزهر بن عبد عوف^(٧)، وامرأته رملة بنت أبي عوف بن صيرة، والنحام واسمه
نعم بن عبد الله^(٨)، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق، وخالد بن سعيد بن العاص^(٩)
ابن أمية، وقد روي أن خالد بن سعيد كان خامس من أسلم، وأن إسلامه كان بعد
سعد بن أبي وقاص، حكاه أبو عمر^(١٠)، وامرأته أمينة بنت خلف بن أسعد، وحاطب^(١١)

(١) مات يوم مؤنة وله من العمر ٤١ سنة . وانظر الاستيعاب ٨١ ، وسيرة ابن هشام

٢٧٥ : ١ . (٢) هاجرت إلى أرض الحبشة مع زوجها . وانظر أخبارها في الاستيعاب ٧٢ ،

وسيرة ابن هشام ٢٧٥ : ١ .

(٣) الاستيعاب ١٣٣ ، وفي ترجمته ذكرت امرأته فاطمة وذكر إسلامها ، وانظر سيرة ابن هشام

٢٧٥ : ١ .

(٤) الاستيعاب ١٤٩ ، وقد ذكرت أيضا معه امرأته وذكر إسلامها ، وانظر سيرة ابن هشام

٢٧٥ : ١ .

(٥) هو ابن أخت عثمان بن مظعون ، أتى النبي بيته وبين معاذ بن عفراء ، وتوفي في خلافة عمر .

وانظر الاستيعاب ٢٧٨ ، وسيرة ابن هشام ٢٧٥ : ١ .

(٦) هو أخو عثمان بن مظعون ، هاجر إلى الحبشة وشهد بدرا . وانظر الاستيعاب ٥٨٨ ، وسيرة

ابن هشام ٢٧٦ : ١ .

(٧) مات بالحبشة مهاجرا ، وانظر الاستيعاب ٢٠٩٨ ، والإصابة ٨ : ٨٦ ، وسيرة ابن هشام

٢٧٦ : ١ .

(٨) أسلم قبل غزوة ، وكان يكتم إسلامه . واختلف في وفاته ؛ فقيل بأجنادين ، وقيل باليرموك ،

وانظر الاستيعاب ٣١١ ، وسيرة ابن هشام ٢٧٦ : ١ .

(٩) كان ملكا للطفيل بن عبد الله ، فأسلم وهو مملوك ، فاشتراه أبو بكر وأعتقه ، ورافق النبي وأبا بكر

في هجرتهما . وانظر الاستيعاب ٤٦٢ ، سيرة ابن هشام ٢٧٧ : ١ .

(١٠) أسلم مع أبي بكر وهاجر إلى الحبشة ، واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على صدقات مدح ،

وعلى صنعاء اليمن . وفي مكان وفاته خلاف . وانظر الاستيعاب ١٥٤ ، وسيرة ابن هشام ٢٧٧ : ١ .

(١١) في الاستيعاب ١٥٤ ، وانظر سيرة ابن هشام ٢٧٧ : ١ .

(١٢) الاستيعاب ٧٢٦ ، واسم امرأته عند ابن عبد البر « أمية » ، وانظر أسد الغابة ٥ : ٤٠٢ .

ابن عمرو بن عبد شمس^(١)، وأبو حذيفة واسمه مهشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس^(٢)
 ابن عبد مناف؛ ويقال في اسمه هشيم؛ ويقال هاشم، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف^(٣)
 ابن عشرين بن ثعلبة^(٤)، وخالد^(٥)، وعامر^(٦)، وعاقِل^(٧)، وإياس^(٨)، بنو البكر بن عبد المطلب^(٩)
 وعمار بن ياسر حليف بني مخزوم، وصهيب بن سنان^(١٠) .
 قال ابن إسحاق^(١١) :

ثم دخل الناس [في الإسلام]^(١٢) أرسالا من الرجال والنساء، حتى فشا ذكر
 الإسلام [بمكة وتحدث به]^(١٣) .

ولندكر من كانت له سابقة في الإسلام غير من ذكرنا والله الموفق للصواب .

-
- (١) هاجرا إلى الحبشة وشهد بدراء، وانظر الاستيعاب ١٣٣ .
- (٢) قتله ابن عبد البر في الاستيعاب ٦٥٣ في ترجمة أبي حذيفة هذا، وانظر الروض الأنف ١٠٠ : ١٦٧ .
- (٣) الاستيعاب ٦٢٣ .
- (٤) انظر سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٨، والاستيعاب ٦٢٣ .
- (٥) حالف في الجاهلية قبيل بن عبد العزى جد عمر بن الخطاب، فهو وولده حلفاء بني عدي، قتل ستة أربع من الهجرة . وانظر الاستيعاب ١٥٦ .
- (٦) يقال فيه أيضا : ابن أبي البكر . وانظر الاستيعاب ٤٦١ .
- (٧) كان اسمه غافلا، فسماه النبي غافلا . قتل بيدروسته ٣٤ سنة، وانظر الاستيعاب ٥٢٤ .
- (٨) يقال فيه أيضا : إياس بن أبي البكر، أسلم في دار الأرقم، له ترجمة في الاستيعاب ٤٧ .
- (٩) هو عنتى النسب وحالف بني مخزوم، عذب في الله وشهد المشاهد كلها، وفيه ورد الأثر :
 ” يقتل عمارا الفئة الباغية “ . وانظر الاستيعاب ٤٣٤ .
- (١٠) يقال فيه ابن سنان الرومي لأنه تعلم لسان الروم حيث سيوه وهو صغير، وهو من النمر بن قاسط، وكان أبوه عاملا لكسرى على الأبله . وانظر ترجمته في الاستيعاب ٣٢٥ .
- (١١) قتله ابن هشام في السيرة ١ : ٢٨٠ .
- (١٢) عن ابن هشام ١ : ٢٨٠ .

ذكر تسمية من كانت لهم سابقة في الإسلام

من العرب من غير قریش

كانت الجماعة سابقةً لإسلام، وهم من غير قریش، فرأينا أن نذكرهم في هذا

الموضع لسابقتهم في الإسلام .

- منهم أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري، واختلف في اسمه اختلافا كثيرا،
 والمشهور ما ذكرناه، واختلف أيضا فيما بعد جنادة، ف قيل جنادة بن قيس بن عمرو
 ابن صُعير بن حرام بن غفار، وقيل جنادة بن صُعير بن عبيد بن حرام بن غفار،
 ويقال جنادة بن سُفيان بن عبيد بن [صُعير بن] حرام بن غفار، أسلم أبو ذر بعد
 ثلاثة، وقيل: بعد أربعة، فكان خامسا، وله في سبب إسلامه حديث حسن، نذكره
 إن شاء الله تعالى عند ذكرنا لأخبار وفود العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في وفد غفار على ما تقف عليه، وهو في السفر السادس عشر من كتابنا هذا .
 وأسلم بسبب إسلامه أخوه أنيس بن جنادة وأُمهما رملة بنت الوقعة الغفارية .
 ومنهم عمرو بن عبسة بن عامر بن خالد بن غاضرة بن عتاب بن امرئ القيس
 ابن بهثة بن سليم، يكنى أبا نجيح، ويقال أبو شعيب . قال أبو عمر بن عبد البر :
 رويناه عنه من وجوه أنه قال : أُلقي في روعي أن عبادة الأوثان باطل، فسمعتني رجل
 وأنا أتكلم بذلك، فقال : يا عمرو، إن بمكة رجلا يقول كما تقول، قال : فأقبلت إلى مكة

(١) في صفة الصفوة لابن الجوزي ١ : ٢٣٨ وما بعدها، ترجمة مفصلة لأبي ذر الغفاري، وانظر

الحلية لأبي نعيم ١ : ١٥٦، والاستيعاب ٨٢ .

(٢) عن تاج العروس (مصر) .

(٣) كان أكبر من أخيه أبي ذر . له ترجمة في الإصابة ١ : ٨٨ .

(٤) لها ترجمة في الإصابة ٤ : ٣٠١ .

(٥) في الأصل : « عمرو بن عبسة » . وانظر ترجمته في أسد الغابة ٤ : ١٢٠، والاستيعاب ٤٤٣

(٦) في الاستيعاب ص ٤٤٣ .

أَوَّلَ مَا بُعِثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُسْتَخْفٍ^(١)، فَقِيلَ لِي : إِنَّكَ لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا بِاللَّيْلِ حِينَ يَطُوفُ، فَقَمَتُ بَيْنَ يَدَيِ الْكَعْبَةِ فَمَا شَعِرْتُ إِلَّا بِصَوْتِهِ يَهْلَلُ، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ : أَنَا نَبِيُّ اللَّهِ، فَقُلْتُ وَمَا نَبِيُّ اللَّهِ؟ قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ، قَالَتْ وَبِمَ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ : بِأَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ وَلَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ، وَتُكْتَسَرَ الْأَوْثَانُ وَتُحَقَّنَ الدِّمَاءُ، [وَتُوصَلَ الْأَرْحَامُ]^(٢)، قُلْتُ : وَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ : حُرٌّ وَعَبْدٌ، يَعْنِي أَبَا بَكْرًا وَيَلَالَا، فَقُلْتُ : أَبْسِطْ يَدَكَ أَبَايُكَ، فَبَايَعْتُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ. قَالَ : فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي وَأَنَا رُبْعُ الْإِسْلَامِ^(٣)، قَالَ : قُلْتُ أَقِيمْ مَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : "لَا. وَلَكِنْ أَلْحِقْ بِقَوْمِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ أَنِي قَدْ خَرَجْتُ فَاتَّبِعْنِي"، قَالَ : فَلَحَقْتُ بِقَوْمِي، فَكَثُرَتْ دَهْرًا مِمَّنْظَرًا خَبَرَهُ حَتَّى أَنْتَ رَقِيقَةٌ مِنْ يَثْرِبَ^(٤)، فَسَأَلْتُهُمُ الْخَبَرَ، فَقَالُوا : خَرَجَ مُحَمَّدٌ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ. قَالَ : فَارْتَحَلْتُ فَاتَيْتُهُ فَقُلْتُ : أَعْرِفْنِي؟ قَالَ : "نَعَمْ، أَنْتَ الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَنَا بِمَكَّةَ". وَرَوَى أَبُو عَمْرٍو أَيْضًا بِسَنَدِهِ إِلَى أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ أَنَّهُ حَدَّثَ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْسَةَ^(٥) قَالَ : "رَغِبْتُ عَنْ آلِهَةِ قَوْمِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَرَأَيْتُ أَنَّهَا آلِهَةٌ بَاطِلَةٌ، يَعْبُدُونَ الْحِجَارَةَ، وَهِيَ لَا تَنْضَرُ وَلَا تَنْفَعُ، قَالَ : فَلَقِيتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَسَأَلْتُهُ عَنْ أَفْضَلِ الدِّينِ، فَقَالَ : يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ مَكَّةَ يَرْغَبُ عَنْ آلِهَةِ قَوْمِهِ وَيَدْعُو إِلَى غَيْرِهَا، وَهُوَ يَأْتِي بِأَفْضَلِ الدِّينِ، فَإِذَا سَمِعْتَ بِهِ فَاتَّبِعْهُ، فَلَمْ يَكُنْ لِي هَمٌّ

(١) هكذا في الاستيعاب ٤٤٣، وفي أسد الغابة ٤ : ١٢٠ : « مخف » .

(٢) في الاستيعاب ٤٤٣ : « قال أن » . (٣) عن أسد الغابة ٤ : ٨٢٠ .

(٤) في أسد الغابة ٤ : ١٢٠ : « وإني لرُبْع » .

(٥) في الأصل : « بقومى »، وكنت دهرًا منتظرًا، والذي أثبت عن الاستيعاب ٤٤٣، وانظر

أسد الغابة ٤ : ١٢٠ .

(٦) في الاستيعاب : « فسألتهم عن الخبر » . (٧) في الاستيعاب ص ٤٤٤ .

(٨) في الأصل : « عبسة »، وانظر الاستيعاب ٤٤٤ . (٩) في الأصل :

« آلهة باطل »، وانظر الاستيعاب . (١٠) في الاستيعاب : « والحجارة لا » .

إلا مكة أسأل هل حدث فيها حَدَثٌ^(١)؟ فيقولون: لا. فأنصرف إلى أهلي، وأهلي من الطريق غير بعيد، فأعرض الركبان خارجين من مكة فأسألهم هل حدث فيها حدث؟ فيقولون: لا. فإني لقاعد على الطريق يوماً^(٢) إذ مرّ بي راكب فقلت من أين أنت؟^(٣) قال: من مكة، قلت: هل فيها من خبر؟ قال: نعم، رجل رغب عن آلهة قومه ودعا إلى غيرها، قلت: صاحبي الذي أريد، فشددت راحتي، وجئت مكة، ونزلت منزلي الذي كنت أنزل فيه، فسألت عنه، فوجدته مستخفياً، ووجدت قريشاً إلباً عليه، فتنطقت حتى دخلت عليه، فسألت ثم قلت: من أنت؟ قال: «نبي الله»، قلت: وما النبي؟ قال: «رسول الله»، قلت: من أرسلك؟ قال: «الله»، قلت: ثم أرسلك؟ قال: «أن توصل الأرحام، وتحقق الدماء، وتؤمن السبل، وتكسر الأوثان، ويعبد الله وحده لا يشرك به شيء». فقلت: نعم ما أرسلت به، أشهدك أني قد آمنت بك وصدقتك، أمكث معك أم ما تأمرني؟ قال: «قد رأيت كراهة الناس لما جئت به، فامكث في أهلك، فإذا سمعت أني خرجت فخرجاً فأتبعني». فلما سمعت به خرج إلى المدينة سرّت حتى قدمت عليه فقلت: يا نبي الله، هل تعرفني؟ قال: «نعم، أنت السلمي الذي جئتني بمكة فقلت لي كذا، وقلت لك كذا»^(٧).

(١) في الاستيعاب ص ٤٤٤: «حدث فيها أمر».

(٢) في الاستيعاب: «الطريق إذ مر».

(٣) في الأصل: «من أين قال».

(٤) رواية الاستيعاب: «قال نبي، قلت: وما النبي؟ قال: رسول، قلت».

(٥) في الاستيعاب: «أم تأمرني أن آتي أهلي».

(٦) في الاستيعاب: «به أنه خرج».

(٧) في الاستيعاب: «كذا وكذا».

ومنه عتبة بن غزوان بن جابر، ويقال عتبة بن غزوان بن الحارث بن جابر^(١)
ابن وهب بن نسيب بن زيد بن مالك بن الحارث بن عوف بن [الحارث بن]^(٢)
مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار المازني^(٣)
حليف لبي نوفل بن عبد مناف، يكنى أبا عبد الله، وقيل أبا غزوان، كان^(٤)
إسلامه بعد ستة رجال، فهو سابع سبعة [في إسلامه]، وقد قال ذلك في خطبته
بالبصرة: "لقب رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله سابع سبعة"^(٥)
مالنا طعاماً إلا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا". رضى الله عنهم أجمعين.
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

ذكر دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

الناس إلى الإسلام

قال محمد بن إسحاق^(٦):

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلوا ذهبوا في الشعاب،
فاستخفوا بصلاتهم من قومهم، فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم في شعب من شعاب مكة، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم
يصلون، فناكروهم، وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم، فضرب سعد بن أبي وقاص^(٧)
يومئذ رجلاً من المشركين يلحى بعير، فشجه، فكان أول دم هريق في الإسلام.^(٨)

- (١) ترجمته في الاستيعاب ٥٠٥، وأسد الغابة ٣: ٣٦٣، والإصابة ٢: ٤٤٨.
- (٢) كذا في الاستيعاب، وفي أسد الغابة: «وهيب».
- (٣) عن أسد الغابة ٣: ٣٦٣.
- (٤) كذا في أسد الغابة وفي الأصل: «بن قيس بن عيلان».
- (٥) في أسد الغابة، والاستيعاب: «مناف بن قصي يكنى».
- (٦) عن أسد الغابة ٣: ٣٦٤، والاستيعاب ص ٥٠٥، وفي الأصل: «سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، مالنا».
- (٧) نقله ابن هشام ١: ٢٨١.
- (٨) الخشني ١: ٨١ «الحي: العظم الذي على الخلد».
- (٩) شجه: جرحه في وجهه أو رأسه.

ثم أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يصدع بما جاء به من عند الله ^(٢) وأن ينادى الناس بأمره، وأن يدعوهم إلى الله تعالى، فكان يدعو ثلاث سنين مستخفياً، إلى أن أمر الله بإظهار الدعاء.

قال محمد بن سعد ^(٤): قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ هو رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ^(٥): لما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعلم الناس نزول الوحي عليه، ويدعوهم إلى الإيمان به، كبر ذلك عليه، فنزل قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية، فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة، فقال [لهم]: «أيها الناس، انصرفوا فقد عصمني الله»؛ قيل: يعصمك من قتلهم أن يقتلوك، فبلغ عند ذلك الرسالة.

وعن الزهري ^(٧)، قال: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام سراً وجهراً، فاستجاب لله تعالى من شاء من أحداث الرجال وضعفاء الناس حتى كثرت من آمن بالله؛ وكفار قريش غير منكرين لما يقول، فكان إذا مر عليهم في مجالسهم يشيرون إليه: إن غلام بن عبد المطلب ليكلم من السماء، فكان ذلك حتى عاب الله آلهتهم التي يعبدونها دونه، وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا على الكفر، فعند ذلك عادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وناكروه، وأجمعوا علاقة ^(٨).

(١) انظر طبقات ابن سعد ١: ١٣٢ (قسم أول). (٢) رواية ابن سعد: «بما جاءه من».

(٣) رواية ابن سعد في الطبقات ١: ١٣٢ (قسم أول): «يدعو من أول ما نزلت عليه النبوة».

ثلاث سنين». (٤) في الطبقات ١: ١٣٢ (قسم أول). (٥) في دلائل النبوة للبيهقي ورقة ١٤١.

(٦) عن دلائل النبوة للبيهقي. (٧) طبقات ابن سعد ١: ١٣٣. (٨) العلاقة: الخصومة.

قال ابن عباس^(١) رضى الله عنه : لما أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم :
 ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا فقال :
 "يا مشر قريش" ، فقالت قريش : مجد على الصفا يهتف ، فأقبلوا واجتمعوا ، فقالوا :
 مالك يا مجد ؟ فقال : "أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُمْ أَنَّ خَيْلًا بَسَفَحَ هَذَا الْجَبَلَ أَكُنْتُمْ تَصَدَّقُونَنِي ؟"
 قالوا : نعم ، أنت عندنا غير مُتَّهَمٍ ، وما جربنا عليك كذبا قط ، قال : "فإني نذير لكم بين
 يدي عذابٍ شديد يا بنى عبد المطلب يا بنى عبد مناف يا بنى زهرة " ، حتى
 عدَّ الأنفاد من قريش "إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُنْذِرَ عَشِيرَتِي الْأَقْرَبِينَ ، وَإِنِّي لَا أَمْلِكُ
 لَكُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَتَفَعَةً ، وَلَا مِنَ الْآخِرَةِ نَصِيْبًا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" قال : فقال
 أبو لهب : تَبَا لَكَ سَائِرِ الْيَوْمِ ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿تَبَّتْ يُدَا أُنَىٰ لَهَبٍ﴾
 السُّورَةُ كُلُّهَا . قال الواقدي^(٢) : لما أظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام
 ومن معه ، وفشا أمره بمكة ، ودعا بعضهم بعضا ، فكان أبو بكر يدعو ناحية سرا ،
 وكان سعيد بن زيد مثله^(٣) ، وعثمان مثل ذلك ، [وكان عمر يدعو علانية وحمزة
 ابن عبد المطلب^(٤)] وأبو عبيدة بن الجراح ، فغضبت قريش من ذلك ، وظهر
 منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد والبغى ، وأشخص به منهم رجال فبادوه^(٥) ،
 وتستر آخرون وهم على ذلك الزأى ، إلا أنهم يُترَّهون أنفسهم عن القيام والإشخاص
 برسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) نقله ابن سعد في الطبقات ١ : ١٣٣ (قسم أول) ، وابن كثير في البداية ٣ : ٣٨٨ على خلاف في الرواية .

(٢) نقله ابن سعد في الطبقات ١ : ١٣٣ (قسم أول) .

(٣) في طبقات ابن سعد : « زيد مثل ذلك ، وكان عثمان » .

(٤) عن ابن سعد في الطبقات ١ : ١٣٣ (قسم أول) .

(٥) أشخصوا به : ألقوه .

ذكر أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم

الذين جاهروا بالعداوة

قالوا: ^(١) كان أهل العداوة والمباداة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين يطلبون الجدل والخصومة: أبو جهل بن هشام، وأبو لهب بن عبد المطلب، والأسود بن عبد يغوث، والحارث بن قيس بن عدى، والوليد بن المغيرة، [وأمية وأبي أبنا خلف، وأبو قيس بن الفايكه بن المغيرة] ^(٢)، والعاص بن وائل، والنضر ^(٣) ابن الحارث، ومُتَبِّه بن الحجاج، وزُهَيْر بن أبي أمية، والسائب بن ضيفى [بن مابد] ^(٤)، والأسود بن عبد الأسد، والعاص بن سعيد بن العاص، والعاص بن هشام، وعُقبَة بن ^(٥) أبي مُعَيْط، وأبو الأصدى، وهو الذى نطحته الأروى، والحكم ^(٦) ابن أبي العاص، وعدى بن الحمراء، وذلك أنهم كانوا جيرانه، والذين كانت تنتهى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم: أبو جهل، وأبو لهب، وعُقبَة ابن أبي مُعَيْط، وكان عُقبَة ^(٧) وشيبة ابنا ربيعة وأبو سُفيان بن حرب أهل عداوة، ولكنهم لم يُشخصوا بالنبي صلى الله عليه وسلم، كانوا كتحقيريش، ولم يسلم من هؤلاء إلا أبو سُفيان والحكم بن أبي العاص.

٦٦
١٤

- ١٥ (١) انظر طبقات ابن سعد ١: ١٣٣ (قسم أول).
 (٢) عن ابن سعد ١: ١٣٣ (قسم أول).
 (٣) عن ابن سعد أيضا.
 (٤) في طبقات ابن سعد: «ابن هاشم».
 (٥) ابن سعد: «وابن الأصدى الهذلي».
 (٦) في الأصل: «والذى كانت» تصحيف.
 ٢٠ (٧) انظر طبقات ابن سعد ١: ١٣٤: (قسم أول)، وشرح المواهب ١: ٢٨٢، والبداية

ذكر دخول قريش على أبي طالب في أمر رسول الله

صلى الله عليه وسلم وما كان بينهم من المحاورات

قال محمد بن إسحاق ^(١) :

لما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُعَيِّبُهُمْ ^(٢) من شيء أنكره عليه، ورأوا أن عمه أبا طالب قد حذب عليه، وقام دونه فلم يسلمه لهم، فمشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب، وهم : عتبة وشيبة ابنا ربيعة ابن عبد شمس، وأبو سفيان صخر بن حرب، وأبو البختري العاص بن هشام، والأسود بن المطلب بن أسد، وأبو جهل عمرو بن هشام، ونبية ومُتَبِّة ابنا الحجاج ابن عامر، والعاص بن وائل، فقالوا : يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد صبَّ آهتنا وعاب ديننا وسفَهَ أحلامنا وضللَّ آباءنا، فإما أن تكفَّه عنا، وإما أن تخلَّ بيننا وبينه، فإنك على سبيل ما نحن عليه من خلافه فنكفَّيك، فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً، وردَّهم ردّاً جميلاً، فأنصرفوا عنه .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه يُظهِر دين الله ويدعو إليه، ثم شَرى الأمرُ بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا، وأكثر قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها، فتذاصروا فيه، وحضَّ بعضهم بعضاً عليه،

(١) قتله ابن هشام في السيرة ١ : ٢٨٢، وانظر عيون الأثر ١ : ٩٩ .

(٢) لا يعيبهم : لا يرضيهم ؛ يقال استعني فأميته : أي أرضيته وأزلت العتاب عنه .

(٣) في عيون الأثر ١ : ٩٩ : « ولم يسلمه » .

(٤) في الطبري ٢ : ٢١٨ وعيون الأثر ١ : ٩٩، والبداية ٣ : ٤٧ : « على مثل » .

(٥) شَرى الأمر : اشتد واستفحل، وفي الأصل : « مَرى » تصحيف .

(٦) تذاصروا : أي تلامزوا على فوت الفرصة، أم حضَّ بعضهم بعضاً في الجد في القتال . وانظر

شرح المواهب للزرقاني ١ : ٢٤٨ .

ثم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا : يا أبا طالب ! إن لك سناً وشرفاً ومنزلة
 فينا، وإنا قد استهيناك من ابن أخيك فلم تنه عنا، وإنا والله لا نصير على هذا، من
 شتم آبائنا، وتسفيه أعلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنا، أو ننزله وإياك في ذلك
 حتى يهلك أحد الفريقين ؛ ثم انصرفوا عنه، فعظم على أبي طالب فراق قومه
 وعداوتهم، ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ولا خذلانه .
 فبعث أبو طالب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يابن أخي، إن قومك قد
 جاءوني فقالوا لي كذا وكذا، فأبى على وعلى نفسك، ولا تَحْتَلِي من الأمر ما لا أطيق ؛
 قال : فَظَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعنه فيه، وأنه خاذله ومسلمه،
 وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه، فقال له : ” يا عم، والله لو وضعوا الشمس
 في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يُظْهِره الله أو أهلي فيه
 ما تركته “؛ ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام، فلما ولي ناداه أبو طالب
 فقال : أقبل يابن أخي، فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : اذهب
 يابن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبدا .

قال : ثم إن قُرَيْشاً لما عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وإسلامه، وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم، مشوا إليه بعمارة
 ابن الوليد بن المغيرة، فقالوا له : يا أبا طالب، هذا عُمارة بن الوليد أنهد فتى في قُرَيْش
 وأجمله، نخذه فلك عقله ونصره، واتخذ ولدًا فهو لك خير، وأسلم لنا ابن أخيك هذا

(١) في الأصل : « قد بذل » .

(٢) في البداية (٣ : ٤٨) عن ابن إسحاق : « فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عم » .

(٣) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٨٥ ، وعبون الأثر ١ : ١٠٠ ، والبداية ٣ : ٤٨ : « وسلم فبكي ثم قام » .

(٤) القائل ابن إسحاق، وانظر السيرة لابن هشام ١ : ٢٨٥ ، وعبون الأثر ١ : ١٠٠ .

(٥) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٨٥ ، وعبون الأثر : « حين عرفوا » .

(٦) أنهد : أشد وأقوى .

الذى قد خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك ، وسفّه أحلامهم فقتله ،
 فإنما هو رجل رجل ، قال : والله لبئس ما تسوموننى ، أتعطوننى ابنكم ^(١) ^(٢) ^(٣) أغذوه لكم ،
 وأعطيتكم ابنى تقتلونه ؟ هذا والله ما لا يكون أبدا ، فقال له المطعم بن عدي ^(٤)
 ابن نوفل بن عبد مناف بن قصي : والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك ، وجهدوا
 على التخلص مما تركه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا ، فقال له أبو طالب : والله
 ما أنصفوني ، ولكك أجمعت خذلانى ومظاهرة القوم على ^(٥) ، فاصنع ما بدا لك ،
 فحقب الأمر ، وحيت الحرب ، وتنابد القوم ، وبأدى بعضهم بعضا . ^(٦)

قال الواقدي : ^(٧)

لما أجابهم أبو طالب بما قدمناه من أنهم ما أنصفوه قالوا له : فأرسل
 إليه فلنعيظه النصف ، فأرسل إليه أبو طالب ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 فقال : يا بن أختى ، هؤلاء عمومتك ، وأشراف قومك ، وقد أرادوا ينصفونك ، فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : "قواوا أسمع" قالوا : بدعنا وآلهتنا ، وندعك وإلهك ،
 قال أبو طالب : قد أنصفك القوم فاقبل منهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 "أرايتكم إن أعطيتكم هذه هل أنتم معطي كلمة إن أنتم تكلمتم بها ، ملكتم بها العرب ،
 ودانت لكم بها العجم" ؟ فقال أبو جهل : إن هذه لكلمة مريجة ، نعم ، وأبيك

(١) فى الأصل ، وعيون الأثر : « رجل كرجل » ، وانظر البداية ٣ : ٤٨ .

(٢) فى سيرة ابن هشام ١ : ٢٨٥ : « فقال » .

(٣) فى الأصل : « أتعطونى » .

(٤) فى الأصل : « فقال له المطعم » تصحيف ، وانظر الطبرى ٢ : ٢٢٠ .

(٥) فى سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٨ ، وعيون الأثر : « قد أجمعت » .

(٦) حقب الأمر : زاد واشتد .

(٧) نقله ابن سعد فى الطبقات ١ : ١٣٥ (قسم أزل) .

(٨) فى رواية ابن سعد : « أرايتكم » .

لنفسولها وعشر أمثالها ، قال : ” قولوا لا إله إلا الله “ ، فاشمأزوا ونفروا منها
وغضبوا ، وقاموا وهم يقولون : (وَأَصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُّ) ، ويقال :
إن الذي تكلم بها عتبة بن أبي معيط ، وقالوا : لا نعود إليه أبداً ، وما خير من أن
نقتال هذا . فلما كان من تلك الليلة ، قعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاء
أبو طالب وعمومه إلى منزله فلم يجدوه ، فجمع فتيانا من بني هاشم وبني المطلب ،
ثم قال : لياخذ كل واحد حديدة صارمة ، ثم ليتبعني إذا دخلت المسجد فليجلس
كل قتي منكم إلى عظيم من عظمائهم ، فيهم ابن الحنظلية ، يعني أبا جهل ، فإنه لم يغيب
عن شر إن كان عهد قد قيل ، فقال الفتيان : نفعل ، فجاء زيد بن حارثة ، فوجد
أبا طالب على تلك الحال ، فقال : يا زيد ، أحسست ، ابن أخي ؟ قال : نعم ، كنت
معه آنفاً ، فقال أبو طالب : لا أدخل بيتي أبداً حتى أراه ، فخرج زيد مسرعاً حتى
أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت عند الصفا ، ومعه أصحابه يتجدثون ،
فأخبره الخبر ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي طالب ، فقال : يا ابن أخي ،
أين كنت ؟ أكنت في خير ؟ قال : نعم ، قال : ادخل بيتك ، فدخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فلما أصبح أبو طالب غداً على النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ
بيده فوقف على أندية قريش ومعه الفتيان الهاشميون والمطلبيون ، فقال : يا معشر
قريش ، هل تدرون ما هممت به ؟ قالوا : لا . فأخبرهم الخبر ، وقال للفتيان :
اكشفوا عما في أيديكم ، فكشفوا فإذا كل رجل معه حديدة صارمة ، فقال :
والله لو قتلتموه ما بقيت منكم أحداً حتى نتفانى نحن وأتم ، فانكسر القوم ، وكان
أشدهم انكساراً أبو جهل .

(١) ابن سعد : « يقتال محمد » . (٢) ابن سعد « كان ساء تلك » .

(٣) أحسست : هل رأيت .

ذكر تمخّز قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذاهم له ولأصحابه

قال ابن إسحاق^(١) :

لما أيسر قريش من أبي طالب، وأنه لا يتخلل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يسلمه أبدا، تأمروا^(٢) بينهم على من في القبائل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم [الذين أسلموا معه]^(٣)، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعتدّونهم ويفتنونهم عن دينهم، فقام أبو طالب حين رأى قريشا يصنعون ذلك في بني هاشم وبني المطلب، فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام دونه، فقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه، إلا ما كان من أبي لهب فإنه تمادى على غيه وكفّره .

قال^(٤) : ثم اجتمع نفر من قريش إلى الوليد بن المغيرة، وكان ذا من فيهم وقد حضر الموسم فقال لهم : يا معشر قريش؛ إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستفد عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فاجمعوا فيه رأيا واحدا، ولا تختلفوا فيه كدّب بعضكم بعضا ويردّ قولكم بعضه بعضا؛ قالوا : فانت يا أبا عبد شمس فقل، وأقم لنا رأيا نقول به، قال : بل أنتم تقولوا أسمع؛ قالوا : نقول كاهن؛ قال : لا، والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة

(١) انظر سيرة ابن هشام ١ : ٢٨٧ .

(٢) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٨٧ : «تأمرؤا»، وانظر الزرقاني ١ : ٢٤٨، والبداية ٣ : ٤٩ .

(٣) عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٨٧، وانظر الزرقاني ١ : ٢٤٨، والبداية ٣ : ٤٩ .

(٤) القائل ابن إسحاق، وانظر سيرة ابن هشام ١ : ٢٨٨، وعيون الأثر ١ : ١٠١ .

(٥) في عيون الأثر : «ستقدم» .

(٦) في الأصل : «برمرة» .

الكاهن ولا سمجعه، قالوا : فنقول مجنون ، قال : ^(١) ما هو مجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو مجنونه ولا تخالجه ولا وسوسته ، قالوا : فنقول شاعر ، قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر ، قالوا : فنقول : ساحر ، قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحريهم ، فما هو ينقته ولا عقده ، قالوا : فما تقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة ، وإن أضله لعذق ، ^(٢) وإن فرعه لجناة ، وما أتم بقائلين من هذا شيئا إلا عُرِف أنه باطل ، وإن أقرب القول فيه أن تقولوا : ساحر ، جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأبيه ، وبين المرء [وأخيه ، وبين المرء] وزوجه ، وبين المرء وعشيرته . فنفترقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون بسبيل الناس حين قدموا الموسم ، لا يمتريهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا له أمره ، فأنزل الله تعالى في الوليد ابن المغيرة : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا وَمَهَدْتُ لَهُ لَهْمِيْدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴾ أى خصيما مخالفا ﴿ سَأَرِهِنَّ صَعُودًا إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴾ . قال ابن هشام : ^(٣) بسرأى كره وجهه ، ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ .

٦٨
١٤

(١) في عيون الأثر : « والله ما هو » .

(٢) في سيرة ابن هشام ١ : ٢٨٩ : « بنقتهم ، ولا عقدهم » .

(٣) يروى أيضا : « لعذق » بنين معجزة ، وكسر الدال ، وفي الأصل : « لعذقه » ، وانظر

شرح المواهب ١ : ٢٥١ ، وعيون الأثر ١ : ١٠١ .

(٤) في عيون الأثر ١ : ١٠١ : « يفرق به بين » .

(٥) عن سيرة ابن هشام ١ : ٢٨٩ ، وعيون الأثر ١ : ١٠١ .

(٦) في السيرة ١ : ٢٨٩ .

قال ابن إسحاق^(١) :

وأُتزل الله في النَّفَر الذين كانوا معه يَصْنَفُونَ الْقَوْلَ في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيما جاء به من عند الله : (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) أى أصنافا (فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

قال ابن إسحاق^(٢) :

وصدّرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانتشر ذِكْرُهُ في بلاد العرب كلها . قال : ثم ابتدأت قُرَيْشٌ في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أسلم معه منهم ، فَأَغْرَوْا به صلى الله عليه وسلم سفهاءهم ، فكذبوه وأذوه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مُظْهَرٌ لِأَمْرِ الله لَا يَسْتَخْفِي به ، مُبَايَ لَمْ بما يَكْهُون من عيب دينهم ، واعتزال أوثانهم ، وفِراقه إِيَّاهُمْ على كفرهم .

قال محمد بن إسحاق^(٣) :

حدثني يحيى بن عُرْوَةَ عن الزُّبَيْر عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ، قال : قلت له ما أكثر ما رأيت قريشا أصابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانوا يُظْهِرون من عداوته ؟ قال : حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما في الجحجر ، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ما رأينا مثَلًا صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قَطَّ ، سَفَّه أحلامنا ، وشتم آباءنا ،

(١) نقله ابن هشام في السيرة ١ : ٢٩٠ .

(٢) نقله ابن هشام ١ : ٢٩١ ، وانظر عيون الأثر ١ : ١٠١ .

(٣) نقله ابن هشام ١ : ٣٠٨ .

(٤) في الأصل : « وفراق آباءهم » تحريف .

(٥) انظر تاريخ الطبري ٢ : ٢٢٣ .

(٦) في تاريخ الطبري ٢ : ٢٢٣ : « أصابت ... كانت نظور » .

وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب آئتنا ؛ لقد صَبَرنا منه على أمرٍ عظيم ، أو كما قالوا ؛ فينأهم في ذلك إِذْ طَلَعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن ، ثم مرَّ بهم طائفاً بالبيت ، فغمزوه ببعض القول ، قال : فعرفتُ ذلك في وجهه صلى الله عليه وسلم ، ثم مضى ، فلما مرَّ بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفتُ ذلك في وجهه ، ثم مرَّ بهم الثالثة فغمزوه بمثلها ، فوقف ثم قال : "أتسمعون يا معشر قريش ؟ أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح"^(١) . قال : فأخذتُ كلته التوم حتى ما منهم رجلٌ إلَّا كَأَنَّما على رأسه طائر واقع ، حتى إن أشدهم فيه وصاةً قبل ذلك ليرفُوه بأحسن ما يجد من القول ، حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم ، فوالله ما كنتُ جهولاً ، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم ، وما بلغكم عنه ، حتى إذا دنا منكم وبأدأكم بما تكرهون تركتموه ، فينأهم في ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد ، فأحاطوا به يقولون : أنت الذي تقول كذا وكذا لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم ، فيقول : "نعم ، أنا الذي أقول ذلك" . قال : فلقد رأيتُ رجلاً منهم أخذ يجمع رِدائه ، فقام أبو بكر دونه وهو يبكي ويقول : (أَتَقْتُلُونَ رجلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّي الله) ، ثم انصرفوا عنه . فإن ذلك لأشدَّ ما رأيتُ قريشاً نالوا منه قط .^(٥)

(١) زاد أبو نعيم في الدلائل ص ١٦٥ : « ... وأشار بيده إل حلقه » . وفي الأصل :

« بالريح » ، والمثبت عن ابن هشام ١ : ٣٠٩ ، وانظر شرح المواهب ١ : ٢٥١

(٢) الوصاة : الوصية . (٣) ليرفُوه : يهذئه .

(٤) في تاريخ الطبري ٢ : ٢٢٣ : « يجمع رِدائه » .

(٥) ذكر هذا الخبر بمعناه في شرح المواهب ١ : ٢٥١ ، وانظر الطبري ٢ : ٢٢٣ .

قالت أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما : لقد رجع أبو بكر يومئذ وقد صدعوا فرق رأسه ^(١) تما جَبَذُوهُ بِلِحِيَّتِهِ ، وكان رجلاً كثير الشعر .

وخرج الترمذي الحكيم في «توادر الأصول» ، من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : اجتمعت قريش بعد وفاة أبي طالب بثلاث فأرادوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل هذا يَحْجَاهُ وهذا يُتَلِّله ^(٢) ، فاستغاث النبي صلى الله عليه وسلم فلم يفتحه أحد إلا أبو بكر وله صغيرتان ، فأقبل يَحْجَاهُ ذا وَيُتَلِّلُ ذَا ، ويقول بأعلى صوته : وَيْلَكُمْ ، (أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ) ^(٣) ، والله إنه لرسول الله ، فَقُطِعَتْ إحدى صغيرتي أبي بكر يومئذ ، فقال علي : والله ليوم أبي بكر خير من مؤمن آل فرعون ، ذاك رجل كتم إيمانه فأثنى الله عليه في كتابه ، وهذا أبو بكر أظهر إيمانه وبذل ماله ودمه لله عز وجل .

قال ابن هشام ^(٤) :

حدثني بعض أهل العلم : أن أشد ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش : أنه خرج يوماً فلم يلقه أحد من الناس إلا كَذَّبَهُ وآذَاهُ [لا] ^(٥) حرّ ولا عبد ، فرجع صلى الله عليه وسلم إلى منزله فتدثر من شدة ما أصابه ، فأنزل الله عز وجل عليه : (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ) .

(١) في الأصل : « فوق » ، وانظر سيرة ابن هشام ١ : ٣١٠ .

(٢) في شرح المواهب ١ : ٢٥٢ : « وهذا يتلّه » .

(٣) نقله بمعناه في شرح المواهب ١ : ٢٥٢ .

(٤) في السيرة ١ : ٣٨٠ .

(٥) في الأصل : « وآذاه حرّ ولا » .

ذكرُ إسلام حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله

صلى الله عليه وسلم

٦٩
١٤

قال محمد بن إسحاق^(١):

حدثني رجلٌ من أسلم كان واعيَّةً^(٢): أن أبا جهل بن هشام مر برسول الله

صلى الله عليه وسلم عند الصُّفَّةِ فأذاه وشتمه ، ونال منه بعض ما يكره من العيب

لدينه ، والتضعيف لأمره ، فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومولاةٌ

لعبد الله بن جُدعان تسمع ذلك ، ثم انصرف أبو جهل عنه عامداً إلى نادى

قريش عند الكعبة ، فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشحاً قوسه ، راجعا^(٣)

من قَيْصٍ له ، وكان حمزة أعزَّ قتي في قريش وأشدَّ شكيمة ، فلما مر بمولاة

ابن جُدعان قالت له : يا أبا عُمارة : لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد أنفأ من أبي جهل

ابن هشام ؟ وجده ههنا جالسا فأذاه وسبه ، وبلغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه

ولم يكلمه محمد ، فغضب حمزة ، فخرج يسعى حتى دخل المسجد فنظر إلى أبي جهل

جالسا في القوم ، فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها ، فشجّه

شجّة منكّرة ، ثم قال : أتنتمّه ؟ فأنا على دينه أقول ما يقول ، فردّ ذلك على إن^(٤)

استطعت ، فقامت رجال بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل ، فقال أبو جهل :

دعوا أبا عُمارة ، فإنى والله لقد سببت ابن أخيه سباً فيحيا ، وتمّ حمزة على إسلامه ،

وعلى ما بايع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله ؛ فلما أسلم حمزة عرفت^(٥)

(١) نقله ابن هشام في السيرة ١ : ٣١١ ، وانظر شرح المواهب ١ : ٢٥٥ .

(٢) في عيون الأثر ١ : ١٠٤ : « وكان واعيّة » .

(٣) في عيون الأثر : « متوشحاً سيفه » .

(٤) في سيرة ابن هشام ١ : ٣١٢ ، وشرح المواهب ١ : ٢٥٦ : « وأنا » .

(٥) في سيرة ابن هشام ١ : ٣١٢ : « ما تابع » ، وانظر شرح المواهب ١ : ٢٦٥ .

قُرَيْشُ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ عَزَّزَ وَأَمْتَنَ ، وَأَنْ حِمَزَةَ سَمِينَهُ ، فَكَفُّوا
عَنْ بَعْضِ مَا كَانُوا يَنَالُونَ مِنْهُ قَبْلُ ، قَالَ : وَكَانَ إِسْلَامُ حِمَزَةَ قَبْلَ إِسْلَامِ عُمَرَ
ابْنِ الْخَطَّابِ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا — بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ^(١) .

ذِكْرُ مِثْلِ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَالْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَسَمَاعِهِمَا الْقُرْآنَ ، وَاعْتِرَافِهِمَا أَنَّهُ لَا يَشْبَهُ شَيْئًا
مِنْ كَلَامِهِمْ ، وَمَا أَشَارَ [بِهِ] عُتْبَةُ عَلَى أَشْرَافِ قُرَيْشٍ فِي أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ^(٢) :

حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيِّ قَالَ : حَدَّثْتُ أَنَّ عُتْبَةَ بْنَ
رَبِيعَةَ — وَكَانَ سَيِّدًا — قَالَ يَوْمًا وَهُوَ جَالِسٌ فِي نَادِي قُرَيْشٍ ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحْدَهُ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَلَا أَقُومُ إِلَى مُحَمَّدٍ فَكَكَلِمَةٍ
وَأَعْرِضَ عَلَيْهِ أُمُورًا ، لَعَلَّهُ يَقْبَلُ بَعْضَهَا فَنُعْطِيهِ أَيَّهَا شَاءَ وَيَكْفَ عَنَّا ؟ وَذَلِكَ
حِينَ أَسْلَمَ حِمَزَةُ ، وَرَأَوْا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزِيدُونَ وَيَكْتُرُونَ ،
فَقَالُوا : بَلَى يَا أَبَا الْوَلِيدِ ، فَقُمْ إِلَيْهِ فَكَلِّمْهُ ، فَقَامَ إِلَيْهِ عُتْبَةُ حَتَّى جَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا بَنَ أَخِي ، إِنَّكَ مَنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ مِنَ السُّطَّةِ
فِي الْعَشِيرَةِ ، وَالْمَكَانِ فِي النَّسَبِ ، وَإِنَّكَ قَدْ آتَيْتَ قَوْمَكَ بِأَمْرِ عَظِيمٍ فَرَّقَتْ بِهِ
جَمَاعَتَهُمْ ، وَسَفَّهَتْ بِهِ أَحْلَامَهُمْ ، وَعَيَتْ بِهِ آلَهُتَهُمْ وَدِينَهُمْ ، وَكَفَّرَتْ بِهِ مِنْ مَضَى ^(٤)

(١) فِي شَرْحِ الْمَرَاهِبِ ١ : ٢٥٦ : « سَنَةَ سِتٍّ مِنَ النَّبُوَّةِ وَقِيلَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ » ، وَانْظُرْ أَسَدَ

الغَابَةِ ٢ : ٤٦ — ٥٠ . (٢) قَتْلَهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي السِّيَرَةِ ١ : ٣١٣ ، وَابْنُ سَيِّدِ النَّاسِ

فِي عَيُونِ الْأَثَرِ ١ : ١٠٥ . (٣) فِي عَيُونِ الْأَثَرِ : « ابْنُ أَبِي زِيَادٍ » .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « عَيَتْ » ، وَالتَّبَيُّتُ رَوَايَةُ ابْنِ هِشَامٍ .

من آباؤهم ، فاستمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها ، قال :
 « قل يا أبا الوليد اسمع » ، قال : يابن أحنى ، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا
 الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفا
 سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا ، وإن
 كان هذا الذي يأتيك ريثا تراه لا تستطيع رده من نفسك طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه
 أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه ، أو كما قال
 له . حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه قال : « أفد فرغت
 يا أبا الوليد ؟ » قال : نعم ، قال : « فاستمع مني » ، قال : أفعل ، قال : ((بسم الله الرحمن الرحيم .
 حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا غريبا لقوم يعلمون . بشيرا
 ونذيرا فاعرض أكثرهم فهم لا يسمعون)) . ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فيها يقرأها عليه ، فلما سمعها عتبة أنصت لها ، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما
 يستمع منه ، ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة فسجد ، ثم قال :
 « قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فانت وذاك » .

فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض : نخلف بالله لقد جاءكم
 أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به ، فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك

(١) كذا في سيرة ابن هشام ١ : ٢١٣ ، وفي شرح المواهب ١ : ٢٥٨ : « منا » .

(٢) الرئي بفتح الراء فهزة مكسورة فياء مشددة : التابع من الجن ، وفيل : التابع المحبوب من

الجن . وانظر النهاية (رأى) ، وشرح المواهب ١ : ٢٥٨ .

(٣) في سيرة ابن هشام ١ : ٣١٤ : « يستمع » .

(٤) سورة فصلت الآيات من ١ - ٤ .

(٥) في الأصل : « معتمدا عليها » ، والمثبت رواية ابن هشام .

(٦) حيون الأثر ١ : ١٠٦ : « السجدة منها فسجد » .

٧٠
١٤

يا أبا الوليد ؟ قال : ورأى أنى سمعتُ قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة ، يا معشر قريش ، أطيعوني واجعلوها بى ، وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فأعزلوه ، فوالله ليكونن لِقوله الذى سمعتُ نبأً [عظيم] ، فإن تصبه العرب فقد كُفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فلنكنه ملككم ، وعزّه عزّكم ، وكنتم أسعد الناس به ؛ فقالوا : سحرَك والله يا أبا الوليد بلسانه ، قال : هذا رأى فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم .

وروى أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي^(٥) بسنده إلى جابر بن عبد الله ، قال : قال أبو جهل والملا من قريش : لقد انتشر علينا أمر محمد ، فلو التستم رجلا عالما بالسحر والكهانة والشعر فكنهه ، ثم أئانا ببيان أمره ؟ فقال عتبة : لقد سمعتُ بقول السحرة والكهانة والشعر ، وعلمت من ذلك علماً ، وما يخفى علىّ إن كان كذلك ، فأتاه عتبة فقال : يا محمد ، أنت خير أم هاشم ؟ [أنت خير أم عبد المطلب] ؟ أنت خير أم عبد الله ؟ فلم يجبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فمِ تشتم آلهتنا ، وتضلّ آباءنا ؟ فإن كنت إنما بك الرئاسة عقدنا ألويتنا لك ، فكنت رأسنا ما بقيت ، وإن كان بك الباه زوجناك عشر نسوة تختار من أى بنات قريش شئت ، وإن كان بك المال جمعنا لك من أموالنا ما تستغنى بها أنت وعقبك من بعدك ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت لا يتكلم ؛ فلما فرغ من حديثه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) في سيرة ابن هشام : « أنى قد سمعت » .

(٢) في الأصل ، وعيون الأثر ١ : ١٠٦ : « نبأ فإن » ، والرواية المثبتة عن ابن هشام ١ : ٣١٤ .

(٣) في الأصل : « لغيركم » . (٤) في سيرة ابن هشام ، وعيون الأثر : « قالوا » .

(٥) دلائل النبوة ورقة ١٤٦ . (٦) في دلائل النبوة : « فأتاه » ، فلما أتاه قال له عتبة .

(٧) عن دلائل النبوة .

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حَمَّ . تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ^(١)) حتى بلغ قوله تعالى : (صَاعِقَةٌ مِثْلُ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ^(٢)) ، فأمسك عتبة على في النبي صلى الله عليه وسلم ، وناشده الرحم أن يكف ، ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم ؛ فقال أبو جهل : يا عتبة ، ما حسبنا إلا أنك صَبَوْتَ إلى مجد وأعجبك أمره ، فإن كانت بك حاجةٌ جمعنا لك من أموالنا ما يُغْنِيكَ عن طعام مجد ، فغضب وأقسم بالله لا يكلم مجدًا أبدًا ، وقال : لقد علمتم أني من أكثر قريش مالا ، ولكني أتيت ، وقص عليهم القصة ، قال : فأجأني بشيء والله ما هو بسحر ولا شعر ولا كهانة ، فقرأ على : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حَمَّ) إلى قوله : (مِثْلُ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) فأمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف ، وقد علمتم أن مجدًا إذا قال شيئًا لم يكذب فيه ، تخفت أن ينزل بكم العذاب .

وأما الوليد بن المغيرة فقد روى أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي^(٣) بسنده عن عكرمة عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن ، فكانه رَقَّ له ، فبلغ ذلك أبا جهل ، فأنابه فقال : يا عم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا ، قال : لم ؟ قال : ليعطوكه ، فإنك أتيت مجدًا تعرض لمسا قبله ، قال : قد علمت قريش أني من أكثرها مالا ، قال : فقل فيه قولًا يبلغ قومك أنك مُنْكَرٌ له^(٤) ، وأنت كاره له ، فقال : وما ذا أقول ؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني ، ولا بأشعار الحق ، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا ، [و] والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمنز أعلاه ، مُغْدِقٌ أسفله ، وإنه ليعلو وما يُعْلَى ، وإنه ليجطم ما تحت . قال :

(١) سورة فصلت الآيات من ١ - ٣ (٢) سورة فصلت آية ١٣
(٣) دلائل النبوة ورقة ١٤٥ . (٤) في دلائل النبوة : « منكرها » .
(٥) في دلائل النبوة : « قال » . (٦) تكملة من دلائل النبوة .

لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه . قال : فدعني حتى أفكر فيه ، فلما فكر قال :
هذا سحر يؤثر ، يآثره عن غيره ، فأنزل قوله تعالى : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ^(١) ... ﴾ ^(٢)
الآيات .

وعن عكرمة أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له :
اقرأ علي ، فقرأ عليه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ، وَيَنْهَى ^(٣)
عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ، قال : أعد علي ، فأعاد عليه
النبي صلى الله عليه وسلم فقال : والله إن له لحلاوة ، وإن [عليه لطلاوة ، وإن [أعلاه
لمنير ، وإن أسفله لمغديق ، وما يقول هذا بشر .

ذكر اجتماع أشراف قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما عرضوا عليه وما طلبوا منه أن يرهم ويخبرهم به من القصص ، وأخبار
من سلف وغير ذلك من غيهم ، وما أنزل عليه في ذلك مما سنذكره إن شاء الله
تعالى ، ويترجم على بعض ما انطوت عليه هذه الترجمة من القصص بما يدل عليها ،
وسينها من التراجم وإن كانت داخلية فيها .
قال محمد بن إسحاق ^(٥) :

ثم إن الإسلام جعل يفشو بمكة في قبائل قريش ، في الرجال والنساء :
وقريش تحبس من قدرت على حبسه ، وتفتر من استطاعت فتنته
من المسلمين ، ثم اجتمعت أشراف قريش من كل قبيلة ، كما روى عن سعيد بن

(١) في الأصل : « فآثره عن غيره » وانظر دلائل النبوة ورقة ١٤٥ .

(٢) صورة المذتر آية ١١ .

(٣) سورة النحل آية ٩٠ .

(٤) في الأصل : « لحلاوة ، وإن أعلاه » ، والتكلمة عن البيهقي حيث النقل عنه .

(٥) انظر سيرة ابن هشام ١ : ٣١٥ .

جُبَيْرُ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَا : اجْتَمَعَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَأَبُو سُفْيَانَ
ابْنُ حَرْبٍ ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامٍ ، وَالْأَسْوَدُ
ابْنُ الْمُطَّلَبِ بْنِ أَسَدٍ ، وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ ، وَأَبُو جَهْلُ بْنُ هِشَامٍ ،
وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ ، وَالْعَاصِمُ بْنُ وَائِلٍ ، وَثَيْبَةُ وَمُنْبَةُ ابْنَا الْحِجَاجِ السَّهْمَانِ ، وَأُمَيَّةُ
ابْنُ خَلْفٍ ، أَوْ مِنْ اجْتَمَعَ مِنْهُمْ ، فَاجْتَمَعُوا بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ عِنْدَ ظَهْرِ الْكَعْبَةِ ،
ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : ابْعَثُوا إِلَى عَمْدٍ فَكَلِّمُوهُ وَخَاصِمُوهُ حَتَّى تُعْذِرُوا فِيهِ ، فَبَعَثُوا
إِلَيْهِ : إِنْ أَشْرَافَ قَوْمِكَ قَدْ اجْتَمَعُوا لَكَ لِيَكَلِّمُوكَ ، فَأَتَيْهِمْ ، بِغَاءِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيعًا ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّ قَدْ بَدَأَ لَهُمْ فِيمَا كَلَّمَهُمْ فِيهِ بَدَأَ ، وَكَانَ حَرِيصًا عَلَيْهِمْ ،
يَحِبُّ رُشْدَهُمْ ، حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِمْ فَقَالُوا : يَا عَمْدُ إِنَّا قَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ لِنَكَلِّمَكَ ، وَإِنَّا وَاللَّهِ
لَا نَعْلَمُ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ أَدْخَلَ عَلَى قَوْمِهِ مَا أَدْخَلْتَ [عَلَى قَوْمِكَ] ، لَقَدْ شَتَمْتَ الْآبَاءَ ،
وَعَبْتَ الدِّينَ ، وَسَبَّتَ الْآلِهَةَ ، وَسَفَّهْتَ الْأَحْلَامَ ، وَفَرَّقْتَ الْجَمَاعَةَ ، فَمَا بَقِيَ أَمْرٌ قَبِيحٌ
إِلَّا وَقَدْ جِئْتَهُ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ ، أَوْ كَمَا قَالُوا لَهُ ، فَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا جِئْتَ بِهَذَا الْحَدِيثِ
تَطْلُبُ بِهِ مَالًا جَمَعْنَا لَكَ ، وَكَلِّمُوهُ بِنَحْوِ مَا كَلَّمَهُ بِهِ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ عَلَى مَا قَدَّمَناه آتِفًا .
فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا بِي [مَا] تَقُولُونَ ، مَا جِئْتُ بِمَا جِئْتُمْ أَطْلُبُ
بِهِ أَمْوَالَكُمْ ، وَلَا الشَّرَفَ فِيكُمْ ، وَلَا الْمُلْكَ عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنْ اللَّهُ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ رَسُولًا
وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمْ كِتَابًا ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَكُونَ بِشِيرًا وَنَذِيرًا ، فَلَقْتُ لَكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي
وَنَصَحْتُ لَكُمْ ، فَإِنْ تَقَبَّلُوا مِنِّي مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَإِنْ

(١) فِي ابْنِ هِشَامٍ بَعْدَ قَوْلِهِ « رُشْدَهُمْ » : « وَيُعْزِلُهُ عَنْهُمْ » .

(٢) تَكْلِمَةُ مَنْ ابْنِ هِشَامٍ الْجُزْءُ الْأَوَّلُ ص ٣١٥ .

(٣) فِي سِرَةِ ابْنِ هِشَامٍ : « وَشَتَمْتَ الْآلِهَةَ » .

(٤) تَكْلِمَةُ عَنْ ابْنِ هِشَامٍ .

(٥) فِي ابْنِ هِشَامٍ « عَلَى » وَهُوَ الصَّوَابُ .

تردوه على- أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم“ أو كما قال - صلى الله عليه وسلم - . [قالوا يا محمد] ^(١) : فإن كنت غير قابل منا شيئا مما عرضناه عليك فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلدا، ولا أقل ماء ولا أشد عيشا منا ، فسل لنا ربك الذي بعثك به فإسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا ، وليبسط لنا بلادنا ، وليخرق لنا فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضى من آباءنا ، ولكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب ، فإنه كان شيخ صدق ، فذا لهم عما تقول : أحق هو أم باطل ، فإن صدقوك وصنعت لنا ما سألناك عرفنا به منزلتك من الله ، وأنه بعثك رسولا كما تقول . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” ما بهذا بعثت إليكم ، إنما جئكم من الله بما بعثني به ، وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم ، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علي- أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم“ . قالوا له : فإذا لم تفعل هذا لنا فخذ لنفسك ، سل ربك أن يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ، ويراجعنا عنك ، وماله فليجعل لك جنازا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبغى ، فإنك تقوم بالأسواق كما تقوم ، وتلتبس المعاش كما تلتبس ، حتى نعزف فضلك ومزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم ؛ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” ما أنا بفاعل ، وما أنا بالذي يسأل ربه هذا ، وما بعث إليكم بهذا ، ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا“ ، - أو كما قال - ” فإن تقبلوا ما جئكم به فهو حظكم

(١) تكملة عن ابن هشام يقتضيا سياق الكلام .

(٢) رواية ابن هشام « وليفجر » .

- في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم“ .
- قالوا : فأسقط السماء علينا كسفا كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ، فلما لا تؤمن لك إلّا أن تفعل . فقال صلى الله عليه وسلم : ” ذلك إلى الله ، إن شاء يفعله بكم ففعل “ قالوا : يا محمد ، أفما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ونطلب ، فيقدم إليك فيعلمك ما تراجعنا به ، ويخبرك بما هو صانع في ذلك بنا ، إذا لم تقبل منك ما جئتنا به ؟ إنه قد بلغنا أنك إنما تعلمك هذا رجل بالجمامة يقال له الرحمن ، وإنا والله لا تؤمن بالرحمن أبداً ، فقد أعذرنا إليك يا محمد ، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى تهلكك أو تهلكنا : وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة ، وهي بنات الله . وقال قائلهم : لن تؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً ؛ فلما قالوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم قام عنهم وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة — وهو ابن عمته — فقال له : يا محمد ، عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أموراً يعرفونها بها منزلتك من الله كما تقول ، ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم ، ومنزلتك من الله فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل — أو كما قال له — فوالله لا أؤمن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً ، ثم ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها ، ثم تأتي معك بصك ، ومعك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ، وأيم الله لو فعلت ذلك ما ظننت أني أصدقك ؛ ثم أنصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزينا أسفالياً فاتهما كما كان يطعم به من قومه حين دعوه .^(١)

(١) في الأصل : « عن دعوة » ، والتصويب عن ابن هشام ج ١ ص ٣١٩ .

ذكر قصة أبي جهل في الحجر الذي قصد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم به ، وما شاهدته من حماية الله تعالى لنبيه ، وكفايته إياه ورجوعه إلى قومه وإخبارهم بما شاهد

قال ابن إسحاق : ولما قام عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو جهل : يا معشر قريش ، إن^(١) هذا قد أبى إلّا ما ترون من عيب ديننا ، وشم آباءنا ، وتسفيه أعلامنا ، وسب آلهتنا ، وإنى أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر ما أطيق حمّله ، فإذا سجد فضخّبت به رأسه ، فأسلموني عند ذلك أو آمنوني ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم ، قالوا : والله لا نُسلمك لشيء أبدا ، فأمض لما تريد ، فلما أصبح أخذ حجرا كما وصف ، ثم جلس ينتظره ، وغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلّى إلى بيت المقدس : وكان إذا صلّى بين الركن اليماني والحجر الأسود : وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، وقام يصلى وقريش في أيديهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل ، فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل أبو جهل الحجر ثم أتى نحوه حتى إذا دنا منه رجع منهزما متقيعا لونه ، مرعوبا قد يسبت يده على حجيره حتى قذف الحجر من يده ، وقامت إليه رجال قريش فقالوا له : مالك يا أبا الحكم ؟ فقال : قتت إليه لأفعل^(٢) [به] ما قلت لكم البارحة ، فلما دنوت منه عرّض لي دونه فحلّ من الإبل ، والله ما رأيت مثل هامته

(١) في السيرة لابن هشام ج ١ ص ٣١٩ : « وشم » .

(٢) عبارة السيرة « أقبل » .

(٣) تكملة من ابن هشام .

ولا قَصْرَتِهِ ولا أنْيَابَهُ لِفَحْلٍ قَطْ ، فَهَمَّ أَنْ يَأْكُلَنِي . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” ذَاكَ جَبْرِيلُ لَوْ دَنَا لَأَخَذَهُ “ .

- ومثل هذه القصة أيضا ، مارواه ابن إسحاق قال : قدم رجل من إراش — ويقال إراشة^(٢) — بإبل له مَكَّةَ فَابْتاعها منه أبو جهل ، فمَطَّلَه بِأَثْمَانِهَا ، فَأَقْبَلَ الْإِرَاشِيَّ حَتَّى وَقَفَ عَلَى نَادٍ مِنْ أُنْدِيَةِ قُرَيْشٍ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ جَالِسٌ ، فَقَالَ الْإِرَاشِيُّ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، مَنْ رَجُلٌ يُؤَدِّينِي عَلَى أَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ ، فَأَتَانِي رَجُلٌ غَرِيبٌ أَبْنُ سَبِيلٍ ، وَقَدْ غَلَبَنِي عَلَى حَقِّي ؟ فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ : أَرَى ذَلِكَ الرَّجُلَ الْجَالِسَ ؟ — يريدون رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يهزءون به — أَذْهَبَ إِلَيْهِ فَهُوَ مُؤَدِّيكَ عَلَيْهِ ؟ فَأَقْبَلَ الْإِرَاشِيَّ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، إِنْ أَبَا الْحَكَمِ قَدْ غَلَبَنِي عَلَى حَقِّي لِي قَبْلَهُ ، وَأَنَا غَرِيبٌ وَأَبْنُ سَبِيلٍ ، وَلَقَدْ سَأَلْتُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ عَنْ رَجُلٍ يُؤَدِّينِي عَلَيْهِ فَأَشَارُوا لِي إِلَيْكَ ، فَخَذْتُ [لِي] حَقِّي مِنْهُ يَرْحَمَكَ اللَّهُ ، قَالَ : ” أَنْظِلْنِي إِلَيْهِ “ ، وَقَامَ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا رَأَوْهُ قَامَ [مَعَهُ] قَالُوا الرَّجُلُ مِمَّنْ مَعَهُمْ : اتَّبِعْهُ فَأَنْظُرْ مَاذَا يَصْنَعُ ؟ قَالَ : وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى جَاءَهُ فَضْرَبَ عَلَيْهِ بَابَهُ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : ” مُحَمَّدٌ فَأَخْرَجَنِي إِلَى “ فَخَرَجَ وَمَا فِي وَجْهِهِ رَاحِمَةٌ (أَيْ دَمٌ) قَدْ أَنْتَفَعَ لَوْنُهُ فَقَالَ : أَعْطِ هَذَا الرَّجُلَ حَقَّهُ

٧٣
١٤

(١) القصصة (بالتحريك) : أصل العنق . (٢) إراشة (بالكسر) : بض من خنعم .

(٣) من يؤديني على أبي الحكم : أي على أخذ حق من ، من آذاه على فلان أي أعانه وقواه . ورواية

ابن كثير ج ٣ ص ٤٥ « يعليني » ، وهو بمعناه .

(٤) نكحة عن ابن هشام .

(٥) أي أنه مصفر من الخوف . والذي في ابن كثير ج ٣ ص ٤٥ « خرج وما في وجهه

قطرة دم » .

(٦) انتفع لونه (بالبناء للجھول) : تغير لما نزل به .

قال : نعم ، لا يبرح حتى أعطيَه [الَّذِي لَهُ ^(٢)] ، ودخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه ، ثم أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للإراشي : الحق بشأنك ، فأقبل الإراشي حتى وقف على ذلك المجلس ، فقال : جزاء الله خيرا ، فقد والله أخذ لي حقى ، وجاء الرجل الذى بعثوه معه فأخبرهم الخبر ، قال : ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء ، فقالوا له : وبلك ! والله مارأينا مثل ما صنعت قط ! قال : ويحكم ! والله ما هو إلا أن ضرب على بابى ، وسمعت صوته ، ففُئِئتُ رُعبا ، ثم خرجتُ إليه وإن فوق رأسه لفتحلا من الإبل ما رأيتُ مثل هاتيه ولا قصرته ولا أنياه ليفعل قط ، والله لو أبئت لأكلنى .

ذكر خبر النضر بن الحارث ، وما قال لقريش ، وإرسالهم إياه إلى يثرب إلى أحبار يهود وعقبة بن أبى معيط وما عادا به

قال : ولما رجع أبو جهل إلى قريش ، وألقى الحجر من يده وقص عليهم ما شاهد قام النضر بن الحارث بن كَلْدَة فقال : يا معشر قريش ، إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد ، قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ، أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثا ، وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم فى صُدْغِهِ الشَّيْبَ — وقد جاءكم بما جاءكم به — قلتم : ساحر ، لا والله ما هو بساحر ، لقد رأينا السَّحْرَةَ ؛ نفثهم وعقدهم . وقلتم : كاهن ، لا والله ما هو بكاهن ، قد رأينا الكَهَنَةَ ؛ تتأجلهم ، وسمعنا صجهم . وقلتم : شاعر ، لا والله ما هو بشاعر ، لقد رأينا الشعر ، وسمعنا أصنافه كلها ؛

(١) فى ابن هشام : « لا يبرح » .

(٢) نكته من ابن هشام ج ١ ص ٢٣٨ .

هَزَجَهُ وَرَجَزَهُ . وَقَلَّمُ مَجْنُونٌ ، لَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِمَجْنُونٍ ، لَقَدْ رَأَيْنَا الْجَنُونَ ، مَا هُوَ
بِمُخْتَفٍ ، وَلَا وَسْوَئِهِ ، وَلَا تَخْلِيطِهِ ، يَا مَعْشَرَ قَرِيشٍ ، فَانْظُرُوا فِي شَأْنِكُمْ ، فَإِنَّهُ
وَاللَّهِ لَقَدْ نَزَلَ بِكُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ .

قال ابن إسحاق : وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش ، وممن كان
يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصب له العداوة ، وكان قد قدم الحيرة
وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس ورسم وإسفنديار ، فكان إذا جلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم مجلساً فذكر فيه بالله وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من
الأنم من نعمة الله ، خلقه في مجلسه إذا أقام ، ثم قال : والله يا معشر قريش
أنا أحسن حديثاً منه ، فهلم فانا أحدثكم أحسن من حديثه ، ثم يحدثهم عن ملوك
فارس ورسم وإسفنديار ، ثم يقول : بماذا مجد أحسن حديثاً مني !

قبل : والنضر هذا هو الذي قال [فيما بلغني] : (سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أُنْزَلَ اللَّهُ) ، قال
ابن عباس : نزل فيه ثمان آيات من القرآن : قوله تعالى (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ
الْأَوَّلِينَ) ، وكل ما ذكر فيه الأساطير من القرآن . قال : فلما قال لهم النضر بن الحارث
ما قال بعثوه ، وبعثوا معه عقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة ، وقالوا لها : سلامهم
عن محمد ، وصفا لهم صفته وأخبرهم بقوله ، فأنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم

(١) هو رسم بن ريسان من ملوك الترك في زمن الكيانية قتله إسفنديار بن كيشتاسف .
وفي تاج العروس « إسفندياد » .

(٢) ورد في ابن هشام ، بعد هذه الكلمة قوله « إلى » .

(٣) زيادة من ابن هشام بعد هذه الكلمة قوله « فيما بلغني » .

(٤) سورة الأنعام آية ٩٣ .

(٥) سورة الفلم آية ١٥ .

علم حسن — ليس عندنا — من علم الأنبياء ؛ فخرجنا حتى قَدِمَا المدينة فسألَا
أخبارَ يهودَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفاً لهم أمره ، وأخبارَهم ببعض
قوله ، وقالوا لهم : أنكم أهل التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ،
فقال لهما أخبار يهود : سألوه عن ثلاث نأمركم بهنَّ ، فإن أخبركم بهنَّ فهو نبيٌّ
مُرْسَلٌ ، وإن لم يفعل فالرجل متقولٌ ، فَرَوَا فيه رأيكم ، سألوه عن فتية ذهبوا
في الدهر الأول ، ما كان من أمرهم ؟ فإِنَّه قد كان لهم حديثٌ عجيبٌ ؛ وسألوه عن
رجل طَوَافٍ قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ؛ ما كان نبؤُهُ ؟ وسألوه عن الرُّوح ما هو ؟
فإن أخبركم بذلك فأتبعوه فإنه نبيٌّ ، وإن لم يفعل فهو رجل متقولٌ فَرَوَا فيه رأيكم .
بفاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد ، أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر
الأول قد كانت لهم قصّةٌ عَجَبٌ ؛ وعن رجل كان طَوَافاً قد بلغ مشارق الأرض
ومغاربها ؛ وأخبرنا عن الرُّوح ما هي ؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« أخبركم بما سألتُم عنه غداً » ، ولم يستثنِ بالمشيئة ، فانصرفوا عنه ، فكث رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيما يزعمون خمسَ عشرة ليلةً لا يُحدث الله في ذلك وحياً ،
ولا يأتيه جبريلُ حتى أَرَجَفَ أَهْلُ مَكَّةَ وقالوا : وعدنا محمد غداً ، واليوم خمسَ عشرة ليلةً
قد أصبحنا منها لا يُخبرنا بشيءٍ مما سألناه عنه ، وحتى أحرز رسول الله صلى الله
عليه وسلم مكثُ الوحي عنه ، وشق عليه ما يتكلم به أَهْلُ مَكَّةَ ؛ ثم جاءه جبريلُ
من الله بسورة الكهف فيها خبرٌ ما سألوا عنه ، فيقال : إنه صلى الله عليه وسلم
قال لجبريل حين جاءه : لقد آحتبست عني حتى سئْتُ ظنّاً ؛ فقال له جبريل :

(١) يقال : أَرَجَفَ القوم ، إذا خاضوا في الأخبار السيئة وذكر الفتن .

(٢) كذا في ابن هشام . وهو الصواب . والذي في الأصل : « لا تخبروا » ؛ وهو تحريف .

﴿وَمَا تَنْتَظِرُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾^(١).

ذكر ما أشتملت عليه سورة الكهف مما سألوه عنه

- قال أبو محمد عبد الملك بن هشام رحمه الله تعالى : افتتح الله عز وجل
السورة بحمده ، وذكر نبوة رسوله صلى الله عليه وسلم فقال : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ
• عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ يعنى هذا . قوله : ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا﴾ أى معتدلا
لا اختلاف فيه . قوله : ﴿لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ﴾ أى عاجل عقوبته فى الدنيا
وعذابا دائما فى الآخرة . قوله : ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ
أَجْرًا حَسَنًا . مَا كُنِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ أى دار الخلد لا يموتون فيها ، الذين صدقوك
• بما جئت به مما كذبت به غيرهم ، وعملوا بما أمرتهم من الأعمال . قوله : ﴿وَيُنذِرَ
الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ يعنى قريشا فى قولهم : إنا نعبد الملائكة وهى بنات الله .
قوله : ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾ الذين أعظموا فراقهم^(٢) . قوله : ﴿كَبُرَتْ
كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ أى قولهم : إن الملائكة بنات الله .
قوله : ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ أى مهلك
نفسك لحزنه صلى الله عليه وسلم عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم ، أى لا تفعل .
• قوله : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أى أيهم أتبع
لأمرى ، وأعمل لطاعتي . قوله : ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ أى الأرض ،

(١) سورة مريم آية ٦٤ (٢) زاد فى ابن هشام والقرطبي قوله : «وعيب دينهم» .

(٣) سورة الكهف الآيات من ١ - ٨ . والصعيد : وجه الأرض . والجرز : الأرض التى

وإن ما عليها لفسان وزائل ، ولكن المرجع إلى فأجزى كلاً بفعله ، فلا تأمس ، ولا يحزنك ما ترى وتسمع فيها . ثم استقبل القصة فيما سألوه عنه من شان الفتيّة .

فقال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ ، أي قد كان من آياتي فيما وضعت على العباد من حجتي ما هو أعجب من ذلك . قال ابن هشام : والرقيم الكتاب الذي يرقم فيه بخبرهم ، وجمعه رقم .

ثم قال : ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴾ أي لم يشركوا بي كما أشركتم [بي] ما ليس لكم به علم . قال : والشطط ، الغلو ومجاوزة الحق . قوله : ﴿ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ﴾ ، أي بحجة بالغة . ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَهُمْ فِي جَفْوَةٍ مِنْهُ ﴾ .

قال ابن هشام : تراور ، تميل ، وهو من الزور ، و﴿ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّامِ ﴾ ، أي تجاوزهم وتركهم عن شامها . والفجوة : السعة ، وجمعها الفجاء . قوله : ﴿ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ﴾ أي في الحجة على من عرف ذلك من أمورهم من أهل الكتاب ممن أمر هؤلاء بمسألتك عنهم في صدق نبؤتك بتحقيق الخبر عنهم . قوله : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ﴾ إلى قوله : ﴿ بِالْوَصِيدِ ﴾ الوصيد : الباب . قال عبيد بن وهب العباسي منشدا :

بَارِضٌ فَلَاةٍ لَا يُسَدُّ وَصِيدُهَا عَلَى وَمَعْرُوفٍ بِهَا غَيْرُ مُنْكَرٍ

(١) رواية ابن هشام ص ١٩١ « ثم استقبل قصة الخبر فيما سألوه » إلخ .

(٢) عبارة ابن إسحاق : « من حجتي » .

(٣) تلمحة عن ابن هشام والجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٣٤٩ .

(٤) في الأصل : « العلو » بالمهمله ، والتصويب عن ابن هشام .

(٥) سورة الكهف الآيات من ٩ — ١٨ .

(٦) كذا في الأصل وابن هشام . والذي في القرطبي ج ١٠ ص ٣٥١ « عبد بن وهب » .

والوصيد أيضا الفناء، وجمعه وصائد ووُصِد ووُصِدان قوله: ((لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ))
 الى قوله ((قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ)) أهل الملك ((لَتَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا)).
 قوله: ((سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً)) الى قوله: ((وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا)) يعنى أحبار
 يهود الذين أمرهم بالمسألة عنهم، فانهم لا علم لهم بهم . قوله: ((وَلَا تَقُولَنَّ لِيْشَىْءٍ
 إِنِّيٰ فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ)) الى قوله ((رَشَدًا)) أى لا تقولن لشيء سألوك عنه
 كما قلت فى هذا : إني مخبركم غداً، وأستثنى بمشيئة الله ((وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّيَّ))
 لخير مما سالتوني عنه رَشَدًا، فإنك لا تدري ما أنا صانع فى ذلك . قوله :
 ((وَلْيُشُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا)) أى سيقولون ذلك . ((قُلْ اللَّهُ
 أَعْلَمُ بِمَا لِيُثْوَلَهُ غُيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ
 وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا)) أى لم يخف عليه شيء مما سألوا عنه ، وقال الله
 عز وجل ، فيما سألوه عنه من أمر الطواف، وهو ذو القرنين : ((وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ
 ذِي الْقُرْنَيْنِ)) الآيات، الى آخر خبره . وقد ذكرنا قصة ذى القرنين فى الباب
 الأول من القسم الرابع من الفن الخامس من كتابنا هذا، وهى فى الجزء الثانى عشر
 من هذه النسخة، ولا فائدة فى إعادتها .

وقال تعالى فيما سألوه عنه من [أمر] الروح : ((وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ
 الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّيَّ وَلَا أُبَيِّنُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)) روى عن عبد الله بن عباس
 رضى الله عنهما قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال

(١) سورة الكهف الآيات من ١٨ - ٨٣ (٢) من تحفة المؤلف .

(٣) تكملة عن ابن هشام ص ١٩٦

(٤) فى تفسير معنى الروح أقوال كثيرة أوردها القرطبي فى جامعه ١٠ : ٣٢٣ .

(٥) سورة الإسراء آية ٨٥

أخبار يهود : يا محمد، أرايت قولك : ﴿ وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ^(١) إيانا تريد أم قومك ؟ قال : كلا . قالوا : فإنك تتلوفنا جاءك إنا قد أوتينا التوراة فيها بيان كل شيء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنها في علم الله قليل ، وعندكم في ذلك ما يكفيكم لو أقمتموه « فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فِيمَا سَأَلُوهُ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرِ يَمْدُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ^(٢) ، أى أن التوراة في هذا من علم الله قليل .

ذكر ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن فيما سأله قومه لأنفسهم من تسيير الجبال ، وتقطع الأرض وبعث من مضى من آبائهم من الموتى ، وما سألوه لنفسه ، وما قالوه له بعد ذلك

أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم فيما سأله قومه لأنفسهم فيما قدمنا ذكره ؛ قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُورَآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَةٌ بِهِ الْمَوْتَى بَلِ اللَّهُ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ ^(٣) ، أى لا أصنع من ذلك إلا ما شئت . وأنزل عليه في قولهم : خذ لنفسك ما سألوه أن يأخذ لنفسه قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا . أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾ ^(٤) . ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ ﴾ ^(٥) ، أى من أن تمشي في الأسواق

(١) سورة الإبراء : ٨٥ (٢) سورة لقمان : ٢٧ (٣) سورة الرعد : ٣١

(٤) سورة الفرقان : ٨٧ (٥) سورة الفرقان : ١٠

وَتَلْتَمِسُ الْمَعَاشَ ﴿جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا﴾. وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾^(١)، أَيْ جَعَلْتُ بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ بَلَاءً لَتَصْبِرُوا ، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَجْعَلَ الدُّنْيَا مَعَ رُسُلِي وَلَا يَخَافُوا لَفَعَلْتُ. وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ فِيمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُمِيَّةَ : ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَدْبُوعًا، أَوْ تُكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خَالِفًا لَهَا تَفْجِيرًا. أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِنَاثِلَةٍ كَقَبِيلٍ . أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرَبِّكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا مَكَّا بًا تَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾^(٢)، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِمْ : إِنَّا قَدْ بَلَّغْنَا [أَنَّكَ] إِنَّمَا يَعْلَمُكَ رَجُلٌ بِالْإِمَامَةِ يُقَالُ لَهُ الرَّحْمَنُ ، وَلَنْ نُؤْمِنَ بِهِ أَبَدًا ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلُو عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾^(٣) . وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ فِيمَا قَالَ أَبُو جَهْلٍ وَمَا هَمَزَ بِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى . عَبْدًا إِذَا صَلَّى . أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى . أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾^(٤) إِلَى آخِرِ السُّورَةِ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : لَنَسْفَعُنَّ : لَنَجْزِبَنَّ وَلَنَأْخُذَنَّ . وَالنَّادَى : الْمَجْلِسُ الَّذِي يَجْتَمِعُ فِيهِ الْقَوْمُ وَيَقْضُونَ فِيهِ أُمُورَهُمْ ، وَجَمْعُهُ أُنْدِيَةٌ . يَقُولُ : ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾^(٥) أَيْ أَهْلَ نَادِيَتِهِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾^(٦) أَيْ أَهْلَ الْقَرْيَةِ . وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ فِيمَا عَرَضُوهُ عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِهِمْ : ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(٧) .

٧٦
١٤

(١) سورة الفرقان : ٤٠ . (٢) سورة الإسراء : ٩٠ — ٩٣ .

(٣) الزيادة عن ابن هشام : ٣٢٢ (٤) سورة الرعد : ٣٠ (٥) سورة العلق : ٢٠ .

٠٤٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ٠ (٦) سورة العلق : ١٧ . (٧) سورة يوسف : ٨٢ .

(٨) سورة سبأ : ٤٧ .

(١) ذكر ما كان من عناد قريش بعد ذلك وعقودهم

قال : فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما عرفوا من الحق ، وعرفوا صدقه فيما حدث ، وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب حين سأله عما سأله عتوا على الله واستمروا في طغيانهم وعلى كفرهم ، فقال قائلهم : ﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) فإنكم إن ناظرتموه وخاصمتموه غلبكم . فقال أبو جهل يوما — وهو يهزا برسول الله وما جاء به من الحق — : يا معشر قريش ، يزعم محمد أنما جنود الله الذين يعذبونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر ، وأتم أكثر الناس عددا [وكثرة] (٣) ، أفيعجز كل مائة رجل منكم عن رجل منهم . فأنزل الله تعالى في ذلك : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (٤) إلى آخر القصة . قال : ولما قال بعضهم لبعض : ﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ ﴾ جعلوا إذا جهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن وهو في صلاته يتفزعون عنه ، ويأبون أن يسمعوا له ، فكان الرجل منهم إذا أراد أن يستمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلو من القرآن وهو يصلي استرق السمع دونهم فرقا . منهم ، فإن رأى أنهم قد عرفوا به أنه يستمع منه ذهب خشية أذاهم أن يستمع ، وإن خفض صلى الله عليه وسلم صوته ظن الذي يستمع أنهم لا يستمعون شيئا من قراءته ، وسمع هو شيئا دونهم أصاخ له يستمع منه ، فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ

(١) عقودهم ، أى عهودهم ، من قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) أى بالعهود .

(٢) سورة فصلت : ٢٦

(٣) الزيادة عن ابن هشام ج ١ ص ٢٣٥

(٤) سورة المائدة : ١٠٩

بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافَتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا^(١) يقول : لا تجهر بصلاتك فيفتروا^(٢) عنك ، ولا تخافت بها ، فلا يسمعه من يحب أن يسمعه ممن يسترقها دونهم لعله يرعوى إلى بعض ما يسمع فينتفع به .

ذكر أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله

صلى الله عليه وسلم

روى عن عمرو بن الزبير عن أبيه قال : كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود . قال : اجتمع يوما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : والله ما سمعت قريش هذا القرآن يُجهر لها به قط من رجل يُسمعه^(٣) . فقال عبد الله بن مسعود : أنا ؛ قالوا : إنا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلا له عشيرة يمنعون من ألقوم إن أرادوه ، قال : دعوني ، إن الله سميع عليم ؛ قال : فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في وقت الضحى وقريش في أندية ، ثم قال رافعا صوته : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ)^(٤) ثم استقبلها يقرؤها ، وتأملوه فجعلوا يقولون : ماذا قال ابن أم عبد ؟ ثم قالوا : إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد ؛ فقاموا إليه فجعلوا يضربون في وجهه وهو يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ، ثم أنصرف إلى أصحابه وقد أثروا بوجهه ، فقالوا : هذا الذي خشنا عليك . قال : ما كان أعداء الله أهون على منهن الآن ، وإن شئتم لأغادينهم بمثلها غدا ؛ قالوا : لا ، حسبك ، قد أسمعتم ما يكرهون . والله الموفق .

٧٧
١٤

(١) سورة الإسراء : ١١٠ . (٢) رواية ابن هشام « فيفتروا » .

(٣) كذا في الأصل . ورواية ابن هشام « فن رجل » بصيغة الاستفهام والمعنى عليها يستقيم أيضا .

(٤) آيتا ٢٤١ من سورة الرحمن .

(٥) عبارة ابن هشام « ثم أثروا في وجهه » .

ذكر ما نال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

من أذى قريش وعذابهم ليفتنوهم عن دينهم

قال محمد بن إسحاق : ثم إنهم عَدَّوا على من أسلم وأتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ، ففعلوا بحبسهم ويغذونهم بالضرب والجوع والعطش ، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر ؛ من استضعفوا منهم يقتلونهم عن دينهم ، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبه ، ومنهم من يعصمه الله ، فكان بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما لبعض بني جُحج مولدا من مولديهم ، وكان صادق الإسلام ، طاهر القلب ، فكان أمية بن خلف يخرج به إذا حمت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فوضع على صدره ، ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بحمد ، وتعبد الآلات والعزى ؛ فيقول - وهو في ذلك البلاء - أحد أحد ، فكان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب بذلك وهو يقول : أحد أحد ، فيقول : أحد أحد والله يا بلال ؛ ثم يقبل على أمية بن خلف وهو يصنع به ذلك فيقول : أحلف بالله لن تقتلوه على هذا لا تحذنه حنانا ؛ حتى مر به أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوما وهم يصنعون به ذلك ، فقال لأمية : ألا تتق الله في هذا المسكين ، حتى متى ! فقال : أنت أفسدته فأقذه مما ترى . قال : أفعل ، عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى ، وهو على دينك ، أعطيك به . قال : قد قبلت ؛ قال : هولك . فأعطاه أبو بكر

(١) في الأصل : « فن يفتن » وما أثبتناه عن ابن هشام (٢٠٥ : ١) .

(٢) في الأصل ما يفيد أن بلالا كان من موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس كذلك ، فإن

بلالا هذا كان من خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا من مواليه . انظر المعارف ص ٨٨ ، وابن كثير

ج ٣ ص ٩٧ . (٣) لأجل أن قبره موضع حنان ، فأزوره وأتبرك به .

غلامه ذلك ، وأخذه فأعتقه ، ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة
سِتْ رِقَاب ؛ وهم عامرُ بنُ فهيرة ، شهد بدرًا وأُحُدًا ، وأُمُّ عُمَيْس ، وزَيْنَةُ — وكانت
روميةً لِنِى عبد الدار — فأصيب بصرها حين أعتقها ، فقالت قريش : ما أذهب
بصرها إلا اللات والعزى ، وما ينفعان . فردَّ الله إليها بصرها ، وأعتق التهذبة
وابنتها ، وكانت لامرأة من بنى عبد الدار ، فزبها وقذبعتهما سيدهما بطحين
لها وهى تقول : والله لا أعتقكما أبداً ، فقال أبو بكر : ^(١) حُلِّ يا أم فلان ، فقالت :
حُلِّ أنت ؛ أفسدتهما فأعتقتهما ، قال فيكم هما ؟ قالت : يكذا وكذا ، قال : أخذتهما
وهما حرتان ، أرجعا إليها طحينها ، قالتا : أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نردّه إليها ؟
قال : وذلك إن شئتما . ومرة بجارية من بنى مؤمل (حتى من بنى عدى بن كعب)
— وكانت مسلمة — وكان عمرُ يعذبها لتترك الإسلام ، وعمرُ يومئذ مشرك ،
وهو يضربها حتى إذا مل قال : إني أعتذر إليك ، لم أتركك إلا ملالة ، فيقول :
كذا يفعل الله بك . فأبتاعها فأعتقها ، فقال أبو خُافة لأبي بكر : يا بنى ، أراك تُعتق
رِقَاباً ضامفاً ، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجلاً جُلداً يَمْنَعونك ويقومون
دونك ؟ فقال أبو بكر : يا أبتِ إني إنما أريد الله عز وجل ما أريد ، فيقال :
إن هذه الآيات أثرت فيه رضى الله عنه قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى
وَأَتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴾ ^(٢) .

قال محمد بن إسحاق : وكان بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه
— وكانوا أهل بيت إسلام — إذا حَمِيَت الظهيرة يغذّبونهم برمضاء مكة ، فيمض
بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول : ” صبرا آل ياسر موعدكم الجنة “ ،

(١) زاد في ابن هشام ٢٠٣ « وقتل يوم بئر معونة شهيدا » . (٢) في الأصل « أم عيينة » .

بالياء ، والنصوب عن ابن هشام . (٣) أى تحلى من عيذك . (٤) الآيات ٢١٠٦٥ من سورة البقرة .

فأما أمته فقتلوا وهي تآبى إلا الإسلام ^(١) . قال أبو عمر : وهي سُمِّيَة ، كانت أمةً لأبي حذيفة بن الغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، فزوجه من حليفه ياسر بن عامر بن مالك العبسي ، فولدت له عماراً ، فاعتقه أبو حذيفة . وسُمِّيَة هذه أول شهيدة في الإسلام . وجاءها أبو جهل بحربة في قبلها فقتلها ، فقال عمار : يا رسول الله ، بلغ منا — أو بلغ منها كل مبلغ — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صبراً يا أبا اليقظان ، اللهم لا تُعَذِّبَ أحداً من آل ياسر بالنار » ^(٢) .

قال ابن إسحاق : وكان أبو جهل هو الذي يُغري بهم في رجال قريش إذا سمع برجل قد أسلم ، فإن كان له شرف ومنعة أتبه ونزاه : فيقول : تركت دين أبيك وهو خير منك ، لنسقين حاكمك ولنقتلن ^(٣) رأيك ، ولنضعن شرفك ؛ وإن كان تاجراً ، قال : والله لنكسبت تجارتك ، ولنملكن مالك ؛ وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به . وروى عن سعيد بن جبير قال : قلت لأبي عباس رضى الله عنهم : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يُعذِّرون به في ترك دينهم ؟ قال : نعم ، والله إن كانوا ليضربون أحدهم ويجمعونه ويُعطشونه ؛ حتى ما يقدر أن يستوى جالسا من شدة الضر الذي به ، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة حتى يقولوا له : الآلات والعزى إلهان من دون الله ، فيقول : نعم ، حتى إن الجمل عمل ليمزبهم فيقولون له : هذا الجمل إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم ، اقتداءً منهم مما يبلغون من جهده . والله المعين .

(١) كذا في ابن هشام ج ١ : ٣٤٢ ، وفي ابن كثير ج ٣ ص ٥٩ : « فقتلوا ما تآبى إلا الإسلام » ، والذي في الأصل : « فقتلوا تآباً الإسلام » ، ولا يخفى ما فيه من تحريف .

(٢) في الرض الأنف : « آل عمار » . (٣) لفتين ، من قبل رأيه : خطأ .

(٤) في الأصل : « لنكسرن » . تصحيف . والتصويب عن ابن هشام ج ١ : ٣٤٣ ، ابن كثير

ذِكْرُ هِجْرَةِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

إِلَى الْحَبَشَةِ ، وَهِيَ الْهَجْرَةُ الْأُولَى

قال محمد بن إسحاق : لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء والعذاب ، وما هو فيه من العافية لمكانه من الله تعالى ومن عمه أبي طالب ، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة ، فإن بها مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عنده أحد — وهى أرض صدق — حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أتم فيه ، فخرج عند ذلك من خرج منهم مخافة الفتنة ، وفراراً إلى الله بدينهم ، فكانت أول هجرة كانت في الإسلام .

قال الواقدي : خرجوا متسليين سراً ، وكانوا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة ، حتى أتوها إلى الشُعْبَةِ^(١) منهم الراكب والماشي ، ووفق الله لهم ساعة جاءوا سفينتين للتجار حملوهم فيهما إلى أرض الحبشة بنصف دينار ، وكان يخرجهم في نصف رجب من السنة الخامسة من حين تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرجت قريش في آثارهم حتى جاءوا البحر فلم يدركوهم .

قال ابن إسحاق . كان أول من خرج من المسلمين من بنى أمية بن عبد شمس عثمان بن عفان معه امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن بنى عبد شمس : أبو حذيفة بن عتبة ، معه امرأته سهلة ابنة سهيل ، ولدت بأرض الحبشة محمد بن^(٢) [أبي] حذيفة . ومن بنى أسد بن عبد العزى : الزبير بن العوام . ومن بنى عبد الدار : مصعب بن عمير بن هاشم . ومن بنى زهرة بن كلاب :

(١) الشُعْبَةُ بكهنة : مرعى السفن من ساحل بحر الجواز ، كان مرعى سفن مكة قبل جدة .

(٢) ساقطة من الأصل . والنكلة عن ابن هشام ج ١ ص ٢٤٤ .

عبد الرحمن بن عوف . ومن بنى مخزوم : أبو سلمة بن عبد الأسد ، معه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة . ومن بنى جمح : عثمان بن مظعون بن حبيب . ومن بنى عدى بن كعب : عامر بن ربيعة ، معه امرأته ليل بنت أبي حشمة بن غانم ؛ ومن بنى عامر بن لؤى : أبو مبرة بن أبي رهم بن عبد العزى ؛ ومن بنى الحارث ابن فهر : سهيل بن بيضاء ، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة . قال : هؤلاء العشرة أول من نخرج من المسلمين إلى أرض الحبشة ، وكان عليهم عثمان بن مظعون . وزاد الواقدي : حاطب بن عمرو بن عبد شمس ، فجعلهم أحد عشر رجلا وأربع نسوة . قال : فقد منّا أرض الحبشة ، فخاورنا بها خير جار ، أمنا على ديننا ، وعبدنا الله تعالى لا نُؤذَى ، ولا نُسمع شيئا نكرهه . والله أعلم .

ذكر رجوع أهل هذه الهجرة إلى مكة ، وما قيل في سبب رجوعهم

قال محمد بن سعد عن محمد بن عمر بن واقد بسند يرفعه : لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه كفّا عنه ، جلس خاليا ، فتمنى فقال : ليت لا ينزل على شيء ، ينقروهم عنى ، وقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم [عليه وسلم] قومه ودنا منهم ودنوا منه ، فجلس يوما مجلسا في ناد من تلك الأندية حول الكعبة ، فقرأ عليهم : (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ) (٤) حتى بلغ : (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ) (٤) . ألقى الشيطان على لسانه كلمتين : « تلك الغرائيق العلاء ، وإن شفاعتهن لترتجى » ولما بلغ « الغرائيق العلاء » ، وفي أخرى : « والفراقة العلاء ، تلك الشفاعة تُرتجى »

(١) ذكر ابن كثير عن ابن إسحاق أن أبا سبرة كانت معه امرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو (٣ : ٦٧) . وابن هشام (١ : ٣٥٢) .

(٢) زاد ابن هشام (١ : ٣٥٨) . هنا قوله : « النجاشي » .

(٣) ساقطة من الأصل . (٤) سورة النجم الآيات ١ - ٢٠ .

(٥) كذا في الكشف للزمخشري ج ٢ ص ٥٨ طبع بولاق .

قال الواقدي : فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهما ، ثم مضى فقرأ السورة كلها ، وسجد وسجد القوم جميعا ، ورفع المغيرة بن الوليد ترابا إلى جبهته فسجد عليه ، وكان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود . ويقال : إن أبا أحيحة سعيد بن العاص أخذ ترابا فسجد عليه ، ورفع له إلى جبهته — وكان شيخا كبيرا — فرضوا بما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : قد عرفنا أن الله يحيي ويميت ويخلق ويرزق ، ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده ، فأما إذ جعلت لها نصيبا عندك فمجن معك ، فكبر ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم حتى جلس في البيت فلما أسمى أتاه جبريل فعرض عليه السورة ، فقال جبريل : ما جئتكم بهاتين الكلمتين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قات على الله ما لم يقل » . فأوحى الله إليه : (وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَجِدُوكَ ظِلًّا) ، إلى قوله : (ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا) . وقال : ففتشت تلك السجدة في الناس حتى بلغت أرض الحبشة ، فبلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل مكة قد سجدوا فأسلموا ، حتى إن الوليد ابن المغيرة وأبا أحيحة قد سجدا خلف النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال القوم : فمن بقي بمكة إذا أسلم هؤلاء ! قالوا : عشارنا أحب إلينا ، فخرجوا راجعين ، حتى إذا كانوا دون مكة بساعة من نهار لقوا رجلا من كنانة ، فسألوه عن قريش

(١) قال صاحب الجامع لأحكام القرآن ج ١٢ ص ٨١ : إن هذا الحديث الذي فيه الترائيق الدلا وقع في كتب التفسير ونحوها ولم يدخله البخاري ولا مسلم ولا ذكره في طبعه مصنف مشهور . الخ . وذكر القاضي عياض أن رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم من الإخبار عن شيء بخلاف ما هو عليه لا قصدا ولا سهوا ولا غلطا . الخ . ونحن نقطع أن هذا لا يجوز على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو المعصوم الصادق في التبليغ .

(٢) في الأمل : « فيمن » . والصواب عن (السيرة الحلبية ١ : ٣٠٤) ، (وعيون الأثر ١ : ١٢٠) .

(٣) في الأمل : « حين » ، وما أئتمناه عن عيون الأثر .

وفض حالهم ، فقال الركب : ذكر عهد آلهتهم بخير ، فتابعه الملا ، ثم ارتد عنها ، فعاد يشتم آلهتهم ، وعادوا له بالشر ، فتركاهم على ذلك ، فأتمر القوم في الرجوع إلى أرض الحبشة ، ثم قالوا : قد بلغنا ، ندخل فننظر ما فيه قريش ، ويحدث عهدا من أراد بأهله ، ثم رجع . قال : فدخلوا مكة ، ولم يدخل أحد منهم إلا بجوار ، إلا ابن مسعود فإنه مكث يسيرا ، ثم رجع إلى أرض الحبشة . قال الواقدي : فكان خروجهم في شهر رجب سنة خمس (يريد من النبوة ^(١)) ، فأقاموا شعبان ورمضان وقدموا في شوال من السنة .

وحيث ذكرنا هذا الحديث فلنذكر ما جاء في توهينه .

ذكر ما ورد في توهين هذا الحديث والكلام عليه

في التوهين والتسليم

قال القاضي عياض بن موسى بن عياض رحمه الله ، في كتابه المترجم (بالشفاعا بتعريف حقوق المصطفى) صلى الله عليه وسلم :

اعلم أن لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين : أحدهما في توهين أصله ، والثاني [على ^(٢)] تسليمه .

أما المأخذ الأول فيكفيك أن هذا الحديث لم يخرج أحد من أهل الصحة ، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل مع ضعف ثقته ، وأضطراب رواياته ، وانقطاع إسناده ، واختلاف كلماته ، فقائل يقول : إنه في الصلاة ، وآخر يقول قالها في نادي قومه حين أنزلت عليه السورة ، وآخر يقول : قالها وقد أصابته سنة ، وآخر يقول : بل حدث نفسه فسها ، وآخر يقول : إن الشيطان قالها على

(١) هذه من قول المؤلف . انظر الذخائر والأعلام لابن سلام الباهلي ص ٢٠٤ (طبع الوهية) .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، وقد أثبتناها عن الشفا للقاضي عياض ج ٢ ص ١٢٨

لسانه ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال : ما هكذا أقرأئك ؛ وآخر يقول : بل أعلنهم الشيطان أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأها ؛ فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال : « والله ما هكذا أنزلت » إلى غير ذلك من اختلاف الرواة ، ومن حُكيت عنه هذه الحكاية من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم ، ولا رفعها إلى صاحب ، وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية^(١)، والمرفوع فيه حديث شعبة عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما فيما أحسب — الشك في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة — وذكر القصة . قال أبو بكر البزار : هذا الحديث لا تعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا ، ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد ، وغيره يرسله عن سعيد بن جبير ، وإنما يعرف عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : فقد بين لك أبو بكر رحمه الله أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا ، وفيه من الضعف ما نُبِّه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه .

وأما حديث الكلبي فما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره ، لقوة ضعفه وكذبه كما أشار البزار إليه ، قال : والذي منه في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ ﴿ والنجم ﴾ وهو بمكة ، فسجد وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس . هذا توهينه من طريق النقل ، والله أعلم بالصواب .

وأما جهة المعنى : فقد قامت الحجة ، وأجمعت الأمة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه التذيلة . أما من تمنّيه أن يُنزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر ، أو أن يتسور عليه الشيطان ، ويشبهه عليه القرآن حتى

(١) كذا في الشفاء للقاضي عياض ص ١١٨ ؛ والذي في الأصل : « فأنه » .

يجعل فيه ما ليس منه، ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم أن من القرآن ما ليس منه، حتى يُنبّه جبريل عليهما السلام، وذلك كله ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم، أو يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمداً — وذلك كفر — أو سهواً، وهو معصوم من هذا كله، وقد تقرر بالبرهان والإجماع عصمته عليه السلام من جريان الكفر على قلبه أو لسانه لا عمداً ولا سهواً، أو أن يتشبه عليه ما يليقه المَلَك مما يليق الشيطان، أو يكون للشيطان عليه سبيل، أو يقول على الله؛ لا عمداً ولا سهواً، ^(١) وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ^(٢)﴾ الآية، وقال: ﴿إِذَا لَذَقْنَاكَ حَيَاةٍ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ^(٣)﴾ الآية.

ووجه ثانٍ، وهو استحالة هذه القصة نظراً وعرفاً، وذلك أن هذا الكلام لو كان كما روى لكان بعيد الالتئام، ^(٤) متناقض الأقسام، ممتزج المدح بالذم، متخاذل التأليف والنظم؛ ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم، ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك — وهذا لا يخفى على أدنى متأمل — فكيف بمن رَجَحَ حمله، وآتسَع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ؟ !

ووجه ثالث، أنه قد علم من عادة المنافقين، وهامندى المشركين، وضعف القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم لأول وهلة، وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لأقل فتنة، وتعييرهم المسلمين، وارتداد مَنْ في قلبه مرض ممن أظهر الإسلام لأقل شبهة؛ ولم يَحْك أحد في هذه القصة شيئاً سوى هذه الرواية الضعيفة الأصل، ولو كان ذلك أوجدت قريش بها على المسلمين الصولة، ولأقامت بها اليهود عليهم الحجّة، كما فعلوا في قصة الإسراء وقصة القضية، ^(٥) ولا فتنة أعظم من هذه البلية لو وجدت،

(١) زاد هنا في الشفاء ص ١٣٠ قوله: «ما لم يزل عليه». (٢) سورة الحاقة: ٤٤.

(٣) سورة الإسراء: ٧٥. (٤) في الأصل: «اللائم» تصحيف. والتصويب

عن الشفاء. (٥) راجع شرح الشفاء ج ٤: ١٢ في قصة القضية.

(١) وَلَا تَغِيبَ لِلْعَادَى حِينَئِذٍ أَشَدَّ مِنْ هَذِهِ الْحَادِثَةِ لَوْ أَمَكَنْتَ ؛ فَمَا زَوَى عَنْ مَعَانِدِ فِيهَا كَلِمَةً ، وَلَا عَنْ مُسَلِّمٍ بِسَبَبِهَا بِنْتُ شَفْعَةٍ ؛ فَدَلَّ عَلَى بَطْلَانِهَا ، وَاجْتِنَابِ أَصْلِهَا .
 قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ : وَلَا شَكَّ فِي إِدْخَالِ بَعْضِ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ أَوْ الْجِنِّ هَذَا الْحَدِيثَ عَلَى بَعْضِ مُغْفَلِي الْمُحَدِّثِينَ ، لِيَلْبَسَ بِهِ عَلَى ضَعْفَاءِ الْمُسْلِمِينَ .

- وَوَجْهٌ رَابِعٌ ، ذَكَرَ الرُّوَاةُ لِهَذِهِ الْقَضِيَّةِ أَنَّ فِيهَا نَزَلَتْ : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ ﴾ الْآيَتَيْنِ ، وَهَاتَانِ الْآيَتَانِ تَرْدَدَانِ الْخَبَرَ الَّذِي رَوَاهُ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَ أَنَّهُمْ كَادُوا يَفْتِنُونَهُ حَتَّى يَفْتَرِيَ ، وَأَنَّهُ لَوْلَا أَنَّ ثَبَتَهُ لَكَادَ يَرُكِّنُ إِلَيْهِمْ ؛ فَمَضْمُونُهُ هَذَا .
 وَمَفْهُومُهُ أَنَّ اللَّهَ عَصَمَهُ مِنْ أَنْ يَفْتَرِيَ ، وَثَبَتَهُ حَتَّى لَمْ يَرُكِّنْ إِلَيْهِمْ قَلِيلًا ، فَكَيْفَ كَثِيرًا ! وَهُمْ يَرَوْنَ فِي أَخْبَارِهِمُ الْوَاهِيَةَ أَنَّهُ زَادَ عَلَى الرُّكُونِ وَالْإِقْرَاءِ بِمَدْحِ آلِهِمْ ، وَأَنَّهُ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « افْتَرَيْتَ عَلَى اللَّهِ وَقُلْتَ مَا لَمْ يَقُلْ » ؛ وَهَذَا ضِدُّ مَفْهُومِ الْآيَةِ ، وَهِيَ تَضَعُفُ الْحَدِيثَ لَوْ صَحَّ ، فَكَيْفَ وَلَا صَحَّةَ لَهُ ! ، وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ : كُلُّ مَا فِي الْقُرْآنِ كَادَ فَهُوَ مَا لَا يَكُونُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ بَكَادُ سَنَافِرُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾ (٢) ، وَلَمْ يَذْهَبْ . قَالَ الْقَاضِي الْقَشِيرِيُّ (٣) : وَلَقَدْ طَالَبَهُ قُرَيْشٌ وَثَقِيفٌ إِذْ مَرَّ بِآلِهِمْ أَنْ يَقْبَلَ بِوَجْهِهِ إِلَيْهَا ، وَوَعْدُوهُ الْإِيمَانَ بِهِ إِنْ فَعَلَ ، فَمَا فَعَلَ وَلَا كَانَ لِيَفْعَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٨١
١٤

وَأَمَّا الْمَأْخُذُ الثَّانِي — وَهُوَ مَبْنَى عَلَى تَسْلِيمِ الْحَدِيثِ لَوْ صَحَّ ، وَقَدْ أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْ صَحَّتِهِ — فَقَدْ أَجَابَ عَلَى ذَلِكَ أَئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ بِأَجْوَبَةٍ ذَكَرَهَا الْقَاضِي عِيَّاضٌ وَضَعَفَ بَعْضُهَا ، وَأَسْتَحْسِنُ بَعْضًا ، نَذَكْرُ مِنْهَا مَا أَسْتَحْسِنُهُ وَجُوزُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(١) أَيْ وَلَا تَهَيِّجُ لِفَتْنَةِ وَالثَّر . (٢) سُورَةُ النُّورِ : ٤٣ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « الْقَشِيرِيُّ » وَهُوَ تَصْحِيفُ صَوَابِهِ مَا أَثْبَتْنَا كَافِي الْقَاضِي عِيَّاضٍ ص ١٢١ .

(٤) الشَّافِعِيُّ ٢ ص ١١٦ — ١٢٣ .

منها ما ذكره القاضي أبو بكر في أجوبته عن هذا الحديث ، قال :
 لعن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك أثناء تلاوته ، على تقدير التقرير والتوبيخ
 للكفار ، لقول إبراهيم عليه السلام : ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ ^(١) على أحد التأويلات ،
 يريد : أهذا ربِّي ؟ ! ولقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ ^(٢) بعد السكت وبيان الفصل بين
 الكلامين ، ثم رجع إلى تلاوته ، وهذا ممكن مع بيان الفصل وقرينة تدل على المراد ،
 وأنه ليس من الملتق . قال القاضي عياض : ولا يعترض على هذا بما روى أنه كان
 في الصلاة ، فقد كان الكلام فيها قبل [غير] ممنوع ، قال : والذي يظهر ويترجح
 في تأويله عند القاضي أبي بكر ، وعند غيره من المحققين على تسليمه ، أن النبي
 صلى الله عليه وسلم كان كما أمره ربه يرتل القرآن ترتيبا ، ويفصل الآي
 تفصيلا في قراءته ، كما رواه الثقات عنه ، فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكات
 ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات مما يكاد نعمة النبي صلى الله عليه وسلم
 بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار ، فظنوها من قول النبي صلى الله عليه
 وسلم وأشاعوها ، ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على
 ما أنزلها الله تعالى ، وتحققهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الأوثان
 وعيبها ما عرف منه . وقد حكى موسى بن عقبة في مغازيه نحو هذا ، وقال :
 إن المسلمين لم يسمعوها ، وإنما ألقى الشيطان ذلك في أسماع المشركين وقلوبهم .

قال القاضي عياض : ويكون ما روى من حزن النبي صلى الله عليه وسلم
 لهذه الإشاعة والشبهة ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ

(١) سورة الأنعام : ٧٦ . (٢) سورة الأنبياء : ٦٣ .

(٣) ساقطة من الأصل . والتكلمة عن الشفاء . ج ٢ ص ١٢٢ .

وَلَا تَجِبْ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ^(١) الآية ، فمعنى (تَمَنَّى) تلا ، قال
الله تعالى : (لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي^(٢)) أى تلاوته ، وقوله : (فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي
الشَّيْطَانُ) أى يذهبه ويزيل اللبس به ، ويحكم آياته ، قال : ومما يظهر فى تأويله
أىضا أن مجاهدا روى هذه القصة : «والغرائقة العلاء» . فإن سلمنا القصة قلنا :
لا يبعد أن هذا كان قرآنا ، والمراد بالغرائقة العلاء ، وأن شفاعتهم لترجى :
الملائكة على هذه الرواية ، وبهذا فسر الكلبي الغرائقة أنها الملائكة ، وذلك أن
الكفار كانوا يعتقدون الأوثان والملائكة بنات الله ، كما حكى الله عنهم ورد عليهم
فى هذه السورة بقوله : (أَلَمْ يَذْكُرُوا لَهُ^(٤) الْآثِنَى) ، فانكر الله كل هذا من قولهم ؛
ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح ، فلما تأوله المشركون على أن المراد بهذا الذكر
آلهتهم ، ولبس عليهم الشيطان ذلك ، وزينه فى قلوبهم ، وألقاه إليهم ؛ نسخ
الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته ، ورفع تلاوته تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان
بهما للتلبس سبيلا ، كما نسخ كثيرا من القرآن ورفعت تلاوته . قال : وكان فى إزال
الله تعالى لذلك حكمة ، وفى نسخه حكمة ، ليضل به من يشاء ، ويهبدى من يشاء
وما يضل به إلا الفاسقين ، و (لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فى قُلُوبِهِمْ
مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفى شِقَاقٍ بَعِيدٍ . وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ^(٥) قُلُوبُهُمْ) .

وقيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة [وبلغ إلى ذكر

اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، خاف الكفار أن يأتى بشيء من ذمها ، فسبقوا

(١) سورة الحج : ٥١ ، وذكر القرطبي خبر القاضي عياض عند تفسيره للآية ج ١٢ ص ٨٢ .

(٢) سورة البقرة : ٧٨ . (٣) سورة الحج : ٥٢ . (٤) سورة النجم : ٢١ .

(٥) سورة الحج : ٥٤ ، ٥٣ .

إلى [مدحها بتلك الكلمتين؛ ليخطبوا تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ويشغبوا عليه على عادتهم، وقولهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْقَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَقْلِبُونَ﴾^(١)، ونُسب هذا الفعل إلى الشيطان لحمله لهم عليه، وأشاعوا ذلك وأذاعوه، وأن النبي صلى الله عليه وسلم حزن لذلك من كذبهم وافترائهم عليه، فسلّاه الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٢) الآية، وبين للناس الحق من ذلك من الباطل، وحفظ القرآن وأحكم آياته، ودفع ما لبس به العدو؛ كما صمّته الله تعالى من قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٣) الآية، هذا ما ورد في الجواب عن هذا الحديث. فلنرجع إلى تمة أخباره وسيره صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا.

ذكر الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة ومن هاجر إليها

من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الواقدي: لما قدم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الهجرة الأولى اشتد عليهم قومهم، ونيطت بهم عشائهم، ولقوا منهم أذى شديدا، فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج إلى أرض الحبشة مرة ثانية، فقال عثمان بن عفان: يا رسول الله؛ فهجرتنا الأولى، وهذه الآخرة إلى النجاشي؟ ولست معنا، فقال صلى الله عليه وسلم: أنتم مهاجرون إلى الله وإلى، لكم هاتان الهجرةتان جميعا، قال عثمان: فحسبنا يا رسول الله.

قال ابن سعد: وكان عدة من خرج في هذه الهجرة من الرجال ثلاثة وثمانون ومن النساء إحدى عشرة امرأة قرشية، وسبع غرابط. وقد عدّهم أبو محمد عبد الملك بن هشام حسبا رواه عن محمد بن إسحاق بن يسار - رحمهم الله تعالى -

(١) ساقطة من الأصل، والتكلمة عن الشفاء ٢: ١٢٤ (٢) سورة فصلت: ٣٦

(٣) سورة النحل: ٤٣ (٤) سورة الحجر: ٩

فلم يزد على ذلك . وأورد أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر الترمي رحمه الله في كتاب (الاستيعاب) ؛ في تراجم جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم ؛ أنهم ممن هاجروا إلى أرض الحبشة ممن لم يذكرهم ابن هشام ، ونحن نذكرهم إن شاء الله تعالى ونُذِّبُهُ عليهم .

- ٥ قال ابن هشام : كان منهم من بنى هاشم بن عبد مناف ، جعفر بن أبي طالب معه امرأته أسماء بنت عُمَيْس ^(١) ولدت بأرض الحبشة عبد الله بن جعفر ، ومن بنى أمية بن عبد شمس عثمان بن عفان رضي الله عنه ، معه امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمر بن سعيد بن العاص بن أمية ، معه امرأته فاطمة بنت صفوان ، وأخوه خالد بن سعيد ، معه امرأته أمينة بنت خلف بن أسعد الخزاعية ، ويقال فيها هُمَيَّة ، ولدت بأرض الحبشة سعد بن خالد ، وأمنة بنت خالد .
- ١٠ ومن حلفائهم من بنى أسد بن خزيمه عبد الله بن جحش بن رثاب ، وأخوه عبيد الله ابن جحش ، معه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب . وذكر أبو عمر في ترجمة عبد الله بن جحش أنه هاجر إلى أرض الحبشة مع أخويه أبي أحمد وعبد الله ، فعلى هذا يكون أبو أحمد ممن هاجر إلى الحبشة ؛ واسمه عبد بن جحش ، وكان أعمى ، وعد أيضا محمد بن عبد الله بن جحش أنه هاجر مع أبيه وكان صغيرا .
- ١٥ قال ابن هشام : وقيس بن عبد الله رجل من بني أسد بن خزيمه ، معه امرأته بركة بنت يسار [مولاة] ^(٣) أبي سفيان بن حرب ، ومُعَيْقِب بن أبي فاطمة ؛ [وهؤلاء] ^(٤) آل سعيد بن العاص .

(١) في الأصل « عيس » والصواب عن ابن هشام ، والسيرة الحلية ، والاستيعاب .

(٢) رواية ابن هشام « سعيد بن خالد » . (٣) ساقطة من الأصل . والتكلمة من ابن هشام .

١ : ٢٤٦ ، وابن كثير ٣ : ٦٧ . (٤) ساقطة من الأصل . والتكلمة عن ابن هشام .

وفي ابن كثير ٣ : ٦٧ « وهو من موالى سعيد بن العاص » .

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس .
 قال أبو عمرو : معه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو ، ولدت له هناك .
 محمد بن أبي حذيفة : قال ابن هشام : وأبو موسى الأشعري وأسمه عبد الله
 ابن قيس . قال أبو عمر في ترجمة عبد الله بن قيس : الصحيح ^(١) أن أبا موسى رجع بعد
 قدومه مكة ، ومخالفته من حالف من بنى عبد شمس إلى بلاد قومه ، فأقام بها حتى قدم
 مع الأشعريين نحو خمسين رجلا في سفينة ، فألقتهم الريح إلى النجاشي بأرض الحبشة
 فوافقوا خروج جعفر وأصحابه منها ، فأتوا معهم ، وقدمت السفينتان معا : سفينة
 الأشعريين ، وسفينة جعفر وأصحابه . والله تعالى أعلم بالصواب .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف : عتبة بن غزوان حليف لهم من بنى مازن ؛
 ومن بنى زمنة بن زبيعة وعمرو بن أمية بن الحارث مات بالحبشة .
 قال أبو عمرو بن عبد البر في ترجمة خالد بن حزام بن خويلد بن أسد : إنه هاجر
 إلى أرض الحبشة في المرة الثانية ، فمشته حية ، فأتى في الطريق قبل وصوله ،
 والله المستعان وإليه المرد .

ومن بنى عبد [الدار] ^(٢) بن قصي ^(٣) مصعب : بن عمير بن هاشم بن عبد مناف
 ابن عبد الدار ، وسويط بن سعد بن حريمة ^(٤) بن مالك بن عُميلة ^(٥) بن السباق
 ابن عبد الدار ، وجهم بن قيس بن عبد بن شريحيل بن هاشم بن عبد الدار
 معه امرأته [أم] ^(٦) حرملة بنت عبد بن الأسود الخزاعية — ويقال : حريملة —
 وابناه عمرو بن جهم ، وخزيمة بن جهم ، وأبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف ؛

(١) الاستيعاب ١ : ٣٩٢ (٢) في الاستيعاب ١ : ١٥٩ : «أسيد» . (٣) الزيادة

عن ابن هشام ١ : ٣٤٧ (٤) في الأصل «سوسط» تصحيف . (٥) في ابن هشام وغيره :

«حرملة» . (٦) الزيادة عن ابن هشام ١ : ٣٤٧ ، والاستيعاب ٦ : وابن كثير .

ابن عبد الدار بن قُصي أخو مصعب ، و فراس بن النضر بن الحارث بن علقمة
ابن كَلْدَة بن عبد مناف بن عبد الدار . وقال أبو عمر في ترجمة أبي بكر : ^(١) مولى لبني
عبد الدار ؛ قال يقال : إنه من الأزْد كان ممن عذب في الله فلم يزل كذلك حتى
كانت الهجرة الثانية مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن بني زهرة بن كلاب عبد الرحمن بن عوف ، وعامر بن أبي وقاص ،
وأبو وقاص مالك بن وهيب ، والمطلب بن أزهري بن عبد عوف ، معه امرأته رملة
بنت أبي عوف ، ولدت له بارض الحبشة عبد الله بن المطلب . قال أبو عمر بن عبد البر :
وطيب بن أزهري بن عبد عوف وأخوه المطلب ، هاجر مع أخيه إلى أرض الحبشة
وبها ماتا جميعا .

قال ابن هشام : ومن حلفائهم من هذيل : عبد الله بن مسعود ، وأخوه عتبة بن مسعود .
ومن بهراء المقداد بن عمرو بن ثعلبة ، وكان يقال له : المقداد بن الأسود
ابن عبد يغوث بن عبد مناف بن زهرة ، وذلك أنه كان تبناه في الجاهلية وحالفة .
حكاه ابن إسحاق .

ومن بني تيم بن مرة الحارث بن خالد بن صخر ، معه امرأته ربيعة بنت الحارث
ابن جبيلة ، ولدت له بارض الحبشة موسى بن الحارث ، وزينب بنت الحارث ،
وفاطمة بنت الحارث ، وعمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة .
ومن بني مخزوم أبو سلمة بن عبد الله بن عبد الأسد بن هلال ، معه
امرأته أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة ، ولدت له بارض الحبشة زينب ،
وشماسا واسمه عثمان بن عثمان بن الشريد ، وهبار بن سفيان بن عبد الأسد ، وأخوه
عبد الله بن سفيان ، وهشام بن أبي حذيفة بن المغيرة ، وسلمة بن هشام بن المغيرة

(١) كذا بالأصل ، ولم نثر على هذا القول لابن عبد البر في كتاب : الاستيعاب ، في ترجمة أبي بكر .

(٢) زاد ابن هشام « عائشة بنت الحارث » .

وعياش بن أبي ربيعة بن المنيرة . ومن حلفائهم معتب بن عوف بن عامر — وهو الذى يقال له عيامة — ونسبه أبو عمر فقال : معتب بن عوف بن عمر بن الفضل ابن عفيف بن كليب بن حبشية . قال ابن هشام ، ويقال : حبشية بن سلول ، وهو الذى يقال له : معتب بن حمراء ، وعمار بن ياسر . ذكره أبو عمر ، وشك فيه ابن هشام .

ومن بنى جُمح عثمان بن مظعون ، وابنه السائب بن عثمان ، وأخواه قدامة وعبد الله ابنا مظعون . قال أبو عمر : والسائب بن مظعون ممن هاجر إلى أرض الحبشة ، وهو أخو عثمان لأبويه ، حكاه عن العدوى . قال ابن هشام : وحاطب ابن الحرث بن معمر ، معه امرأته فاطمة بنت المجلل بن عبد الله ، وابناه محمد والحارث ، وقيل ولدا هناك ، وأخوه حطاب بن الحارث ، معه امرأته فكيمة بنت يسار ، وقيل : ولدت له ابنة محمدًا هناك ؛ وسفيان بن معمر بن حبيب معه ابناه : جابر وجنادة ، ومعه امرأته أمهما حسنة ، وابنها شرحبيل بن حسنة ، وهو شرحبيل بن عبد الله أحد بنى القوث بن مرة ، وقال موسى بن عقبة عن ابن شهاب : هو شرحبيل بن عبد الله من بنى جُمح ، وعثمان بن ربيعة بن أهبان بن وهب ابن حذافة بن جُمح . قال الواقدي : ونبيه بن عثمان بن ربيعة . والله أعلم .

ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصيص : خُنيس بن حذافة ، وعبد الله ابن الحارث ، وهشام بن العاص بن وائل ، وقيس بن حذافة ، وأبو قيس بن الحارث ابن قيس ، وعبد الله بن حذافة بن قيس ، والحارث بن الحارث بن قيس ، ومعمر ابن الحارث بن قيس ، وبشر بن الحارث بن قيس ، وأخ له من أمه من بنى تميم ، يقال له : سعيد بن عمرو ، وسعيد بن الحارث بن قيس ، والسائب

(١) في الأصل « خطاب » ويواظفه ابن كثير — والصواب عن ابن هشام والاستيعاب ، مرأسد الغابة .

ابن الحارث بن قيس . وقال أبو عمر : وتيم بن الحارث بن قيس ، والحارث
ابن قيس بن عدى ، وهو والد بشر والحارث ، وعُمير بن رثاب بن حذيفة ، ومجبة
ابن جزء حليف لهم من زُبَيْد .^(١)

ومن بني عدى بن كعب معمر بن عبد الله بن نضلة ، وعُروة بن عبد العزى ،
وعدى بن نضلة وابنه النعمان ، فمات عدى بالحبشة ، فورثه ابنه النعمان ، وهو أول
وارث في الإسلام ، وعامر بن ربيعة حليف لآل الخطاب ، معه امرأته ليسلى
بنت أبي حنمة .

ومن بني عامر بن لؤى أبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى معه امرأته أم كلثوم
بنت سهيل بن عمرو ، وعبد الله بن محزمة بن عبد العزى ، وعبد الله بن سهيل بن
عمرو بن عبد شمس ، وسليط بن عمرو بن عبد شمس ، وأخوه السكران بن عمرو ، معه
امرأته سودة بنت زمعة ، ومالك بن ربيعة بن قيس معه امرأته عمرة بنت السعدى ،
وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ، وسعد بن خولة حليف لهم من اليمن .

ومن بني الحارث بن فهر أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح ، وسهيل بن وهب
وهو ابن بيضاء ، وعمرو بن أبي مروح بن ربيعة ، وعياض بن زهير بن أبي شداد ،
وعمر بن الحارث بن زهير ، وعثمان بن عبد غنم بن زهير ، وسعد بن عبد قيس
ابن لقيط بن عامر ، والحارث بن عبد قيس بن لقيط . وقال أبو عمر بن عبد البر :
إن عبد الله بن عُرفطة بن عدى بن أمية بن خدادة بن عوف بن النجار بن الخزرج
بأنصارى هاجر إلى أرض الحبشة مع جعفر بن أبي طالب ، وهو حليف لبني
الحارث بن الخزرج ، وذكره ابن منده أيضا فجميع من هاجر على هذا الحكم^(٢)

(١) في الأصل «الحارث» وصوبناه عن ابن عبد البر . (٢) أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب
ابن منده الأصفهاني ، ولد سنة ٤٣٤ ، ومات سنة ٥١٢ بأصفهان . ابن خلكان (٥ : ٢١٧) .

بما فيه من زيادات ابن عبد البر؛ خلا أبناءهم الذين خرجوا معهم صفارا، ومن ولد هناك أنثيان وتسعون رجلا، وثمانى عشرة امرأة، والأبناء الصغار سبعة . والله أعلم .

ذكر إرسال قريش إلى النجاشي في شأن من هاجر إلى الحبشة،

وطلبهم منه وإسلامه

عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار، النجاشي^(١)، [أَمِنًا] على ديننا، وعبدنا الله لا نُؤَدِّي، ولا نسمع شيئا نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشا أتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جلدنين، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يُستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم، فجمعوا له أدمًا كثيرا، ولم يتركوا من بطارقه بطريقا إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص، وقالوا لهما : ادفعنا إلى كل بطريق هديته قبل أن نكتبها للنجاشي فيهم، ثم قدمنا إلى النجاشي هداياه، ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكتبهم . قالت : فخرجا حتى قدما على النجاشي، ونحن عنده بخير دار، فلم يبق من بطارقه بطريق إلا دفعنا إليه هديته قبل أن يكتبها للنجاشي، وقالوا لكل بطريق منهم : إنه قد ضوى إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أئمت، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشرف قومهم لتردهم إليهم، فإذا كتبنا الملك فيهم فأشيروا عليه أن يسلمهم إلينا ولا يكتبهم، فقالوا : نعم، ثم إنهما قدما هداياهما إلى النجاشي فقبلها، ثم كتباه فقالا : أيها الملك، إنه قد

(١) الزيادة من ابن هشام ١ : ٣٥٨ .

(١) ضوى إلى بلدك منّا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، جاءوا بدين أبدعوه ، لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آباؤهم وأعمامهم وعشائريهم لتردهم عليهم ، فهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه . قالت : ولم يكن شيء أنفض إلى عبد الله وعمره من أن يسمع إلى كلامهم النجاشي ، فقالت بطارفته : صدقا أيها الملك ، قومهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه ، فأسلمتهم لها فليردها إلى بلادهم وقومهم ، قالت : فغضب النجاشي وقال : لاها الله ! إذا لا أسلمهم إليهما ، ولا يكاد قوم جاوروني ، ونزلوا بلادى ، واختاروني على من سواي ، حتى أذعوه فأسلمهم عما يقول هذان في أمرهم ، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهن منهم ، وأحسنت جوارهم ما جاوروني .

قالت : ثم أرسل إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا أجمعه ، قالوا : نقول والله ما علمنا وما أمرنا نبينا ، كأننا في ذلك ما هو كان ، فلما جاءوا وقد دعا النجاشي أساقفته ، فنشروا مصاحفهم حوله ، سالم فقال : ما هذا الدين الذى فارقم فيه قومكم ، ولم تدخلوا به في ديني ، ولا في دين أحد من هذه الملل ؟ فكان الذى كلمه جعفر بن أبى طالب فقال : أيها الملك ، كما قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام [ونأكل الميتة] ، ونأنى الفواحش ، ونقتطع الأرحام ، ونسئ الجوار ، ويأكل القوى .

(١) ضوى : جأ . (٢) في الأصل : « قال » ، والصواب عن (ابن هشام ٢ : ٣٥٩) :

(٣) كذا في الأصل . ورواية ابن هشام والديار بكرى في تاريخ الخميس ١ : ٢٩٠ « منعتهن منها » .

(٤) في ابن هشام والديار بكرى « جشموه » . (٥) الزيادة من ابن هشام .

(٦) في ابن هشام والديار بكرى « تقطع » .

منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة [و] الأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . قالت : فعدد عليه أمور الإسلام ، فصدقناه ، وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا ، وحرمتنا [ما]^(١) حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا فعذبونا وقتلونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ، ورجعنا في جوارك ورجونا ألا تطعم عندك أيها الملك ، فقال النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله من شيء ، قال : نعم ، قال : فاقرأه علي ، فقرأ عليه صدرا من (كهيعص)^(٢) ، قال : فبكي والله النجاشي حتى اخضلت لحيته ، وبكت أسافته حتى اخضلت مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم ، ثم قال النجاشي : إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة إنطافا فلا والله لا أسلمهم إليكم ، ولا يكادون .

قالت : فلما خرجنا من عنده قال عمرو بن العاص : والله لآتينه غدا عنهم بما أسأئصل به خضرأهم ، فقال له عبد الله بن أبي ربيعة : لا تفعل فإن لهم أرحاما ، وإن كانوا قد خالفونا ، قال : والله لأخبرته أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم

(١) سافطة من الأصل . (٢) في الأصل : « مما » والصواب عن ابن هشام .

(٣) سورة مريم : ١

(١) عبد. قالت: ثم غدا عليه [من] الغد فقال: يا أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما، فأرسل إليهم فاسألهم عما يقولون فيه، فأرسل إليهم فاسألهم عنه. قالت أم سلمة: ولم ينزل بنا مثلها، فاجتمع القوم، ثم قال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى بن مريم إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله كما قال الله، وما جاءنا به نبينا، كأننا في ذلك ما هو كائن. قالت: فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى بن مريم؟ فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبينا، نقول هو عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، قالت: فضرب النجاشي بيده إلى الأرض، ثم أخذ منها عودا، ثم قال: ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العود. فناخرت بطارقه من حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم، والله أتم شيوم بأرضي - والشُّيُوم: الآتون - من سبكم غيرم، من سبكم غيرم، من سبكم غيرم! وما أجب أن لي دبرا من ذهب، وأنى آذيت رجلا منكم - والذِّبْر بلسان الحبشة الجبل - ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، فأخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في فاطمهم فيه. قالت: نخرجا من عنده مقبوخين مردودا عليهما ما جاء به. وأقننا عنده بخير دار مع خير جار، حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة.

٨٦
١٤

قال الزهري: فحدثت عروة بن الزبير حديث أم سلمة قال: هل تدري ما قوله: «ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي. فأخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في فاطمهم فيه»؟ قلت: لا، قال: فإن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حدثتني

(١) زيادة عن ابن هشام. (٢) نخرت الأساقفة: تكلمت بلغتهم. (الديار بكرى ١:

٢٩١). وفي ابن هشام «تناخرت». (٣) في الأصل «حدثت» والصواب ما أنشأه

عن ابن هشام، والديار بكرى:

أن أباه كان ملك قومه، ولم يكن له ولد إلا النجاشي، وكان للنجاشي ثمن له من صلبه اثنا عشر رجلاً، وكانوا أهل بيت مملكة الحبشة، فقالت الحبشة بينها: لو أنا قتلنا أبا النجاشي، وملكنا أخاه فإنه لا ولد له غير هذا الغلام، وإن لأخيه من صلبه اثني عشر رجلاً يتوارثون^(١) ملكه من بعده، فعدوا على أبي النجاشي فقتلوه وملكوا أخاه، فمكثوا على ذلك حيناً، ونشأ النجاشي مع عمه، وكان ليبياً حازماً، فغلب على أمر عمه، ونزل منه بكل منزلة، فلما رأت الحبشة مكانه منه، قالت: والله لقد غلب هذا الفتى على أمر عمه، وإنا لتخوف أن يملكه علينا، وإن ملكه علينا قتلنا أجمعين، لقد عرف أننا نحن قتلنا أباه. فمشوا إلى عمه فقالوا: إما أن تقتل هذا الفتى، وإما أن تخرجه من بين أظهرنا، فإننا قد خفناه على أنفسنا، قال: ويلكم! قتلتم أباه بالأمس وأقتله اليوم! بل أخرجه من دياركم، فخرجوا به إلى السوق؛ فباعوه من رجل من التجار بستائة درهم، ففداه في سفيته وانطلق به حتى إذا كانت العشاء من ذلك اليوم؛ حاجت سحابة من سحب الخريف، فخرج عمه يستمطر تحتها، فأصابته صاعقة فقتلته، ففزع الحبشة إلى ولده، فإذا هو محقق ليس في ولده خير، فخرج على الحبشة أمرهم، فلما ضاق عليهم ما هم فيه من ذلك قال بعضهم لبعض: تعلموا والله أن ملككم الذي لا يقيم أمركم غيره للذي بعم غدوة^(٢)، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدركوه، قال: فخرجوا في طلبه، فأخذوه من الرجل الذي باعوه له، ثم جاءوا به فعمدوا عليه التاج، وأقعدوه على سرير

(١) في الأصل « يتوارثوا » وهو تحريف .

(٢) في الأصل « علت » ، والصواب عن ابن هشام (١ : ٢٢٢) .

(٣) في الأصل « ملك » ، والصواب عن ابن هشام ، والذيار بكري .

(٤) في الأصل « يقيم » ، والصواب عن ابن هشام ، وفي الذيار بكري « يثبه » .

الملك وملكوه، فجاءهم التاجر الذي باعوه منه، فقال: إما أن تعطوني مالي، وإما أن أكله في ذلك، قالوا: لا نعطيك شيئا، قال: فإذا والله أكله، قالوا: فدونك. فجاء بفلس بين يديه، فقال: أيها الملك، ابتعتُ غلاما من قوم في السوق بستمئة درهم، فأسلموا إلى غلامي، وأخذوا دراهمي، حتى إذا سرت بغلامي؛ أدركوني فأخذه مني، ومنعوني دراهمي، فقال لهم النجاشي: لتعطينه دراهمه أو ليضعن غلامه يده في يده؛ فليذهبن به حيث شاء، قالوا: بل نعطيه دراهمه. قالت: فلذلك يقول: «ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، فأخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في فأطيع الناس فيه». قال: وكان ذلك أول ما خبر من صلابته في دينه، وعدله في حكمه.

قال ابن إسحاق، وحدثني جعفر بن محمد عن أبيه، قال: اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي: إنك فارقت ديننا، وخرجوا عليه. فأرسل إلى جعفر وأصحابه فهاهم سقنا، وقال: اركبوا فيها وكونوا كما أتم، فإن هُزِمْتُ فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، وإن ظفِرْتُ فائتوا. ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه: هو يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، ويشهد أن عيسى عبده ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، ثم جعلها في قبائه عند المنكب الأيمن، وخرج إلى الحبشة وصدقوا له، فقال: يا معشر الحبشة، ألسن أحق الناس بكم؟ قالوا: بل، قال: فكيف رأيتم سيرتي فيكم؟ قالوا: خير سيرة، قال: فما بالكم؟ قالوا: فارقت ديننا، وزعمت أن عيسى عبد، قال: فأتقولون أتم في عيسى؟ قالوا: نقول: هو ابن الله. فقال النجاشي ووضع يده على صدره على قبائه: هو يشهد أن عيسى بن مريم، لم يزد على هذا شيئا، وإنما يعني ما كتب، فرضوا وأنصرفوا، فبلغ ذلك النبي.

(١) كذا في الأصل. والذي في ابن هشام «جعله» وهو أظهر.

(٢) في الأصل: «اللات»، وهو تحريف؛ والتصويب غي كين هشام.

صلى الله عليه وسلم، فلما مات النجاشي صلى عليه، وأستغفر له . وسند كذا إن شاء الله تعالى خبر إسلامه .

ذكر إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
 " اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك : بعمر بن الخطاب ، أو أبي جهل بن هشام " . وعن سعيد بن المسيب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى عمر بن الخطاب أو أبا جهل بن هشام قال : " اللهم أشدد دينك بأحبهما إليك " فشد دينه بعمر، وعنه صلى الله عليه وسلم : " اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب " .

قال ابن إسحاق ومحمد بن سعد في طبقاته : ليس بينهما تناف إلا في مغايرة بعض الألفاظ ، أو زيادة أو ردها أحدهما دون الآخر، ونحن نورد ما يتعين إيراده منها .

قالا : خرج عمر بن الخطاب متوشحا سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطا من أصحابه ، قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الضفءاء ، وهم قريب أربعين : من بين رجال ونساء ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة بن عبد المطلب ، وأبو بكر بن أبي قحافة ، وعلي بن أبي طالب في رجال من المسلمين من كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة ، فلقبه نعيم بن عبد الله النحام ، وهو رجل من قومه من بني عدى بن كعب كان قد أسلم وهو يخفي إسلامه عن عمر ، فقال : أين تريد يا عمرا ؟ فقال :

(١) في الأصل : « أبا جهل » ، وهو تحريف .

(٢) عبارة ابن هشام : « وهم قريب من أربعين : ما بين رجال ونساء » :

(١) أريد مجداً، هذا الذي فرق أمر قريش وسفّه أحلامها، وعاب دينها، وسب آلهتها، فاقته . فقال له نعيم : لقد غرّك نفسك يا عمر، أترى بني عبد مناف تاركك تمشي (٢) على الأرض وقد قتلت مجداً ! فقال عمر : ما أراك إلا قد صبوت وتركت دينك الذي أنت عليه ؛ قال : أفلا أدلك على العجب يا عمر ؟ إن ختنك وأختك قد صَبَوَا وتركَا دينك الذي أنت عليه .

قال ابن إسحاق : فقال له نعيم : أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟ قال : وأى أهل بيتي ؟ قال : ختنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو، وأختك فاطمة بنت الخطاب ، فقد والله أسلما وتابعا مجداً على دينه ، فعليك بهما ، قال : فرجع عمر عامداً إلى أخته وختنه ، وعندهما خباب بن الأرت ، معه صحيفة فيها : ((طه)) يقرئها إياها ، فلما سمعوا حسن عمر تغيب خباب في مخدع لهم - أوفى بمض البيت - وأخذت فاطمة الصحيفة فجعلتها تحت فخذيها (٣) ، فلما دخل عمر قال : ما هذه الهينة (٤) التي سمعتُ ؟ قالوا : ما سمعت شيئاً ، قال : بلى والله ، لقد أخبرت أنكما (٥) أتبعنا مجداً على دينه . فقال له ختنه : أرايت يا عمر إن كان الحق في غير دينك ! فوثب عمر على ختنه فبطش به ووطئه ووطئا شديداً ، فقامت إليه أخته فاطمة لتكفه عن زوجها ، فضر بها فشجها ، فلما فعل ذلك قالوا : نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله ، فأصنع ما بدا لك . فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع

(١) رواية ابن هشام : « هذا الصابي الذي فرق أمر قريش » .

(٢) في ابن هشام « قمك من قمك » .

(٣) زاد في ابن هشام : « وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عظيمها » .

(٤) الهينة : الكلام الخفي الذي لا يفهم .

(٥) في ابن هشام : « تابعتا » .

(١) فارغوى، وقال [لأخته] (٢) : أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتمكم قراءون أننا أنظر ما هذا الذي جاء به محمد - وكان عمر كاتبنا - فقالت له أخته : إنا نخشاك عليها (٣) ، قال : لا تخافي، وحلف لها بألمته ليردّها إذا قرأها إليها ، فطمعت في إسلامه وقالت له : يا أحمى إنك نجس على شركك ، وإنه لا يمسيها إلا الطاهر ، فقام عمر فأغتسل ، فأعطته الصحيفة وفيها (٤) طه ، فلما قرأ منها صدرا قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه ! فلما سمع ذلك خباب بن الأرت خرج إليه ، فقال له : يا عمر ، والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ، فإني سمعته أمس يقول : ” اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام ، أو بعمر بن الخطاب “ ، فالتفت إليه يا عمر ! فقال له عمر : فدلتني على محمد حتى آتته فأسلم ، فقال له خباب : هو في بيت عند الصفا معه نفر من أصحابه ، فأخذ عمر سيفه فتوشحه ، ثم عمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فضرب عليهم الباب ، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنظر من خلل الباب ، فرآه وهو فزع ، فقال : يا رسول الله ، هذا عمر بن الخطاب متوشحا بالسيف ، فقال حمزة : فأذن له ، فإن كان جاء يريد خيرا بذلناه له ، وإن كان يريد شرا قتلناه بسيفه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” إيدن له “ فأذن له الرجل ، ونهض إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه في الحجر ، فأخذ بمحجزته - أو يجمع رداءه - ثم جبهه جبذة شديدة ، وقال : ” ما جاء بك يا بن الخطاب ؟ “ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى يتزل الله بك فارة “ . قال أنس بن مالك في روايته : ” حتى يتزل الله بك من الخزي

(١) ارغوى : كف . (٢) التكلة عن ابن هشام (١ : ٣٦٩) .

(٣) في الأصل «علينا» ، وما أثبتناه عن ابن هشام .

(٤) زاد ابن هشام « فرآه متوشحا بالسيف » ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فزع .

ما أنزل بالوليد بن المغيرة". فقال عمر : يا رسول الله ، جئت لك لأؤمن بالله ورسوله وبما جاء به من عند الله ، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرف بها أهل البيت أن عمر قد أسلم .

قال محمد بن سعد بن منيع في طبقاته : أسلم عمر بن الخطاب بعد أن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار ابن الأرقم بعد أربعين أوتيف وأربعين من رجال ونساء قد أسلموا قبله .

وقال ابن المسيب : أسلم عمر بعد أربعين رجلا وعشرين نسوة .

وعن عبد الله بن ثعلبة قال : أسلم عمر بعد خمسة وأربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة .

وردد هذه الأقوال أن إسلام عمر كان بعد الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة ؛ وقد تضافرت الروايات أن أهل الهجرة كانوا أكثر من ثمانين رجلا ، ولعل إسلامه وقع وفي مكة ممن أسلم هذه العينة التي ذكرت ؛ خلاف من هاجر إلى أرض الحبشة . والله أعلم .

قال ابن إسحاق : حدثني نافع عن ابن عمر رضي الله عنهم قال : لما أسلم عمر بن الخطاب قال : أي قريش أنقل للحديث ؟ قيل : جميل بن معمر الجمحي ، قال : فغدا عليه ، قال عبد الله بن عمر : وغدوت معه أتبع أثره وأنظر ماذا يفعل

(١) في ابن هشام : « نافع مولى عبد الله بن عمر » .

(٢) جميل بن معمر هذا هو الذي يقال له : ذو القلين ، وفيه نزات « ما جعل الله لرجل من قلين في جوفه » وفيه بقول الشاعر :

وكيف تراني بالمدينة بعد ما قضى وطرا منها جميل بن معمر

وأنا غلام أعقل^(١) كل ما رأيت، حتى جاءه، فقال : أعلمت يا جميل أنى أسلمت ودخلت في دين مجد ؟ قال : فوالله ما راجعته حتى قام يميز رداءه ، وأتبعه عمر وأتبعته أبى ، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته : يامعشر قريش - وهم في أنديتهم حول الكعبة - ألا إن ابن الخطاب قد صبأ^(٢)، فيقول عمر من خلقه : كذبت ، ولكنى أسلمت ، وشهدت أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وثأروا إليه ، فما برح يقاتلهم ويقاثلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم . قال : وطلح - يعنى أعيأ - وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم ، فأحلف بالله لو قد كنا ثلثائة لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا .

فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى^(٣) ، حتى وقف عليهم فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : صبأ عمر ، قال : قمه ! رجل أختار لنفسه أمرا فماذا تريدون ؟ أترون بنى عدى بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا ! خلوا عن الرجل ، قال : فوالله لكأنما كانوا ثوبا كشط عنه . قال : فقلت لأبى بعد أن هاجر إلى المدينة : يا أبة ، من الرجل الذى زجر القوم عندك بمكة يوم أسلمت وهم يقاثلونك ، جزاه الله خيرا ؟ قال : ذاك العاص ابن وائل السهمي ، لا جزاه الله خيرا .

قال عبد الله بن مسعود : ما كنا نقدر أن نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم قاتل قريشا وصلى عند الكعبة وصلينا معه . وقال : إن إسلام عمر كان فتحا ، وإن هجرته كانت نصرا ، وإن إمارته كانت رحمة .

(١) في الأصول : « أغيل » ، وهو تصحيف ، وما أثبتناه عن ابن هشام وابن كثير (٣ : ٨١)

والمواهب (١ : ٣٣٢) . (٢) صبأ ، ككرم ومنع : خرج من دين إلى دين .

(٣) الحبرة : ضرب من برود اليمن .

وعن صهيب بن سنان قال : لما أسلم عمر ظهر الإسلام ، ودُعي إلى الله علانية ، وجلسنا حول البيت حلقا ، وطفنا بالبيت ، وانتصفنا ممن غلظ علينا ، ورددنا عليه بعض ما يأتي به .

وكان إسلام عمر في ذي الحجة من السنة السادسة من النبوة ، وهو ابن ست وعشرين سنة .

ذكر تعاقد قريش على بني هاشم وبني المطلب

وأنحياز بني هاشم وبني المطلب إلى أبي طالب ودخولهم في شعبه

قال محمد بن إسحاق وغيره من أهل السير : لما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلدا أصابوا فيه أمنا وقزارا ، وأن النجاشي قد أكرمهم ، ومنع [من لحا^(١) إليه] منهم ، وأن عمر قد أسلم قبله حمزة بن عبد المطلب ، وجعل الإسلام يفسو في القبائل ، اجتمعوا وآثمروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب ، على ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئا ولا يتاعوا منهم . فلما اجتمعوا لذلك كتبوا صحيفة ، ثم تعاهدوا وتعاقدوا وتوافقوا على ذلك ، ثم علّقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم . وكان كاتب الصحيفة^(٢) منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن

(١) الزيادة من ابن هشام .

(٢) أكثر المصادر على أن كاتب الصحيفة هو منصور بن عكرمة . وفي المواهب : أنه هشام

ابن عمرو بن الحارث ؛ وقيل طلحة بن أبي طلحة ، وقيل منصور بن عبد شريحيل . راجع ابن هشام

(١ : ٣٧٥) ، والسيرة الحلبية (١ : ٣٦٦) ، وعيون الأثر (١ : ١٢٦) ، والديار بكرى

(١ : ٢٩٧) ، والبدية (٣ : ٩٦) ، والمواهب (١ : ٣٣٥) .

عبد الدار بن قصي ، ويقال : عمه بغيض بن عامر ، قاله الزبير وأبن الكلبي ؛
— ويقال : النضر بن الحارث — فَشَلَّتْ يَدُهُ .

قال محمد بن عمر بن واقد : وحصروا بني هاشم في شعب أبي طالب ليلة^(١)
هلال المحرم سنة سبع من نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأتخاز بنو المطلب
إلى أبي طالب في شعبه مع بني هاشم ، وخرج أبو لهب إلى قريش ، وظاهرهم على
بني هاشم وبني المطلب ، وقطعوا عنهم الميرة والمادة ، فكانوا لا يخرجون إلا من
مؤيم إلى مؤيم ، حتى بلغهم الجهد ، وسمع أصوات صبيانهم من وراء الشعب ،
فمن قريش من سره ذلك ، ومنهم من ساءه ، وقال : انظروا ما أصاب كاتب
الصحيفة ! فأقاموا في الشعب ثلاث سنين ، ثم أطاع الله نبيه صلى الله عليه وسلم
على أمر صحيفتهم ، وأن الأرضة قد أكلت ما فيها من جور وظلم ، وبقي ما كان فيها
من ذكر الله .

قال : فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي طالب ، فذكر ذلك
أبو طالب لإخوته ، وخرجوا إلى المسجد ، فقال أبو طالب لكفار قريش :
إن ابن أمي قد أخبرني — ولم يكذبني قط — أن الله سلط على صحيفكم الأرضة
فلحست ما كان فيها من جور أو ظلم أو قطيعة رحم ، وبقي فيها ما ذكر به الله ،
فإن كان ابن أمي صادقا نزعم عن سوء رأيكم ، وإن كان كاذبا دفعته إليكم
فقتلتموه أو أسخيتتموه . قالوا : قد أنصفتنا ، فأرسلوا إلى الصحيفة ففتحوها .
فإذا هي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسقط في أيديهم ، ونكسوا على
رؤوسهم . فقال أبو طالب : علام تُحبس وتُحصر وقد بان الأمر ؟ ! ثم دخل هو
وأصحابه بين أستار الكعبة والكعبة . فقال : اللهم أنصرنا على من ظلمنا ، وقطع

(١) ويرف بشعب أبي يوسف ، انظر معجم البلدان .

أرحامنا ، وأستحل ما يحرم عليه منا : ثم أنصرفوا إلى الشعب . وتلاوم رجال من قريش على ما صنعوا ببني هاشم : فيهم مُطِيع بن عدي ، وعدي بن قيس ، وزمعة ابن الأسود ، وأبو البختري بن هشام ، وزهير بن أبي أمية . ولبسوا السلاح ؛ ثم خرجوا إلى بني هاشم وبني المطلب ، فأمروهم بالخروج إلى مساكنهم ففعلوا ، وكان خروجهم من الشعب في السنة العاشرة من النبوة ، وقيل : كان مُكث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الشعب سنتين .

وحكى أبو محمد عبد الملك بن هشام ، عن أبي عبد الله محمد بن إسحاق — رزحهم الله — في سبب نقض الصحيفة غير ما قدمناه مما حكاه محمد بن سعد عن الواقدي .

قال ابن إسحاق بعد أن ذكر من شدة ما لاقاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب من الضائقة ما ذكر : ثم إنه قام في نقض الصحيفة — التي تكاثرت فيها قريش على بني هاشم وبني المطلب — فقرأ من قريش ، ولم يُبل فيها أحد أحسن من بلاء هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن جبيب بن نصر بن مالك ابن حسل بن عامر بن لؤي ، وذلك أنه كان ابن أخي فضلة بن هاشم بن عبد مناف لأُمّه ، وكان هشام لبني هاشم وإصلا ، وكان ذا شرف في قومه ، فكان يأتي بالبعير وبنو هاشم وبنو المطلب في الشعب ليلا ، وقد أوقره طعاما ، حتى إذا أقبله فَمَ الشعب خلع خطامه من رأسه ، ثم ضرب على جنبه فدخل الشعب عليهم ، ويأتي به قد أوقره برا ، فيفعل به مثل ذلك .

قال : ثم إنه مشى إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي . وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب — فقال : يا زهير ، وقد رضيت أنا نأكل الطعام ونلبس

(١) في الأصل : « عمر » ، والصواب عن ابن هشام ، والمواهب ، وعيون الأثر ، والاستيعاب .

التياب ، وشك النساء ، وأخوالك حيث قد علمت لا يتاعون ولا يتناع منهم ، ولا يتكحون ولا يتكح إليهم ، أما إنني أحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبي الحكم ابن هشام ثم دعوته إلى مثل ما دعائك إليه منهم ما أجابك إليه أبدا ، قال : ويحك يا هشام ! فإذا أصنع ؟ أنا رجل واحد ، والله لو كان معي رجل آخر لقميت في نقضها حتى أنقضها ، قال : قد وجدت رجلا ، قال : من هو ؟ قال : أنا ؛ قال له زهير : ابغنا ثلثا ، فذهب إلى المطعم بن عدي فقال له : يا مطعم أقدر ضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وأنت شاهد على ذلك ، موافق لقريش فيه ! أما والله لئن أمكتموهم من هذه لتجدنهم إليها منكم سراعا ؛ قال : ويحك ، فإذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، قال : قد وجدت ثانيا ، قال : من هو ؟ قال : أنا ؛ قال : ابغنا ثلثا ، قال : قد فعلت ، قال : من هو ؟ قال : زهير ، قال : ابغنا رابعا ، قال : فذهب إلى أبي البختري بن هشام فقال له نحو مما قال لمطعم ، فقال : وهل من أحد يعين على هذا ؟ قال : نعم ، قال : فمن هو ؟ قال زهير والمطعم وأنا معك ، قال : ابغنا خامسا ، فذهب إلى زمعة بن الأسود ابن المطلب ، فكلّمه وذكر له قرابتهم وحققهم ، فقال : وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد ؟ قال : نعم ، ثم سمي له القوم ، فأعدوا خطم الجحون ليل^(١)ا بأعلى مكة ، فاجتمعوا هناك وتعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها .

وقال زهير : أنا أبذؤكم فأكون أول من يتكلم . فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم ، وغدا زهير عليه حلة ، فطاف بالبيت سبعا ، ثم أقبل على الناس فقال : يا أهل مكة ، أنا كل الضعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكني لا يتاعون ولا يتناع منهم ! والله لا أقعد حتى تُسقى هذه الصحيفة القاطعة الظالمة . فقال أبو جهل

(١) كذا بالأصل . ونظم الجحون : أهه النادرمة ؛ والذي في ابن هشام والبداية بالهجلة ، والمطمع : الموضع الذي حطمه ، أي نلّم فبقى مشظعا .

— وكان في ناحية المسجد — : كذبت ، والله لا تُشَقَّ ! ^(١) قال زَمْعَةُ بْنُ الْأَسود : أنت والله أكذب ، مارِضِينَا كُتِبَتْهَا حَيْثُ كُتِبَتْ ، قال أبو الْبَخْتَرِيِّ : صدق زَمْعَةُ ، لا نَرْضَى مَا كُتِبَ فِيهَا وَلَا نَقْرَبُهُ ، قال المَطْعَمُ : صدقتما وكذب من قال غير ذلك ؛ نَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ مِنْهَا وَمِمَّا كُتِبَ فِيهَا !

وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك .

فقال أبو جهل : هذا أمر قِضِيَ بِلِيلٍ ، وتشوُّور فيه بغير هذا المكان — ^(٢) وأبو طالب جالس في ناحية المسجد — وقام المَطْعَمُ إِلَى الصَّحِيفَةِ لِيَشُقَّهَا فوجد الأَرْضَةَ قد أَكَلَتْهَا ، إِلَّا « بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ » .

ثم حكى ابن هشام نحواً مما ذكره الواقديّ من خبرها على ما قدّمناه ، وأن أولئك الرهط الذين ذكرناهم صنعوا ما صنعوا مما ذكرناه بعد كلام أبي طالب .
والله تعالى أعلم .

ذَكَرَ مِنْ عَادٍ مَنْ أَرْضَ الْحَبْشَةِ مِنْ هَاجِرٍ إِلَيْهَا ، وَكَيْفَ دَخَلُوا مَكَّةَ

قال ابن إسحاق رحمهما الله : وبلغ أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين خرجوا إلى أرض الحبشة إسلام أهل مكة ، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك ، حتى إذا دَنَوْا مِنْ مَكَّةَ بلغهم أن ما كانوا تحدّثوا به من إسلامهم كان باطلاً ، فلم يدخل أحد منهم إلا بجوارٍ أو مُسْتَخْفِياً . فكان من قدم عليه مكة ، منهم فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة فشهد بَدْرًا وَاحِدًا ، ومن حبس عنه حتى فاته ذلك .

ومن مات منهم بمكة من بنى عبد شمس : عثمان بن عفان معه امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، معه امرأته مَهْلَةٌ بِنْتُ مَهْبِلٍ .

(١) في الأصل «عل» وهو تحريف . (٢) في الأصل «تشوور فيه لغيره» وهو تحريف .

- ومن حلفائهم عبد الله بن جحش بن رثاب .
- ومن بني نوفل بن عبد مناف عتبة بن غزوان حليف لهم .
- ومن بني أسد بن عبد العزى الزبير بن العوام .
- ومن بني عبد الدار مضعب بن عمير، وسويط بن سعد .
- ومن بني عبد [بن] قصي ^(١) طليب بن عمير .
- ومن بني زهرة بن كلاب عبد الرحمن بن عوف ، والمقداد بن عمرو، حليف لهم ، وعبد الله بن مسعود، حليف لهم .
- ومن بني مخزوم أبو سلمة بن عبد الأسد ، معه امرأته أم سلمة ، وشماس ابن عثمان ، وسلمة بن هشام ، حبسه عمه بمكة فلم يهاجر إلا بعد الخندق ^(٢) ، وعيَّاش ابن أبي ربيعة بن المغيرة ، ومن حلفائهم عمار بن ياسر، ومعتب بن عوف من خزاعة .
- ومن بني جحج عثمان بن مظعون وأبنة السائب بن عثمان ، وقدامة وعبد الله أبنا مظعون .
- ومن بني متهم خنيس بن حذافة ، وهشام بن العاص بن وائل ، حبس بمكة فلم يهاجر إلا بعد الخندق .
- ومن بني عدى بن كعب عامر بن ربيعة حليف لهم ، معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة .
- ومن بني عامر بن لؤي عبد الله بن خزيمة ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو .
- حبس بعد الهجرة ، فلما كان يوم بدر أنحاز من المشركين إلى رسول الله صلى الله

(١) من ابن هشام .

(٢) في ابن هشام (٢ : ٦) ، « فلم يقدم إلا بعد بدر وأحد والخندق » .

(٣) في ابن هشام ما ضه : « إن عمارا يشك فيه ، أكان يخرج إلى الحبشة أم لا » .

عليه وسلم، وأبو سبرة بن أبي رهم، بعد أمراته أُم كلثوم^(١)، والسكان بن عمرو معه
أمراته سودة بنت زمعة، مات بمكة قبل الهجرة. ومن حلفائهم سعد بن خولة.

ومن بنى الحارث بن فهر أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح، وعمرو
أبن الحارث بن زهير، وسهيل بن بيضاء، وعمرو بن أبي سرح بن ربيعة بن هلال.

- بجمع من قدم مكة ثلاثة وثلاثون رجلا، فكان من دخل منهم بجوار عثمان
أبن مظعون دخل بجوار من الوليد بن المغيرة، فلما رأى ما فيه أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم من البلاء وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد، قال: والله
إن غدوى ورواحي آتيا بجوار رجل من أهل الشرك، وأصحابي وأهل ديني يلقون^(٢)
من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني لنقص كبير في نقبي، فمشى إلى الوليد
أبن المغيرة فقال له: يا أبا عبد شمس، وفئت ذمتك، وقد رددت إليك جوارك؛
فقال له: يا بن أخي، لعله آذاك أحد من قومي، قال: لا، ولكني أرضى بجوار
الله، ولا أريد أن أستجير بغيره. قال: فأنا نطلق إلى المسجد فرد على جوارى
علانية كما أبحرتك علانية، فخرجنا حتى أتينا المسجد، فقال الوليد: هذا عثمان قد
جاء يرد على جوارى، قال: صدق، وجدته كريما وفي الجوار^(٣)، ولكني أحببت
ألا أستجير بغير الله، فقد رددت عليه جواره، ثم انصرف عثمان.

وأبو سلمة بن عبد الأسد دخل بجوار من أبي طالب بن عبد المطلب، فمشى
إليه رجال من بني مخزوم فقالوا: يا أبا طالب، منعت منا ابن أخيك مجدا، فمالك

(١) في ابن هشام: «أم كلثوم بنت سبيل بن عمرو».

(٢) في الأصل: «أصحاب». وما أثبتناه عن ابن هشام.

(٣) في ابن هشام: «وفيا كريم الجوار».

(٤) في الأصل: «يا أبا المطلب»، وما أثبتناه عن ابن هشام.

ولصاحبنا تمنعه منا ! قال : إنه استجار بي ، وهو ابن أختي ، وإن أنا لم أ منع
ابن أختي لم أ منع ابن أختي ، فقام أبو لهب فقال : يا معشر قريش ، والله لقد
أكثرتم على هذا الشيخ ، ما تزالون تؤثبون عليه في جواره من بين قومه ، والله لتنتهن
عنه أولتقومن معه في كل ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد ، فقالوا : بل ننصرف
عما نكره يا أبا عتبة ، قال : وأقام بقيتهم بأرض الحبشة إلى سنة سبع من الهجرة ،
فقدموا بعد فتح خير ، وقد رأينا أن نذكرهم في هذا الموضع ، لتكون أخبارهم
متوالية .

ذكر من قدم من أرض الحبشة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو بن حنيفة ، ومن قدم بعد ذلك ومن هلك منهم هناك

قال ابن إسحاق : كان من قدم منهم إلى خير في سنة سبع من الهجرة مع جعفر
ابن أبي طالب رضي الله عنه في السفينتين ستة عشر رجلا ، وهم من بني هاشم بن
عبد مناف : جعفر بن أبي طالب ، معه امرأته أسماء بنت عميس ، وابنه عبد الله ،
ولد بأرض الحبشة .

ومن بني عبد شمس خالد بن سعيد بن العاص ، معه امرأته أمينة بنت
خلف ، وابناه سعيد بن خالد ، وأمة بنت خالد ، ولدتها بأرض الحبشة ، وأخوه
عمرو بن سعيد ، ومعقيب بن أبي فاطمة ، وأبو موسى الأشعري ، وابنه
عبد الله بن قيس .

ومن بني أسد الأسود بن نوفل بن خويلد .

(١) في الأصل : « معنيب » . وما أثبتناه عن (ابن هشام ٤ : ٤) .

(٢) في الأصل : « الأسد » . والصواب عن ابن هشام :

(١) ومن بنى عبد الدار [بن] قُصَيّ جَهْم بن قيس ، نعمة ابنه عمرو بن جَهْم ،
ونُزَيْمَة بنت جَهْم ، وكانت معه امرأته أم حُرْملة بنت عبد الأسود ؛ هلك
بأرض الحبشة .

ومن بنى زُهرة بن كلاب عامر بن أبي وقاص ، وعُتْبَة بن مسعود حليف
لهم من هُذَيْل .

ومن بنى تميم بن مُرّة الحارث بن خالد بن صَخْر ، هلك امرأته رَيْطَة
بالحبشة .

ومن بنى جُحج عثمان بن ربيعة بن أهبان .

(٢) ومن بنى سَهْم حَمِيَة بن الجزء حليف لهم من بنى زُبَيْد .

ومن بنى عَدَى بن كعب معمر بن عبد الله بن نَضْلَة .

ومن بنى عامر بن لؤى أبو حاطب بن عمرو ، وهالك بن ربيعة : معه
أمرأته عَمْرَة بنت السعدى .

(٣) ومن بنى الحارث بن فِهْر الحارث بن [عبد] قيس بن لَقِيْط ، وحمل معهم
نساء من نساء من هلك هناك .

١٥ هؤلاء الذين قَدِمُوا مع جعفر في السفينتين . وقدم بعد ذلك ستة وعشرون
رجلاً ، وهم :

من بنى أُمَيّة قيس بن عبد الله الأسدى ، أسد نخزيمة ، حليف لهم .

(١) ساقطة من الأصل . وما أثبتناه عن ابن هشام .

(٢) كذا ضبط هذا الاسم في التاج والكنة من ابن هشام .

(٣) الزيادة من ابن هشام .

ومن بنى أسد يزيد بن زَمْعَة بن الأسود، قبل يوم حنين شهيدا .
 ومن بنى عبد الدار : أبو الروم بن عُمر، وفَراس بن النضر بن الحارث بن كَلْبَة .
 ومن بنى تيم بن مرة عمرو بن عثمان بن عمرو .

ومن بنى مخزوم هَبَّار بن سفيان ، وأخوه عبد الله ، وهشام بن أبي حذيفة
 ابن المغيرة .

ومن بنى جُحج سفيان بن مَعمر ، وأبناء جُنَادَة وجابر ، وأمهما حَسَنَة ،
 وأخوهما لأبيهما شَرَحْبِيل بن حَسَنَة .

ومن بنى سَهْم قيس بن حذافة بن قيس ، وأبو قيس بن الحارث بن قيس ،
 وبشر بن الحارث بن قيس ، وأخ له من أمه من بنى تميم يقال له : سعيد بن عمرو ،
 وسعيد بن الحارث بن قيس ، والسائب بن الحارث بن قيس ، وعُمير بن رثاب ،
 ابن حذيفة .

ومن بنى عامر بن لؤي مَلِيط بن عمرو .
 ومن بنى الحارث بن فهر عثمان بن عبد غنم ، وسعيد بن عبد قيس بن لَقِيط ،
 وعياض بن زهير بن أبي شداد .

وهلك بأرض الحبشة ممن هاجر إليها ثمانية ، وهم :
 من بنى عبد شمس ، من حلفائهم عبيد الله بن جحش بن رثاب ، تنصروا
 بأرض الحبشة نصرانيا ، وكانت معه امرأته أُم حبيبة بنت أبي سفيان ، خلف
 عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) كذا ضبط هذا الاسم بالتحريك في التاج ضبطا بالعبارة .

(٢) ويقال فيه سعد كما في ابن هشام والاستيعاب .

ومن بنى أسد عمرو بن أمية بن الحارث .

ومن بنى زهرة بن كلاب المطلب بن أزهري بن عوف ، ومعه امرأته رملة بنت أبي عوف ، فولدت له هناك عبد الله بن المطلب .

ومن بنى جحج حاطب بن الحارث بن معمر ، وكان معه امرأته فاطمة بنت المحلل بن عبد الله ، وابنائه محمد والحارث ، فقيدمت امرأته وأبناؤه مع جعفر .
 ابن أبي طالب رضي الله عنه في أحد السقيتين ، وأخوه خطاب بن الحارث ، وكان معه امرأته فمكية بنت يسار قدمت مع جعفر أيضا .

ومن بنى سهم عبد الله بن الحارث بن قيس .

ومن بنى عدى بن كعب عمرو بن عبد العزى بن حُرثان ، وكان مع عدى ابنه النعمان ، فقيدم مع من قديم من المسلمين .

فهؤلاء الذين ذكرناهم هم الذين ذكرهم ابن إسحاق ، وعدتهم أنهم الذين هاجروا إلى أرض الحبشة ، وحصر عدتهم كما تقدم . وأما من ذكرنا من ذكر أبو عمر يوسف بن عبد البر في آباءه أنهم ممن هاجر إلى أرض الحبشة فلم نقف على تاريخ عودهم فنذكره .

ذكر من أنزل فيه القرآن من مشركي قريش وما أنزل فيهم

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : ولما نحي الله تعالى رسوله صلى الله عليه

وسلم من قريش ومنعه منها ، وقام عمه أبو طالب وقومه من بني هاشم وبني

عبد المطلب دونه ، وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من البطش به ، جعلت قريش

يهمزونه ويستهزئون به ويخاصمونهم ، والقرآن ينزل فيهم ، منهم من سماه الله تعالى ،

ومنهم من نزل فيه في عامة من ذكر الله من الكفار .

(١) في بعض نسخ ابن هشام وأسد الغابة « المحلل » بالجم .

فكان من سمى من نزل فيه القرآن أبو لهب بن عبد المطلب ، وأمرأته
أم جميل بنت حرب بن أمية ، حمالة الخطب ، فأنزل الله فيهما قوله : ﴿ تَبَّتْ يَدَا
أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ . مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ . سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ . وَأَمْرَأَتُهُ
حَمَالَةٌ الْخَطَبِ . فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ . قال : وإنما سماها الله تعالى
حمالة الخطب لأنها كانت تحمل الشوك فتطرحه في طريق رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

[قال ابن إسحاق : فذكر لي أن أم جميل حمالة الخطب ، حين سمعت ما أنزل
فيها ، وفي زوجها من القرآن أنت رسول الله^(١) وهو جالس في المسجد عند الكعبة ،
ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وفي يدها فهر^(٢) من حجارة ، فلما وقفت عليهما
أخذ الله ببصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ترى إلا أبا بكر ، فقالت :
يا أبا بكر ، أين صاحبك ؟ قد بلغني أنه يهجونى ، والله لو وجدته لضربت بهذا
الفهر فاه ، أما والله إنى لشاعرة :

مُدَّمَّمَا عَصَيْنَا * وَأَمْرَهُ أَبَيْنَا
وَدِينَهُ قَلَيْنَا

ثم أنصرفت .

قال أبو بكر : يا رسول الله ، أما تراها رأيتك ؟ قال : ما رأيتنى ، لقد أخذ الله
ببصرها عنى .

وأمية بن خلف بن وهب الجُمُحِيّ ، كان إذا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
همزه وكثره ، فأنزل الله تعالى فيه قوله : ﴿ وَيَلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٌ ﴾ ، السورة كلها .

(١) الزيادة عن ابن هشام : (١ : ٣٨١) .

(٢) الفهر : الحجر الذى يملأ الكنف .

قال ابن هشام : الهمزة : الذى يَشْتَمُ الرجل علانية ، ويكبر عنه عليه
ويغيز به . واللزة : الذى يعيب الناس سراً ويؤذيهم .

والعاص بن وائل السهمي ؛ كان إذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : دعوه فإنما هو رجل أبتر لا عقب له ، لو قد مات أقطع ذكره واسترحم
منه ، فأنزل الله تعالى فى ذلك قوله : ﴿ إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكَوْثَرَ . فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ .
إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ .

والكوثر : ماء هو خير من الدنيا وما فيها ؛ وقيل : الكوثر : العظيم ، وقيل :
الخير الكثير .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الكوثر الذى أعطاك الله ؟ فقال :
نهر فى الجنة كما بين صنعاء إلى أيلة^(١) ، آينته كعدد نجوم السماء ، من شرب منه لم يظمأ
أبداً ، وأنزل الله فيه قوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا
وَوَلَدًا ﴾ ، إلى قوله : ﴿ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ ، وكان سبب ذلك أن خباب بن الأبرت
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نشأ بمكة يعمل السيوف ، وكان قد
باع من العاص بن وائل السهمي سيوفاً عملها له ؛ حتى كان له عليه مال ، فجاءه
يتقاضاه ، فقال : يا خباب ، أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذى أنت على دينه أن
فى الجنة ما آبتنى أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب أو خدم ! قال خباب :
بلى ، قال : فأنظرنى إلى يوم القيامة حتى أرجع إلى تلك الدار ؛ فأقضيك هنالك
حقك ، فوالله لا تكون أنت وأصحابك آثر عند الله منى ، ولا أعظم حظاً فى ذلك ،
فأنزل الله ذلك فيه .

٩٣

١٤

٢٠ (١) أيلة : مدينة على ساحل بحر القلزم مما إلى الشام . وقيل من أول الحجاز وأثر الشام ؛ سميت بأيلة
بنت مدين بن إبراهيم عليه السلام . (معجم البلدان) . (٢) سورة مريم (٧٧ - ٨٠) .

وأبو جهل بن هشام؛ لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : والله يا محمد لتتركن سب آلهتنا أو لنسبن إلهيك الذي تعبد، فأنزل الله في ذلك : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾^(١)، فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سب آلهتهم، وجعل يدعوهم إلى الله .

ولما ذكر الله شجرة الزقوم تخويفا لهم قال أبو جهل : يا معشر قريش، هل تدرون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد ؟ قالوا : لا، قال : عجوة يثرب بالزبد، والله لئن استمكننا منها لترقمنا، فأنزل الله فيه : ﴿ إِن شَجَرَتِ الزُّقُومِ . طَعَامُ الْإِنِّمِ . كَأَلْهَلٍ يَغِي فِي الْبُطُونِ . كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴾^(٢)، أى ليس كما يقول .

والنضر بن الحارث بن كادة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي؛ كان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا فدعا فيه إلى الله ، وتلا فيه القرآن، وحذرفيه قريشا ما أصاب الأنم الخالية ، خلفه في مجلسه إذا قام فحدثهم عن رسم وملوك الفرس وإسفينديار ، ثم يقول : والله ما محمد بأحسن حديثا مني، وما حديثه إلا أساطير الأولين آكتبها كما آكتبتُها، فأنزل الله فيه : ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ آكْتَبْتَهَا فِيهِمْ تُمَلِّ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا . قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾^(٣) . وأنزل فيه : ﴿ إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾^(٤) . ونزل فيه : ﴿ وَيَلْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يَصُرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشْرُهُ يَعْذَابِ آلِيمٍ ﴾^(٥) ، والأفَّاك : الكذاب .

(٢) سورة الدخان (٤٣ - ٤٦) .

(٤) سورة القلم ١٥ .

(١) سورة الأنعام (١٠٨) .

(٣) سورة الفرقان ٥ - ٦ .

(٥) سورة الجاثية ٧ - ٨ .

ونزل فيما ذكروا أنهم يعبدون الملائكة ، وأنها بنات الله قوله تعالى :
 ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ . لَا يُسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ
 يَعْمَلُونَ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَلِكُفْرِهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ
 نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ ^(١) .

ونزل فيما ذكر من أمر عيسى عليه السلام أنه يُعبد من دون الله ،
 وعجب الوليد ومن حضر من حجته : ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ
 يَصْتَفُونَ ﴾ ^(٢) ، أي يصدون عن أمرك ، ثم ذكر عيسى : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ
 وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ . وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ .
 وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا ﴾ ^(٣) ، أي ما وضعت على يديه من الآيات من إحياء
 الموتى ، وإبراء الأسماع ، فكفى به دليلا على علم الساعة ، يقول : ﴿ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا
 وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ ^(٤) .

والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي ، حليف بني زُهرة ، وكان
 من أشرف القوم ، ومن يستمع منه ، فكان يُصيب من رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ويرد عليه ، فأنزل الله فيه : ﴿ وَلَا تُطِيعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ﴾ إلى قوله :
 ﴿ زَيْنِبُ ﴾ ^(٥) ، والزَّيْنِم : العديد للقوم ^(٦) .

والوليد بن المغيرة قال : أُنزل على محمد وأترك ! وأنا لبيب قريش وسيدها !
 ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف ، ونحن عظماء القريتين ! فأنزل ^(٧)

(١) سورة الأنبياء ٢٩ . (٢) سورة الزنurf ٥٧ . (٣) سورة الزنurf

٥٩ - ٦١ . (٤) سورة الزنurf ٦١ . (٥) سورة الفلم ١٠ - ١٣ .

(٦) العديد : الرجل يدخل نفسه في قبيلة ليعدها منها ، وليس له فيها عشيرة .

(٧) في الأصل : « فهن » وما صوبناه عن ابن هشام (١ : ٣٨٧) .

الله تعالى فيه : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ .
أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ، إلى قوله :
(خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) ^(١) .

وأبي بن خلف بن وهب بن حُدَافة بن جُحج ، وعُقبة بن أبي مُعيط — وكانا
متصافيين حسنًا ما بينهما — فجلس عُقبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه ،
فبلغ ذلك أباي ، فأتى عُقبة فقال : ألم يبلغني أنك جالستَ محمداً وسمعتَ منه ! ثم
قال : وجهي من وجهك حرام أن أكلمك — واستغلف من اليمين — إن أنت جلست
أو سمعتَ منه ، أو لم تأنه فتتفل في وجهه . ففعل غدو الله عُقبة بن أبي مُعيط ،
فأنزل الله فيهما : ﴿ وَيَوْمَ يَعْصِي الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ
سَبِيلًا . يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا . لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي
وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ ^(٢) . ومشى أبي بن خلف إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم [بعظم] ^(٤) بال قد أرفت ، فقال : يا محمد ، أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعدما
أرى ؟ ثم فته بيده ونفخه في الریح نحو النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : ” نعم أنا أقول ذلك ، يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان هكذا ،
ثم يدخلك النار “ ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ
يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ .
الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴾ ^(٧) .

(١) سورة الزخرف ٣١ - ٣٢ . (٢) في الأصل : « ألم يبلغك أني » ، وما أثبتناه

عن ابن هشام . (٣) سورة الفرقان ٢٧ - ٢٩ (٤) الزيادة عن ابن هشام .

(٥) أرفت : تكدر وتفتت . (٦) في ابن هشام : « وأدم » . (٧) سورة يس

وأعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالكعبة الأسود بن المطاب
 ابن أسد، والوليد بن المغيرة، وأميرة بن خلف، والعاص بن وائل — وكانوا ذوي
 أسنان في قومهم — فقالوا: يا محمد؛ هلم فلنعبد ما نعبد، وتعبد ما نعبد؛ فنشترك نحن
 وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبدا خيرا كما قد أخذنا بحظنا منه، وإن كان
 ما نعبد خيرا مما تعبدا كنت قد أخذت بحظك منه، فأنزل الله تعالى فيهم:
 ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ . لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ ... السورة .

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه إلى الإسلام، وكلهم فابلق، فقال له
 زمعة بن الأسود، والنضر بن الحارث، والأسود بن عبد يغوث، وأبي بن خلف،
 والعاص بن وائل: لو جعل معك يا محمد ملك يحدث عنك الناس؛ ويرى معك!
 فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكَ لَفُضِيَ
 الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ . وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾^(١)
 والله المستعان .

ذكر خروج أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى الهجرة

وعوده، وجواره ورده الجوار

قال: وكان أبو بكر رضي الله عنه كما روى الزهري عن عروة عن عائشة
 رضي الله عنها حين ضاقت عليه مكة، وأصابه فيها ما أصابه من الأذى، ورأى من
 تظاهر قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما رأى استأذن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة، فأذن له، فخرج أبو بكر مهاجرا حتى إذا سار من

مكة يوما أو يومين لقيه ابن الدغنة^(١)، ويقال فيه: الدغينة - أخو بني الحارث بن بكر
 ابن عبد مناة بن كنانة، والهؤن بن خزيمه بن مدركة، وبني المصطلق بن خزاعة،
 تحالفوا جميعا فسموا الأحابيش^(٢) للحلف - فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ قال: أخرجني
 قومي وآذوني وضيقوا عليّ، قال: ولم؟ فوالله إنك لتزين العشيرة، وتعين على
 النوائب، وتفعل المعروف، وتكسب المعلوم، ارجع وأنت في جوارى. فرجع
 معه حتى إذا دخل مكة؛ قام ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش، إني قد أجرت
 ابن أبي خفافة فلا يعرضن له أحد إلا بخير، فكفّوا عنه.

قال: وكان لأبي بكر مسجد على باب داره في بني جحج، فكان يصلي فيه،
 وكان رجلا رفيقا، إذا قرأ القرآن آسنكي، فتقف عليه الصبيان والعبيد والنساء
 فيعجبون لما يرون من هيئته، فمضى من قريش إلى ابن الدغنة رجال فقالوا: إنك
 لم تُجر هذا الرجل ليؤذينا، إنه رجل إذا صلى وقرأ ماجأ به عهد يرق، ونحن
 نتخوف على صبياننا ونسائنا وضعفتنا أن يفتنهم، فاته فسرده أن يدخل بيته فليصنع
 فيه ما شاء.

قالت: فمضى ابن الدغنة إليه فقال: يا أبا بكر، إني لم أجرك لتؤذى قومك،
 إنهم قد كرهوا مكانك الذي أنت به، وتأذوا بذلك منك، فادخل بيتك فاصنع فيه
 ما أحببت. قال: أو أردت عليك جوارك، وأرضى بجوار الله؟ قال: فاردد عليّ
 جوارى، قال: قد رددته عليك، فقام ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش، إن
 ابن أبي خفافة قد رد عليّ جوارى فشأنكم بصاحبكم.

(١) هو مالك بن الدغنة سيد الأحابيش. (٢) يقال إنهم تحالفوا عند جبل يقال له حبشي،

فاشتق لهم منه هذا الاسم، (راجع الررض الألف ١: ٢٣١).

ذكر وفاة أبي طالب بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومشي أشراف قريش إليه في مرضه ، وما قالوه وأنزل فيهم
كانت وفاة أبي طالب بعد قبض الصحيفة ، وخروج بني هاشم وبني المطلب
من الشعب بثمانية أشهر وأحد وعشرين يوماً ، وماتت خديجة بعده بثلاثة أيام .
حكاه الشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الديلمي رحمه الله في مختصر السيرة
النبوية .

وقال محمد بن سعد : كان بينهما شهر وخمسة أيام^(١) .

قال محمد بن إسحاق : لما أشتكى أبو طالب وبلغ قريشا ثقله ، فثنى إليه
أشراف قريش وهم : عقيبه بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ،
وأمية بن خلف ، وأبو سفيان بن حرب في رجال من أشرافهم ، فقالوا : يا أبا طالب ،
إنك منا حيث قد طمت وقد حضرك ما ترى ، ونحوفنا عليك ، وقد علمت الذي
بيننا وبين ابن أخيك ، فادعه فخذ له منا ، وخذ لنا منه ، ليكف عنا ونكف عنه ،
وليدعنا وديننا ، وندعه ودينه .

فبعث إليه بجاءه فقال له : يا بن أخي ، هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا لك ،
ليعطوك وليأخذوا منك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلمة واحدة يملكون^(٢)
بها العرب ، وتدين لهم بها العجم » فقال أبو جهل : نعم وأبيك وعشر كلمات ، فقال :
« يقولون لا إله إلا الله ، وتخلعون ما تعبدون من دونه » ، قال : فصفقوا بأيديهم ،
وقالوا : أريد يا محمد أن تجعل الآلهة لها واحداً ، أنت أمرك لعجب ! ثم قال

(١) ابن سعد ١ : ١٤١ . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٥٨ . (٣) في ابن هشام :

٢ : ٥٩ : « نعم ، كلمة واحدة تعطونها ؛ يملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم » .

بعضهم لبعض : إنه والله ، اهذا الرجل يعطيكم شيئا مما تريدون ؛ فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم ، حتى يحكم الله بينكم وبينه ، ثم تفرقوا . فقال أبو طالب : والله ما رأيتك سألهم شططا .

قال : فلما قالها أبو طالب طمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ^(١) ، فجعل يقول له : ” يا عم فأنت فقلها ؛ أستحل بها لك الشفاعة يوم القيامة “ ، قال : يا بن أخي لولا مخافة السببة عليك وعلى بني أبيك من بعدى ، وأن تظن قريش أنى قتلها جزعا من الموت لقتلها ، لا أقولها إلا لأسرك بها .

قال ابن عباس : فلما تقارب من أبي طالب الموت ، نظر العباس إليه يحرك شفثيه ، فأصغى إليه بأذنه ، فقال : يا بن أخي ، والله لقد قال أخى الكلمة التى أمرته أن يقولها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” لم أسمع “ ، ثم هلك أبو طالب .
والذى ورد فى الصحيح : أن آخر ما سمع من أبي طالب ؛ هو على دين عبد المطلب .

قال ابن إسحاق : وأنزل الله فى الرهط الذين اجتمعوا إلى أبي طالب وقالوا ما قالوا ، قوله تعالى : ﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ . بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ . كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَا تَجِئْ بِآيَاتِنَا إِلَّا نَجْأَتُنَا مِنْهُمْ يَوْمَ الْمُنَادِئِ . وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ . أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ . وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ . مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا خِثْلَقٌ ^(٢) 》 . قال : يريدون بالملة الآخرة النصارى ؛ لقولهم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ^(٣) 》 .

٩٦

١٤

ذكر وفاة خديجة بنت خويلد زوج النبي

صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنها

كانت وفاة خديجة رضى الله عنها بعد وفاة أبي طالب كما تقدم ، وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين على ما صححه الشيخ شرف الدين الديماطي رحمه الله في مختصر السيرة النبوية ، قال :

وبقيت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الوحي خمس عشرة سنة ، وبعده تسع سنين وثمانية أشهر ، وهي أول من أسلم من النساء بلا خلاف ، ولعلها أول من أسلم من الناس ، وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وزير صدق . روى أن آدم عليه السلام قال : « إني لسيد البشر يوم القيامة إلا رجل من ذريتي فضل عليّ باشرين ، كانت زوجته عوناً له ، وكانت زوجتي عوناً عليّ ، وأعانه الله على شيطانه فأسلم ، وكفر شيطاني » . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أمرت أن أبشر خديجة ببيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب » ، قالوا : والقصب ها هنا : اللؤلؤ . ودفنت خديجة بالمجّون ، ولم تكن شرعت الصلاة على الميت بعد . والله أعلم .

ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، وعوده إلى مكة قال : لما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم تكن تناله في حياة عمه .

قال محمد بن سعد : ^(١) فبلغ ذلك أبا لهب ، بغاءه فقال : يا محمد ، امض لما أردت وما كنت صانعاً إذا كان أبو طالب حياً فاصنعه ، لا والآلات ، لا يؤصل إليك

حتى أموت . قال : وسبّ ابن الفِطْلَة النبي صلى الله عليه وسلم ، فأقبل عليه أبو لهب فقال منه ، فوثق وهو يصيح : يامعشر قريش ، صَبَا أبو عُتْبَة ، فأقبلت قريش حتى وقفوا على أبي لهب فقال : ما فارقْتُ دين عبد المطلب ، ولكنني أُمْنَعُ ابن أخي أن يُضَامَ ، حتى يمضي لما يريد ، قالوا : قد أحسنت وأجملت ووصات الرحم ، فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك أياما يذهب ويأتي ، ولا يعترض له أحد من قريش ، وهابوا أبا لهب إلى أن جاء عُقْبَة بن أبي مُعَيْط ، وأبو جهل ابن هشام إلى أبي لهب فقالا : أخبرك ابن أخيك أين مدخل أبيك ؟ فقالا له : يا محمد أين مدخل عبد المطلب ؟ قال : ” مع قومه “ ، فخرج أبو لهب إليهما فقال : قد سألتُه فقال : ” مع قومه “ ، فقالا : يزعم أنه في النار ، فقالا : يا محمد ، أيدخل عبد المطلب النار ؟ ، فقال : ” نعم ، ومن مات على مثل ما مات عليه عبد المطلب دخل النار “ . فقال أبو لهب : والله لا برحت لك عدوا أبدا ، وأنت تزعم أن عبد المطلب في النار ، فاشتد عليه هو وسائر قريش ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف .

قال محمد بن سعد : نخرج ومعه زيد بن حارثة ، وذلك في ليال بقين من شوال سنة عشر من حين النبوة ، فأقام بالطائف عشرة أيام لا يدع أحدا من أشرافهم إلا جاءه وكلمه ، فلم يجيبوه ، وخافوا على أحدائهم ، فقالوا : يا محمد ، أخرج من بلدنا والحق بجبابك من الأرض . وأغروا به سفهاءهم ، فخلعوا يرمونه بالحجارة حتى إن رجلاً رسول الله صلى الله عليه وسلم لتدميان ، وزيد بن حارثة بقيه بنفسه . حتى لقد شُجَّ في رأسه شجاجاً ، فأنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف راجعاً إلى مكة وهو محزون لم يستجب له رجل واحد ولا امرأة .

(١) في الأصل : « فقال » ، وما أثبتناه عن ابن سعد ١ : ١٤٢

(٢) في السيرة الحلبية ١ : ٣٨٥ : « بمنجائك » .

وقال ابن إسحاق^(١) : لما أغروا به سفهاءهم ؛ لجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حائط لُعبَة وشيبة ابني ربيعة ، فجلس في ظل حبلَة^(٢) ، وابنا ربيعة ينظران إليه ، ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف ، فتحرّكت له رحمتها ، فدعوا غلاما لها نصرانيا يقال له عدّاس ، فقالا له : خذ قطفا من هذا العنب فضعه في هذا الطبق ، ثم اذهب إلى ذلك الرجل فقل له يا كل منه ، ففعل عدّاس ، ثم أقبل حتى وضعه بين يديه صلى الله عليه وسلم ، وقال له : كُلْ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” بسم الله “ فأكل ، فنظر عدّاس إليه ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد ، فقال له صلى الله عليه وسلم : ” ومن أهل أيّ البلاد أنت يا عدّاس ؟ وما دينك ؟ “ . قال : نصراني ، وأنا رجل من أهل نينوى^(٤) ، فقال له : ” أمن قرية الرجل الصالح يونس بن مئى “ ؟ فقال عدّاس : وما يدريك ما يونس ؟ قال : ” ذاك أخى ، كان نبيا وأنا نبي “ ، فأقبل عدّاس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقبّل رأسه وقدميه ويديه ، فقال أحد ابني ربيعة لصاحبه : أتما غلامك فقد أفسده عليك ، فلما جاءهما عدّاس قال لهما : ويلك ! ما لك تُقبّل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ! قال : يا سيدي ، ما في الأرض شيء خير من هذا العبد ، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي ، قالوا : ويحك يا عدّاس ! لا يصرفك عن دينك ، فإن دينك خير من دينه .

قال : ثم آنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا إلى مكة حين يئس من خير نقيف ، حتى إذا كان بنخلَة^(٥) أتاه جنّ نصيبين^(٦) ، على ما نذكر ذلك إن شاء

(٢) الحائط : البستان إذا كان عليه جدار .

(١) ابن هشام ٢ : ٦١

(٤) نينوى : من قرى الموصل .

(٣) الحبلَة : شجرة العنب .

(٦) نصيبين : قاعدة ديار ربيعة .

(٥) نخلَة : محلة ما بين مكة والطائف .

الله في أخبار الوفود على رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما تقف عليه هناك ، وهو في آخر وفادات العرب .

قال : وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلة أياما ، فقال له زيد بن حارثة : كيف تدخل عليهم وهم أخرجوك ؟ فقال : " يا زيد ، إن الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا ، وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه " ، ثم انتهى إلى حراء ، فأرسل رجلا من خزاعة إلى مطعم بن عدى يقول : " أدخل في جوارك " ؟ فقال : نعم ، ودعا بنيه وقومه ، فقال : تلبسوا السلاح ، وكونوا عند أركان البيت ، فإنى قد أجرت محمدا ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه زيد بن حارثة حتى انتهى إلى المسجد الحرام ، فقام مطعم بن عدى على راحلته فنادى : يا معشر قريش ، إنى قد أجرت محمدا ، فلا يهجه أحد منكم ، فأنهى صلى الله عليه وسلم إلى الزكن فاستلمه ، وصلى ركعتين ، وأنصرف إلى بيته ، ومطعم وولده مطيفون به ، فلذلك قال حسان بن ثابت الأنصارى في رثائه لمطعم من قصيدته :

فلو كان مجد يُخلد الدهر واحدا * من الناس أبى مجده اليوم مطمعا^(١)
أجرت رسول الله منهم فأصبحوا * عبيدك ما لى مهمل وأحرما

وحكى محمد بن إسحاق : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الأخنس بن شريق ليُجيرَه ، فقال : أنا حليف ، والحليف لا يُجير ، فبعث إلى سهيل بن عمرو فقال : إن بني عامر لا يُجير على بنى كعب ، فبعث إلى المطعم بن عدى فأجابه .

(١) رواية الديوان يشرح البرقوق : ٣٩٨

ولو أن مجده أخذ الدهر واحدا * من الناس أبى مجده الدهر مطمعا

(٢) في الأصل : « أنى من بني عمر » ، وهو تحريف . وصوبناه عن ابن هشام ٢ : ٢٠ ،

والحلية ١ : ٣٩١

ذكر خبر الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم

من مكة إلى البيت المقدس ، وخبر المعراج به صلى الله عليه وسلم إلى السموات العلا ، وإلى سدره المنتهى ، وما شاهد في ذلك من الكرامة والأصطفاء والمناجاة ، وفرض الصلاة ، وغير ذلك مما يراه من آيات ربه الكبرى ، صلى الله عليه وسلم

وخبر الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح متفق على صحته بنص الكتاب والأحاديث الصحيحة . أما الكتاب العزيز ، فقد قال الله عز وجل :
 ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى . وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى . عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى . ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى . وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى . ثُمَّ دَنَّى فَقَدَلَى . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى . فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى . مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى . أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى . وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى . عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى . عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى . إِذْ يَغْشَى السَّدْرَةَ مَا يَغْشَى . مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى . لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ .

وأما الأحاديث الواردة في ذلك فسنذكرها إن شاء الله تعالى .

وكان الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة السبت لسمع عشرة خات من شهر رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا ، وقد ألت عليه إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر .

وقال ابن سعد في طبقاته عن عائشة وأم هانئ وأبن عباس قالوا : أُسْرِيَ
 برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الأول قبل الهجرة
 بسنة من شعب أبي طالب [إلى بيت المقدس] . والله أعلم .

والأحاديث الصحيحة بصحة الإسراء قد جاءت من طرق كثيرة ، وقد رأينا
 أن نبداً منها بما كملها وأجمعها ، وهو حديث ثابت البناني عن أنس بن مالك رضى
 الله عنه ، ثم نذكر زيادات عن غيره يتعين ذكرها .

أما حديث ثابت البناني^(٢) فهو مما روينا به إسناد متصل عن مسلم بن الحجاج ،
 قال حدثنا شيبان بن فروخ ، قال حدثنا حماد بن مسلمة ، قال حدثنا ثابت البناني
 عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أُتِيَ
 بالبراق وهو دابة أبيض طويل ، فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى
 طرفه " . قال : " فركبته حتى أتيت بيت المقدس ، فربطته بالحلقة التي يربط بها
 الأنبياء ، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت فجاءني جبريل بإفاء من
 نعيم وإفاء من لبن ، فأخذت اللبن ، فقال جبريل : أحترت الفطرة ، ثم عرج بنا
 إلى السماء ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل ، قيل : من معك ؟
 قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا فإذا بأدم صلى الله
 عليه وسلم ، فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية ، فاستفتح جبريل
 فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث
 إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بابن الحاتمة عيسى بن مريم ، ويحيى بن
 زكريا صلى الله عليهما وسلم ، فرحبا بي ودعوا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة ،

(١) التكملة من ابن سعد . القسم الأول من الجزء الأول ص ١٤٣

(٢) الحديث في الشفاء ١ : ١٤١ وما بعدها .

فذكر مثل الأول ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف صلى الله عليه وسلم، وإذا هو قد أُعطي شطر الحسين، فرحب بي، ودعا لي بخير، ثم عُرج بنا إلى السماء الرابعة، فذكر مثله، فإذا أنا بإدريس فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عُرج بنا إلى السماء الخامسة، فذكر مثله، فإذا أنا بهارون فرحب بي، ودعا لي بخير، ثم عُرج بنا إلى السماء السادسة، فإذا أنا بموسى فرحب بي، ودعا لي بخير، ثم عُرج بي إلى السماء السابعة، فذكر مثله، فإذا أنا بإبراهيم مسندا ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سِدْرَةِ المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال^(١). قال: «فلما غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشَى تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنَ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْتَعِمَ مِنْ حَسَنَاتِهَا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَقَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَتَرَلُّتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أَمْتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً. قَالَ: أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنْ أَمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ». قال: «فرجعت إلى ربي فقلت: يا رب خفف عني أمتي، فحطَّ عني خمسا، فرجعت إلى موسى فقلت: حطَّ عني خمسا^(٢)، قال: إن أمتك لا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فأرجع إلى ربك فأسأله التخفيف. قال: «فلم أزل أراجع بين ربي تعالى، وبين موسى حتى قال: يا محمد، إنهن خمس صلوات، كل يوم وليلة بكل صلاة عشر، فتلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها

(١) في الأصل: «موسى» — وما أثبتناه من مسلم، والشفاء.

(٢) في دلائل النبوة ١: ١٩٦ والبخاري: ٤: ٧٢: «نقها كأنه قلال هجر».

(٣) في عيون الأثر ١: ١٤٥: «لا تطيق».

(٤) في الأصل: «قلت»، وهو تحريف.

كتبته له عشرا، ومن هم بسبعة فلم يعملها لم تكتب شيئا، فإن عملها كتبت سبعة واحدة^(١)». قال : «فزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته، فقل : أرجع إلى ربك فإله التخفيف . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «فقلت : قد رجعت إلى ربى حتى استحييت منه» .

معين التارخ
لأهل التارخ

وروى يونس بن ابن شهاب عن أنس قال : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «فُرج سقف يتي، فزل جبريل ففرج صدرى ثم غسله من ماء زمزم، ثم جاء يطمس من ذهب مملى، حكمة وإيمانا فأفرغها في صدرى ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فخرج بي إلى السماء» . فذكر القصة .

وروى قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة الحديث بمثله ، وفيه تقديم وتأخير، وزيادة وتقص ، وخلاف في ترتيب الأنبياء والسموات ؛ وحديث ثابت عن أنس اتفق وأجود . وهذان الحديثان يدلان على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شق جوفه عند الإمراء ، وقد تقدم الخبر أنه شق جوفه وهو عند طوره في جال طفولته ، فيكون على هذا شق جوفه مرتين . والله أعلم بالصواب .

ونقل عن الشيخ عبد القادر محمد بن أبي الحسن الصمعي في مختصر السيرة

الحديث له قال : روى أبو داود الطيالسي في مسنده^(٢)، قال : حدثنا حماد بن سلمة قال أخبرني أبو عمران الجوني عن رجل عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتكف هو وخديجة شهرا، فوافق ذلك رمضان، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمع : السلام عليكم ، قالت : فظننت أنه يفتنه الحق^(٣) ، فقال :

(١) في الأصل : «فركت» ، وما أثبتناه عن النفا : ١٠٤٣ : ١٤٥ : ١٤٥

(٢) في عيون الأثر ، وصحيح مسلم ١ : ١٠٢ : ١٠٣ : ١٥٣ : «يتي وأنا بمكة» .

(٣) ص ٢١٥ . (٤) في مسند الطيالسي : «بجأة الجن» . والحق هنا : الموت .

”أبشروا فإن السلام خير“، ثم رأى يوماً آخر جبريل عليه السلام على الشمس جناح له بالمشرق، وجناح له بالمغرب، قالت^(١) : فبهت منه، قالت : فانطلق يزيد أهله، فإذا هو بجبريل عليه السلام بينه وبين الباب، قال : ”فكلمني حتى أنست به ثم وعدني موعداً، فحنت لموعده، واحتبس على جبريل، فلما أراد أن يرجع إذا هو وميكائيل عليهما السلام، فهبط جبريل عليه السلام إلى الأرض، وبقي ميكائيل بين السماء والأرض“، قال : ”فاخذني فسلمني لحلاوة القفا، وشق عن بطني، فأخرج منه ما شاء الله، ثم غسله في طست من ذهب ثم أعاده، ثم كفاني كما يكفوا الإناء، ثم ختم في ظهري حتى وجدت مس الخاتم، ثم قال لي : (أقرأ يا سيم ربك) ولم أقرأ كتاباً قط، فأخذ بحلقى حتى أجهشت بالبكاء، ثم قال : (أقرأ يا سيم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق) إلى قوله : (ما لم يعلم)“ . قال : ”فما نسيت بعد، فوزنني برجل فوزنته، ثم وزنني بأخر فوزنته، ثم وزنني بمائة، فقال ميكائيل : تبعته أمته ورب الكعبة“ . قال : ”ثم جئت إلى منزلي، فما يلقياني حجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله، حتى دخلت على خديجة فقالت : السلام عليك يا رسول الله“ .

فيدل هذا الحديث على أنه شق جوفه أيضاً عند الوحي، كما فيكون شق جوفه ثلاث مرات؛ مرة وهو عند ظنرة، ومرة عند الوحي في أول النبوة، كما يقتضي هذا الحديث، ومرة ثالثة عند الإسراء؛ كما روى عن أبي ذر، ومالك بن صعصعة . والله أعلم .

(١) في الأصل « قال » وما أثبتناه عن مسند الطيالسي ٢١٥ .

(٢) سلمني لحلاوة القفا : أى ألقاني على ظهري . وذكر الطيالسي : « صلفني » ، والأول أجهر .

وإنما أوردنا حديث الطيالسي في هذا الموضع على سبيل الاستطراد ، لأن موضعه يصلح أن يكون عند ذكر حديث المبعث ، وقد أثبتنا هناك الأحاديث الصحيحة ؛ فلانرجع إلى ما نحن فيه من حديث الإسراء .

وأما ما ورد في الأحاديث الأخر من الروايات التي يتعين ذكرها :

ففيها حديث ابن شهاب وفيه قول كل نبي : ” مرحبا بالنبي الصالح ، والأخ الصالح إلا آدم وإبراهيم فقالا له : والابن الصالح “ .

وفيه من طريق ابن عباس رضى الله عنهما : ” ثم عُرج بي حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقدام “ .

وعن أنس : ” ثم أنطلق بي حتى أتيت سدرة المنتهى ، فغشيها ألوان لم أدر ما هي “ ، قال : ” ثم أُدخل الجنة “^(١) .

وفي حديث مالك بن صعصعة : ” فلما جاوزته — يعنى موسى — بكى ، فتودى ما يبكيك ؟ قال : رب ، هذا غلام بعثته بعدى ، يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتي “ .

وفي حديث أبي هريرة : ” وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء ، فأنات الصلاة فأمتمهم فقال قائل : يا محمد ، هذا مالك خازن النار فسلم عليه ، فالتفت فبدأنى^(٢) بالسلام “ .

وفي حديث أبي هريرة : ” ثم بيّار حتى أتى بيت المقدس ، فترجل فربط فرسه إلى صخرة وصلى مع الملائكة ، فلما قضيت الصلاة ، قالوا : يا جبريل من هذا

(١) زاد في عيون الأثر : ١٤٥ ، ودلائل النبوة ١٩٨ ، وصحيح مسلم ١ : ١٠٣ « فإذا فيها جنانك اللؤلؤ وإذا تراءها المسك » .

(٢) في دلائل النبوة ١٩٠ ، وصحيح مسلم ١ : ١٠٩ : « فالتفت إليه » .

معك ؟ ، قال : هذا عهد رسول الله خاتم النبيين ، قالوا : وقد أرسل إليه ؟
قال : نعم ، قالوا : حياه من أخ وخليفة ! فنعم الأخ ونعم الخليفة ! ثم لقوا أرواح
الأنبياء فأنشوا على ربهم . “ و ذكر كلام كل واحد منهم ؛ وهم إبراهيم وموسى
وعيسى وداود وإسليمان . ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : وإن هذا
صلى الله عليه وسلم أنشئ على ربه ، فقال : “ كلتم أنشئ على ربه ، وأنا أنشئ على
ربي ؛ الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين ، وكافة للناس بشيرا ونذيرا ، وأنزل
على الفرقان فيه تبيان كل شئ ، وجعل أمتى خيرا أمة ، وجعل أمتى أمة وسطا ،
وجعل أمتى هم الأولون وهم الآخرون ، وشرح لى صدرى ، ووضع عنى وزرى ،
ورفع لى ذكرى ، وجعلنى فاتحا وخاتما “ . فقال إبراهيم : بهذا فضلكم عهد .
ثم ذكر أنه عرج به إلى السماء الدنيا ، ومن سماء إلى سماء ؛ بنحو ما تقدم .

وفى حديث ابن مسعود : “ وأتتهى بى إلى سِدرة المنتهى ، وهى فى السماء السادسة ؛
إليها ينتهى ما يُعرج به من الأرض فيقبض منها ، وإليها ينتهى ما يهبط من فوقها^(١)
فيُقبض [منها] ” . قال تعالى : (إِذْ يَغْشَى السَّدْرَةَ مَا يَغْشَى) ، قال : فرأى من
ذهب .

وفى رواية أبى هريرة رضى الله عنه ، من طريق الربيع بن أنس : “ فقبل لى :
هذه سِدرة المنتهى ، ينتهى إليها كل أحد من أمتك خلا على سبيلك ” . وهى السِدرة^(٢)
المنتهى يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ،
وأنهار من نحر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى . وهى شجرة يسير الراكب
فى ظلها سبعين عاما ، وإن ورقة منها مظلة الخلق . فغشيتها نور ، وغشيتها الملائكة .

(١) فى الأصل : « يقبض » ، وما أثبتناه عن صحيح مسلم ١ : ١٠٩ ، والشفاء .

(٢) الزيادة عن صحيح مسلم ، والشفاء .

(٣) خلا على سبيلك : أى مضى على طريقتك وسنتك .

يَقَالُ : فهو قوله تعالى : ﴿إِذْ يَغْشَى السَّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾؛ فقال تبارك وتعالى له :

«سَل» ، فقال : «إِنَّكَ اتَّخَذْتَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ، وَأَعْطَيْتَهُ مُلْكًا عَظِيمًا ، وَكَلَّمْتَ مُوسَى تَكْلِيمًا ، وَأَعْطَيْتَ دَاوُدَ مُلْكًا عَظِيمًا ، وَالنَّتَّ لَهُ الْحَدِيدَ ، وَصَخَّرْتَ لَهُ الْجِبَالَ ، وَأَعْطَيْتَ سُلَيْمَانَ مُلْكًا عَظِيمًا ، صَخَّرْتَ لَهُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ وَالشَّيَاطِينَ وَالرِّيَّاحَ ، وَأَعْطَيْتَهُ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ، وَعَلَّمْتَ عِيسَى التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ، وَجَعَلْتَهُ يَبْرئِ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصَ ، وَأَعَدَّتَهُ وَأُمَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْهِمَا سَبِيلٌ» .

(١) فقال له رَبِّهِ : « قَدْ اتَّخَذْتُكَ حَبِيبًا » فهو مكتوبٌ في التَّوْرَةِ : « عَجْدٌ حَبِيبُ الرَّحْمَنِ ، وَأَرْسَلْتُكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِ ، وَجَعَلْتُ أَمْنَكَ [هُمْ] الْأَوَّلُونَ وَهُمْ الْآخِرُونَ ، وَجَعَلْتُ أَمْنَكَ لَا تَجُوزُ لَهُمْ خُطْبَةٌ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّكَ عَبْدِي وَرَسُولِي ، وَجَعَلْتُكَ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ خَلْقًا ، وَآخِرَهُمْ بَعَثًا ، وَأَعْطَيْتُكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَلَمْ أُعْطِهَا نَبِيًّا قَبْلَكَ ، وَأَعْطَيْتُكَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ عَرْشِي ، لَمْ أُعْطِهَا نَبِيًّا قَبْلَكَ ، وَجَعَلْتُكَ فَاتِحًا وَخَاتِمًا » .

(٢) وفي الرواية الأخرى ، قَالَ : فَأَعْطَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا : أَعْطَى الصَّلَاةَ الْخَمْسَ ، وَأَعْطَى خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَا يَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا مِنْ أُمَّتِهِ الْمُقْتَحَمَاتِ .

وَقَالَ : ﴿ مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ ؛ الْآيَتَيْنِ . قِيلَ : رَأَى جِبْرِيلُ فِي صُورَتِهِ لَهُ سِتْمَانَةُ جَنَاحٍ . وَفِي حَدِيثِ شَرِيكَ : « أَنَّهُ رَأَى مُوسَى فِي السَّابِعَةِ » قَالَ : بِتَفْضِيلِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَقَالَ » وَمَا أُثْبِتَاهُ عَنِ الشَّفَاءِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « أَرْسَلْتُكَ » وَمَا أُثْبِتَاهُ عَنِ الشَّفَاءِ .

(٣) سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَصْلِ ، وَالزِّيَادَةُ عَنِ الشَّفَاءِ .

(٤) عَنْ ابْنِ مَسْمُودٍ ؛ انْقَطَعَ صَحِيحُ مُسْلِمٍ ١ : ١٠٩ .

(٥) الْمُقْتَحَمَاتُ : الْكِبَارُ مِنَ الذُّنُوبِ .

كلام الله، قال : « ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلم إلا الله ، فقال موسى : لم أظن أن يُرفع عليّ أحد » .

وقد روى عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم صلى بالأنبياء بيت المقدس . وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بينا أنا قاعد ذات يوم إذ دخل عليّ جبريل عليه السلام فوَكَّزَ بَيْنَ كَتِفَيَّ ، فقامت إلى شجرة فيها مثل وَكْرَى الطائر ، فقعده في واحدة ، وقعدت في الأخرى فَنَمْتُ حَتَّى سَدَّتِ الْخَافِقِينَ ، وَلَوْ شِئْتُ لَمَسْتُ السَّمَاءَ ، وَأَنَا أَقْلَبُ طَرَفِي ، وَنَظَرْتُ جَبْرِيلَ كَأَنَّهُ جَالِسٌ لَا طِيَّ ، فَعَرَفْتُ فَضْلَ عَلَيْهِ بِاللَّهِ عَلَيَّ ؛ وَفُتِحَ لِي بَابُ السَّمَاءِ ، وَرَأَيْتُ النُّورَ الْأَعْظَمَ ، وَإِذَا دُونِي الْحِجَابُ وَفُجِّرَ الدَّرُّ وَالْيَاقُوتُ ، ثُمَّ أَوْحَى إِلَيَّ مَا شَاءَ أَنْ يَوْحِيَ " .

وذكر البزار عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : لما أراد الله أن يعلم رسوله الأذان جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق ، فذهب يركبها ، فاستصعبت عليه ، فقال لها جبريل : أسكني ، فوالله ما ركبك عبد أكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فركبها حتى أتى بها إلى الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى ، فبينما هو كذلك إذ خرج ملك [من] الحجاب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا جبريل ، من هذا ؟ " . قال : والذي بعثك بالحق إني لأقرب الخلق مكانا ، وإن هذا الملك ما رأيته منذ خُلِقْتُ قَبْلَ سَاعَتِي هَذِهِ ، فقال الملك : الله أكبر ، الله أكبر ، فقيل من وراء الحجاب : صدق عبدي ؛ أنا أكبر أنا أكبر ، ثم قال الملك : أشهد أن

(١) في دلائل النبوة : « فسنت وأرتفعت » .

(٢) المجلس : كما رقب يوضع تحت القتب أو البرذعة . ولاطي : لاصق بالأرض — والمراد

أن جبريل لما قرب من السماء غشيته مهابة حتى خضع وألتصق بالأرض .

(٣) في الأصل : « لا طئا » ؛ وهو تحريف . (٤) تكملة من الشفاء .

لا إله إلا الله، فقيل من وراء الحجاب : «صدق عبي، أنا لا إله إلا أنا» . وذكر مثل هذه في بقية الأذان ، إلا أنه لم يذكر جواباً عن قوله : «حي على الصلاة» حي على الفلاح ، وقال : ثم أخذ الملك بيد محمد فقدمه ، فأم أهل السماء فيهم آدم^(١) ونوح .

قال القاضي عياض بن موسى رحمه الله : ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق ، فهم المحجوبون ، والبارى جل أسمه منزّه عما يحجبه ، إذ الحجب إنما تحيط بمقدر محسوس ، ولكن حجب على أبصار خلقه وبصائرهم وإدراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء ، كقوله : ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾^(٢) . قال : فقوله في هذا الحديث : «الحجاب» يجب أن يقال : إنه حجاب تحجب به من وراءه من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته ، وعجائب ملكوته وجبروته . ويدل عليه من الحديث قول جبريل عن الملك الذي خرج من ورائه : إن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتى هذه ، فدل [على] أن هذا الحجاب لم يختص بالذات .

ويدل عليه قول كعب في تفسيره : سِدْرَةُ الْمُتَنَبِّهِ ، قال : إليها ينتهي علم الملائكة ، وعندها يحدون أمر الله لا يجاوزها علمهم .

قال : وأما قوله «الذي يلي الرحمن» ، فيحمل على حذف المضاف [أي] الذي يلي عرش الرحمن ، أو أمراً ما من عظيم آياته ، أو مبادئ حقائق معارفه مما هو أعلم به ، كما قال تعالى : ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾^(٣) أي أهلها .

- (١) زاد في هامش الشفاء ج ١ ص ١٤٩ : «إبراهيم» .
 (٢) في الأصل : «محجوس» ، وما أثبتناه عن الشفاء .
 (٣) سورة المطففين ١٥ . (٤) ساقطة من الأصل ، وما أثبتناه عن الشفاء .
 (٥) الزيادة عن الشفاء . (٦) سورة يوسف ٨٢ .

وقوله : « فقل من وراء الحجاب ، صدق عبدى ، أنا أكبر » فظاهره أنه سمع في هذا الموطن كلام الله ولكن من وراء حجاب ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ ^(١) [أى] وهو لا يراه ؛ حجب بصره عن رؤيته ، فإن صح القول بأن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فيحتمل أنه في غير هذا الموطن بعد هذا أو قبله رُفِعَ الحجاب عن بصره حتى رآه . والله أعلم بالصواب .

ذكر من قال : إن الإسراء كان بالجسد وفي اليقظة

قد اختلف العلماء على ثلاث مقالات ؛ فذهبت طائفة إلى أنه إسراء بالروح ، وأنه رؤيا منام . وذهبت طائفة إلى أن الإسراء كان بالجسد يقظة إلى بيت المقدس وإلى السماء بالروح . والذي عليه الأكثرون — وقال به معظم السلف — أنه إسراء بالجسد ، وفي اليقظة .

قال القاضي عياض بن موسى بن عياض : وهذا هو الحق ، وهو قول ابن عباس ، وجابر ، وأنس ، وحذيفة ، وعمر ، وأبو هريرة ، ومالك بن صعصعة ، وأبي حبة البدرى ، وابن مسعود ، والضحاك ، وسعيد بن جبيرة ، وقتادة ، وابن المسيب ، وابن شهاب ، وابن زيد ، والحسن ، وإبراهيم ، ومسروق ، ومجاهد ، وعكرمة ، وابن جريج ؛ وهو قول الطبري ، وابن حنبل ، وغيرهما ، وقد أبطلوا حُجَجَ من قال خلاف ذلك بأدلة يطول علينا شرحها .

قال القاضي عياض : والحق [من هذا] والصحيح إن شاء الله أنه إسراء بالجسد والروح في القصة كلها ، وعليه تدل الآية ، وصحيح الأخبار والاعتبار —

١٠٢
١٤

(١) سورة الشورى ٥١ (٢) الزيادة عن الشفاء : ١ : ١٥٠

(٣) زيادة من الشفاء .

ولَا يُعَدَّلُ عَنِ الظَّاهِرِ وَالْحَقِيقَةِ إِلَى التَّأْوِيلِ [إِلَّا] ^(١) عِنْدَ الْاِسْتِحَالَةِ ، وَلَيْسَ فِي الْاِسْرَاءِ بِحَسَنِهِ وَحَالٍ يَقْطَعُهُ اِسْتِحَالَةٌ ، إِذْ لَوْ كَانَ مِنْهَا لَقَالَ : بِرُوحِ عَبْدِهِ ، وَلَمْ يَقُلْ : (يَعْبُدُهُ) — وَقَوْلُهُ : ^(٢) (مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى) . وَلَوْ كَانَ مِنْهَا لَمَا كَانَتْ فِيهِ آيَةٌ وَلَا مُعْجَزَةٌ ، وَلَمَّا اِسْتَبْعَدَهُ الْكُفَّارُ وَلَا كَذَّبُوهُ فِيهِ ، وَلَا اَرْتَدَّ بِهِ ضَعْفَاءُ مَنْ اَسْلَمَ وَاَقْتَنَوْا بِهِ ، إِذْ مَثُلَ هَذَا مِنَ الْمَنَامَاتِ لَا يُنْكِرُ ، بَلْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْهُمْ إِلَّا وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ خَبْرَهُ اِنْمَا كَانَ عَنْ جِسْمِهِ وَحَالٍ يَقْطَعُهُ إِلَى مَا ذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ مِنْ ذِكْرِ صَلَاتِهِ بِالْاَنْبِيَاءِ بَيْتِ الْمَقْدَسِ فِي رِوَايَةِ اَنْسَ ، أَوْ فِي السَّمَاءِ عَلَى مَا رَوَى غَيْرُهُ ، وَذَكَرَ عِجَّى جَبْرِيلُ لَهُ بِالْبَرَاقِ ، وَخَبَرَ الْمِعْرَاجِ وَاسْتَفْتَحَ السَّمَاءَ ، فَيُقَالُ : ^(٣) وَمَنْ مَعَكَ ؟ فَيَقُولُ : مَعْدُ ، وَلِقَائِهِ الْاَنْبِيَاءَ فِيهَا ، وَخَبَرَهُمْ مَعَهُ ، وَتَرْجِيهِمْ بِهِ ، وَشَأْنُهُ فِي فَرْضِ الصَّلَاةِ وَمِرَاجَعَتِهِ مَعَ مُوسَى فِي ذَلِكَ ، وَفِي بَعْضِ هَذِهِ الْاَخْبَارِ : ^(٤) ”فَاخْذُ — يَعْنِي جَبْرِيلُ — بِيَدِي ، فَعَرِّجْ بِي إِلَى السَّمَاءِ“ إِلَى قَوْلِهِ : ”ثُمَّ عَرِّجْ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ بِمَسْتَوًى اَسْمَعُ فِيهِ صَوْتَ الْاَقْلَامِ“ ، وَانَّهُ وَصَلَ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، وَانَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَرَأَى فِيهَا مَا ذَكَرَهُ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ رَأَاهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا رُؤْيَا مَنْسَامٍ ، وَالْآيُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ ، وَالْأَدْلَةُ وَاضِحَةٌ ، فَلَا نَطُولُ بِسَرْدِهَا ، وَفِيهَا أَوْرَدَاهُ مِنْهَا فِيمَا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ كِفَايَةً . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) ساقطة من الأصل ، وما أثبتناه عن الشفاء .

(٢) بالرفع معطوفاً على كلمة « الآية » في الصفحة السابقة . وانظر شرح الشفاء للنازكي ١/٣٣٣ .

(٣) في الأصل : « فيقول » ، وما أثبتناه عن الشفاء .

(٤) في الشفاء : « صريف » ، وهو يوافق ما في غير الأثر ، وصحيح مسلم .

ذكر ما ورد في رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم
ربه تبارك وتعالى ، ومناجاته له ، وكلامه ودنوه وقربه من ربه
عز وجل ، ومن جاوز ذلك ومن منعه ، وما قيل في مشكل
حديث الدنو والقرب

أما الرؤية فقد اختلف السلف في رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل ،
فأنكرته عائشة .

روى عن مسروق أنه قال لعائشة رضي الله عنها : يا أُمّ المؤمنين ، هل رأى
محمد ربه ؟ فقالت : لقد قف شعري مما قلت ، ثلاث من حديثك ههنا فقد كذب ،
[من حديثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب] ثم قرأت ^(١) (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ)
الآية [ثم ذكر الحديث ^(٢)] . وقالت جماعة بقول عائشة ، وهو المشهور عن ابن
مسعود .

ومثله عن أبي هريرة : إنما رأى جبريل ، واختلف عنه . وقال بإنكار هذا
وأمتناع رؤيته في الدنيا [جماعة ^(٣)] من المحدثين والفقهاء والمتكلمين .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه رآه بعينه . وروى عطاء عنه : رآه بقلبه ،
وعن أبي العالية ^(٤) [عنه] رآه بفؤاده مرتين .

وذكر ابن إسحاق : أن ابن عمر رضي الله عنهما أرسل إلى ابن عباس رضي
الله عنهما يسأله : هل رأى محمد ربه ؟ قال : نعم ، والأشهر [عنه] أنه رأى ربه
بعينه . وقال : إن الله أختص موسى بالكلام ، وإبراهيم بالخلة ، ومحمدا بالرؤية .

(١) قف شعري : وقف من الفزع . (٢) الزيادة من الشفا : ١٥٨

(٣) سورة الأنعام ١٠٢

ومجته قوله : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى . أَفَتَمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى . وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ .

وقال الماوردي : قيل إن الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومجد ، فرآه مجد مرتين ، وكلمه موسى مرتين .

- وحكى أبو الفتح الرازي ، وأبو الليث السمرقندي^(١) ذكرها عن كعب . وروى عبد الله بن الحارث ، قال : أجمع ابن عباس وكعب ، فقال ابن عباس : أما نحن بنى هاشم فنقول : إن مجدا قد رأى ربه مرتين ، فكبر كعب حتى جاوبته الجبال ، وقال : إن الله قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومجد ، فكلمه موسى ، ورآه مجد بقلبه . وحكى السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي ، وربيعة بن أنس : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ” رأيت ربي ” — وذكر كلمة — فقال : ” يا مجد فيم يختصم الملاء الأعلى ” . الحديث .

- وحكى عبد الرزاق أن الحسن كان يحلف بالله لقد رأى مجد ربه ، وحكاه أبو عمر الطائفي عن عكرمة ، وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود ، وحكى ابن إسحاق أن مروان سأل أبا هريرة : هل رأى مجد ربه ؟ فقال : نعم . وحكى النقاش عن أحمد بن حنبل أنه قال : أنا أقول بحديث ابن عباس ، بعينه رآه رآه ، حتى أنقطع نفس أحمد .

وقد اختلف في تأويل الآية عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود ،

فحكى عن ابن مسعود ، وعكرمة : رآه بقلبه

وعن الحسن وابن مسعود : رأى جبريل . وعن ابن عطاء في قوله تعالى :

- ﴿ أَلَمْ نُشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾^(٢) ، قال : شرح صدره للرؤية ، وشرح صدر موسى للكلام .

(١) أي الحكاية التي ذكرها الماوردي . (٢) سورة الانشراح ١

وقال أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري وجماعة من أصحابه : إنه رأى الله بصره وعين رأسه وقال : كل آية أوتيتها نبي من الأنبياء عليهم السلام فقد أوتى مثلها نبينا ، وخص من بينهم بتفضيل الرؤية .

قال القاضي أبو الفضل عياض بن موسى رحمه الله : والحق الذي لا أمترأ فيه أن رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا ، وليس في العقل ما يحيلها ، والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها ، ومحال أن يحيل نبي ما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز عليه ، بل لم يسأل إلا جائزا غير مستحيل ، ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه إلا من علمه الله ، فقال له الله تعالى : ﴿ لَنْ تَرَانِي ﴾ أي لن تطبق ولا تحتمل رؤيتي ، ثم ضرب له مثالا بما هو أقوى من نبيه موسى وأثبت وهو الجبل . قال : وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا ، بل فيه جوازها على الجملة ، وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها ، إذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة .

قال : ولا حجة لمن يستدل على منعها بقوله : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ لاختلاف التأويلات في الآية ، وقد استدل بعضهم بهذه الآية نفسيها على جواز الرؤية ، وعدم استحالتها على الجملة . وقد قيل : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ ، أي لا تحيط به ، وهو قول ابن عباس ، وقد قيل : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ . وإنما يدركه المبيصرون . قال : وكل هذه التأويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها ، وحيث نتطرق للتأويلات ونسائط الاحتمالات ، فليس للقطع سبيل ، وكذلك وجوب الرؤية لنبينا صلى الله عليه وسلم ، والقول بأنه رآه بعينه . فليس فيه قاطع أيضا ولا نص ، إذ الموقول فيه على آتي النجم ، والتنازع فيهما مأثور ، والاحتمال لهما ممكن ، ولا أثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك . والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) في الأصل : « وعين رأسه » ، وما أئتناه عن الشفاء .

وأما المناجاة والكلام والقرب والدنو وما جاء من الكلام على مشكل هذا الحديث ؛ فقد اختلف في الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء بقوله : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ ، وهل كان ذلك الوحي بواسطة أو بغير واسطة ؟ فأكثر المفسرين على أن الموحى الله إلى جبريل ، وجبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . [نذكر عن^(١) جعفر بن محمد الصادق ، قال : أوحى الله إليه بلا واسطة . ونحوه عن الواسطي ، وإليه ذهب بعض المتكلمين وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس ، وأنكره آخرون . وحكى النقاش عن ابن عباس عنه عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ ، قال : ” فارقني جبريل ، وأتقطعت الأصوات عني فسمعت كلام ربي ، وهو يقول : ليهذا روعك يا محمد ، أذن أدن “ . وقد تقدم ذكر حديث الأذان ، وقول الملك : الله أكبر الله أكبر ، فقل من وراء الحجاب : صدق عبدى ، أنا أكبر ، أنا أكبر .

وقد احتجوا بقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾^(٢) ، فقالوا : هي ثلاثة أقسام ؛ من وراء حجاب كتكليم موسى ، وبارسال الملائكة كحال جميع الأنبياء ، وأكثر أحوال نبينا صلى الله عليه وسلم ، الثالث قوله : ﴿ وَحْيًا ﴾ . قالوا : ولم يبق من تقسيم صور الكلام إلا المشافهة مع المشاهدة ، وقد قيل : الوحي هنا ما يلقيه في قلب النبي صلى الله عليه وسلم دون واسطة ، وكلام الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ومن اختصه من أنبيائه جائز غير مجتنع .

وأما قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾^(٣) فأكثر المفسرين أن الدنو والتدلى متقسم ما بين محمد وجبريل عليهما السلام ، أو مختص

١٠٤
١٤

بأحدهما من الآخر، أو من سِدْرَةِ المنتهى . وقال ابن عباس : هو مجد دنا فتدلى من ربه . وقيل : معنى دنا قرب ، وتدلى : زاد في القرب ، وقيل : هما بمعنى واحد أى قرب . وحكى مكى والماوردي عن ابن عباس ، هو الرب دنا من مجد فتدلى إليه ، أى أمره وحكمه . وحكى النقاش عن الحسن ، قال : دنا من عبده مجد صلى الله عليه وسلم ، فقرب منه فأراه ما شاء أن يريه من قدرته وعظمته . قال وقال ابن عباس : هو مقدم ومؤخر، تدلى الرفوف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ، بفلس عليه ، ثم رفع فدنا من ربه . وفى الصحيح عن أنس بن مالك : ” عرج بن جبريل إلى سِدْرَةِ المنتهى ، ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إليه بما شاء ، وأوحى إليه خمسين صلاة “ . الحديث . وعن محمد بن كعب : هو مجد دنا من ربه ، فكان قاب قوسين . وقال جعفر ابن محمد : أدناه ربه منه ، حتى كان منه كقاب قوسين ، قال جعفر : والدنو من الله لا حد له ، ومن العباد بالحدود . وقال أيضا : انقطعت الكيفية عن الدنو ، ألا ترى كيف حجب جبريل عن دتوه ، ودنا مجد إلى ما أودع قلبه من المعرفة والإيمان فتدلى بسكون قلبه إلى ما أدناه ، وزال عن قلبه الشك والارتياب ! وقد تكلموا على مشكل هذا الحديث ، فقال القاضي عياض رحمه الله : اعلم أن ما وقع من إضافة الدنو والقرب هنا من الله وإلى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى ، بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس يدنو حد ، وإنما دتو النبي صلى الله عليه وسلم من ربه ، وقربه منه بإبانة عظيم منزلته ، وتشريف رتبته ، وإشراق أنوار معرفته . ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته ، ومن الله تعالى له مسرة وتأنيس ، وبسط

(١) الرفوف : البساط الأخضر .

(٢) فى الأصل : « بل كان ذكر » ، وما أشتبهه عن الشفاء ١ : ١٦٧

وإكرام، ويتأول فيه ما يتأول في قوله : ” ينزل ربنا إلى سماء الدنيا “ على أحد الوجوه ، نزول إفضال وإجمال ، وقبول وإحسان . وقال الواسطي : من توهم أنه بنفسه دنا جعل ثم مسافة ، بل كل ما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدا ، يعني عن درك حقيقته ، إذ لا دنو للحق ولا بعد .

- وقوله : ﴿ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ ، فن جعل الضمير عائدا إلى الله لا إلى جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية القرب ، ولطف المحل ، وإيضاح المعرفة ، والإشراف على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم ، وعبارة عن إجابة الرغبة ، وقضاء المطالب ، وإظهار التحف ، وإنافة المنزلة والمرتبة من الله له ، ويتأول ^(١) [فيه] ما يتأول في قوله : ” من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة “ ، قرب بالإجابة والقبول ، وإتيان بالإحسان وتعجيل المأمول .

وقد أخذ الكلام في هذا المعنى حقه ، فلنذكر ما كان بعد الإسماء ^(٢) [من] الأخبار .

ذكر ما كان بعد الإسماء من إنكار قریش لذلك

- وما أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من وصفه لهم البيت المقدس ، وإخباره لهم بنجر عيرهم ، وارتداد من ارتد

زوى الشيخ الإمام أبو بكر أحمد البيهقي بسنده عن شداد بن أوس رضي الله عنه ، قال : قلنا يا رسول الله كيف أسرى بك ؟ فذكر نحو ما تقدم من خبر الإسماء ، وفيه زيادة ونقص ، قال : وفيه أن جبريل عليه السلام أنزله فصلى بيثرب ، ثم صلى

بمدين عند شجرة موسى عليه السلام، ثم صلى بيت لحم حيث ولد عيسى بن مريم عليه السلام، ثم صلى في المسجد الأقصى، وأنه صلى الله عليه وسلم مرة بعير لقريش بمكان كذا وكذا، قد أضلوا بعيرا قد جمعه فلان، قال: "فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد". قال: "ثم أتيت أصحابي قبل الصبح بمكة، فأتاني أبو بكر فقال: يا رسول الله، أين كنت الليلة فقد التمسك في مظانك؟ فقلت: علمت أني أتيت بيت المقدس الليلة؟" فقال: يا رسول الله، مسيرة شهر! فصغه لي، قال: "فتفتح لي خراط كاني أنظر إليه، لا يسألني عن شيء إلا أنبأته عنه". فقال: أشهد أنك رسول الله حقا، فقال المشركون: انظروا إلى ابن أبي كبشة يزعم أنه أتى بيت المقدس الليلة، فقال: "إن من آية ما أقول لكم أني مررت بعير لكم بمكان كذا وكذا، ينزلون بكذا وكذا، ويأتونكم يوم كذا وكذا، يقدمهم جل آدم عليه مسح أسود، وغلراران سوداوان" وإنهم أشرفوا ينظرون. فأقبلت العير نصف النهار على ما وُصف لهم صلى الله عليه وسلم.

وفي رواية يونس بن بكير في زيادة المفازي: أنه صلى الله عليه وسلم لما أخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير، قالوا: متى يحيى؟ قال: "يوم الأربعاء". فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون، وقد ولى النهار ولم تجئ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فزيد له في النهار ساعة، وحسب عليه الشمس.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مبرأى، فسألوني عن أشياء

(١) دلائل النبوة: «فقال» . (٢) جل آدم: أبيض مع سواد المقلتين .

(٣) المسح: الكساء من الشعر .

من بيت المقدس ، لم أثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط ، فرفعه الله لى أنظر إليه ما يسألونى عن شىء إلا أنبأهم به .^(١)

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى أصبح الناس يتحدثون بذلك ، فآرتد ناس من آمنوا به وصدفوه ، وسعوا إلى أبى بكر فقالوا : هل لك فى صاحبك ؟ يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس ، وجاء قبل الصبح ! قال : نعم ، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك ؛ أصدقه بخبر السماء فى غدوة أو روضة ، فذلك سى أبو بكر رضى الله عنه الصديق .

ذكر دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قبائل العرب

فى المواسم

قال محمد بن عمر بن واقد بسند يرفعه إلى غير واحد ، قالوا : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث سنين من أول نبوته يدعو مستخفيا ، ثم أعلن فى الرابعة ، فدعا الناس إلى الإسلام عشر سنين ؛ يوافى المواسم كل عام يتبع الحاج فى منازلهم بعكاظ ومجنة ، وذى الحجاز يدعوهم ؛ حتى بلغ رسالة ربه تعالى ، وأبو لهب يمشى وراءه يقول : لا تطيعوه فإنه صابئ كاذب ، فيقولون : أأمرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك ، فيقول : "اللهم لو شئت لم يكونوا هكذا" ، قال الواقدي : فكان من سُمى لنا من القبائل الذين أنامهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم وعرض نفسه عليهم : بنو عامر بن صعصعة ، وعارب بن خصفة ، وفزارة ،

(١) لم أثبتها : لم أحفظها لاشتغالى بأهم منها . والكرب : النعم .

(٢) عكاظ ومجنة وذو الحجاز : أسماء أسواق كانت للعرب فى الجاهلية .

(٣) فى الأصل : « خفسة » ، وهو تصحيف .

وَعَسَّانُ^(١) ، وَمَرَّةٌ ، وَحَنِيْفَةٌ ، وَسُلَيْمٌ ، وَعَبَسٌ ، وَبَنُو نَصْرَةَ ، وَبَنُو الْبَكَّاءِ ، وَكَنْدَةَ ،
وَكَلْبٌ ، وَالْحَارِثُ بْنُ كَعْبٍ ، وَعُذْرَةٌ ، وَالْحَضَارْمَةُ ، فَلَمْ يَسْتَجِبْ مِنْهُمْ أَحَدٌ .^(٢)

قال محمد بن إسحاق : حَدَّثَنِي حُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ :
سَمِعْتُ رَبِيعَةَ بْنَ عَبَّادٍ يَحْدُثُ أَبِي قَالَ : إِنِّي لَعَلَّامٌ شَابَ مَعَ أَبِي يَمْنَى ، وَرَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقِفُ عَلَى مَنَازِلِ الْفَبَائِلِ مِنَ الْعَرَبِ ، فَيَقُولُ : " يَا بَنِي فُلَانٍ ،
إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ، يَا مَرْكُمُ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ ، وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَنْ تَخْلَعُوا
مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ مِنْ هَذِهِ الْأَنْدَادِ ، وَأَنْ تَوَدَّعُوا بِي وَتَصَدِّقُونِي وَتَمْنَعُونِي حَتَّى أَبَيِّنَ
عَنِ اللَّهِ مَا بَعَثَنِي بِهِ " ، قَالَ : وَخَلَّفَهُ رَجُلٌ أَحْوَلُ وَضْيَاءٌ لَهُ غَدِيرَتَانِ ، عَلَيْهِ حُلَّةٌ
عَدَنِيَّةٌ ، فَإِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَوْلِهِ وَمَا دَعَا إِلَيْهِ قَالَ ذَلِكَ
الرَّجُلُ : يَا بَنِي فُلَانٍ ، إِنْ هَذَا إِنَّمَا يَدْعُوكُمْ إِلَى أَنْ تَسْلُخُوا الْأَلَاتِ وَالْعَزَى مِنْ
أَعْنَاقِكُمْ ، وَحُلَفَاءُكُمْ مِنَ الْجَنِّ مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ أَقْيَشٍ ، إِلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْبِدْعَةِ^(٣)
وَالضَّلَالَةِ ، فَلَا تَطِيعُوهُ وَلَا تَسْمَعُوا مِنْهُ ، قَالَ : فَقُلْتُ لِأَبِي : يَا أَبَتُ مِنْ هَذَا
الرَّجُلِ [الَّذِي] يَتَّبِعُهُ وَيُرَدِّدُهُ عَلَيْهِ مَا يَقُولُ ؟ قَالَ : هَذَا عَمُّهُ عَبْدِ الْعَزَى بْنُ عَبْدِ الْمُطَّابِ ،
أَبُو لَهَبٍ .

قال ابن إسحاق : حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى بُنَى عَامِرِ
ابْنِ صُعَصُعَةَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يَقَالُ لَهُ
بِحِمْرَةِ بْنِ فِرَاسٍ : وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي أَخَذْتُ هَذَا الْفَقِيَّ مِنْ قَرِيْشٍ لَأَكَلْتُ بِهِ الْعَرَبَ ،

(١) في الأصل : « حسان » ؛ وهو تصحيف . (٢) في شرح المواهب : كعب .

(٣) في الأصل : « يحدث » وما أثبتناه عن ابن هشام ، وابن كثير ، والمواهب .

(٤) إلى هذا الحى تنسب الإبل الأنثى .

(٥) هذه الزيادة عن ابن هشام .

ثم قال له : أرايت إن نحن بايعناك على أمرك ، ثم أظهرك الله على من خالفك
أ يكون لنا الأمر بعدك ؟ قال : الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء . فقال له :
أفنهذف نحورنا [للعرب دونك ^(٢)] ، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ! لا حاجة لنا
بأمرك ، فأبوا عليه ، فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم ، قد كانت
أدركته السن ، حتى لا يقدر أن يوافي معهم المواسم ، فكانوا إذا رجعوا إليه
حدثوه بما يكون في ذلك الموسم ، فلما قدموا عليه في ذلك العام ، سأله عما كان
في موسمه ، فقالوا : جاءنا قتي من قريش ، ثم أحد بنى عبد المطلب ، يزعم أنه نبي
يدعوننا إلى أن نمنعه ونقوم معه ، ونخرج به إلى بلادنا ، قال : فوضع الشيخ يده على
رأسه ، ثم قال : يا بنى عامر ، هل لها من تلافٍ ! هل لذنا بها من مطلب ^(٣) ! والذي
نفس فلان بيده ، ما تقولها إسماعيل قط ، وإنها الحق ، فإين رأيكم كان عنكم .

قال : وحدثني عاصم بن عمر عن قتادة الأنصاري عن أشياخ من قومه قالوا :
قدم سويد بن الصامت أخو بنى عمرو بن عوف [مكة ^(٤)] حاجا أو معتمرا ، وكان
سويد إنما يسميه قومه فيهم : الكامل لجلده وشرفه ونسبه وشعره ، فتصدى له
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به ، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام ، فقال له
سويد : ففعل الذي معك مثل الذي معي ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :
وما الذي معك ؟ قال : مجلّة لقمان ^(٥) (يعني حكمة لقمان) فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم : اعرضها عليّ ، فعرضها عليه ، فقال : " إن هذا الكلام حسن ،

(١) نهذف : أى نجعلها هدفا لسيوفهم . (٢) الزيادة عن ابن هشام .

(٣) هذا مثل مشهور يضرب لما فات . وأصله من ذناب الطائر إذا أفلت من الحبال فطلبت الأخذ به .

(٤) فى الأميل ويعون الأثر : ١٠٤ « عمرو » وما أثبتناه عن ابن هشام وشذرات الذهب

ج ٥ : ٥٣ (٥) الزيادة عن ابن هشام . (٦) المجلة : الصحيفة .

لكن الذى معى أفضل من هذا؛ قرآن أنزله الله علىّ هو هدى ونور“. فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن، ودعاه إلى الإسلام فلم يبعد منه، وقال: إن هذا لقول حسن؛ ثم انصرف عنه، فقدم المدينة على قومه، فلم يلبث أن قتله الخزرج، قال: فإن كان رجال من قومه ليقولون: إنا لنراه قد قتل وهو مسلم، وكان قتله قبل^(١) بعاث.

قال ابن إسحاق أيضا: وحدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد ابن معاذ عن محمود بن ليبد، قال: لما قدم أبو الحنيس أنس بن رافع مكة ومعه فية من بنى عبد الأشهل، فيهم إياس بن معاذ، يلتصقون الحلف من قريش على قومهم من بنى الخزرج، سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأتاهم بفلس إليهم فقال: ”هل لكم فى خير مما جئتم له“؟، فقالوا: وما ذلك؟ قال: ”أنا رسول الله، بعثنى إلى العباد أَدْعُوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا، وأنزل علىّ الكتاب“. قال: ثم ذكر لهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، فقال لهم إياس بن معاذ — وكان غلاما حدثا —: أى قوم، هذا والله خير مما جئتم له، فأخذ أبو الحنيس حَفْنَةً من [تراب] البطحاء، فضرب بها وجه إياس بن معاذ، وقال: دعنا منك، فلعمري لقد جئنا لغير هذا، قال: فصمت إياس، وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانصرفوا إلى المدينة، فكان وقعة بعاث بين الأوس والخزرج، ثم لم يلبث إياس ابن معاذ أن هلك. قال محمود بن ليبد: فأخبرنى مَنْ حضره من قومه عند موته أنهم لم يزالوا يسمعون بهلل الله ويكبره، ويحمده ويسبحه حتى مات، فما كانوا يشكون أنه قد مات مسلما، لقد كان استشعر الإسلام فى ذلك المجلس حين سمع من رسول الله ما سمع. والله أعلم.

(١) قبل بعاث: أى قبل يوم بعاث. (٢) تكله من ابن هشام ج ٢: ٦٩

ذكر خبر مفروق بن عمرو وأصحابه وما أجابوا به

رسول الله صلى الله عليه وسلم عند دعائه قبائل العرب

روى الشيخ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي بسنده عن عبد الله بن عباس ،

قال : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنْ فِيهِ ، قَالَ : لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ

وَتَعَالَى رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَعْرِضَ نَفْسَهُ عَلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ خَرَجَ وَأَنَا

مَعَهُ وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَدَفَعْنَا إِلَى مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْعَرَبِ ، فَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ ،

وَكَانَ مَقْدَمًا فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَكَانَ رَجُلًا نَسَابَةً ، فَسَلَّمَ وَقَالَ : مَنْ الْقَوْمُ ؟ قَالُوا

مِنْ رَبِيعَةٍ ، قَالَ : وَأَيُّ رَبِيعَةٍ أَنْتُمْ ؟ مِنْ هَامِيهَا أَمْ مِنْ لَهَاظِمِهَا ؟ فَقَالُوا : بَلَى مِنْ

الْهَامَةِ الْعَظْمَى ، [فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَأَيُّ هَامَتِهَا الْعَظْمَى] أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : مِنْ ذُهْلٍ

الْأَكْبَرِ ، قَالَ : مِنْكُمْ عَوْفٌ الَّذِي يُقَالُ [لَهُ] : " لَا حُرَّ يَرَادِي عَوْفٌ " ؟ قَالُوا :

لَا ، قَالَ : فَتَنْكُمُ جَسَاسٌ بْنُ مَرْثَةَ ، حَامِي الدَّمَارِ ، وَمَانِعُ الْجَارِ ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ :

فَتَنْكُمُ سِطَامُ بْنُ قَيْسٍ ، أَبُو اللِّوَاءِ ، وَمُنْتَهَى الْأَحْيَاءِ ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : فَتَنْكُمُ

الْخَوْفَزَانُ قَاتِلُ الْمُلُوكِ ، وَسَالِبُهَا أَنْفُسُهَا ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : فَتَنْكُمُ الْمَزْدَلَفُ صَاحِبُ

الْعِمَامَةِ الْفَرْدَةِ ، قَالُوا : لَا ، قَالَ : فَتَنْكُمُ أَخْوَالُ الْمُلُوكِ مِنْ كَنْدَةَ ؟ قَالُوا : لَا .

١٠٧
١٤

١٥ (١) الخبر في دلائل النبوة المجلد الأول ، الورقة ٢١٠

(٢) في الأصل : « أهلها » وهو تصحيف . واللهازم جمع لهيزم : وهو في أصل اللغة :

العظم الناق تحت الأذن . (٣) الزيادة عن دلائل النبوة .

(٤) في الأصل : « يقول » وما أثبتناه عن دلائل النبوة ؛ وانظر مجمع الأمثال ٢ : ٥٧

(٥) الخوفزان : لقب الحارث بن شريك الشيباني .

٢٠ (٦) المزدلف : لقب عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان ؛ لقب بذلك ؛ لأقترابه بن الأقران

في الحروب وازدلاله إليهم ؛ وكان إذا ركب لم يعمم معه غيره (انظر تاج العروس) .

قال فنكم أصهار الملوك من نلح ؟ قالوا : لا . قال أبو بكر : فلستم من دهل الأكربر ، أتم من دهل الأصغر . قال : فقام إليه غلام من بنى شيان يقال له دَغَل حين بقل وجهه ، فقال :

إن على سائلنا أن نسأله * والعبء لا نعرفه أو نحملة

: يا هذا ، إنك قد سألنا فأخبرناك ، ولم تكتمك شيئا ، فمن الرجل ؟ قال أبو بكر : أنا من قريش ، فقال الفتى : نَحْج ! أهل الشرف والرياسة ، فمن أى القريشين أنت ؟ قال : من ولد تيم بن مُرة . فقال الفتى : أمكنت والله الرأى من سواء الثغرة ، أمنكم قصى الذى جمع القبائل من فهر ؟ فكان يدعى فى قريش مجمعا ؟ قال : لا ، قال : فنكم هاشم الذى هشم الثريد لقومه ، ورجال مكة مستنون عجاف ؟ قال : لا ، قال : فنكم شبة الحمد عبد المطلب ، مطعم طير السماء ، الذى كأت وجهه القمر يضى فى الليلة الداجية ؟ قال : لا ، قال : فمن أهل الإفاضة بالناس أنت ؟ قال : لا ، قال : فمن أهل الحجابة أنت ؟ قال : لا ، قال : فمن أهل السقاية أنت ؟ قال : لا ، قال : فمن أهل الندوة أنت ؟ قال : لا ، قال : فمن أهل الرفادة أنت ؟ قال : لا ، واجتذب أبو بكر زمام ناقته راجعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الغلام :

صَادَفَ دُرَّ السَّيْلِ دُرًّا يَدْفَعُهُ ^(٣) * يَهْبِضُهُ حِينَ وَحِينًا يَصْرَعُهُ

(١) بقل وجهه : أى أول ما ينبت لحته . وفى البلائيل : « تين » .

(٢) يشير الى قول ابن الزبهرى :

عمرو العلاء هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مستنون عجاف

اللسان مادة (سنت) .

(٣) فى الأصل : « صادف درسيل درة » وهو تصحيف ، وما أثبتناه عن دلائل النبوة .

أما والله لو شئت لأخبرتكم من قريش، فبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال عليّ: فقلت: يا أبا بكر؛ لقد وقعت من الأعراب على باقة^(١)، قال: أجل يا أبا الحسن، «ما من طامة إلا وفوقها طامة»، و«البلاء موكل بالمنطق».

- قال: ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليهم السكينة والوقار، فتقدم أبو بكر فسلم وقال:
- من القوم؟ قالوا: من شيبان بن ثعلبة، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: بأبي وأمي هؤلاء غرر الناس! وفيهم مفروق بن عمرو، وهانئ بن قبيصة، والمثنى بن حارثة، والنعمان بن شريك، وكان مفروق قد غلبهم بحالا ولسانا، وكانت له غدیرتان تسقطان على تربتيه^(٢)، وكانت أدنى القوم مجلسا، فقال أبو بكر: كيف العدد فيكم؟ فقال مفروق: إنا لتزيد على ألف، ولن تغلب ألف من قلة، فقال أبو بكر: فكيف المنعة فيكم؟ قال مفروق: علينا الجهد، ولكل قوم جد؛ فقال أبو بكر: فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم؟ فقال مفروق: إنا لأشد ما نكون غضبا حين نلقى، وإنا لأشد ما نكون لقاء حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح^(٣)، والنصر من عند الله، يُدبِلنا مرة، ويُدبِل علينا أخرى، لعلك أخو قريش؟ فقال أبو بكر: قد بلغكم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألا هو ذا، قال مفروق: بلغنا أنه يذكر ذلك، وإلام تدعو يا أخا قريش؟ فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بجلس، وقام أبو بكر يُظَلِّه بثوبه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،

(١) الباقعة: الرجل الذكي العارف لا يفوته شيء. (٢) التريسة: أعلى صدر الإنسان

تحت الذنن. (٣) اللقاح: الإبل؛ واحدة لقوح، بالفتح.

وأن محمدا عبده ورسوله ، وإلى أن تأووني وتنصروني ، فإن قريشا قد ظهرت على أمر الله ، وكذبت رسله ، وأستغنت بالباطل عن الحق ، والله هو الغني الحميد .

فقال مفروق بن عمرو : وإلام تدعون يا أخا قريش ؟ فوالله ما سمعت كلاما أحسن من هذا ، فثلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَصَّائِكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾^(١) ، فقال مفروق : وإلام تدعون يا أخا قريش ؟ فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض ، قال : فثلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾^(٢) ، فقال مفروق : دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ، ومحاسن الأعمال ، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك — وكأنه أحب أن يشركه في الكلام هاني بن قبيصة فقال : وهذا هاني شيخنا وصاحب ديننا . قال هاني : قد سمعت مقاتك يا أخا قريش ، وإني أرى إن تركنا ديننا وأتبعناك على دينك يجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر ، إنه زلل في الرأي ، وقلة نظر في العاقبة ، وإنما تكون الزلة مع العجلة ، ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقدا ، ولكن ترجع ونرجع ، وتنظر وننظر في العاقبة ، وكأنه أحب أن يشركه المنثي بن حارثة ، فقال : وهذا المنثي شيخنا وصاحب حربنا ، فقال المنثي : قد سمعت مقاتك يا أخا قريش ، والجواب فيه جواب هاني بن قبيصة في تركنا ديننا ، ومشايعتك على دينك ، وإنا إنما نزلنا بين صيرين : الإمامة والسماة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” ما هذان الصيران ؟ ” . فقال : أنهار كسرى ومياه العرب ، فأما ما كان من أنهار كسرى ؛ فذنب ضاحبه غير مقفور ، وعذره

(١) سورة الأنعام ١٥١ — ١٥٣ (٢) سورة النحل ٩٠

(٣) أفك : كذب . (٤) ظاهروا عليك ، أي أعانوا عليك .

(٥) الصير بالكسر : الماء يحضره الناس ، يروى : بين صيرتين ، فلة منه .

غير مقبول، وأما ما كان مما يلي مياه العرب، فذنب صاحبه مغفور، وعذره مقبول،
 ولما أنما نزلنا على عهد أخذه علينا؛ أنا لا نحدث حدنا، ولا نأوى محدنا، فإني أرى
 أن هذا الأمر الذي تدعوننا إليه يا أخا قريش مما يكره الملوك، فإن أحببت أن نأويك
 وننصرك مما يلي مياه العرب فعلنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أسأتم^٥
 في الرد إذ أفصحتم بالصدق، وإن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع
 جوانبه. أرايتم إن لم تلبثوا إلا قليلا حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم
 ويفرشكم نساءهم، أتستبحون الله وتقدسونه؟" فقال النعمان بن شريك: اللهم
 فلك ذاك، قال: فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا
 وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ^(١) 》， ثم نهض قابضا على يد أبي بكر
 وهو يقول: "يا أبا بكر، أية أخلاق في الجاهلية ما أشرفها! بها يدفع الله عز وجل
 بأس مبعضهم من مبعض، وبها يتحاجزون فيما بينهم"، قال: فدفعنا إلى مجلس
 الأوس والخزرج، فما نهضنا حتى يابعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فلقد
 رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سُرَّ بما كان من أبي بكر، ومعرفته بأنسابهم.

ذكر بيعة العقبة الأولى

قال محمد بن إسحاق: فلما أراد الله تعالى إظهار دينه، وإعزاز نبيه،
 وإنجاز مواعده له خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢) [في] الموسم الذي لقي فيه
 الأنصار، ^(٣) فعرض نفسه على قبائل العرب كما يصنع في كل موسم، فبينما هو عند
 العقبة لقي رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا، فقال لهم: "من أتم؟" قالوا:

(١) سورة الأحزاب ٤٥ — ٤٦ (٢) من ابن هشام: ٧٠ : ٢

(٣) في ابن هشام: « الذي لقيه فيه الثمن الأنصار » .

فمن الخزرج، قال : «أمن موالى يهود» ؟ قالوا : نعم ، قال : ^(١) «أفلا تجلسون
أكلهم» ؟ قالوا : بلى ، فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله وعرض ^(٢) [عليهم] الإسلام ،
وتلا عليهم القرآن ، قال : وكان يهودٌ معهم في بلادهم ، وكانوا أهلَ كتابٍ وعلم ،
وكانوا هم أهلُ شركٍ وأوثان ، وكانوا قد غزَوْهم ببلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شيءٌ
قالوا لهم : إن نبياً مبعوث الآن قد أظلم زمانه يتبعه فتقتلكم معه قتل عادٍ وإرم ،
فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ، ودعاهم إلى الله ، قال بعضهم
لبعض : يا قوم ، تعلموا والله أنه للنبي الذي توعد به يهود ، فلا تسبقنكم إليه ،
فاجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدقوه وقيلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ،
وقالوا : إنا قد تركنا قومنا ولا قومَ بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسى أن
يجمعهم الله بك ، فتقدم عليهم فتدعوهم إلى أمرك ، وتعرض عليهم الذي أجبتك
إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك . ثم انصرفوا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، راجعين إلى بلادهم ، وقد آمنوا وصدقوا .

قال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى ^(٤) : فاختلف علينا في أول من أسلم من
الأنصار وأجاب . فذكروا الرجل بعينه ، وذكروا الرجلين ، وذكروا أنه لم يكن
أحدٌ أول من الستة . وذكروهم .

وقال محمد بن عمر بن واقد : هذا عندنا أثبت ما سمعنا فيهم ، وهو المجمع عليه ،
وهم من بني النجار : أسعد بن زُرارة بن عُدس ، وعوف بن الحبارث ^(٥) [وهو]
ابن عفراء . ومن بني زريق : رافع بن مالك . ومن بني سلمة بن سعد : قطبة

(١) في الأصل « قالوا » وهو تحريف . (٢) الزيادة عن ابن هشام .

(٣) في ابن هشام : « توعدكم » . (٤) الطبقات ج ١ ق ١ : ١٤٦ .

(٥) بكلة من ابن هشام ؛ وعفراء هي أمه ؛ وانظر أسد الغابة ٤ : ١١٥ .

ابن عامر بن حديدة . ومن بنى حرام بن كعب : عقبة بن عامر بن نابي . ومن
 بنى عبيد بن عدى بن ساعدة : جابر بن عبد الله ؛ ولم يذكر ابن إسحاق غيرهم .
 قال : ثم قدموا المدينة فدعوا قومهم إلى الإسلام ، فأسلم من أسلم ، ولم تبق
 دار من دور الأنصار إلا فيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 قال الواقدي : وأول مسجد قرئ به القرآن بالمدينة مسجد بنى زريق .
 والله أعلم .

ذكر بيعة العقبة الثانية

١٠٩
١٤

(وقد ترجم عليها بعضهم بالأولى)

قال : فلما كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً .
 قال محمد بن سعد : ليس [فيهم]^(١) عندنا خلاف ، فلقوه بالعقبة ، وهي العقبة
 الأولى ، فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء ، وذلك قبل أن
 يُفرض عليهم الحرب ، وكان من هؤلاء خمسة ممن حضر البيعة الأولى من الستة
 المجمع عليهم ، وهم : أسعد بن زرارة ، وعوف بن الحارث ، ورافع بن مالك ،
 وعقبة بن عامر ، وقُطبة بن عامر بن حديدة ، ومنهم من وقع الاختلاف فيه :
 هل شهد البيعة الأولى أو لم يشهدا ؟ وهم ستة نفر : معاذ بن الحارث [وهو]^(٢)
 ابن عفراء ، أخو عوف ، وذكوان بن [عبد]^(٣) قيس بن خلدة ، وعبادة بن الصامت
 ابن قيس ، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة ، وأبو الهيثم بن التيهان ، واسمه مالك ،
 وعويم بن ساعدة ، وهما من الأوس .
 ومن لم يشهد البيعة الأولى بلا خلاف : العباس بن عباد بن فضالة .

(١) الزيادة عن ابن سعد . (٢) من ابن هشام ج ٢ : ٧١ (٣) من ابن سعد .

روى محمد بن إسحاق عن عبادة بن الصامت قال : كنت ممن حضر العقبة الأولى ، وكنا اثني عشر رجلا ، فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء — وذلك قبل أن تفرض الحرب — على ألا نشرك بالله شيئا ، ولا نسرق ، ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى يهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف ، وإن أنفدنا فليكن الجنة ، وإن غَشِيتُم من ذلك شيئا فأخذتم بحدّه في الدنيا فهو كفّارة له ، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله ؛ إن شاء عذب ، وإن شاء غفر . قال : فلما أنصرف عنه القوم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب ابن عمير بن هاشم بن عبد مناف ، وأمره أن يُقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم في الدين ، فكان يسمى المقرئ بالمدينة ، وكان منزله على أسعد بن زرار . قال محمد بن سعد : ثم انصرفوا إلى المدينة ، فأظهر الله الإسلام ، وكان أسعد ابن زرار ^(١) يجمع بالمدينة بن أسلم ، وروى أن مصعب كان يجمع بهم . والله أعلم .

ذكر بيعة العقبة الثالثة

وهم السبعون (وترجم عليها ابن سعد بالثانية)

قال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى ، عن محمد بن عمر بن واقد ، بإسناد إلى عبادة بن الصامت ، وسفيان بن أبي العوجاء ، وقتادة ، ويزيد بن رومان ، قال الواقدي : دخل حديث بعضهم في حديث بعض ، قالوا : لما حضر الحج مشى أصحابُ النبي صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا بعضهم إلى بعض يتواعدون المسير إلى الحج ، وموافاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والإسلام يومئذ فاش بالمدينة ، فخرجوا وهم سبعون يزيدون رجلا أو رجلين في نحر الأوس والخزرج ،

(١) يجمع : يؤمهم في صلاة الجمعة .

(٢) الخمر : جماعة الناس وكثرتهم .

وهم خمسمائة حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، فسلموا عليه،
ثم وعدهم منى، وسط أيام التشريق ليلة النفر الأول؛ إذا هدأت الرِّجُلُ^(١) [أن] يوافوه
في الشعب الأيمن إذا انحدروا من منى بأسفل العقبة، وأمرهم ألا ينهوا نائمًا،
ولا ينتظروا غائبًا. قال: ثم تفرج القوم بعد هدة يتسللون، الرجل والرجلان، وقد
سبقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الموضع، معه العباس بن عبد المطلب،
ليس معه غيره.

وقال محمد بن إسحاق: أنهم سبقوه إلى الشعب وانتظروه، وهم ثلاثة وسبعون
رجلًا وأمرأتان: نسيبة بنت كعب، وأسماء بنت عمرو بن عدى، حتى أقبل
ومعه عمه العباس.

- ١٠ قال ابن سعد: فكان أول من طلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم: رافع
ابن مالك الزرقى، ثم توافى السبعون، ومعهما أمرأتان، فكان أول من تكلم العباس
ابن عبد المطلب، فقال: يا معشر الخزرج، إنكم قد دعوتُم هذا إلى ما دعوتموه
إليه، ومجد من أعز الناس في عشيرته، يمنعه والله منا من كان على قوله، ومن
لم يكن منا على قوله منعه للحسب والشرف، وقد أبى مجد الناس كلهم غيركم،^(٢) فإن
كتم أهل قوة وجلد وبصير بالحرب، واستقلال بمداوة العرب قاطية، ترميكم
عن قبوس واحدة، فارتثوا رأيكم، ولا تفرقوا إلا عن ملاءمكم واجتماع،
فإن أحسن الحديث أصدقُه.

١١٠
١٤

(١) الزيادة عن ابن سعد ج ١ ق ١: ١٤٩

(٢) في الأصل: «من ثابا أسفل» وما أثبتناه عن الطبقات.

(٣) زاد في ابن سعد: «واتمروا بينكم».

(٤) في الأصل: «عنكم». وما أثبتناه عن ابن سعد.

وقال ابن إسحاق ^(١) : إن العباس قال : يا معشر الخرج ، إن هذا منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عز من قومه ، ومنعة في بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم ، والحق بكم ؛ فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه إليه ، وما نعوه ممن خالفه ، فآتم وما تحتمن من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسايبره وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه ، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده .

قال ابن سعد : فقال البراء بن معرور : قد سمعنا ما قلت ، وإنا والله لو كان في أنفسنا غير ما ننتطق به لقلناه ، ولكننا نريد الوفاء والصدق ، وبذل مهج أنفسنا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق — فيما رواه بسنده عن كعب بن مالك : فقلنا له : سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله ، نخذ لنفسك ولربك ما أحببت ، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ، ورغب في الإسلام ثم قال : ”أبايعكم على أن تمنعوني فيما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم“ . قال : فأخذ البراء بن معرور بيده ، ثم قال : نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما تمنع منه أئمتنا — ^(٢) يعني نساءنا — فبايعنا يا رسول الله ، فحنن والله أهل الحروب ، وأهل الحلقة ورثاها كبارا من كبار .

قال ابن سعد : ويقال : إن أبا الهيثم بن التيهان كان أول من تكلم فأجاب إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : نقبله على مصيبة الأموال ، وقتل الأشراف ؛ قال : ولتخطوا . فقال العباس . وهو آخذ بيد رسول الله صلى الله عليه

(١) انظر ابن هشام : ٨٤٢ ، إمتاع الأصماع : ٣٥ . (٢) الأزد : جمع إزار ككخاب ،

وهو الثوب ، وكثيرا ما يكون عن المرأة بالإزار ، كما يكون عنها بالثياب ، والفراس .

(٣) في ابن هشام : « أبناء الحروب » . (٤) زاد في ابن سعد قوله : « ومذقه » .

وسلم : أخفوا جثثكم فإن علينا عيوننا ، وقدّموا ذوى أسنانكم فيكونون هم الذين يلون كلامنا منكم ، فإننا نخاف قومكم عليكم ، ثم إذا بايعتم فنفزقوا إلى محالكم . فتكلّم البراء بن معرور ، فأجاب العباس ، ثم قال : أبسط يدك يا رسول الله ، وكان أوّل من ضرب على يد رسول الله البراء بن معرور — ويقال : أبو الهيثم بن التيهان ، ويقال : أسعد بن زرارة — ثم ضرب السبعون كلّهم على يده و بايعوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” إن موسى أخذ من بني إسرائيل اثني عشر نقيبا فلا يجدن منكم أحد في نفسه أن يؤخذ غيره ، فإنما يختار لي جبريل ^(١) ” ، ثم قال للنقباء : ” أتم كفلاء على غيركم ، ككفالة الخواريين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومي ” ، قالوا : نعم ، قال : فلما بايعوا وكلوا ، صاح الشيطان على العقبة بأبعد صوت سمع : يا أهل الأخاشب ، هل لكم في عهد والصّابة معه قد اجتمعوا على حربكم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” انفضّوا إلى رحالكم ” ، فقال العباس ابن عبادة بن نضلة : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق لئن أحببت لنيلن على أهل منى بأسيا فانا ، وما أحدٌ عليه سيف تلك الليلة غيره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” إنا لم نؤمر بذلك فانفضّوا إلى رحالكم ” ، فنفزقوا إلى رحالهم ، فلما أصبح القوم غدّت عليهم جلة قريش وأشرافهم حتى دخلوا شعب الأنصار ، فقالوا : يا معشر الخزرج ، إنا بلغنا أنكم لقيتم صاحبنا بالراحة ، وواعدتموه أن تبأيعوه على حربنا ، وآيم الله ما حي من العرب أبفضّ إلينا إن شئت بيننا وبينه ^(٢) الحرب منكم ، قال : فانبعث من كان هناك من الخزرج من المشركين يحلفون لهم

(١) عبارة ابن سعد : « فلما تخبرهم قال للنقباء » الخ .

(٢) في الأصل : « إنا لن نأمن بذلك » ، والتصويب من ابن سعد .

(٣) في ابن سعد : « تنشب » .

بالله ما كان هذا وما علمنا ، وجعل ابن أبي يقول : هذا باطل ، وما كان هذا ، وما كان قومي ليفتاتوا على بمثل هذا ، لو كنت بيثرب ما صنع هذا قومي حتى يؤامروني ، فلما رجعت قريش من عندهم رحل البراء بن معرور ، فتقدم إلى بطن ^(١) يابج ، وتلاحق أصحابه من المسلمين ، وجمعت قريش تطلبهم في كل وجه ، ولا تعدوا طريق المدينة ، وحزبوا عليهم ، فأدركوا سعد بن عباد ، فجعلوا يده إلى عنقه ^(٢) بنسعة ، وجعلوا يضربونه ويحزبون شعره ، وكان ذا جمعة حتى دخلوا مكة ^(٣) ، بفناء مطعم بن عدي ، والحارث بن أمية بن عبد شمس فخلصاه من أيديهم ، وأثمرت الأنصار حين فقدوا سعد بن عباد أن يكرؤا إليه ، فإذا سعد قد طلع عليهم ، فرحل القوم جميعا إلى المدينة .

ذكر تسمية من شهد العقبة وبايع رسول الله

صلى الله عليه وسلم

١١١

١٤

قال محمد بن إسحاق : كانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين ، فكان من شهداها من الأوس أحد عشر رجلا ، وهم أسيد بن الحضير ، وأبو الهيثم بن التيهان ، وسلمة ابن سلامة بن وقش ، وظهير بن رافع بن عدي ، وأبو بردة هاني بن نيار ، ونهير ابن الهيثم بن ناي ، وسعد بن خيشمة بن الحارث ، ورفاعة بن عبد المنذر ، وعبد الله ابن جبير بن النعمان ، ومعن بن عدي بن الجسد بن عجلان ، وعويم بن ساعدة . وشهداها من الخزرج أحد وستون رجلا : منهم من بنى النجار أحد عشر رجلا ،

(١) يابج كيسم ويضرب : اسم مكان على ثمانية أميال من مكة .

(٢) في ابن سعد : « طروق » . (٣) النسعة بالكسر : سيرة مضطربة يحمل زيا ما للبير وغيره .

(٤) الجلة من شعر الرأس : ما سقط على المنكبين ، وهي أكثر من الوفرة .

(٥) في ابن سعد : « أدخلوه » .

وهم أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب، ومعاذ بن الحارث بن رفاعه، وأخوه عوف بن الحارث، وأخوه معوذ بن الحارث، ومحمارة بن حزم بن زيد، وأسعد بن زُرارة ابن عُدَس^(١)، ومهل بن عَتَيْك بن النعمان، وأوش بن ثابت بن المنذر بن حرام، وأبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود، وقيس بن أبي صعصعة، وعمرو بن غزيرة ابن عمرو بن ثعلبة .

ومن بني الحارث بن الخزرج سبعة نفر، وهم : سعد بن الربيع بن عمرو، وخارجة بن زيد بن أبي زهير، وعبد الله بن رواحة، وبشير بن سعد بن ثعلبة، وعبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه، وخلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو، وعُقبة ابن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة^(٢) .

- ١٠ ومن بني بياضة بن عامر بن زريق ثلاثة نفر، وهم : زياد بن ليث بن ثعلبة ابن سنان، وفروة [بن] عمرو بن ودقة^(٣)، وخالد بن قيس بن مالك بن العجلان .
- ومن بني زريق بن عامر بن زريق ثلاثة نفر : رافع بن مالك بن العجلان ابن عمرو، ودُكوان بن عبد قيس بن خَلْدَة بن مَخْلَد بن عامر بن زريق — وكان نخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان معه بمكة فهاجر، فكان يقال له : مهاجرى أنصارى — وعبد بن قيس بن عامر بن خالد .

ومن بني سلمة بن سعد بن علي بن أسد أحد عشر رجلا : البراء بن معرور ابن صخر، وابنه بشر بن البراء، وسنان بن صيفي بن صخر، والطفيل بن النعمان

- (١) عدس : قال ابن بري : صوابه بضتين، وقال الجوهري : كُفْم .
- (٢) في الأصل : « قدير » ؛ وما أثبتناه من ابن هشام والاستيعاب .
- (٣) تمكلة من ابن هشام . (٤) في الاشتقاق : ودقة بذال معجمة وقاف ، وفي الاستيعاب : ودقة ، بذال وقاف . قال ابن هشام : هو الأصح .

ابن خنساء ، ومعقل بن المنذر بن شرح ، ويزيد بن المنذر بن شرح ، ومسعود
ابن يزيد بن سبيع ، والضحاك بن حارثة بن زيد ، ويزيد بن حرام بن سبيع ، وجبار
ابن صخر بن أمية بن خنساء ، والطفيل بن مالك بن خنساء .

ومن بني سواد بن غنم بن كعب بن سلمة : كعب بن مالك بن أبي كعب
عمرو بن القين بن كعب بن سواد ، وهو الشاعر .

ومن بني غنم بن سواد بن غنم خمسة نفر ، وهم : سليم بن حديدة ، ويزيد
ابن عامر بن حديدة ، وهو أبو المنذر ، وأبو اليسر ، واسمه كعب بن عمرو ، وصيفي
ابن سواد بن عباد ، وقُطَبة بن عامر بن حديدة ، أخو يزيد .

ومن بني ناي بن عمرو بن سواد بن غنم خمسة نفر : ثعلبة بن غنمة بن عدى
ابن ناي ، وعمرو بن غنمة بن عدى ، وعيس بن عامر بن عدى . وعبد الله بن أنيس
حليف لهم من قضاة ، وخالد بن عمرو بن عدى .

ومن بني حرام بن كعب سبعة نفر ، وهم : عبد الله بن عمرو بن حرام ، وابنه
جابر بن عبد الله ، ومعاذ بن عمرو بن الجموح ، وثابت بن الجذع — والجذع ثعلبة
ابن زيد — ، وعمير بن الحارث بن ثعلبة ، وخديج بن سلامة بن أوس ، ومعاذ
ابن جبل بن عمرو بن أوس ، مات بعمواس عام الطاعون .

ومن بني عوف بن الخزرج أربعة نفر ، وهم : عبادة بن الصامت بن قيس ،
والعباس بن عبادة بن نضلة — وكان ممن خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو بمكة فأقام فكان^(٣) يقال له : مهاجرى أنصارى ، قتل يوم أحد —

(١) كذا في ابن هشام . والذي في الأصل : « ابن » .

(٢) في الأصل : « خمسة » — وما أثبتناه عن ابن هشام : ١٠٧ : ٢ .

(٣) في ابن هشام : ١٠٧ : ٢ . « فأقام معه بها » .

وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة حليف لهم من بني عَصِيَّة من يَلِيّ ، وعمرو بن الحارث بن ثَبَدَةَ بن عمرو .

ومن بني سالم بن عَمَّ بن عوف — وهم بنو الحَبْلِيّ — رجلان : رفاعَة بن عمرو ابن ثعلبة بن مالك ، وعقبة بن وهب بن كلدة بن الجعد حليف لهم ، وكان ممن خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا إلى مكة ، فكان يقال له : مهاجري أنصاري .

ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج رجلان : سعد بن عبادة بن دُلَيْم ابن حارثة ، والمنذر بن عمرو بن خُنَيْس ، وأمرأتان ، وهما : نسيبة ابنة كعب ابن عمرو ، وهي أم عمارة ، وأم منيع ، واسمها أسماء بنت عمرو بن عدي بن نافي ، ولم يصالحهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه كان لا يصالح النساء ، وإنما كان يأخذ عليهن ، فإذا أفرقن قال : أذهبن ، وكان النقباء من هؤلاء اثني عشر رجلا ، وهم : أسعد بن زرارة ، وسعد بن الربيع ، عمرو ، وعبد الله بن راحة ابن أمريئ القيس ، ورافع بن مالك بن العجلان ، والبراء بن معرور ، وعبد الله ابن عمرو بن حرام ، وعبادة بن الصامت بن قيس ، وسعد بن عبادة بن دُلَيْم ، والمنذر بن عمرو بن خُنَيْس ^(١) ويقال : ابن خُنَيْس ، هؤلاء من الخزرج .

ومن الأوس ثلاثة نفر : أسيد بن حَضِير ، وسعد بن خيثمة بن الحارث ، ورفاعة بن عبد المنذر .

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : وأهل العلم يعدّون أبا الهيثم بن التيهان ، ولا يعدّون رفاعَة . والله أعلم بالصواب .

١١٢
١٤

ذكر أول آية أنزلت في القتال

قال محمد بن إسحاق : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بيعة العقبة الأولى لم يؤذَن له في الحرب ، ولم تُحلل له الدماء ، وإنما أمر بالدعاء إلى الله ، والصبر على الأذى ، والصفح عن الجاهل ، وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من قومه حتى فتنوهم عن دينهم ، وأخرجوهم من بلادهم ، فلما عتت قريش على الله ؛ أذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم في القتال ، فكانت أول آية أنزلت في إذنه تعالى له في الحرب ، قوله تعالى : ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ . الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ۝ ١٠ ۝ ﴾ (١) ثم أنزل الله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ۝ ﴾ أى حتى لا يفتن مؤمن عن دينه ، ﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۝ ﴾ (٢) أى حتى يعبد الله لا يعبد غيره .

ذكر أول من هاجر من مكة إلى المدينة

قال محمد بن إسحاق : لما أذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في الحرب ، وبايعه الأنصار على الإسلام ، والنصرة له ولمن آتبعه وأوى إليهم من المسلمين ، أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه من المهاجرين من قومه ، ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها ، وللحق بإخوانهم من الأنصار ؛

(١) سورة الحج ٣٩ - ٤١ (٢) سورة البقرة ١٩٣

وقال: «إن الله قد جعل لكم إخوانا، ودارا يأمنون بها»^(١)، فخرجوا أرسالا، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر الإذن من الله في الهجرة إلى المدينة، فكان أول من هاجر من المهاجرين من قريش: أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد ابن هلال بن عبد الله المخزومي، وكانت هجرته قبل بيعة العقبة بسنة، وكان قد قدم من أرض الحبشة، فلما أذنته قريش، وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار هاجر إلى المدينة، فقتل بقرية بني عمرو بن عوف بقباء على أحمد بن مبشر ابن عبد المنذر، ثم كان أول من قدمها بعد أبي سلمة عامر بن ربيعة حليف بني عدى بن كعب، معه امرأته ليلي بنت أبي حثمة بن غانم، ثم عبد الله بن جحش ابن رثاب، حليف بني أمية ابن عبد شمس، احتمل بأهله وبأخيه عبد بن جحش، وهو أبو أحمد، وكان رجلا ضرير البصر، وكان يطوف مكة بغير قائد، وكانت عنده القرعة بنت أبي سفيان بن حرب، نزل هؤلاء كلهم بقباء على أحمد ابن مبشر أيضا، ثم قدم المهاجرون أرسالا، ثم خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعياش بن أبي ربيعة في عشرين من المسلمين، منهم: زيد بن الخطاب أخو عمر، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وخنيس ابن حذافة السهمي، وواقد بن عبد الله التميمي حليف بني عدى، وعبد الله وعمرو ابنا سراقه بن المعتمر—ويقال: عمر بدل عمرو—وخولي بن أبي خولي، حليف الخطاب، وأخوه مالك—ويقال: هلال بن أبي خولي بدل مالك—وبنو البكير الأربعة: إياس، وعافل، وخالد، وعامر. ويقال: وكان مع عمر ابنه عبد الله ابن عمر.

(١) أرسالا: جماعات.

(٢) في أسد الغابة: «حثمة بن حذيفة بن غانم».

قال ابن إسحاق: فترى عمر بن الخطاب، وعياش بن أبي ربيعة في بني عمرو
 ابن عوف بقاء، بقاء أبو جهل والحارث أبنا هشام إلى عياش إلى المدينة، وكان
 ابن عمهما وأخاهما لأمههما، فكلماه في الرجوع، وقال: إن أمك قد نذرت أن
 لا يمسح رأسها مشط، ولا تستظل من شمس حتى تراك، ففرق لها. قال عمر
 ابن الخطاب: ققلت له: يا عياش، إنه والله إن يريدك القوم إلا [ليفتنوك] ^(١) عن
 دينك فأحذرهم، فوالله لو آذى أمك القمل لامتشطت، ولو اشتد عليها حر مكة
 لاستظلت. فقال: أبر قسم أمي، ولي هناك مال فأخذه. قال عمر: ققلت له:
 يا عياش، والله إنك لتعلم أني من أكثر قريش مالا، فلك نصف مالي ولا تذهب
 معهما. قال: فإني إلا أن يخرج معهما، فقلت: أما إذ فعلت فخذ باقي هذه
 فإنها ناقة نجية ذلول، فألزم ظهرها، فإن رابك من القوم ريب فأنج عليها، فخرج
 عليها معهما حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال له أبو جهل: يا أحمى والله لقد
 استغلظت بعيري هذا، أفلا تعقبني على ناقك؟ ^(٢) قال: بلى، فأناخ وأناخا ليتحول
 عليها، فلمّا استنوا بالأرض أوثقاه رباطا، ^(٣) ثم دخلا به [مكة] ^(٤)، وفتناه فأفتن.
 رواه ابن إسحاق عن نافع عن ابن عمر.

قال ابن إسحاق: ودخلا به مكة نهرا موثقا، وقال: يا أهل مكة، هكذا
 فافعلوا بسفهاكم كما فعلنا بسفينا هذا. قال ابن عمر في حديثه فكان يقول:
 ما الله بقابل ممن آفتن صرفا ولا عدلا ولا توبة، قوم عرفوا الله ثم رجعوا إلى

(١) الزيادة من ابن هشام ٢ : ١١٨

(٢) تعقبني على ناقك : من قولهم أعقب زيد عمرا، أي ركبنا بالزينة.

(٣) في ابن هشام ٢ : ١١٩ «عدوا عليه فأوثقاه وربطاه».

(٤) الزيادة عن ابن هشام.

الكفر لبلاء أصابهم ، وكانوا يقولون نذلك لأنفسهم ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أنزل الله فيهم ، وفي قولنا وقولهم لأنفسهم : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ . وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ^(١) 》 ، قال عمر : فكتبته يدي في صحيفة ، وبعثت بها إلى هشام بن العاص ، فلما قرأها لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة .

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : حدثني من أثنى به أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو بالمدينة : « مَنْ لِي بَعِاشُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَهَشَامُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ ؟ » فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة : أنا لك يا رسول الله بهما ، فخرج إلى مكة ، فقدمها مستخفيا ، فلقى امرأة تحمل طعاما فقال لها : أين تريدان يا أمة الله ؟ قالت : أريد هذين المحبوسين — تعنيهما — فتبعها حتى عرف موضعهما ، وكانا قد حبسا في بيت لا سقف له ، فلما أمسى تسور عليهما ، ثم أخذ مروءة فوضعهما تحت قيديهما ، ثم ضربهما بسيفه فقطعهما ^(٢) ، ثم حملهما على بعيره ومار بهما ، فعثر فدميت إصبعه فقال :

هل أنت إلا إصبعٌ دَمِيت * وفي سبيل الله ما لقيت

نعود إلى تمة أخبار عمر في هجرته — قال ابن إسحاق : ونزل عمر بن الخطاب حين نزل المدينة ومن لحق به من أهله وقومه ، وأخوه زيد بن الخطاب ، وعمر بن عبد الله

(١) سورة الزمر ٥٣ — ٥٥ .

(٢) المروءة : واحدة المروء ، وهي حجارة بيض براقعة تورد النار .

(٣) زاد في ابن هشام بعد هذا : « فكان يقال لسيفه : ذوا المروءة لذلك » .

(٤) في ابن هشام : « قدم » . ومؤدّي الرايتين واحد .

أبنا سُرَاقَة بن المعتمر، وخُنَيْس بن حُذَافَة السهمي — وكان صهره على أبنته حفصة
 خلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده — وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل،
 وواقد بن عبد الله التيمي، حليف لهم، وخولى بن خولى، ومالك بن خولى،
 حليفان لهم، وبنو البكير الأربعة: إياس، وعاقل، وعامر، وخالد، حلفاؤهم،
 وهم من بني سعد بن ليث، على رفاعَة بن المنذر بَقِيَاء، ثم تتابع المهاجرون، فقتل
 طلحة بن عبيد الله، وصهيب بن سنان على خُيَيب بن إساف أنحى بلعارت بن
 الخزرج، ويقال: بل نزل طلحة على أسعد بن زُرارة، ونزل حمزة بن عبد المطلب،
 وزيد بن حارثة، وأبو مرثد تكاز بن حصين، وأبنة مرثد الغنويان حليفا حمزة
 ابن عبد المطلب، وأنسة وأبو كبشة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم على كلثوم
 ابن هدم أنحى بني عمرو بن عوف بَقِيَاء — ويقال: بل نزلوا على سعد بن خيشمة،
 ويقال: بل نزل حمزة على أسعد بن زُرارة — ونزل عبيدة بن الحارث بن المطلب،
 وأخواه الطفيل والحُصَيْن، ومُسَطَّح بن أُنَافَة بن عباد بن المطلب، ومُؤَيَّب بن
 سعد بن حريملة، أخو بني عبد الدار، وطُليب بن عمير أخو بني عبد بن قصي،
 وخبّاب مولى عتبة بن غزوان على عبد الله بن سلمة أنحى بلعجلان بَقِيَاء، ونزل

(١) قباء: على فرسخ من المدينة.

(٢) في الأصل: «المهاجرين»؛ وهو خطأ من النسخ.

(٣) ويقال فيه: «بِقِيَاء» بياء مفتوحة: وهو ابن عتبة، ولم يكن حين نزل المهاجرون عليه

سليما، بل أُمِر إسلامه حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر (عن الاستيعاب ملخصا).

(٤) زاد في ابن هشام بعد هذه الكلمة قوله: «بالسنع».

(٥) في أسد الغابة: «ابن هرم»، بالراء. وفي ابن سعد، والاستيعاب: «ابن المخدم».

(٦) كذا في الأصل، وابن هشام، وفي الاستيعاب، وأسَد الغابة، والتاج، والإصابة: «حومة».

عبد الرحمن بن عوف في رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع أنى بلجارت
ابن الخزرج في دار بلجارت ، ونزل الزبير بن العوام ، وأبو سبرة بن أبي رهم بن
عبد العزى على منذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح بالعصبة دار
بنى بجحجي . ونزل مصعب بن عمير بن هاشم أخو بني عبد الدار على سعد بن معاذ
أبن النعمان في دار بني عبد الأشهل . ونزل أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وسالم
مولى أبي حذيفة ، وعتبة بن غزوان بن جابر على عباد بن بشر بن وقش أنى
بني عبد الأشهل في دار بني عبد الأشهل . ونزل عثمان بن عفان على أوس بن ثابت
أبن المنذر أنى حسان بن ثابت في دار بني النجار . وكان يقال : نزل العزاب من
المهاجرين على سعد بن خيشمة ، وذلك أنه كان عزبا .

١٠ ذكر اجتماع قريش في دار الندوة ، وتشاورهم في شأن النبي صلى الله
عليه وسلم ، واتفاقهم على قتله ، وحماية الله تعالى له ،

وخبر الشيخ النجدى ، وهو إبليس ، خزاه الله .

قال محمد بن إسحاق ، يرفعه إلى عبد الله بن عباس وغيره قالوا : لما رأنا
قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كانت له شيع وأصحاب من غيرهم
من غير بلدهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا
دارا ، وأصابوا منهم منة ، فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ،
وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم ، فأجتمعوا في دار الندوة — وهى دار قصي بن

(١) عصبة ، كهزمة ؛ كذا ضبطه ياقوت ، وذكر أنه حصن بقاء ؛ وقتل من ابن هشام أيضا أنه
ضبطه بالضم ثم السكون . (٢) بجحجي : جد أحيحة بن الجلاح البزري .

(٣) ابن هشام ٢ : ١٢٤

كِلَابِ الَّتِي كَانَتْ قَرِيشٌ لَا تَقْبِضُ أَمْرًا إِلَّا فِيهَا — يَتَشَاوَرُونَ مَا يَصْنَعُونَ فِي أَمْرِ
 رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا لِذَلِكَ ، وَاتَّعَدُوا لَهُ ، غَدَوْا فِي يَوْمِ
 الْمُنَوَّعِ ، وَهُوَ الْيَوْمُ الْمُسَمَّى يَوْمَ الرَّحْمَةِ ، فَاعْتَرَضَهُمْ إِبْلِيسُ فِي هَيْئَةِ شَيْخٍ جَلِيلٍ
 عَلَيْهِ بَتٌ — قَالَ الْوَاقِدِيُّ : مُشْتَمِلُ الصَّمَاءِ فِي بَتٍّ — قَالَ : فَوَقَفَ عَلَى بَابِ الدَّارِ ،
 فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا : مَنْ الشَّيْخُ ؟ قَالَ : شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ، سَمِعَ بِالَّذِي اتَّعَدْتُمْ لَهُ ،
 فَخَضِرَ مَعَكُمْ لِيَسْمَعَ مَا تَقُولُونَ ، وَعَسَى أَلَّا يُعِدِّمَكُمْ مِنْهُ رَأْيَا وَنُصْحًا ، قَالُوا :
 أَجْلٍ ، فَادْخُلْ ، فَدَخَلَ مَعَهُمْ ، وَقَدْ اجْتَمَعَ أَشْرَافُ قَرِيشٍ ، وَهُمْ : عُتْبَةُ ، وَشَيْبَةُ
 ابْنَا رَبِيعَةَ ، وَأَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، وَطُعَيْمَةُ بْنُ عَدِيٍّ ، وَجُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ ،
 وَالْحَارِثُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ نَوْفَلٍ ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ
 ابْنُ هِشَامٍ ، وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمَطْلَبِ ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ ، وَأَبُو جَهْلٍ
 ابْنُ هِشَامٍ ، وَثِيْبَةُ وَمُنْبِيَةُ ابْنَا الْحِجَابِ ، وَأُمِيَّةُ بْنُ خَلْفٍ ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ لَا يَعُدُّ^{١٠}
 مِنْ قَرِيشٍ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا قَدْ
 رَأَيْتُمْ ، وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَأْمَنُهُ عَلَى الْوَنُوبِ عَلَيْنَا مِنْ قَدْ آتَبَعَهُ مِنْ غَيْرِنَا ، فَاجْعُوا فِيهِ
 رَأْيًا ، فَتَشَاوَرُوا ، ثُمَّ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : أَحْبِسُوهُ فِي الْحَدِيدِ ، وَأَغْلِقُوا عَلَيْهِ بَابًا ،
 ثُمَّ تَرَبَّصُوا بِهِ مَا أَصَابَ أَشْبَاهَهُ مِنَ الشَّعْرَاءِ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ : زَهِيرٌ وَالنَّابِغَةُ ، وَمَنْ
 مَضَى مِنْهُمْ حَتَّى يَصِيبَهُ مَا أَصَابَهُمْ ، فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ : لَا وَاللَّهِ ، مَا هَذَا لَكُمْ
 بِرَأْيٍ ، وَاللَّهِ لَئِنْ حَبَسْتُمُوهُ كَمَا تَقُولُونَ لَيَخْرُجَنَّ أَمْرُهُ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ الَّذِي أَغْلَقْتُمْ

(١) فِي ابْنِ هِشَامٍ : « حِينَ خَانُوهُ » .

(٢) سَمِيَ يَوْمَ الرَّحْمَةِ لِتَزَاحُمِ أَشْرَافِ الْقَبَائِلِ الْقَرَشِيَّةِ فِي دَارِ الدَّوَّةِ .

(٣) فِي ابْنِ هِشَامٍ : « بَتْلَةٌ » ، وَالْبَتْلَةُ وَالْبَتُّ : الْكِسَاءُ الْغَلِيظُ .

(٤) وَاشْتِمَالُ الصَّمَاءِ هُوَ أَنْ يَشْتَمِلَ الرَّجُلُ بِالنُّوبِ حَتَّى يَجْعَلَ بِهِ جَسَدَهُ وَلَا يَرْفَعُ مِنْهُ جَانِبًا ، فَيَكُونُ فِيهِ

فَرْجَةٌ يَخْرُجُ مِنْهَا يَدُهُ ، وَهُوَ التَّلْفِيعُ ، (اللسان — شمل) .

دونه إلى أصحابه ، ولأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ، ثم يكاثروكم حتى يغلبوكم على أمركم ، ما هذا لكم برأى ، فانظروا في غيره ، فتشاوروا ، ثم قال قائل منهم : نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا ، فإذا خرج عنا فوالله [ما^(١)] نبأى أين ذهب ، ولا حيث وقع ، إذا غاب عنا وفرغنا منه ، أصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت . قال الشيخ النجدي : لا والله ما هذا لكم برأى ، ألم تروا حُسن حديثه ، وحلاوة منطقه ، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ، والله لئن فعلتم ذلك ما أميتم أن يحل على حن من العرب ، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم ليسير بهم اليكم حتى يطأكم فيأخذ أمركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ، دبروا فيه رأيا غير هذا . فقال أبو جهل بن هشام : إن لي فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد ، قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة قتي شابا جليدا نسيبا وسيطا فتيا ، ثم نعطي كل قتي منهم سيفا صارما ، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه ، فنستريح منه ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعا ، [فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا^(٢)] ، فرضوا منا بالعقل ، فعقلناه لهم . فقال النجدي : القول ما قال الرجل ؛ هذا الرأي لا أرى^(٣) غيره .

١١٥
١٤

وحكى أن هذا الرأي كان رأى الشيخ النجدي ، وأنه لما أشار به قالوا : كلهم : صدق النجدي ، صدق النجدي ! والله أعلم .

قال : فتفرق القوم وقد أجمعوا على ذلك .

فأتى جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بالخبر ، وقال له :

لا تَبْتَ هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه ، قال : فلما كانت عَمَةٌ

(١) من ابن هشام . (٢) عن ابن هشام . (٣) ابن هشام : « لا رأى غيره » .

من الليل اجتمعوا على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرصدونه حتى ينسام، فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: "نم على فراشي، وتسج يردى هذا الحضرمي الأخضر، فتم فيه؛ فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم".

قال: فقال أبو جهل ومن معه على الباب: إن محمدا يزعم أنكم إذا تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم جنان بكنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح، ثم بعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم نار تحرقون فيها. قال: فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ حفنة من تراب في يده، ثم قال: "نعم أنا أقول ذلك، أنت أحدكم"، وأخذ الله على أبصارهم فلا يرونه، بفعل ينثر التراب على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات من سورة يس: (يَس . وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ) . إلى قوله: (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) ^(١).

ولم يبق منهم رجل إلا وضع على رأسه ترابا، ثم انصرف إلى حيث أراد، فاتاهم آت من لم يكن معهم، فقال: ما تنتظرون؟ قالوا: محمدا، قال: خيكم الله، قد والله خرج عليكم محمدا، ثم ما ترك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابا وأنطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟ قال: فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب، ثم جعلوا ينظرون فيه فيرون عليا على الفراش متسجيا يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائما عليه برده. فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام على عن الفراش؛ فقالوا: والله لقد كان صدقنا الذي حدثنا.

قال ابن إسحاق : فكان مما أنزل من القرآن في ذلك اليوم قوله تعالى :
 ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُجْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ
 وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ^(١)﴾ وقوله تعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تَتَّبِصُّ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ .
 قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ^(٢)﴾ .

ذكر ابتداء هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأبي بكر رضى الله عنه

قال محمد بن إسحاق : لما هاجر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
 المدينة ، أقام هو بمكة بعدهم ينتظر الإذن من الله تعالى في الهجرة ، ولم يتخلف
 معه بمكة إلا أبو بكر الصديق ، وعلي بن أبي طالب رضى الله عنهما ، ومن حبس
 أوثق . وكان أبو بكر يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة كثيرا
 فيقول له : " لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحباً " ، فطمع أبو بكر أن يكون
 رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما يعنى نفسه .

وروى عن عائشة أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنهما أنها
 قالت : كان لا يخطئ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي بيت أبي بكر أحد
 طرفي النهار إما بكرة وإما عشية ، ^(٣) [حتى] إذا كان اليوم الذي أذن الله تعالى فيه
 لرسوله في الهجرة والخروج من مكة أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة
 في ساعة كان لا يأتي فيها . قالت : فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسول الله صلى
 الله عليه وسلم هذه الساعة إلا لأمر حدث ، فلما دخل تأخر أبو بكر عن سريره ،

(٢) سورة الطور ٣٠ - ٣١

(١) سورة الأنفال ٣٠ .

(٣) الزيادة من ابن هشام .

بفلس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أُتْرَجَ عَنِّي مَنْ عِنْدَكَ" قال: يا رسول الله، إنما هما أبتائى، وما ذاك فذاك أبي وأُمى؟ قال: "إن الله أذن لى فى الخروج". فقال أبو بكر: الصَّحْبَةُ يا رسول الله! قال: "الصَّحْبَةُ". قالت: فوالله! اشعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكى يومئذ، ثم قال: يا نبي الله، إن هاتين راحلتان كنت أعددتكما لهذا. فاستأجرا عبد الله بن أرقط — وقيل: الأريقط — اللبثى وكان مشركا، يبدلُهما على الطريق، ودفعنا إليهما راحلتيهما، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما. قال ابن إسحاق: ولم يعلم بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد حين خرج إلا أبو بكر وآل أبي بكر، وعلى بن أبي طالب، أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بخروجه، وأمره أن يتخلف بعده، حتى يؤدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس.

ذكر خبر الغار وما قيل فيه

قال: لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج أتى أبا بكر فخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته، ثم عمدا إلى غار ثور — جبل بأسفل مكة — فدخلاه، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر، وأمر عامر بن قُهيْرة مولاة أن يرعى غنم نهاره ثم يرجعها إليهما إذا أمسى في الغار، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام إذا أمسى بما يصلحهما.

قال ابن هشام: حدثني بعض أهل العلم أن الحسن بن أبي الحسن قال: لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار ليلا دخل أبو بكر قبل

رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمس الغار لينظر فيه سبع أو حية يقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه .

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً ، ومعه أبو بكر ، وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة لمن يردّه عليهم . وكان عبد الله بن أبي بكر يكون في قريش يسمع ما يأترون به ، وما يقولون في شأن النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر ، وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر يرعى في رعاء من أهل مكة ، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر فأحتلبا وذبحا ، فإذا غدا عبد الله بن أبي بكر من عندهما إلى مكة أتبع عامر بن فهيرة أثره الغنم حتى يعثى عليه .

- ١٠ وقال محمد بن سعد بسنده إلى زيد بن أرقم وأنس بن مالك ، والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم : إن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغار أمر الله شجرة فنبتت في وجه النبي صلى الله عليه وسلم فسترته ، وأمر العنكبوت فذسجت على وجهه فسترته ، وأمر حمامتين وحشيتين فوقفتا بقم الغار ، وأقبل فيان قريش من كل بطن رجل بأسيا فنههم وعصيتهم وهراواتهم حتى إذا كانوا من النبي صلى الله عليه وسلم قدّر أربعين ذراعا ، نظر أولهم فرأى الحمامتين فرجع فقال له أصحابه : مالك لم تنظر في الغار ؟ قال : رأيت حمامتين وحشيتين بقم الغار ، فعرفت أن ليس فيه أحد . فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ، فعرف أن الله عز وجل درأ عنه بهما . وقال بعض من خضر في طلبه : إن عليه من العنكبوت ما هو قبل ميلاد محمد . وقال أبو بكر رضي الله عنه : فنظرت إلى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤوسنا فقلت : يا رسول الله ، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا ، فقال : ١٥ "يا أبا بكر ، ما ظنك بأثنين الله ثالثهما" ! قال : ومكنا في الغار ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر .
- ٢٠

قال محمد بن سعد : قالت عائشة رضى الله عنها : وجهزناهما أحجب الجهازا ، وصنعنا لهما سُفرة في حِراب ، ففطمت أسماء قطعة من نِطاقها فأوَكَّأت به الحِراب ، وقطعة أخرى صيرتها عصاما لعم القربة ؛ فلذلك سميت أسماء ذات النطاقين .

قال محمد بن سعد بسند يرفعه إلى أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما أنها قالت : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج أبو بكر معه آحتمل ماله كله معه ، — خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف — فأَنطلق بها معه ، فدخل علينا جدى أبوقحافة وقد ذهب بصره ، فقال : والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه ، قال فقلت : كَلَّا يا أبت ، إنه ترك لنا خيرا كثيرا . قالت أسماء : فاخذت أحجارا فوضعتها في كُوة البيت حيث كان أبى يضع فيها ماله ، ثم وضعت عليها ثوبا ، ثم أخذت بيده فقلت : ضع يا أبت يدك على هذا المال ، فوضع يده عليه وقال : لا بأس إن كان ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفي هذا بلاغ لكم ؛ فلا والله ما ترك لنا شيئا ، ولكنى أردت أن أسكن الشيخ بذلك . والله أعلم .

ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضى الله عنه من الغار ، وتوجههما إلى المدينة ، وما كان من أمر سُرَاقَة بن مالك ، وأم معبد وغير ذلك إلى أن أتتهما إلى المدينة

كان خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر الصديق رضى الله عنه من الغار ليلة الاثنين لأربع خَلَوْن من شهر ربيع الأول ، وذلك أنه لما مضت الأيام الثلاثة ، وسكنَ عنهما الناس أتاهما عبد الله بن الأريقط براحتيهما وبغير له ، فقرب أبو بكر رضى الله عنه الراحلتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقدم له أفضلهما ^(١)

(١) في الأصل : «لفسلهما» والصواب ما أثبتناه كما في ابن هشام ج ٢ : ١٣١

ثم قال : اركب فذاك أبى وأمى يارسول الله ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 ”إنى لا أركب بعيرا ليس لى“ ، قال : فهى لك يارسول الله بأبى أنت وأمى ! قال :
 ”لا ولكن ما الثمن الذى ابتعتها به“ ^(١) ، قال : كذا وكذا ، قال : ”قد أخذتها بذلك“ .

قال محمد بن سعد : وكان أبو بكر اشتراها بثمانمائة درهم من نعم بن قُشَيْرٍ ، فأخذ
 رسول الله صلى الله عليه وسلم إحداها وهى القِصْواء .

قال ابن إسحاق : فركبا وأنطلقا ، وأردف أبو بكر رضى الله عنه مولاه
 عامر بن فهيرة خلفه ليعدهما فى الطريق .

قال أبو بكر رضى الله عنه : أمرينا ليلتنا ويومنا حتى إذا قام قائم
 الظهيرة وأنقطع الطريق ، ولم يتر أحد ، رُفِعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ لَهَا ظِلٌّ لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ
 الشمس . قال : فسئلت للنبي صلى الله عليه وسلم مكانًا فى ظلها ، وكان معى قَرَوُ
 ففرشته ، وقلت للنبي صلى الله عليه وسلم : ثم حتى أنفضَ ما حولك ، فخرجت فإذا
 أنا براج قد أقبل يريد من الصخرة مثلما أردنا ، وكان يأتيها قبل ذلك فقلت :
 ياراعى ، لمن أنت ؟ قال : لرجل من أهل المدينة يعنى مكة ، قال : قلت : هل فى شأنك
 من لبن ؟ قال : نعم ، قال : بلعائى بشاة فجعلت أمسح الغبار عن ضرعها وحلبت
 فى إداوة معى كُثْبَةً من لبن ، وكان معى ماء للنبي صلى الله عليه وسلم فى إداوة فصبيتُ
 على اللبن من الماء لأبرده ، فوافيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قام من
 نومه فشرب وقال : ”ما آن الرحيل“ ؟ قلت : بلى ، قال : فأرسلنا حتى إذا كنا
 بأرض صلبة جاء سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْثَمٍ ، فبكى أبو بكر وقال : يارسول الله قد أتينا ،
 قال : ”كلا“ ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرتطم فرس سُرَاقَةَ — أى

(١) فى الأصل : «ابتعتها» ، و«أخذتها» والصواب ، عن ابن هشام .

(٢) كُثْبَةٌ : قليل .

احتبس إلى بطنه - فقال : قد أعلم أن قد دعوتما على - فادعوا لي ، ولكما على - أن أرد الناس عنكما ولا أضركما . قال : فدعاه فرجع ووفى وجعل يرد الناس ويقول : قد كفيتم ماها هنا . وقد روى عن سراقه أنه قال لأبي جهل بن هشام :

أبا حَكَمٍ والله لو كنت شاهدا * لأمر جوادى إذ تسوخ قوائمه

علمت ولم تشكك بأن محمدا * رسول يرهان فن ذا يقاومه !

عليك بكف القوم عنه فإني * أرى أمره يوما يستبدو معالمه

بأمر يود الناس فيه بأسيرهم * بأن جميع الناس طرا تسالمه ^(١)

وقال أبو محمد عبد الملك بن هشام : حدثني الزهري أن عبد الرحمن بن مالك

ابن جعشم حدثه عن أبيه عن عمه سراقه بن مالك قال : لما خرج رسول الله صلى الله

عليه وسلم من مكة مهاجرا إلى المدينة ، جعلت فيه قريش مائة ناقة لمن يردّه عليهم ،

فبينما أنا جالس في نادى قومي أقبل رجل منا حتى وقف علينا فقال : والله لقد رأيت

ركبة ثلاثة مروا على آفء ، إنى لأراهم محمدا وأصحابه ، قال : فأومأت إليه بعيني أن

أسكت ، ثم قلت : إنما هم بنو فلان ينتغون ضالة لهم ، قال : لعله . ثم قت فدخلت ^(٢)

بيتي وأمرت بفرسى فقيده إلى بطن الوادى ، وأمرت بسلاحي فأخرج من دبر

محجرتي ، ثم أخذت قِداحي التى أسقسِم بها ، ثم أنطلقت فلبست لأمي ، ثم أخرجت ^(٣)

قِداحي فاستقسمت بها ، فخرج السهم الذى أكره : « لا يضره » ، قال : وكنت أرجو

أن أردّه على قريش فأخذ المائة ، فركبت الفرس فى أثره ، فبينما فرسى يشتد بى عثر

فسقطت عنه ، فقلت : ما هذا ؟ ثم أخرجت قِداحي فاستقسمت بها فخرج السهم

(١) فى الأصل : « طورا » ؛ وهو تصحيف .

(٢) فى الدلائل : قال : « لعله » ، ثم سكنت قال فكنت فلان ثم قت .

(٣) فى الأصل : « الذى » ، ما أثبتناه عن ابن هشام ج ٢ : ١٣٤ .

الذى أكره «لا يضره»، قال فأبيت إلا أن أتبعه فركبت في أثره، فلما بدا لي القوم ورأيتم عثري فرسى فذهبت يدها في الأرض وسقطت عنه، ثم أنزع يده من الأرض وتبعهما دُحَانٌ كالإعصار، فعرفت حين رأيتُ ذلك أنه قد منع مني وأنه ظاهر، فنادتُ القوم: أنا سراقا بن جعشم، أنظروني أكلمكم، فوالله لا يأنينكم مني شيء تكرهونه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: «قل له وما تبغى منا؟» فقال لي ذلك أبو بكر، قلت: تكتب لي كتابا يكون بيني وبينك، قال: «اكتب له يا أبا بكر»، فكتب لي كتابا في عظم أو في رفة أو في خرقة ثم ألقاه إلى فأخذته فجعلته في كنانتي، ثم رجعت فلم أذكر شيئا مما كان، حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفرغ من حنين والطائف، فرحت ومعى الكتاب لألقاه فلقينته بالجعرانة^(١)، فدخلت في كتيبة من خيل الأنصار فجعلوا يقرعونني بالرماح ويقولون: إليك إليك ماذا تريد؟ قال: فدنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته، والله إنى لأنظر إلى ساقه في غرزه كأنها بجارة، فرفعت يدي بالكتاب ثم قلت: يا رسول الله، هذا كتابك أنا سراقا بن جعشم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يوم وفاء وبر»، أدته^(٢)، قال فدنوت منه فأسلمت. والله الهادي للصواب.

١٥



ومروا على خيمتي أم معبد الخزاعية، وأسم أم معبد عائكة بنت خالد بن منقذ ابن ربيعة، ويقال: عائكة بنت خالد بن خليف، وكانت برزة جلدة تجلس بفناء

- (١) الجراثة بكسر الجيم وتشديد الزايم: ماء بين مكة والطائف على سبعة أميال من مكة.
- (٢) الغرز للرجل: هو كالركاب للسرّج، وفي الدلائل والنهاية: «كانه بجارة»، والجارة: قلب النخلة وشحمها.
- (٣) في الأصل: «خلف»، وما أثبتناه عن أسد الغابة، والمواهب.
- (٤) البرزة: التي تظهر للناس.

٢٠

(١) القبة تَسْقَى وتُطْعِم ، فسألوها تمرا ولحما يشترونه منها ، فلم يصيبوا عندها من ذلك شيئا ، وكان القوم مُرْمِلِينَ مُسْتَنِينَ^(٢) ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة في كسر الخيمة ، فقال : ” ما هذه الشاة يا أم معبد “ ؟ قالت : شاة خلفها الجهد عن الغنم ، قال : ” هل بها من لبن “ ؟ قالت : هي أجهد من ذلك ، قال : ” أناذنين أن أحلبها “ ؟ قالت : نعم ، بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلبا فاحلبها . فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح بيده ضرعها وسمى الله ، ودعا لها في شاتها ، فتفاجأت عليه — أى فتحت ما بين رجلها — ودرت ، ودعا بإناء يُرْبِضُ الرَّهْطَ — أى يرويه — فحلب فيه ثجأ ثم سقاها حتى رويت ، ثم سقى أصحابه حتى رَوَوْا ، ثم شرب آخرهم ، ثم حلب إناء حتى ملأه ثم غادره عندها ، وبايعها وأرتحلوا عنها ، وأصبح صوت بمكة عال يسمعون ، ولا يدرون من صاحبه وهو يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين قالا خيمتي أم معبد^(٤)
هما نزلا بالبر وأرتحلا به * فأفلح من أسى رفيق محمد
فيا لقصي ما زوى الله عنكم^(٥) * به من فقال لأتجارى وسودد^(٦)
لبن بن كعب مكاث فتاتهم * ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا اختكم عن شاتها وإنائها * فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت * له بصريح ضرة الشاة مزبد^(٧)
فقد آدرها رهنا لديها لحالب * تذر بها في مصدر ثم مورد^(٨)

(١) في الأصل : « الهنه » وهو تصحيف ، والتصحيح من البزة الخلية ، وفي الدلائل وغيرها : « الخيمة » . (٢) مرملين : فقد زادهم . مستنين : مجدين . (٣) ثجا : أى لبنا كثيرا . (٤) قالا : نزلا وقت القيلولة . (٥) زوى : صرف . (٦) تجارى : بالراء ، وفي رواية بالزاي . (٧) الصريح : اللبن الخالص . (٨) الضرة : أصل الضرع . (٩) في مصدر ثم مورد : أى يحلبها مرة ثم أخرى ، والمعنى : ترك الشاة عندها ذات لبن .

قال ابن إسحاق : ولما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقط سلك بهما أسفل مكة ، ثم مضى بهما على الساحل أسفل من عُسْفَانَ ^(١) ، ثم سلك بهما أسفل أَيْح ^(٢) ثم استجاز بهما حتى عارض الطريق بعد أن أجاز قَدِيدًا ^(٣) ، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخَرَارَ ^(٤) ، ثم سلك بهما ثنية المرة ^(٥) ، ثم سلك بهما لِقْفًا ^(٦) - ويقال لِقْفًا - ثم أجاز بهما مَدْبَلْجَةً لَقْفٍ ^(٧) ، ثم استَبَطْنَ بهما مَدْبَلْجَةً حِجَاجٍ ^(٨) ، ثم سلك بهما مَرِجَحٍ حِجَاجٍ ^(٩) ، ثم تَبَطْنَ بهما [مَرِجَحٍ] ^(١٠) من ذى الغصون ^(١١) ، ويقال : الغصون ^(١٢) ، ثم بطن ذى كَشِيرٍ ^(١٣) ، ثم أخذ بهما على الجَدَاجِدِ ^(١٤) ، ثم على الأَجْرَدِ ^(١٥) ، ثم سلك بهما ذَا سَلَمٍ ^(١٦) [من بطن] أعداءٍ مَدْبَلْجَةً تَعْمِينَ ^(١٧) ، ثم على العَبَايِدِ - ويقال : العَبَايِبِ . ويقال :

١١٩
١٤

- (١) عسفان كتمان : موضع بين مكة والمدينة . (٢) أَيْح : بلد بين مكة والمدينة فيه مزارع .
(٣) قديد : موضع قرب مكة . (٤) الخرار : موضع قرب الجلفة .
(٥) ثنية المرة : موضع ، تخفيف المرأة . (٦) لقف : موضع كثير الماء لازرع فيه .
(٧) لقت : واد في طريق المدينة ، وقد وقع الخلاف في لقف ولقت في حديث الهجرة وكلاهما صحيح ، وهذا موضع ، وذلك آخر .

- (٨) المدبلجة : الحوض الذى يفرغ فيه الساق دلوه .
(٩) حجاج : بفتح الميم موضع ، وفيه خلاف . راجع ياقوت .
(١٠) ساقطة من الأصل ؛ وما أثبتناه عن ابن هشام ٢ : ١٣٦ ، وانظر ياقوت .
(١١) ذى الغصون : بفتح الغين والضاد المعجمتين ثنية القضا .
(١٢) فى الأصل « كشد » ، وهو تحريف . وكشر : موضع بين مكة والمدينة .
(١٣) الجداجد : جمع جدجد بضم الجيمين وهى البئر القديمة . ياقوت .
(١٤) الأبرد : أحد جبلين جبهة ، بين المدينة والنام .
(١٥) ذو سلم : واد من أرض بنى البكاء على طريق البصرة إلى مكة .
(١٦) الزيادة عن ابن هشام .
(١٧) تعمين : عين ماء على ثلاثة أميال من السقياء بين مكة والمدينة . والأعداء : النواحي .

العثانة — ثم أجاز بهما الفاجعة ^(١) ، ويقال : القاحّة ، ثم هبط بهما العرج ^(٢) ، وقد أبطأ عليهم بعض ظهرهم فحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل ^(٣) يقال له : أوس بن حجر على حمل له إلى المدينة ، وبعث معه غلاما له يقال له : مسعود بن هنيّدة ، ثم خرج بهما دليلهما من العرج ، فسلكت ثنية العائر عن يمين رَكُوبَةٍ — ويقال الغائر — حتى هبط بهما [بطن] رَيْحٍ ^(٤) ، ثم قدم بهما قُبَاءَ عَنَى بنى عمرو بن عوف . قال الشيخ شرف الدين الدميّاطي : وكان عبد الله بن الأريقط على كفره ، ولم يعلم له إسلامٌ .

ذكر قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه إلى المدينة

قال محمد بن إسحاق : كان مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قُبَاءَ يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول حين الضحا ، وكادت الشمس تعتدل ، وهو صلى الله عليه وسلم ابن ثلاث وخمسين سنة ، وذلك بعد أن بعثه الله تعالى بثلاث عشرة سنة . وقال الخوارزمي : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرا يوم الاثنين ، وهو اليوم الثامن من شهر ربيع الأول سنة أربع وخمسين من عام الفيل ، ويوم عشرين من أيلول ، فكان من مبعثه إلى يوم هاجر ودخل المدينة ثلاث عشرة سنة كاملة . قال ابن إسحاق : وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمعوا بخروجه من مكة وتوكفوا ^(٥) قدومه ، يخرجون إذا صلوا

(١) الفاجعة والقاحّة : مدينة على ثلاث مراحل من المدينة ، قبل السقيا بغير ميل .

(٢) العرج : مكان بين مكة والمدينة على جادة الحاج ، تذكر مع السقيا .

(٣) ركوبة : ثنية بين مكة والمدينة عند العرج .

(٤) ساقطة من الأصل ، والزيادة عن ابن هشام .

(٥) توكفوا : استشعروا قدومه وانتظروه .

الصباح إلى ظاهر الحرة ينتظرونه ، فلا يرحون حتى تغلبهم الشمس على الظلال
 فيدخلون ، وذلك في أيام حارة ، حتى إذا كان اليوم الذي قَدِم فيه رسول الله صلى الله
 عليه وسلم جاسوا على عادتهم ، حتى إذا لم يبق ظل دخلوا بيوتهم ، فقدم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم حين دخلوا البيوت ، فكان أول من رآه رجل من يهود ،
 فصرخ بأعلى صوته : يا بنى قَيْلَةَ^(١) ، هذا جدكم قد جاء ، قال : فخرجوا إلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وهو في ظل نخلة ، ومعهم أبو بكر رضى الله عنه في مثل سِنِّه ،
 وأكثر الأنصار لم يكن يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك ، فأقبل
 الناس وما يعرفونه من أبى بكر ، حتى إذا زال الظل عن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قام أبو بكر فأظله بردائه ، فعرفوه عند ذلك ، قال : قتل رسول الله صلى الله
 عليه وسلم على كلثوم بن هِذَم أنحى بنى عمرو بن عوف ، وهو الأصح ، وكان إذا
 خرج من منزل كلثوم جلس للناس في بيت سعد بن خَيْشَمَة ، وذلك أنه كان عزَّبا
 لا أهل له ، وكان منزل العُزَّاب من المهاجرين ، ونزل أبو بكر الصديق رضى الله عنه
 على خُيَّيب بن إِسَاف أحد بنى الحارث بن الخزرج بالسُّنَح . وقيل : بل نزل
 على خارِجَة بن زيد . وأقام على بن أبى طالب رضى الله عنه بمكة ثلاث ليال ،
 حتى أَدَّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس ، ثم لحق
 برسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل معه على كلثوم بن هِذَم ، فأقام رسول الله صلى
 الله عليه وسلم بقاء من يوم الاثنين إلى آخر يوم الخميس أربعة أيام .

(١) بنو قَيْلَة : هم الأنصار ، وقَيْلَة : اسم جدة كانت لهم .

ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من قباء

وتحوله إلى المدينة، وصلاته الجمعة، ونزوله على أبي أيوب خالد بن زيد

قال محمد بن إسحاق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة من

منزل كلثوم فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف، فصلّاها في المسجد الذي في بطن

الوادي ، وادي رانواء^(١)، وكانت أول جمعة صلاها بالمدينة . قال محمد بن سعد :

صلاها بمن كان معه من المسلمين وهم مائة . قال ابن إسحاق : فاتاه عتبّان بن

مالك ، وعباس بن عباد بن نضلة ، في رجال من بني سالم بن عوف ، فقالوا :

يا رسول الله ، أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة ، قال : "خلوا سبيلها فإنها مأمورة"

نفلوا سبيلها ، فأطلقت حتى إذا مرت بدار بني ساعدة ، اعترضه سعد بن عباد ،

والمندر بن عمرو في رجال من بني ساعدة ، فقالوا مثل ذلك ، وقال مثل ما قال

لأولئك ، نفلوا سبيلها ، فأطلقت ، حتى إذا وازنت دار بني الحارث بن الخزرج

اعترضه سعد بن الربيع ، وخارجة بن زيد ، وعبد الله بن رواحة في رجال من بلحارث

من الخزرج ، فقالوا مثل ذلك ، وقال مثل ما قال ، نفلوا سبيلها فأطلقت ، حتى

إذا مرت بدار بني عدى بن النجار وهم أخواله أعترضه سليط بن قيس ، وأبو سليط

أسيرة بن أبي خارجة في رجال من بني عدى بن النجار ، فقالوا : يا رسول الله هلم^(٢)

إلى أخوالك إلى العدد والعدة والمنعة ، فقال كما قال لأولئك ، نفلوا سبيلها

فأطلقت ، حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار بركت على باب مسجد رسول

الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يومئذ مرّيد لغلامين يتييمين من بني النجار ، في حجر^(٣)

(١) واثواء بنونين : بين قباء والمدينة يلتقي مع بطحان في دار بني زريق .

(٢) الذي في أسد الغابة : « أسيرة بن عمر بن قيس بن مالك » .

(٣) مرّيد : الموضع الذي يجمع فيه الزرع والتمر للتجفيف .

معاذ بن عفراء وهما سهل وسهيل أبنا عمرو ، فلما بركت ثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينزل ، فسارت غير بعيد ، ثم التفتت خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة فبركت فيه ، ثم تتحللت^(١) ورزمت ووضعت حراؤها ، فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله فوضعه في بيته ، ونزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى : لما بركت الناقة جعل الناس يكلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم في النزول عليهم ، وجاء أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب فخط رحله فأدخله منزله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " المرء مع رحله " ، وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بزمام راحلته فكانت عنده ، قال زيد بن ثابت : فأول هدية دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في منزل أبي أيوب هدية دخلت بها إناء قصعة مژود فيها خبز وسمن ولبن ، فقلت : أرسلت بهذه القصعة أمي ، فقال : " بارك الله فيك " ، ودعا أصحابه فأكلوا ، فلم أرم الباب حتى جاءت قصعة سعد بن عباد ، ثريد وعراق ، وما كان من ليلة إلا وعلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلاثة والأربعة يحملون الطعام ، يتناوبون ذلك حتى تحول رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل أبي أيوب ، وكان مقامه فيه سبعة أشهر .
وقال ابن إسحاق : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهر ربيع الأول إلى صفر من السنة الداخلة ، حتى بنى له فيها مسجده ومسكنه . والله أعلم .

(١) في الأصل : « تجالجت » ، وما أنبتاه عن ابن هشام ؛ وقال السهيلي : إن ابن قتيبة فسره بتحللت — بتقديم اللام — رزمت مكانها ، وكذا فسره في النهاية : تلحلت أقامت ولزمت مكانها ولم تبرح ضد تلحلت . ورزمت للتساقط : إذا أقامت من الكلال ، وجرانها : عقيقها .

(٢) فلم أرم : لم أبرج .

(٣) عراق : جمع عرق وهو جمع نادر ، والعرق (بالسكون) : العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل أبي أيوب زيد بن حارثة ،
 وأبا رافع ، وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم ، فقدموا إلى مكة لفاطمة وأم كلثوم
 عليهما السلام آبتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسودة بنت زمعة زوجته ،
 وأسامة بن زيد ، وحمل زيد بن حارثة أمراته أم أيمن مع ابنها أسامة بن زيد ،
 وخرج عبد الله بن أبي بكر معهم بعيال أبي بكر فيهم عائشة ، فقدموا المدينة فأنزلهم
 في بيت حارثة بن النعمان ، وكانت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحبيشة
 مع زوجها عثمان بن عفان . قال ابن إسحاق بسنده إلى أبي أيوب قال : لما نزل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي نزل في السفل ، وأنا وأم أيوب في العلو ،
 فقلت له : يا نبي الله ، بأبي أنت وأمي ، إني أكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون
 تحتي ، فإظهر أنت وكن في العلو ، وتنزل نحن وتكون في السفل ، فقال :
 ” يا أبا أيوب ، إن أرفق بنا ومن يشانا أن نكون في سفلى البيت “ ، قال : فلقد
 أنكسر حُب لنا فيه ماء ، فممت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ،
 ننشف بها الماء ، نخوف أن يقطر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيؤذيه ، قال :
 وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث به إليه ، فإذا ردت علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب موضع
 يده فأكلنا منه ، نبتغي بذلك البركة حتى بعثنا إليه ليلة بعشائه ، وقد جعلنا له فيه
 بصلا أو ثوما ، قال : فردّه ولم أر ليدّه فيه أثرا ، فحنته قزعا ، فقلت : يا رسول الله
 بأبي أنت وأمي ، رددت عشاءك ولم أر فيه موضع يدك ؟ فكننت إذا رددته علينا
 تيممت أنا وأم أيوب موضع يدك للبركة ، قال : ” فإني وجدت فيه ريح هذه
 الشجرة ، وأنا رجل أناجي فأما أتم فكلوه “ ، فأكلناه فلم نصنع له تلك الشجرة .
 والله المستعان .

(١) الحب : جرة كبيرة . (٢) أناجي من المتاجاة : وهي أن يحدث الإنسان غيره .

ذكر بناء مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيوته بالمدينة

قال محمد بن سعد عن محمد بن عمر بن واقد قال : حدثني معمر بن راشد عن الزهري قال : بركت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موضع المسجد ، وهو يؤمئذ يصلي فيه رجال من المسلمين ، وكان مربدا لسهل وسهيل غلامين يتيمن من الأنصار ، وكانا في حجر أبي أمامة أسعد بن زُرارة ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا فقالا : بل نهبه لك يا رسول الله ، فأبى صلى الله عليه وسلم حتى أتباعه منهما . قال ابن سعد : وقال غير معمر عن الزهري : فأتباعه بعشرة دنانير ، وأمر أبا بكر أن يعطيها ذلك ، فكان جدارا مجذرا ليس عليه سقف ، وقبلته إلى بيت المقدس ، وكان أسعد بن زُرارة بناء ، فكان يصلي بأصحابه فيه ، ويجمع بهم فيه الجمعة قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنخل الذي بالحديقة وبالفرقد الذي فيه أن تقطع ، وأمر باللين فضرب ، وكان في المربد قبور جاهلية فأمر بها فنُشِيت ، وبالعظام أن تُغيب ، وكان في المربد ماء مُسْتَنْجِل فسيّره حتى ذهب ، فأُسس رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وأسسوا معه ، فعملوا طوله مما يلي القبلة إلى مؤخره مائة ذراع ، وفي هذين الجانبين مثل ذلك فهو مُرَبَّع ، ويقال : كان أقل من المائة ، وجعلوا الأساس قريبا من ثلاثة أذرع على الأرض بالحجارة ، ثم بنوه باللين ، وبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وجعل ينقل الحجارة معهم بنفسه ، ويقول : ” اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فأغفر للأنصار والمهاجرين ، اللهم ارحم المهاجرين والأنصار “ قال : وقال قائل من المسلمين يرتجز :

لَئِنْ قَعَدْنَا وَالنَّبِيُّ يَعْمَلُ * لَذَاكَ مِنَّا الْعَمَلُ الْمَضَلُّ

(١) مستنجل : مستنقع ، والنبل الماء الذي يخرج من الأرض نرا .

قال : ودخل عمار بن ياسر وقد أنقلوه باللين فقال : يا رسول الله ، قتلوني ، يحملون عليّ ما لا يحملون ، قالت أم سلمة : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفض وفرته بيده ، وكان رجلاً جَعْدًا ، ويقول : ” ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك ^(١) إنما تقتلك الفئة الباغية “ ، قال ابن سعد : وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلة المسجد إلى بيت المقدس ، وجعل له ثلاثة أبواب : بابا في مؤخره ، وبابا يقال له : باب الرحمة ، وهو الباب الذي يدعى باب عاتكة ، والباب الثالث الذي يدخل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل طول الجدار بسيطة ، وعموده الجذوع ، وسقفه جريدا ، فقيل له : ألا تسقفه ؟ فقال : ” عريش كعريش موسى خشيبات ومسام ^(٢) الشأن أعجل من ذلك “ قال : وبني بيوتا إلى جنبه باللين ، وسقفها يجذوع النخل والجريد ، فلما فرغ من البناء ، بنى لعائشة رضي الله عنها [في البيت الذي يليه شارع إلى المسجد] ^(٤) على ما تذكره إن شاء الله تعالى . وروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنخل فقطّع ، وبقيور المشركين فنيشت ، وبالحرب فسويت ، قال : فصفوا النخل قبلة ، وجعلوا عضادتيه حجارة . ^(٥)

ذكر بناء المسجد الذي أسس على التقوى وهو مسجد قباء

قال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى بسنده إلى سهل بن سعد وأبي غزيرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم قال : لما صُرِفَت القبلة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد قباء فقدم جدار المسجد إلى موضعه اليوم وأسسّه ، وقال :

(١) الوفرة : شعر الرأس إذا وصل إلى شحمة الأذن . (٢) العريش : كل ما يستظل به ، مثل الحسن عن معنى ” عريش موسى “ فقال : إذا رفع يده بلغ العريش أى السقف ، وفي الدلائل : قبل لرسول الله إلى متى نصلي تحت هذا الجريد ؟ فقال : ” ما بى رغبة عن أخى موسى عريش كعريش أخى موسى “ . (٣) الثام : ثبت ضعيف يسد به خصاص البيوت . (٤) الزيادة من ابن سعد ، وفي الأصل : « بنا بعائشة » وهو خطأ (راجع ابن سعد ج ١ : ٢ : ٢) . (٥) المضادة : جانب العتبة من الباب ، والضمة : لاجد .

”جبريل يؤم بى البيت“، ونقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الحجارة لبنائه ،
 وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيه كل سبت ماشياً ، وقال صلى الله عليه وسلم :
 ”من توضأ فأصبح الوضوء ثم جاء مسجد قباء فصلى فيه كان له أجر عمرة“ ، وكان
 عمر بن الخطاب رضى الله عنه يأتيه يوم الاثنين ويوم الخميس ، وقال : لو كان
 بطرف من الأطراف لضربنا إليه أكباد الإبل . قال : وكان أبو أيوب يقول :
 هذا المسجد الذى أسس على التقوى . وكان أبى بن كعب وغيره يقولون : بل
 هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر ما أصاب المهاجرين من حمى المدينة ، ودعاء رسول الله

صلى الله عليه وسلم لهم

روى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : لما قدم رسول الله صلى
 الله عليه وسلم المدينة قدمها وهى أوبأ أرض الله من الحمى ، فأصاب أصحابه منها
 بلاء وسقم ، وصرف الله تعالى ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم . قالت : فكان
 أبو بكر رضى الله عنه ، وعامر بن فهيرة وبلال ، موليا أبى بكر مع أبى بكر فى بيت
 واحد فأصابتهم الحمى ، فدخلت عليهم أعودهم ، وذلك قبل أن يضرب علينا [المحج] ^(١)
 وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوباء ، فدنوت من أبى بكر فقلت : كيف
 تجددك يا أبت ؟ فقال :

كل أمرئ مصبغ فى أهله * والموت أدنى من شرك نعله

قالت : فقلت والله ما يدرى أبى ما يقول ، ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة ، فقلت :
 كيف تجددك يا عامر ؟ فقال :

(١) الزيادة عن الديار بكرى ١ : ٣٥٠ ، ودلائل النبوة .

لقد وجدتُ الموتَ قبلَ ذوقِهِ * إنَّ الجَنَابَ حَفُّهُ من فوقِهِ ^(١)

شكَّلَ أمرِي مُجَاهِدَ بَطْوِقِهِ * كالثَّوَرِ يَمِي جِلْدَهُ بِرَوِقِهِ ^(٢)

فقلت : والله ما يدري عامر ما يقول ؛ قالت : وكان بلال إذا تركته الحمى أضطجع
بضياء البيت ، ثم يرفع عقيرته فيقول ^(٣) :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً * بَفَجٍّ وَحَوِيلٍ إِذْخَرُ وَجَلِيلٌ ^(٤) ^(٥) ^(٦)

وهل أريدنَ يوماً مِيَاهَ مَجَنَّةٍ * وهل يَبْدُونُ لِي شَامَةً وَطَفِيلٌ ^(٧) ^(٨)

قالت عائشة : فذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعت منهم ، فقلت : إنهم
ليهدُّون ، وما يعقلون من شدة الحمى ، فقال : ” اللهم حبِّبْ إلينا المدينة كما حببت
إلينا مكة وأشد ، وبارك لنا في مَبْذَاهَا وصَاعِهَا ، وآنقل وباءها إلى مَهْجَمَةٍ “ ، وهي الخففة .

ذكر مؤاخاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار

كان ذلك بعد مقدَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ روى محمد بن سعد عن
الزهري وغيره قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة آخى بين
المهاجرين بعضهم لبعض ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ، آخى بينهم على الحق
والمواساة ، يتوارثون بعد الممات دون ذوى الأرحام ، وكانوا تسعين رجلاً ؛ خمسة

(١) الخنف : الهلاك . (٢) الروق : القرن . (٣) عقيرته : صوته .

(٤) فج : موضع خارج مكة فيه ما أقتل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم .

(٥) الإذخر : من نبات مكة طيب الرائحة . (٦) الجليل : هو الثمام .

(٧) حجة ، بكسر الميم وفتحها وهو الأكثر : موضع أسفل مكة على أنبال ، كانت تقام فيها
سوق للعرب .

(٨) شامة وطفيل : قيل هما جبلان بنواحي مكة ، وقيل هما عيان .

وأربعون من المهاجرين ، وخمسة وأربعون من الأنصار ، قال ويقال : مائة ؛
خمسون من المهاجرين ، وخمسون من الأنصار ، فلما كانت وقعة بدر وأنزل الله تعالى :
(وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ^(١)) .
فنسخت هذه الآية ما كان قبلها ، وأتقطعت المؤاخاة في الميراث .

ذكر كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أمر بكتبه

بين المهاجرين والأنصار ، وموادة يهود ، وإقرارهم على دينهم ،

وما اشترطه فيه عليهم ولهم

كان مضمون الكتاب على ما أورده ابن هشام عن ابن إسحاق : " بسم الله الرحمن

لرحيم ، هذا كتاب من عهد النبي [صلى الله عليه وسلم] بين المؤمنين والمسلمين

من قريش ويثرب ، ومن تبعهم ولحق بهم وجاهد معهم ، إنهم أمة واحدة من دون

الناس ، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم ، وهم يقدون عانيهم ^(٢)

بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى ،

وكل طائفة تقدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو الحارث على ربعتهم

يتعاقلون معاقلمهم الأولى ، وكل طائفة تقدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ،

وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون بينهم معاقلمهم الأولى ، وكل طائفة تقدي عانيها

(١) سورة الأنفال ٧٥ (٢) الزيادة من ابن هشام . (٣) ربة كهيئة : حالة حسنة

أمرهم الذي كانوا عليه ، وفي النهاية : « إنهم أمة واحدة على رباعتهم ، يقال : القوم على رباعتهم

ورباعتهم أى على استقامتهم ، يريد أنهم على أمرهم الذي كانوا عليه » . وقوله : يتعاقلون : العقل

الدية التي تجب على العاقلة ، وهي دية الخطأ ، والعاقلة : عصابة القتلى . (٤) العاني : الأسير .

(٥) معاقلمهم الأولى : أى يكونون على ما كانوا عليه من أخذ الديات وإعطائها ، والمعاقلة

بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ،
 وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو النجار على ربعتهم
 يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ،
 وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى
 عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، [وبنو التبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم
 الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين] وبنو الأوس على
 ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين
 المؤمنين ، وإن المؤمنين لا يتركون مفرحاً بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل ،
 وإنه لا يُحالف مؤمن مؤلى مؤمن دونه ، وإن المؤمنين المتقين على من بقى منهم ، أو أبتغى
 دسيسة ظلم ، أو إثم ، أو عدوان ، أو فساد بين المؤمنين ؛ وإن أيديهم عليه جميعاً ولو
 كان ولد أحدهم ، ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر ، ولا ينصر كافراً على مؤمن ، وإن
 ذمة الله واحدة يُمير عليهم أديانهم ، وإن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس ،
 وإنه من [تبعنا من] يهود فإن له النصر والأموه غير مظلومين ولا متناصرين عليهم ،
 وإن سلم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله عز وجل
 إلا على سواء وعدل بينهم ، وإن كل غازية غزت معنا يُعقب بعضها بعضاً ،
 وإن المؤمنين يبيء بعضهم عن بعض ؛ بما نال دماءهم في سبيل الله عز وجل ،

- (١) زيادة عن ابن هشام ٢ : ١٤٨ (٢) المفسر : المنفل بالدين والكثير العيال ،
 وفي الأصل : « مفدحا » . وما أثبتناه عن ابن هشام . (٣) ولا يحالف : المخالفة : المؤاخاة
 والمعاودة . (٤) الدسيسة : العطية ، أى طلب أن يدفروا له عطية على سبيل الظلم .
 (٥) الزيادة من ابن هشام ، وفي الأصل : « وإنه من يهود فإن له النصر » . وهذا خطأ .
 (٦) السلم بالكسر ويفتح : الصلح يذكر ويؤنث .
 (٧) يبيء : هو من البواء : أى المساواة .

وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ، وإنه لا يُجبر مشركٌ مالا لقربش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن ، وإن من أعتبط^(١) مؤمناً قتلًا عن يده فإنه قود به ، إلا أن يرضى وليُّ المقتول ، وإن المؤمنين عليه كافةٌ ، ولا يحل لهم [إلا]^(٢) القيام عليه ، وأنه لا يحل للمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر مُحدثًا ولا يؤويه ، وإن من نصره أو آراه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صَرفٌ ولا عدلٌ ، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن سرده إلى الله وإلى محمد [صلى الله عليه وسلم]^(٣) وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، وإن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته ، وإن يهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن ليهود بنى الحارث مثل ما ليهود بنى عوف ، [وإن ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن ليهود بنى جثم مثل ما ليهود بنى عوف]^(٤) ، وإن ليهود بنى الأوس مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن ليهود بنى ثعلبة مثل ما ليهود بنى عوف ، إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته ، وإن جثمة بطن من بنى ثعلبة [كأنفسهم]^(٥) وإن لبنى الشُّطنة مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن البرّ دون الإثم ، وإن موالى ثعلبة كأنفسهم ، وإن بطانة يهود كأنفسهم ، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ، وإنه لا يتحجز على نارٍ جرح ، وإنه من قتل فبنفسه [فتك ، وأهل بيته]^(٦) إلا من ظلم ، وإن الله على أبر هذا ، وإن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، [وإن بينهم النصح والنصيحة ، والبرّ دون الإثم ، وإنه لم يأنم أبرؤ

(١) أعتبط : قتل بلا جناية كانت منه ولا جريرة توجب قتله ، والقود بفتحين : الفصاح .

وفي الأصل : « قود بد » ، وهو تصحيف ، وما أثبتناه عن ابن هشام .

(٢) الزيادة من ابن هشام . (٣) يوتغ : يهلك .

(٤) بطانة الرجل : خاصته وأهل بيته . (٥) على أبر هذا : أى على الرضاية .

بجليفه ، وإن النصر للظلم ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة ^(١) ، وإن الحار كالثقب غير مضار ولا آثم ، وإنه لا تجار حُرمة إلا بإذن أهلها ، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فسادة فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله ، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره ، وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها ، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب ، وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه ، فإنهم يصالحونه ويلبسونه ، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين ، إلا من حارب في الدين ، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم ، وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة ، مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة — ويقال مع البر المحسن — وإن البر دون الإثم ، لا يكسب كاسب إلا على نفسه ، وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره ، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم ولا آثم ، وإنه من نخرج آيين ، ومن قعد آيين بالمدينة إلا من ظلم وأثم ، وإن الله جار لمن بر وأتقى ومحمد رسول الله .

ذكر أخبار المنافقين من الأوس والخزرج وما أُنزل

فيهم من القرآن

وقد رأيت أن أجمع ما فرقه أهل السير من أخبار المنافقين ، وأضم بمضيه إلى بعض ، وأورده جملة واحدة ، فإن ذلك لم يكن في وقت واحد ولا في سنة بعينها ، بل أورده أهل السير بحسب ما وقع ، وفرقه في الغزوات وغيرها ، فأثرت جمعه في هذا الموضع ، وما كان قد وقع في غزاة أو حادثة نهبت عليه في موضعه على ما تقف عليه إن شاء الله تعالى .

(١) الزيادة عن ابن هشام . (٢) في الأصل : « إنسان » . والثبت عن ابن هشام .

قال محمد بن إسحاق رحمه الله : كان رجال من الأوس والخزرج ممن أسلم وهو على جاهليته ، فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعثة ، إلا أن الإسلام قهرهم بظهوره ، واجتماع قومهم عليه ، فظهروا بالإسلام ، واتخذوه جنة من القتل ، وناقضوا في السر ، وكان هواهم مع يهود ؛ لتكذيبهم وجحودهم الإسلام ، فكان منهم من الأوس من بنى عمرو بن عوف ، ثم من بنى لؤذان بن عمرو بن عوف : زوى بن الحارث ، ومن بنى حبيب بن عمرو : جلاس بن سويد بن صامت ، وأخوه الحارث بن سويد ، قال : وجلاس هو الذي قال عند تحلفه عن غزوة تبوك : لئن كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمير ، فرفع ذلك من قوله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمير بن سعد ، وكان في حجر جلاس خلف على أمه بعد أبيه ، فلما تكلم جلاس بهذا قال له عمير : والله يا جلاس ، إنك لأحب الناس إلى ، وأحسنهم عندى يدا ، وأعزهم على أن يصيبه شيء بكرهه ، ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لأفضحتك ، ولئن صمت عليها ليلكن ديني ، ولإحداهما أيسر على من الأخرى ، ثم مشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ما قال ، خلف جلاس لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالله لقد كذب على عمير ، وما قلت ما قال ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَسْرًا وَمَا يَنَالُوا بِمَا تَعْمَلُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتُوبُوا يَعَذِّبُهُمْ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (١) ، قال ابن إسحاق : فزعموا أنه تاب فحسنت توبته حتى عرف منه الإسلام والخير . والله أعلم بالصواب .

وأما أخوه الحارث بن سويد فإنه قتل المجذّر بن ذباد البَلَوِيّ في يوم أحد ولحق بقرش ، وكان المجذّر قتل سويد بن صامت في بعض الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج ، فلما كان يوم أحد قتله بأبيه . قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما يذكرون - أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقتله إن هو ظفر به ففاته ، وكان بمكة ثم بعث إلى أخيه جلاس يطلب التوبة ليرجع إلى قومه ، فأنزل الله فيه - فيما حكى عن ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(١) إلى آخر القصة . وكان من المنافقين من بنى ضبيعة ابن يزيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن حماد بن عثمان بن عامر . وتبذل ابن الحارث ، وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى : "من أحب أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبيل بن الحارث" ، وكان رجلا جسيما أدلم ، ثائر شعر الرأس ، أحمر العينين ، أسفع الخدين ، وكان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتحدث إليه ويسمع منه ، ثم ينقل حديثه إلى المنافقين ، وهو الذي قال : إنما عهد أدن من حديثه شيئا صدقه . فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَدْنُ قُلْ أَذْنُ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ^(٢) ، وأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم به وبصفته فيما حكاه ابن إسحاق . وأبو حبيبة بن الأزعر ، وكان ممن بنى مسجد الضرار . وطلبة بن حاطب ، ومعتب بن قشير ، وهما اللذان عاهدا الله ﴿ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ^(٣) ، ومعتب هو الذي

١٢٥
١٤

١٥

٢٠

(١) سورة آل عمران ٨٦ . (٢) الأدلم : الأسود الطويل . (٣) السفع : أسوداد مشرب بحمرة . (٤) سورة التوبة : ٦١ . (٥) سورة التوبة : ٧٥ .

- قال يوم أحد : لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتِلنا ها هنا ، فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله : ﴿ وَظَافَةً قَدْ أَهْمَتَهُمْ أَنْفُسُهُمْ ^(١) ﴾ إلى آخر القصة . وهو الذي قال يوم الأحزاب : كان نجد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط ، فأنزل الله فيه : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ^(٢) ﴾ . والحارث بن حاطب — وقال ابن هشام : ثعلبة والحارث أبنا حاطب ، هما من بنى أمية بن زيد من أهل بدر ، وليسا من المنافقين — والله أعلم . ومنهم عباد بن حنيفة أخو سهل ، وبخزج ، وهو من بنى مسجد الضرار ، وعمرو بن خذام ، وعبد الله بن نبتل ، وجارية بن عامر ابن العطف وأبناء زيد وجميع ، وهم من بنى مسجد الضرار . وكان يجمع غلاما حدنا قد جمع من القرآن أكثره ، فكان يصلي بهم فيه ، فلما كان في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه كلم عمر في مجمع ليصلي بنى عمرو بن عوف في مسجدهم ، فقال عمر : لا ، أو ايس بل امام المنافقين في مسجد الضرار ! فقال : يا أمير المؤمنين والله الذى لا إله إلا هو ما علمت بشيء من أمرهم إلا على أحسن ما ذكروا ، فزعموا أن عمر تركه يصلى بقومه . ومن بنى أمية بن زيد بن مالك وديعة بن ثابت وهو من بنى مسجد الضرار ، وهو الذى قال : إنما كنا نخوض ونلعب ، فأنزل الله فيه وفيمن قال بقوله : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهِهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ^(٣) ﴾ إلى آخر القصة .
- ومن بنى عبيد بن زيد بن مالك خذام بن خالد ، وهو الذى أخرج مسجد الضرار من داره ، وبشر ورافع ابنا زيد . ومن بنى النبيت من بنى قتيبة وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أجاز جائطه ، ورسول الله
- (١) سورة آل عمران : ١٥٤ (٢) سورة الأحزاب : ١٢ (٣) سورة التوبة : ٦٥

صلى الله عليه وسلم عامدٌ إلى أحد : لَا أَحِلَّ لَكَ يَا مُحَمَّدُ أَنْ تَمْرُجَ بِحَائِطِي ،
 وأخذ في يده حَفْنَةً من تراب ثم قال : والله لو أعلم أني لا أصيب بهذا التراب
 غيرك لرميتك به ، فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 ”دعوه ، فهذا الأعمى أعمى القلب ، أعمى البصيرة“ ، وضربه سعد بن زيد بالقوس
 فشجّه ، وأخوه أَوْسُ بْنُ قَيْطَى ، وهو الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
 الخندق : إِنْ بَيَّوْتَنَا عَوْرَةً ، فَأَذَنْ لَنَا أَنْ نَرْجِعَ إِلَيْهَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ : ﴿ يَقُولُونَ إِنْ
 بَيَّوْتَنَا عَوْرَةً وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾^(١) . ومن بنى ظَفَرَ — وأسم ظفر
 كعب — حاطب بن أمية بن رافع ، وبُشَيْرُ بْنُ أَبِي رَافِعٍ ، وهو أبو طُعْمَةَ سَارِقُ الدَّرْعَيْنِ
 الذي أنزل الله فيه : ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ
 خَوَّانًا أَنِيًّا ﴾^(٢) . وقُرَظَمَانُ حَلِيفٌ لَهُمْ . قال ابن إسحاق بسنده : إن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم كان يقول : ”إنه لمن أهل النار“ ، فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديدا حتى
 قتل تسعة من المشركين ، وأثبتته الجراحة ، فحمل إلى دار بنى ظَفَرَ ، فقال له رجال
 من المسلمين : أَبَشِّرْ يَا قُرَظَمَانُ ، فَقَدْ أَبْلَيْتَ الْيَوْمَ ، وَقَدْ أَصَابَكَ مَا تَرَى فِي اللَّهِ ، قَالَ :
 بِمَاذَا أَبَشَّرَ ، وَاللَّهِ مَا قَاتَلْتُ إِلَّا حِمِيَّةً عَنْ قَوْمِي ، فَلَمَّا أَشْتَدَّتْ بِهِ جِرَاحُهُ أَخَذَ سَهْمًا
 مِنْ كَنَانَتِهِ ، فَقَطَّعَ بِهِ رَوَاهِشَ يَدِهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ . قال ابن إسحاق : ولم يكن في بنى
 عبد الأشهل منافق ولا منافقة إِلَّا أَنَّهُ الضَّحَّاكُ بْنُ ثَابِتٍ أَحَدُ بَنِي كَعْبٍ رَهْطِ
 سَعْدِ بْنِ زَيْدٍ قَدْ كَانَ يُتَمِّمُ بِالنِّفَاقِ وَحُبِّ يَهُودٍ . قال ابن إسحاق : وكان جُلَّاسُ
 ابْنِ سُورَيْدٍ قَبْلَ تَوْبَتِهِ ، وَمُعْتَبُ بْنُ قُشَيْرٍ ، وَرَافِعُ بْنُ زَيْدٍ ، وَبُشَيْرٌ ، هُمُ الَّذِينَ دَعَاهُمْ
 رِجَالٌ مِنْ قَوْمِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي خُصُومَةٍ كَانَتْ بَيْنَهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَدَعَوْهُمْ إِلَى حُكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ

٥

١٠

١٥

٢٠

أَتَمُّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا^(١) إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ . فهُؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرْنَاهُمْ مِنَ الْأَوَّلِ .

- ومن الخزرج من بنى النجار رافع بن وديعة ، وزيد بن عمرو ، وعمرو ابن قيس ، وقيس بن عمرو بن سهل . ومن بنى جشم بن الخزرج الجعد بن قيس ، وهو الذي يقول : يا محمد ائذن لي ولا تفتني ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَئِذْنِي وَلَا تَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾^(٢) ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قل له وهو في جهازه إلى تبوك : ” يا جعد ، هل لك العام في جلاد بنى الأصفر “ ؟ قال : يا رسول الله ، أوتأذن لي ولا تفتني ؟ فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل أشد عجا بالنساء مني ، ولما أخشى إن رأيت نساء بنى الأصفر ألا أصبر . فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : ” أذنت لك “ ، فأنزل الله تعالى فيه ما أنزل . ومن بنى عوف بن الخزرج عبد الله بن أبي سؤل ، وكان رأس المنافقين وكانوا يجتمعون إليه . قال محمد بن إسحاق : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وسيد أهلها عبد الله بن أبي بن سؤل ، لا يختلف عليه في شرفه من قومه آثنان ، لم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين — حتى جاء الإسلام — غيره ؛ قال : ومعه رجل من الأوس هو في قومه شريف مطاع ، وهو أبو عامر عبد الله ابن عمرو بن صبيح بن النعمان ، أحد بنى ضبيعة بن زيد ، وهو أخو حنظلة النسيب^(٣) وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح ، وكان يقال له : الراهب ، فشقيا بشرفهما .

(١) سورة النساء ٦٠ (٢) سورة التوبة ٢٩

(٣) سمى النسيب لأن الملائكة غسلك ؛ وذلك أنه خرج جنبا حين سمع البعثة يوم أحد فأتاه وهو يقاتل في سبيل الله ، فأخبر صلى الله عليه وسلم أن الملائكة لغسله .

فأما عبد الله بن أبي فكان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه ثم يملكوه عليهم ،
 بغاءهم الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم وهم على ذلك ، فلما أنصرف قومه عنه
 إلى الإسلام ضغن ، ورأى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمّنته ملكا ، فلما
 رأى قومه قد أبوا إلا الإسلام دخل فيه كارها مضرا على نفاق . وقد روى عن [أسامة
 ابن زيد] ^(١) بن حارثة قال : ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن عبادة
 يعودوه من شكوى أصابته ، على حمار عليه إكاف فوقه قطيفة قد كة مختطمة بجبل
 من ليف ، وأردفتي صلى الله عليه وسلم خلفه ، قال : فربعب عبد الله بن أبي بن سلول ،
 وهو في ظل مزاحم ^(٢) أطمه ، وحوله رجال من قومه ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه
 وسلم تذم من أن يحاوزه حتى ينزل ، فنزل فسلم ثم جلس فلا القرآن ، ودعا إلى
 الله عز وجل ، وذكرب الله وحذرب وبشروأنذر ، قال : وهو زام لا يتكلم ، حتى إذا ^(٣)
 فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مقالته ، قال : يا هذا ، إنه لا أحسن من حديثك
 هذا إن كان حقا ، فأجلس في بيتك فن جاءك له لخذته إياه ، ومن لم يأتك فلا تعشه
 به ، ولا تأته في مجلسه بما يكره منه . فقال عبد الله بن راحة في رجال كانوا عنده
 من المسلمين : بلى فأغشنا به وأتنا في مجالسنا ودورنا وبيوتنا ، فهو والله مانحب ،
 وما أكرمنا الله به وهدانا له ، فقال عبد الله حين رأى من خلاف قومه ما رأى :
 متى ما يكن مولاك خصمك لم ترل * تذل ويصرعك الذين تضرع
 وهل ينهض البازي بغير جناحه * وإن جذ يوما ريشه فهو واقع
 قال : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على سعد بن عبادة وفي وجهه
 ما قال عدو الله ، فقال سعد : والله يارسول الله ، إني لأرى في وجهك شيئا ؛ لكأنك

(١) الزيادة من ابن هشام . (٢) مزاحم : أسم الأطم . والأطم : الحصن .

(٣) تدم : استنكف . (٤) زام : رافع رأسه لا يقبل عليه كبرا .

سمعت شيئا تكرهه . قال : ” أجل “ ، ثم أخبره بما قال ابن أبي ، فقال : يا رسول الله أرفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، وإنا لننظم له الخرز لتوجه ، فإنه ليرى أنك قد سلبت ما سكا . وكانت مقالة عبد الله بن أبي هذه قبل تلفظه بالإسلام ، وسنورد إن شاء الله تعالى من أخباره في الغزوات ، وأنحيازه عن المسلمين بثأث الناس يوم أُحُد ، وما قاله في غزوة المريسيع وغيرها ما تقف عليه في مواضعه ، مما تستدل به على صحة نفاقه ، وإصراره في الباطن على كفره . وأما أبو عامر فإنه أبى إلا الإصرار على كفره ، وفارق قومه حين اجتمعوا على الإسلام ، فخرج إلى مكة ببضعة عشر رجلا ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق ، وهو أول من أنشب الحرب يوم أُحُد على ما ذكره إن شاء الله تعالى . قال : وكان أبو عامر قد أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين قدم المدينة فقال : ما هذا الذي جئت به ؟ قال : ” جئت بالحنيفية دين إبراهيم “ ، قال : فأنا عليها ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” إنك لست عليها “ ، قال : بلى ، إنك أدخات يا محمد في الحنيفية ما ليس منها ، قال : ” ما فعلت ولكن جئت بها بيضاء نقية “ ، قال : الكاذب أماته الله طريدا غربيا وحيدا — يُعرض برسول الله صلى الله عليه وسلم : أى إنك ما جئت بها كذلك ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” أجل “ ، فن كذب يفعل الله به ذلك “ ، فكان هو ذاك ، فخرج إلى مكة ، فلما أنتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الطائف ، فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام ، فمات به طريدا غربيا وحيدا .

ومن المنافقين من أحبار يهود

من تعوذ بالإسلام ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق : سَعِيدُ بْنُ حَنْفٍ ، وَزَيْدُ بْنُ اللَّصِيْثِ ، وَنُعْمَانُ بْنُ أَوْفَى ، وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي أَوْفَى . وَزَيْدُ

(١) سَيِّقُ التَّوَلَّفِ أَنَّهُ ابْنُ أَبِي أَوْفَى .

أَبْنُ اللَّصِيْتِ هُوَ الَّذِي قَاتَلَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ بِسَوْقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ حِينَ ضَلَّتْ نَاقَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ : يَزْعُمُ مَعْدُ أَنَّهُ يَأْتِيهِ خَبَرُ السَّمَاءِ ، وَلَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَجَاءَهُ الْخَبَرُ بِمَا قَالَ وَدَلَّهَ اللَّهُ عَلَيْهَا — : ” إِنْ فَلَانَا قَالَ : يَزْعُمُ مَعْدُ أَنَّهُ يَأْتِيهِ خَبَرُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا آتِيكُمْ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ ، وَقَدْ دَلَّنِي اللَّهُ عَلَيْهَا ، وَهِيَ فِي هَذَا الشَّعْبِ ، قَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِزِمَامِهَا “ ، فَذَهَبَ رِجَالُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَوَجَدُوهَا حَيْثُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَمَا وَصَفَ . وَمِنْهُمْ رَافِعُ بْنُ خُرَيْمَةَ وَهُوَ الَّذِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ مَاتَ : ” قَدْ مَاتَ الْيَوْمَ عَظِيمٌ مِنَ عِظَمَاءِ الْمُنَافِقِينَ “ . وَرِفَاعَةُ [بَنُ زَيْدٍ ^(١)] بَنُ التَّائِبِوتِ ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ هَبَّتْ رِيحٌ وَهُوَ قَافِلٌ مِنْ غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَأَشْنَدَتْ ، حَتَّى أَشْفَقَ مِنْهَا الْمُسْلِمُونَ : ” لَا تَخَافُوا ، فَإِنَّهَا هَبَّتْ لِمَوْتِ عَظِيمٍ مِنَ عِظَمَاءِ الْكُفَّارِ “ ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَجَدَ رِفَاعَةَ بْنَ زَيْدٍ مَاتَ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي هَبَّتْ فِيهِ الرِّيحُ . وَسَيْسِلَةُ بْنُ بَرَّهَامَ ، وَكِكَاةُ بْنُ صُورِيَا .

وَكَانَ هَؤُلَاءِ يَحْضُرُونَ الْمَسْجِدَ يَسْمَعُونَ أَحَادِيثَ الْمُسْلِمِينَ ، وَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ، وَيَسْتَهْزِئُونَ بِدِينِهِمْ . قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ : فَاجْتَمَعَ يَوْمًا مِنْهُمْ فِي الْمَسْجِدِ نَاسٌ ، فَرَأَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَحَدَّثُونَ بَيْنَهُمْ بِأَقْصَى أَصْوَاتِهِمْ ^(٢) ، قَدْ لَصِقَ بِمَعْضِهِمْ بَعْضٌ ، فَأَمَرَ بِهِمْ فَأَخْرَجُوا مِنَ الْمَسْجِدِ إِخْرَاجًا عَنِيفًا ، فَقَامَ أَبُو أَيُّوبَ خَالِدُ بْنُ زَيْدٍ إِلَى عُمَرُو بْنِ قَيْسٍ أَحَدِ بَنِي النَّجَّارِ — وَكَانَ صَاحِبَ آلِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ — فَأَخَذَ بِرِجْلِهِ لِيَسْجِبَهُ حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنَ الْمَسْجِدِ ، وَهُوَ يَقُولُ : أَتُخْرِجُنِي يَا أَبَا أَيُّوبَ مِنْ مَرْبَدِ بَنِي ثَعْلَبَةَ ! ثُمَّ أَقْبَلَ أَبُو أَيُّوبَ أَيْضًا إِلَى رَافِعِ بْنِ وَدِيعَةَ أَحَدِ بَنِي النَّجَّارِ فَلَبِثَهُ

(١) الزيادة من ابن هشام . (٢) في ابن هشام : « خافضى أصواتهم » .

بردائه ، ثم أتره تترًا شديدًا ، ولطم وجهه وأخرجه ، وهو يقول : أَفَّ لَكَ مُنَافِقًا^(١)
 خبيثًا ! أَدْرَاكِ يَا مُنَافِقُ مِنْ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وقام عُمارة^(٢)
 ابن حَزْمٍ إِلَى زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو — وَكَانَ رَجُلًا طَوِيلَ اللَّحْيَةِ — فَأَخَذَ بِلَحْيَتِهِ فَقَادَهُ بِهَا
 قَوْدًا عَنيفًا حَتَّى أَخْرَجَهُ ، ثُمَّ جَمَعَ عُمَارَةً يَدِيهِ فَلَدَمَهُ بِهَا فِي صَدْرِهِ لَدَمَةً خَرَّ مِنْهَا ، فَقَالَ :
 خَدَشْتَنِي يَا عُمَارَةَ ، قَالَ : أَبْعَدُكَ اللَّهُ يَا مُنَافِقُ ، فَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ مِنَ الْعَذَابِ أَشَدَّ
 مِنْ ذَلِكَ ، فَلَا تَقْرَبَنَّ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وقام أَبُو مُحَمَّدٍ مَسْعُودُ
 ابْنِ أَوْسٍ مِنْ بَنِي النَّجَارِ إِلَى قَيْسِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ سَهْلٍ ، وَكَانَ قَيْسٌ غُلَامًا شَابًا
 وَلَا يَعْلَمُ فِي الْمُنَافِقِينَ شَابٌ غَيْرُهُ ، فَفَعَلَ يَدْفَعُ فِي قَفَاهُ حَتَّى أَخْرَجَهُ . وقام عَبْدُ اللَّهِ
 ابْنُ الْحَارِثِ مِنْ يَأْخُذْرَةَ رَهْطِ أَبِي سَمَيْدٍ الْخُدْرِيِّ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ عَمْرٍو ، وَكَانَ
 ذَاتُجَمَّةٍ ، فَأَخَذَ بِجُمَّتِهِ فَسَجَّهَ بِهَا سَجًّا عَنيفًا عَلَى بَاصِرِهِ مِنَ الْأَرْضِ حَتَّى أَخْرَجَهُ ، فَقَالَ
 لَهُ : لَقَدْ أَغْلَظْتَ يَا بَنَی الْحَارِثِ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّكَ أَهْلٌ لَذَلِكَ — أَيْ عَدُوٌّ لِلَّهِ —
 أَنْزَلَ فِيكَ ، فَلَا تَقْرَبَنَّ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّكَ تَجَسَّسُ . وقام
 رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ إِلَى أَخِيهِ زُورَى بْنِ الْحَارِثِ فَأَخْرَجَهُ إِخْرَاجًا عَنيفًا ،
 وَأَفَّ مِنْهُ ، وَقَالَ : غَابَ عَلَيْكَ الشَّيْطَانُ وَأَمْرُهُ .

١٢٨
١٤

قال : فهؤلاء من حضر المسجد يومئذ من المنافقين ؛ وفي هؤلاء من المنافقين ،
 وفي أحبار يهود أنزل الله تعالى صدر سورة البقرة إلى المائة منها ؛ والله أعلم .
 فالذي منها مما يختص بالمنافقين قوله تعالى : ﴿ وَبَيْنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ
 وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾^(٦) إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَيَمْدُحُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾^(٧) . وقوله :

(١) أتره : جذبه . (٢) أدراجه : أى أرجع من الطريق التى جئت منها .

(٣) اللدم : الضرب ببطن الكف . (٤) بلخندرة : يريد بنى الخندرة .

(٥) أفف منه : أى قال له أف . (٦) سورة البقرة ٨ . (٧) سورة البقرة ١٥

(فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا) (١) أى شك فزادهم الله شكاً. وقوله: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) (٢) لأنهم كانوا يقولون: إنما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب. وقوله: (وَإِذَا خُلُوا إِلَى شَاطِئِهِمْ) (٣) أى من تهود (قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ) أى على مثل ما أنتم عليه (إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ) (٤) أى إنما نستعزى بالقوم ونلعب بهم. ثم ضرب الله لهم مثلاً فقال: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا) (٥) الآية؛ أى يبصرون الحق وبقولون به، حتى إذا خرجوا به من ظلمة الكفر أطفئوه بكفرهم ونفاقهم فيه، فتركهم الله في ظلمات الكفر فهم لا يبصرون هدى، ولا يستقيمون على حق. ثم قال تعالى: (صُمُّ بَكْمٌ عُصِيَّ فُهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) (٦) أى عن الخير، لا يرجعون إلى هدى. وقوله: (أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ) (٧) الصَّيْب: المطر. قال ابن إسحاق: أى هم من ظلمة ما هم فيه من الكفر والحذر من القتل، على الذى هم عليه من الخلاف والتخوف لكم، على مثل ما وُصف، من الذى هو في ظلمة الصَّيْب، يجعل أصابعه في أذنيه من الصواعق حَذَرَ الموت. (وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ) أى مثل ذلك بهم من النعمة. وقوله: (يَكَادُ الْبَرْقُ يُخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ) أى لشدة ضوء الحق (كَلِمَةً أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا) أى يعرفون الحق ويتكلمون به، فهم من قولهم على استقامة، فإذا ارتكسوا منه إلى الكفر قاموا متحيرين. (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ) (٨) أى لما تركوا الحق بعد معرفته. والله تعالى أعلم بالصواب.

- | | | |
|--------------------|--------------------|--------------------|
| (١) سورة البقرة ١٠ | (٢) سورة البقرة ١٣ | (٣) سورة البقرة ١٤ |
| (٤) سورة البقرة ١٧ | (٥) سورة البقرة ١٨ | (٦) سورة البقرة ١٩ |
| (٧) سورة البقرة ٢٠ | | |

وحيث ذكرنا ما ذكرنا من أخبار المنافقين ، فلنذكر أخبار يهود ، ونجمع ما تفرق منها على نحو ما تقدم .

ذكر شيء من أخبار يهود الذين نصبوا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أنزل فيهم من القرآن

- قال : لما أظهر الله تعالى دينه ، وأطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ،
 أجمع إليه إخوانه من المهاجرين والأنصار ، وأستحكم أمر الإسلام ، نصبت
 أحوار يهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بنيا وحسدا ، مع تحقيقهم نبوته ،
 وصحة رسالته ، وأنه الذي نص الله تعالى عليه في التوراة ؛ فكانوا يسألون رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ويتعتنونه ، وهم من بنى النضير : حُيَّ بن أخطب ، وأخواه
 أبو ياسر وحُدَيّ ، وسلام بن مشكم ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، والربيع
 ابن الربيع بن أبي الحقيق ، وعمرو بن حِمْشاش ، وكعب بن الأشرف ، والحجاج بن عمرو
 حليف كعب بن الأشرف ، وكزدم بن قيس حليفه أيضا . ومن بنى ثعلبة بن
 الفطَيطون^(١) — ويقال فيه الفطيطوس — عبد الله بن صُورِيا الأعور ، وهو أعلم أهل زمانه
 بالمجاز بالتوراة ، وأبن صلُوبا ، ومُخَيَّرِيق ، وكان خبرهم . ومن بنى قَيْنُقَاع : زيد بن
 الصُّلَيْت — ويقال فيه اللُّصَيْت — وسعد بن حُنيف ، ومحمود بن سِيحان ، وعُزَيْرُ
 ابن أبي عُزَيْرٍ ، وعبد الله بن صَيْف — ويقال ابن ضَيْف — وسويد بن الحارث ،
 ورفاعة بن قيس ، وفِنَحْص ، وأَشْبَع ، ونُعمان بن أَصَا ، وبحري بن عمرو ، وشاس
 ابن عدى بن قيس ، وزيد بن الحارث ، ونُعمان بن عمرو ، وسُكَيْن بن أبي سُكَيْن ،
 وعدى بن زيد ، ونُعمان بن أبي أوفى ، أبو أنس ، ومحمود بن دحية ، ومالك بن
 صَيْف ، وكعب بن راشد ، وعازر ، ورافع بن أبي رافع ، وخالد ، وأزار بن

(١) الفطيطون : كلمة عبرانية ، وهي عبارة عن كل من دلى أمر اليهود وملكهم .

أبي أزار - ويقال فيه : آزر بن أبي آزر - ورافع بن حارثة ، ورافع بن خازجة ،
ومالك بن عوف ، ورفاعة بن زيد ، وعبد الله بن سلام بن الحارث ، وكان
حبرهم وأعلمهم ، وكان اسمه الحَصِين ، فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه
وسلم عبد الله .

١٢٩
١٤

ومن بنى قريظة الزبير بن باطا بن وهب ، وعزال بن سَمْوَال ، وكعب
ابن أسد . وشُمَيْل بن زيد ، وجبل بن عمرو ، والنّعام بن زيد ، وقَرْدَم بن
كعب ، ووهب بن زيد ، ونافع بن أبي نافع ، وأبو نافع ، وعدى بن زيد ،
والحارث بن غوف ، وكَرْدَم بن زيد ، وأسامة بن حبيب ، ورافع بن رُمَيْلة ،
وجبل بن أبي قُشَيْر ، ووهب بن يهودا .

ومن يهود بنى زُرَيْق لَيْد بن أَعْصَم السّاحر . ومن يهود بنى الحارثة : كُثَابة
ابن صُورِيَا . ومن يهود بنى عمرو بن عوف قَرْدَم بن عمرو . ومن يهود بنى النّجار :
سَلْسِلَة بن بَرّهام ، هؤلاء أخبار يهود ، وأهل العداوة لله تعالى ولرسوله ، لم يستن منهم
إلا عبد الله بن سَلَام ومُخَيَّرِيق ، فإنهما أسلما . والله أعلم بالصواب ، وإليه المرجع .

ذكر إسلام عبد الله بن سلام^(١) ، ومُخَيَّرِيق

أما عبد الله بن سلام فإنه كان عالما حبرا من أخبار يهود ، حكى محمد بن
إسحاق عن خبر إسلامه رواية عن بعض أهله عنه قال : لما سمعت برسول الله
صلى الله عليه وسلم عرفت صفته وإسلامه وزمانه الذي كُنَّا نَتَوَكَّف^(٢) له ، فكنت
مُسِرًّا لذلك صامتا عليه ، حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ،

(١) يلاحظ أنه لا يوجد من اسمه سلام بالتخفيف في المسلمين ، سلام بالتخفيف في اليهود . راجع

(٢) تتوكف له : أى تنظر وقوعه .

(الروض الأنف ٢ : ٢٥) .

فلما نزل بقاء في بني عمرو بن عوف أقبل رجلٌ حتى أخبر بقدمه ، وأنا على رأس
 نخلةٍ أعمل فيها ، وعمتي خلدة بنت الحارث تَحْتِي جالسةً ، فلما سمعتُ الخبر
 كبرتُ ؛ فقالت عمتي حين سمعت تكبيري : خبيك الله ! والله لو كنت سمعتُ
 بموسى بن عمران قادمًا ما زدت . قال : قلت لها : أى عمة ، هو والله أخو
 موسى بن عمران وعلى دينه ، يُعث بما بُعث به ؛ قالت : أى ابن أُنْجى ، هذا
 النبي الذي كنا نخبر به أنه يبعث مع نفس الساعة ؟ قلتُ نعم ؛ قالت : فذاك إذا ؛
 قال : ثم خرجتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمتُ ؛ فلما رجعتُ إلى أهل
 بيتي فأمرتهم فأسلموا ؛ وكنمت إسلامي من يهود ، ثم جئت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، إن يهود قوم بُهت^(٢) ، وإني أحب أن تدخلني
 بعض بيوتك فتغيبني عنهم ، ثم تسالم عني حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن
 يعلموا بإسلامي ، فإنهم إن علموا به بهتوني ؛ قال : فأدخلني رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بعض بيوته ، ودخلوا عليه فكلّموه وساءلوه ثم قال لهم : "أى رجل
 الحصين بن سلام فيكم" ؟ فقالوا : سيدنا وابن سيدنا وعالمنا ؛ فلما فرغوا من قولهم
 خرجت عليهم فقلت لهم : يا معشر يهود ، اتقوا الله وأقبلوا ما جاءكم به ، فوالله
 إنكم لتعلمون أنه لرسول الله تجدون مکتوبًا عندكم في التوراة باسمه وصفته ، فإني
 أشهد أنه رسول الله ، وأومن به ، وأصدقّه وأعترفه ؛ فقالوا : كذبت ، ثم وقعوا بي ،
 فقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قوم بُهت^{١٥} ،
 أهل غدر وكذب وبغور ؛ ؟ قال : وأظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي ،
 وأسلمت عمتي خلدة بنت الحارث لحسن إسلامها .

(١) ويقال : « خالدة » . (٢) بهت : جمع بهوت ، والبهوت : المباحث مبالغة

في أسم الفاعل ، من الهتان وهو الكذب (راجع نهاية ابن الأثير) . . .

وأما تخير بريق — قال ابن إسحاق : كان حبرا عالما ، وكان غنيا كثير الأموال من النخل ، وكان يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته وما يجحد في علمه ، وغلب عليه ألف دينه ، فلم يزل على ذلك ، حتى إذا كان يوم أحد وهو يوم السبت ، قال : يا معشر يهود ، والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق ، قالوا : إن اليوم يوم السبت ، قال : لا سبت لكم ، ثم أخذ سلاحه فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بأحد ، وعهد إلى من وراءه من قومه : إن قُلت في هذا اليوم فأموالي ل محمد يصنع فيها ما أراه الله ، فلما أقتل الناس قاتل حتى قُتل ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى يقول : ” تخير بريق خير يهود ” ، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أمواله ، فعامة صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة منها .

قال : وكان مما أنزل الله تعالى في أمر اليهود صدرا من سورة البقرة ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١) أى إنهم قد كفروا بما عندك من ذكركم ، ووجدوا ما أخذ عليهم من الميثاق لك ، فقد كفروا بما جاءك ، وبما عندهم مما جاءهم به غيرك ، فكيف يستمعون منك إنذارا أو تحذيرا !

وقوله : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ أى عن الهدى لن يصيبوه أبدا ، ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢) أى بما هم عليه من خلافك .

وقوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُون . وَأَمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيَّائِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُون . وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ

وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ^(١) ، أى لا تكتتموا ما عندكم من المعرفة برسولى وبما جاء به ، وأتم تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التى بأيديكم .

ثم قال الله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ^(٢) ﴾ أى تنهون الناس عن الكفر بما عندكم من التوراة ، وتتركون

- أنفسكم ، وأتم تكفرون بما فيها من عهدى إليكم فى تصديق رسولى ، وتنقضون ميثاقى ، وتجهلون ما تعلمون من كتابى . [ثم] غَدَّدَ عليهم أحداثهم فيما سلف ، فذكر لهم العجل ، وقولهم لموسى : ﴿ أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ جَهَنَّةُ^(٣) ﴾ وَصَعَقَتْهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ ، ثم إحياء الله لهم وإظلالهم بالغيام ، وإنزاله عليهم المن والسلوى ، وقوله لهم : ﴿ ادْخُلُوا الْبَابَ مُجْتَدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ^(٤) ﴾ أى قولوا ما أمركم به أحط به ذنوبكم عنكم ؛ وتبديلهم ذلك ، إلى ما ذكره الله تعالى من أخبارهم مع موسى .

ثم قال الله تعالى والخطاب لنبىه صلى الله عليه وسلم ولمن معه من المؤمنين : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرَفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ^(٥) ﴾ قال الفريق الذى أخبر الله عنهم أنهم كانوا يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعدما عقلوه ؛ وهم الذين قالوا لموسى صلى الله عليه وسلم :

- يا موسى ، قد حيل بيننا وبين رؤية ربنا ، فاسمعنا كلامه حين يكلمك ، فطلب موسى ذلك من ربه لهم ، فقال تعالى : مرهم فليطهروا ويطهروا ثيابهم ويصوموا ، ففعلوا ، ثم خرج بهم حتى أتى الطور ، فلما غشيهم الغمام أمرهم موسى فوقعوا سجودا وكلهم ربه ، فسمعوا كلامه يأمرهم وينهاهم ، حتى عقلوا ما سمعوا ، ثم أنصرف بهم موسى إلى بنى إسرائيل ، فلما جاءهم حرف فريق ممن سمع ما أمرهم به ، وقالوا

٢٠ . (١) سورة البقرة ٤٠ - ٤٢ (٢) سورة البقرة ٤٤ (٣) الزيادة من ابن هشام

(٤) سورة النساء ١٥٣ (٥) سورة البقرة ٥٨ (٦) سورة البقرة ٧٥

حين قال موسى لبني إسرائيل : إن الله قد أمركم بكذا وكذا، قال ذلك الفريق :
 إنما قال كذا وكذا خلا فاما قال الله تعالى لهم ، فهم الذين عنى الله تعالى . ثم قال :
 ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ﴾ ^(١) أى بصاحبكم رسول الله ، ولكنه إليكم خاصة .
 وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا : لا تحدثوا العرب بهذا ، فإنكم قد كنتم
 تستفتحون به عليهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا
 بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا اتَّخَذْتُنَّهِمْ إِيْمًا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا
 تَعْقِلُونَ ﴾ ^(٢) أى تقولون بأنه نبي ، وهو يخبرهم أنه النبي الذي كنا ننتظره ونجده
 في كتابنا ، أبحدوه فلا تقولوا لهم به ، قال الله تعالى : ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
 مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ . وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ
 إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ ^(٣) أى إلا تلاوة ، والأُمِّي هو الذى يقرأ ولا يكتب ، معناه أنهم
 لا يعلمون الكتاب فلا يدرون ما فيه ، فهم يخحدون نبوتك بالظن . وقوله تعالى :
 ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ اتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ
 عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٤) قال ابن عباس رضى الله عنهما : قدم رسول
 الله صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود تقول : إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة ،
 وإنما يعذب الله تعالى الناس فى النار بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوما واحدا
 فى النار من أيام الآخرة ، وإنما هى سبعة أيام ، ثم ينقطع العذاب ، فأنزل الله تعالى
 ذلك ، ثم قال : ﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خِطْيَتُهُ ﴾ أى من عمل مثل
 أعمالكم ، وكفر بمثل ما كفرتم به ، حتى يحيط كفره بما له . من حسنة ﴿ فَأُولَئِكَ
 أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ^(٥) . ثم قال تعالى يذمهم : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ

(٣) سورة البقرة ٧٧ ، ٧٨

(٢) سورة البقرة ٧٦

(١) سورة البقرة ١٤

٢٠

(٥) سورة البقرة ٨١

(٤) سورة البقرة ٨٠

بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ^(١) ﴿١﴾ أَي تَرَكْتُمْ ذَلِكَ كُلَّهُ . ﴿٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ

دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَسْهَوْنَ^(٢) .

قال ابن إسحاق : أقررتهم على أن هذا حق من ميثاق عليكم ، ﴿٢﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فِرْيَاقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ^(٣) ،

أَي أَهْل الشُّرْكِ ، حَتَّى يَسْفِكُوا دِمَاءَهُمْ مَعَهُمْ ، وَتُخْرِجُوهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ مَعَهُمْ ، ﴿وَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فِرْيَاقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ ،

عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَتَتْهُمْ مِّنْ بَعْضِ الْكُتُبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ^(٤) أَي أَتَفَادُونَهُمْ مِّمَّنْ مَّؤْمِنِينَ بِذَلِكَ وَتُخْرِجُونَهُمْ كَفَّارًا بِذَلِكَ ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِّنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ . أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ^(٥) ﴿٤﴾

فَأَنبَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ فَعْلِهِمْ ، وَقَدْ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَةِ سَفْكَ دِمَائِهِمْ ، وَافْتَرَضَ عَلَيْهِمْ فِيهَا فِدَاءَ أَسْرَائِهِمْ فَكَانُوا فَرِيقَيْنِ ، مِنْهُمْ بَنُو قَيْنِقَاعَ وَلَقَبُهُمْ حُلَفَاءُ الْخَزَرَجِ ، وَالنَّضِيرِ

وَقُرَيْظَةَ ، وَلَقَبُهُمْ حُلَمَاءُ الْأَوْسِ ، وَكَانُوا إِذَا كَانَتْ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ حَرْبٌ خَرَجَتْ بَنُو قَيْنِقَاعَ مَعَ الْخَزَرَجِ ، وَخَرَجَتْ بَنُو النَّضِيرِ وَقُرَيْظَةُ مَعَ الْأَوْسِ يَظَاهِرُ

كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ حُلَفَاءَهُ عَلَى إِخْرَاقِهِ حَتَّى يَتَسَافَكُوا دِمَاءَهُمْ بَيْنَهُمْ ، وَبِأَيْدِيهِمْ

(١) سورة البقرة ٨٣ . (٢) سورة البقرة ٨٤ . (٣) سورة البقرة ٨٥

(٤) سورة البقرة ٨٥ ، ٨٦ . (٥) لفهم ، أَي مِنْ عَدُوِّهِمْ .

التوراة يعرفون منها ما عليهم وما لهم ، والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان ، لا يعرفون جنة ولا ناراً ، ولا بعثاً ولا قيامة ، ولا كتاباً ، ولا حلالاً ولا حراماً ، فإذا وضعت الحرب [أوزارها] ^(١) آفندوا أسرارهم تصديقاً لما في التوراة وأخذوا به ، يفتدى بنو قينقاع ما كان من أسرارهم في أيدي الأوس ، [و] يفتدى بنو النضير وقريظة ما كان في أيدي الخزرج منهم ، ويطلبون ما أصابوا من الدماء ، وقتلوا من قتلوا منهم فيما بينهم ، مظاهرة لأهل الشرك عليهم ؛ يقول الله تعالى : ﴿ أَقْوِمُونِ بَعْضَ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بَعْضَ ﴾ ^(٢) أي تفاديه بحكم التوراة وتقتله ، وفي حكم التوراة : ألا تفعل : [تقتله] ^(٣) ، وتخرجه من داره ، وتظاهر عليه من يشرك بالله ويعبد الأوثان ابتغاء عرض الدنيا . ثم قال : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ ﴾ أي الآيات التي كانت له من إبراء الأكفمة والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله ، والخبر بكثير من الغيوب مما يأكلون وما يتنجسون في بيوتهم ، ثم ذكر كفرهم بذلك كله ، فقال : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ وَفَرِّقُوا تَفْتُلُونَ ﴾ ^(٤) ثم قال : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ . وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ^(٥) ؛ وذلك أنهم كانوا يقولون للأَنْصَارِ لما كانوا على جاهليتهم : إن نبياً يبعث الآن قد أظّل زمانه ، نبعه ، فنقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم أتبعه الأنصار

(١) تكملة من ابن هشام . (٢) تكملة عن ابن هشام .

(٣) في الأصل : « ويطلبون » ؛ والصواب ما أتبعناه عن ابن هشام . ويطلبون هنا : يطلبون .

(٤) البقرة ٨٥ (٥) تكملة عن ابن هشام . (٦) البقرة ٨٧

(٧) البقرة ٨٨ ، ٨٩

وكفر به يهود ، قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ ، ثم قال : ﴿ بَلَسَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَنِيَّ أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ^(١) ﴾ ، غَضِبَ الله عليهم فيما صنعوا من مخالفتهم حكم التوراة ، وغَضِبَ عليهم بكفرهم بهذا النبي الذي أُرْسِلَ إليهم ، ثم أَنَبَهُم برفع الطور ، وَاَتَّخَذَ الْعَجَلُ إِلَهاً مِنْ دُونِ اللَّهِ ، ثم قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الدَّارَ الْآخِرَةَ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمْنُوا الْوَيْدَ ^(٢) إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أَيِ ادْعُوا بِالْمَوْتِ عَلَى أَى الْفَرِيقَيْنِ أَكْذَبَ ، فَأَبَوْا ذَلِكَ ، فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَتَمَنَوْهُ فَقَالَ : ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَسَتْ أَيْدِيهِمْ ^(٣) ﴾ أَيِ بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ بِكَ وَالْكَفْرِ بِذَلِكَ ، فَيَقَالُ : لَوْ تَمَنَّوْهُ يَوْمَ قَالَ لَهُمْ ذَلِكَ مَا بَقِيَ عَلَى الْأَرْضِ يَهُودِيٌّ إِلَّا مَاتَ ، ثُمَّ ذَكَرَ رَغْبَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ فَقَالَ : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ جَحَرَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَجَّجٍ ^(٤) مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ ﴾ أَيِ مَا هُوَ بِمُنْجِيهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَشْرِكَ لَا يَرْجُو مَتَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، فَهُوَ يَحِبُّ طَوْلَ الْحَيَاةِ ، وَأَنَّ الْيَهُودِيَّ قَدْ عَرَفَ مَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخِزْيِ بِمَا صَنَعَ فِيمَا عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ . وَاللَّهُ تَعَالَى الْهَادِي لِلصَّوَابِ ، وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَأْبَأُ .

١٥ ذَكَرَ سُؤَالَ أَحْبَارِ يَهُودَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَأَشْتَرَاظَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُ إِنْ أَجَابَهُمْ عَمَّا سَأَلُوهُ آمَنُوا بِهِ ،
وَرَجَوْعَهُمْ عَنِ الشَّرْطِ

وَذَلِكَ أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَحْبَارِ يَهُودَ جَاءُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا :
يَا مُحَمَّدُ ، أَخْبِرْنَا عَنْ أَرْبَعِ نَسَائِكَ عَنْنَ ، فَإِنْ فَعَلْتَ أَتَبِعْنَاكَ وَصَدَقْنَاكَ وَأَمَّا بِكَ ؛
فَقَالَ : ” عَلَيْكُمْ بِهَذَا عَهْدِ اللَّهِ وَمِيثَاقِهِ إِنْ أَخْبَرْتُمْ بِذَلِكَ لِنَصْدُقَنَّيْ “ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ؛

(١) سورة البقرة ٩٠ (٢) سورة البقرة ٩٤ (٣) سورة البقرة ٩٥ (٤) سورة البقرة ٩٦

قال : ” فَاسْأَلُوا عَمَّا بَدَأَ لَكُمْ “ قالوا : أَخْبِرْنَا كَيْفَ يُشَبِّهُ الْوَلَدَ أُمَّهُ ، وَإِنَّمَا النُّطْفَةُ
 مِنَ الرَّجُلِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” أَتَشُدُّكُمْ بِاللَّهِ وَبِأَيَّامِهِ عِنْدَ بَنِي
 إِسْرَائِيلَ هَلْ تَعْرِفُونَ أَنَّ نُطْفَةَ الرَّجُلِ بَيْضَاءُ غَلِيظَةٌ ، وَنُطْفَةُ الْمَرْأَةِ صَفْرَاءُ رَقِيْقَةٌ
 فَأَيُّهُمَا طَلَتْ صَاحِبَتَهَا كَانَ لَهَا الشَّبَهُ “ ؟ قالوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ ، قالوا : فَأَخْبِرْنَا كَيْفَ
 نَوْمُكَ ؟ قال : ” أَتَشُدُّكُمْ بِاللَّهِ وَبِأَيَّامِهِ عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ نَوْمَ الَّذِي
 تَزْعُمُونَ أَنِّي لَسْتُ بِهِ تَنَامُ عَيْنُهُ وَقَلْبُهُ يَقْظَانُ “ ؟ [قَالَوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ ، قال :
 ” فَكَذَلِكَ نَوْمِي ، تَنَامُ عَيْنِي وَقَلْبِي يَقْظَانُ “] قالوا : فَأَخْبِرْنَا عَمَّا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى
 نَفْسِهِ ؟ قال : ” أَتَشُدُّكُمْ بِاللَّهِ وَبِأَيَّامِهِ عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ كَانَ أَحَبَّ
 الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَيْهِ الْبَشَرُ وَالْحَوْمَا ، وَأَنَّهُ أَشْتَكَى شَكْوَى فَعَافَاهُ اللَّهُ مِنْهَا ،
 فَحَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ أَحَبَّ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَيْهِ شَكَرًا لِلَّهِ تَعَالَى ، فَحَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ لَحْمَ
 الْإِبِلِ وَالْبَنَانَا “ ؟ قالوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ ، قالوا : فَأَخْبِرْنَا عَنِ الرُّوحِ ؟ قال : ” أَتَشُدُّكُمْ
 بِاللَّهِ وَبِأَيَّامِهِ عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، هَلْ تَعْلَمُونَ جَبْرِيلَ ، وَهُوَ الَّذِي يَأْتِينِي “ ؟ قالوا :
 اللَّهُمَّ نَعَمْ ، وَلَكِنَّهُ يَا مُحَمَّدُ ، لَنَا عَدُوٌّ ، وَهُوَ مَلَكٌ ، إِنَّمَا يَأْتِي بِالشَّدَةِ وَبِسْفِكِ الدَّمَاءِ ،
 وَلَوْلَا ذَلِكَ لَاتَّبَعْنَاكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى
 قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ . مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ
 وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ . وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ
 آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ . أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ
 بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ
 فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ الْكِتَابَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . وَاتَّبَعُوا
 مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ مُسْلِمٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ

النَّاسَ السَّحَرُ) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر سليمان في المرسلين قال بعض أحبار يهود : ألا تعجبون من مجد ! يزعم أن سليمان بن داود كان نبيا ، والله ما كان إلا ساحرا ، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم : ﴿ وَمَا كَفَرُ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ أى بآتباعهم السحر وعملهم به ، ﴿ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾^(١) ، قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه كان يقول : الذي حرم إسرائيل على نفسه : زائدنا الكبد ، والكليتان ، والشحم ، إلا ما على الظهر ، فإن ذلك كان يُقَرَّبُ للقربان فتأكله النار . والله أعلم بالصواب .

ذكر كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كتبه

إلى يهود خيبر

عن ابن عباس رضى الله عنهما : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بسم الله الرحمن الرحيم ، من مجد رسول الله صاحب موسى وأخيه ، المصدق بما جاء به موسى ، ألا إن الله قد قال لكم : يا معشر أهل التوراة — وإنكم تجدون ذلك في كتابكم : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا مَّحْجَدًا يَتَغَوَّنَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرْرَجٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَصَيِّطَ بِهِمْ الْكُفَّارُ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾^(٢) ، وإني أنشدكم بالله ، وأنشدكم بما أنزل عليكم ، وأنشدكم بالذى أطعم من كان قبلكم من أسباطكم المن والسلوى ، وأنشدكم بالذى أيس البحر لآبائكم حتى

أنجاهم من فرعون وعمله إلا أخبرتمونا هل تجدون فيما أنزل عليكم أن تؤمنوا بمحمد؟ فإن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كره عليكم؛ (قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) فادعواكم إلى الله وإلى نبيه .

ذكر ما قاله أحبار يهود في قوله تعالى : (الْم) ، و (الْمَص) و (الر) ، و (المر)

حكى محمد بن إسحاق أن أبا ياسر بن أخطب مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو : (الْم . ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ) ، فأتى أخاه حيي بن أخطب في رجال من يهود . فقال : تعلموا ، والله لقد سمعت محمدا يتلو فيما أنزل عليه : (الْم . ذَلِكَ الْكِتَابُ) ، فقالوا : أنت سمعته؟ قال : نعم ، فمشى حيي في أولئك النفر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، ألم تذكر لنا أنك تتلو فيما أنزل عليك : (الْم)؟ فقال : "بلى" ، قالوا : أجهلك بها جبريل من عند الله؟ قال : "نعم" ، فقالوا : لقد بعث الله قبلك أنبياء ، ما نعلمه بين لنبى منهم ما مدة ملكه ، وما أكل أمته غيرك . فأقبل حيي بن أخطب على من معه ، فقال لهم : الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ؛ فهذه إحدى وسبعون سنة ، أفقدخلون في ديني إنما مدة ملكه وأكل أمته إحدى وسبعون سنة؟ ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، هل مع هذا غيره؟ قال : "نعم" قال : ماذا؟ قال : (الْمَص) قال : فهذه أنقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ؛ والصاد تسعون ، فهذه إحدى وستون ومائة ، هل مع هذا يا محمد غيره؟ قال : "نعم" (الر) . قال : هذه أنقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والراء مائتان ، فهذه

(١) البقرة ٢٥٦ (٢) في الأصل : «إياس» ؛ صوابه ما أثبتنا كما في ابن هشام ج ٢ : ١٩٤

(٣) البقرة آية ١ - ٢ (٤) في الأصل «ثلاثون» وهو خطأ صوابه ما أثبتنا .

إحدى وثلاثون ومائتان ، هل مع هذا غيره يا محمد ؟ قال : « نعم (المر) » قال :
هذه أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والراء مائتان ،
فهذه إحدى وسبعون ومائتا سنة ، ثم قال : لقد لبَّس علينا أمرك يا محمد حتى
ما ندرى أقليلاً أعطيت أم كثيراً ؟ ثم قاموا عنه ؛ فقال أبو ياسر لأخيه حُجَيٌّ ولمن
معه من ^(١) الأخبار : ما يُدريكم ، لعله قد جُمع هذا كله لمحمد ؛ سبعمائة وأربع
[وثلاثون] سنة ، قالوا : لقد تشابه علينا أمره ، فيقال : إن قوله تعالى :
(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ) ^(٢)
نزلت فيهم ، وقيل : إنما نزلت في وفد تجران ، على ما ذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر شيء من مقالات أخبار يهود ، وما أنزل من القرآن في ذلك

- ١٠ كان من مقالاتهم ما قاله مالك بن الضيف حين بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر لهم ما أخذ عليهم من الميثاق ، وما عاهد إليهم فيه ؛ فقال :
والله ما عاهد إلينا في محمد عهد ، وما أخذ له علينا ميثاق ، فأنزل الله عز وجل فيه :
(أَوْ كَلِمَاتٍ عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) ^(٣) . وقال ابن صلوبا ^(٤)
الفطيفوني لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، ما جئتنا بشيء نعرفه ، وما أنزل ^(٥)
عليك من آية بدنة فتبعك بها ؛ فأنزل الله تعالى : (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ
وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ) ^(٦) .

(١) في الأصل : « وأربع سنين » والتصويب عن ابن هشام . (٢) آل عمران ٧

(٣) وفي ابن هشام : « الصيف » ؛ بالصاد المهملة ، وهما روايتان كما تقدم . (٤) البقرة ١٠٠

(٥) قال في الروض الأنف : « الفطيفوني كلمة عبرانية » ، وهي عبارة عن كل من دلى أمر اليهود

وملكهم ، كالنجاشي لمن ملك الحبشة . (٦) البقرة ٩٩

وقال رافع بن حرّيلة، ووهب بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد،
 آتتكم بكتاب تنزلونه علينا من السماء تقرأوه ، وبجرّ لنا أنهارا تتبعكم ونصدقكم ،
 فانزل الله تعالى : ﴿ أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ
 يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ ^(١) قال : وكان حبيّ بن أخطب
 [وأخوه أبو ياسر بن أخطب ^(٢)] من أشدّ يهود للعرب حسدا ، فكانا جاهدين
 في ردّ الناس عن الإسلام بما أستطاعا ، فانزل الله عزّ وجلّ فيهما : ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْ
 أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّوْكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ
 مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَدُوا وَاصْطَفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ^(٣)
 قال : ولما قدّم أهل نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتهمهم
 أحبار يهود ، فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رافع بن حرّيلة :
 ما أتهم على شيء ، وكفّر بعيسى وبالإنجيل ، فقال رجل من أهل نجران من النصارى
 لليهود : ما أتهم على شيء ، وحمد نبوة موسى ، وكفر بالتوراة ، فانزل الله تعالى :
 ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ
 وَهُمْ يَتَّبِعُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ ^(٤) وقال رافع لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد،
 إن كنت رسولا من الله كما تقول فقل لله يكلمنا تكليما حتى نسمع كلامه ، فانزل الله
 تعالى في ذلك : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ ^(٥)
 وقال عبد الله بن صوريا الغيطوني الأعور لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الهدى

(١) سورة البقرة ١٠٨ (٢) هذه التكلة أثبتناها عن ابن خشام ج ٢ : ١٩٧

(٣) سورة البقرة ١٠٩ (٤) سورة البقرة ١١٣ (٥) سورة البقرة ١١٨

إلا ما نحن عليه ، فاتبعنا يا محمد تهند ؛ وقالت النصارى مثل ذلك ، فأنزل الله تعالى في أقوالهم : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(١) . وتكلموا عند صرف القبلة بما نذكركه إن شاء الله في حوادث السنة الثانية .

قال : وسأل معاذ بن جبل ، وسعد بن معاذ ، وخارجة بن زيد ، نفرًا من أحبار يهود عن بعض ما في التوراة ، فكتموهم إياه وأبوا أن يخبروهم ، فأنزل الله فيهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾^(٢) . ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود إلى الإسلام ورغبهم فيه ، وحذّرهم عذاب الله ، فقال رافع بن خارجه ، ومالك بن عوف : بل نتبع يا محمد ما وجدنا عليه آباءنا ، فهم كانوا أعلم منا ، وخيرًا منا ، فأنزل الله في ذلك : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾^(٣) .

قال : ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزاة بدر جمع يهود في سوق بني قينقاع ، وقال لهم : ” يا معشر يهود ، أسلموا قبل أن يصيبكم الله بمثل ما أصاب به قريشا ” فقالوا : يا محمد ، لا يفترئك من نفسك أنك قتلت نفرًا من قريش ، كانوا أغمارًا لا يعرفون القتال ، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أننا نحن الناس ، وأنت لم تلق مثلنا ، فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتٌ بَلَّوْنَ وَمُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ . قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا

(١) سورة البقرة من ١٣٥ — ١٤١ (٢) سورة البقرة ١٥٩ (٣) سورة البقرة ١٧٠

(٤) الأغمار ، جمع غمر ، مثلثة النون : وهو الذي لم يجرب الأمور .

فَنُتِقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَآخَرَى كَافِرَةٌ بَرُوهُمْ مِثْلِهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ
مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ^(١) .

قال: ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس على جماعة من يهود ،
فدعاهم إلى الله عز وجل ، فقال له النعمان بن عمرو ، والحارث بن زيد : وعلى أى دين
[أنت] يا محمد؟ قال : ^(٢) «على ملة إبراهيم ودينه» قالوا : فإن إبراهيم كان يهوديا ، فقال لها

رسول الله صلى الله عليه وسلم : «فهل إلى التوراة فهى بيننا وبينكم» ، فأنزل الله فيهما :
﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ
يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمْسَسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ
وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ^(٣) 》 . وقال أخبار يهود ونصارى نجران حين اجتمعوا

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنازعوا ، فقال الأخبار : كان إبراهيم يهوديا ،
وقالت النصارى : كان نصرانيا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ
فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ . هَٰؤُلَاءِ
حَاجَّجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ .
مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّ
أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ^(٤) 》 . وقال

عبد الله بن صيف ، وعدى بن زيد ، والحارث بن عوف ، بعضهم لبعض : تعالوا نؤمن
بما أنزل على محمد وأصحابه غُدوة ، ونكفر به عشية ، حتى نليس عليهم دينهم ، فأنزل
الله تعالى فيهم : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ

(١) سورة آل عمران ١٢ - ١٣ (٢) بيت المدراس : بيت لليهود يتدارسون فيه كتابهم .

(٣) الزيادة من ابن هشام . (٤) سورة آل عمران ٢٣ ، ٢٤ .

(٥) سورة آل عمران من ٦٥ - ٦٨ (٦) قال ابن هشام : « ويقال ابن صيف » .

تَعْلَمُونَ . وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارَ
وَأَكْفَرُوا آخَرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . وَلَا تَزِمُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنْ الْهُدَى هُدَى
اللَّهِ أَنْ يُؤْتِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنْ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ
مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ^(١) . وقال أبو رافع القرظي حين آجتمعت الأخبار من يهود
والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، تريد منا أن
نعبدك كما يعبد النصارى عيسى بن مريم ؟ وقال رجل من أهل نجران يقال له الرئيس :
أو ذاك تريد منا يا محمد ، وإليه تدعوننا ؟ أو كما قال . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
” معاذ الله أن أعبد غير الله ، أو آمر بعبادة غيره ، ما بذلك بعثني ولا أمرني “ ، فأنزل
الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ
كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ
وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ . وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ
بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ^(٢) ، والربانيون هم العلماء والفقهاء ، ثم ذكر تعالى ما أخذ عليهم
وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه إذا هو جاءهم ، فقال : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ
النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ ^(٣) إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ . والله أعلم .

ذكر ما ألقاه شأس بن قيس اليهودي بين الأوس والخزرج

من الفتنة ، ورجوعهم إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم
قال محمد بن إسحاق : مر شأس بن قيس ، وكان شيخا عظيم الكفر ، شديد
الضغن على المسلمين ، شديد الحسد لهم ، على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الأوس والخزرج ، قد آجتمعا في مجلس يتحدثون ، فغاضه ما هم عليه

٢٠ (١) سورة آل عمران من ٧١ - ٧٣ (٢) سورة آل عمران ٧٩ ، ٨٠

(٣) سورة آل عمران ٨١

من الألفة والجماعة وصلاح ذات البين على الإسلام، بعد ما كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال : قد أجمع ملا بنى قبيلة هذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا أجمع ملؤهم بها من قرار؛ فأمر شاباً من يهود كان معه أن يجلس معهم، ثم يذكروم بعات وما كان قبله، وأن ينشدهم بعض ما كانوا قالوه من الأشعار يوم بُعث، وهو يوم أقتلت فيه الأوس والخزرج، فكان الظفر فيه للأوس، وكان عليهم يومئذ حُضِير بن سِمَاك الأشملى، أبو أسيد بن حُضِير، وعلى الخزرج عمرو ابن النعمان البياضى، فقتلوا جميعاً، ففعل الشاب ذلك، فتكلم القوم، وتنازعوا وتفاخروا، حتى تواب رجلان من الحيين على الركب؛ أوس بن قَيْطَى الأوسى، وجَبَّار بن صخر الخزرجى، فتقاولا، ثم قال أحدهما للآخر: إن شئتُم رددناها الآن جَذَعَةً؛ فغضب الفريقان جميعاً، وقالوا: قد فعلنا، موعدكم الظاهرة، وهى الحِزَّة، وقالوا: السلاح السلاح، وخرجوا إليها، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين، فقال: "يا معشر المسلمين، الله الله! أيدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به، وقطع عنكم به أمر الجاهلية، وأستنقذكم به من الكفر، وألّف به بينكم!" فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان، وكيد من عدوهم، فبكوا، وعانق بعضهم بعضاً، ثم أنصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى في شأس بن قيس: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهِ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ . قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَن آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝﴾

(١) قبيلة: هى أم الأوس والخزرج.

(٢) فى الأصل: «معه»، وصوبناه عن ابن هشام ج ٢: ٢٠٤.

(٣) يوم بعات: من أيام العرب؛ معروف. وسيأتى بعد.

(٤) رددناها الآن جذعة: أى رددنا الآخر إلى أوله. (٥) سورة آل عمران ٩٨، ٩٩.

وَأَنْزَلَ فِي أَوْسَ بْنِ قَبْطَى وَجَبَّارَ بْنَ صَخْرٍ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُمَا مِنْ قَوْمِهِمَا الَّذِينَ صَنَعُوا مَا صَنَعُوا : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ . وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ . وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ . وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝﴾

١٣٦
١٤

ذكر ما تكلم به يهود في شأن من أسلم منهم

وما أنزل الله تعالى في ذلك

قال : لما أسلم عبد الله بن سلام، وثعلبة بن سَعِيَّة، وأُسَيْدُ بْنُ سَعِيَّة، وأَسَدُ ابْنُ عُبَيْدٍ، ومن أسلم معهم من يهود وآمنوا وصدقوا، قال أهل الكفر من أحبار يهود : ما آمن بمحمد وأتبعه إلا شرارنا، ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ . يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝﴾

(٢) هو ابن إسحاق .

(١) سورة آل عمران ١٠٠ - ١٠٥

(٣) سورة آل عمران ١١٣ - ١١٤

قال : وكان رجال من المسلمين يواصلون رجالا من اليهود ، لما كان بينهم من
الحوار والحلف في الجاهلية ، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا
بِطَانَةَ مَنْ دُونَكُمْ لَا يَأْلُوكُمْ خَبَالًا وَذُوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ
وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ . هَآئِنْتُمْ أَوَّلَاءِ
يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ﴾ ، [أى تؤمنون بكتابتهم وبما مضى من
الكتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابتكم ، فاتم كنتم أحق بالبغيضاء لهم منهم لكم] ،
﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا
يَغْظِيكُمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . إِنْ تَسْأَلُهُمْ حَسَنَةً تَسْأَلُهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ
سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْرِفُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضَرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ
مُحِيطٌ ﴾ ^(١) ، قال : ودخل أبو بكر الصديق رضى الله عنه إلى بيت المدراس على
يهود ، فوجد جماعة كثيرة منهم قد اجتمعوا إلى حبر من أحابارهم يقال
له فنحاص ، ومعه حبر آخر يقال له أشيع ، فقال أبو بكر لفنحاص : ويحك
يا فنحاص ! أتق الله وأسلم ، فوالله إنك لتعلم أن محمدا لرسول الله ، قد جاءكم
بالحق من عنده ، تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة والإنجيل ، فقال لأبى بكر :
والله يا أبا بكر ، ما بنا إلى الله من فقر ، وإنه إلينا لفقير ، وما نتضرع إليه
كما يتضرع إلينا ، وإنا عنه لأغنياء ، وما هو عنا بغنى ، ولو كان عنا غنيا
ما استقرضنا أموالنا كما يزعم صاحبكم ، ينهاكم عن الربا ويعطيناه ، ولو كان
عنا غنيا ما أعطانا الربا . فغضب أبو بكر وضرب وجه فنحاص ضربا شديدا

(١) الكلمة من ابن هشام ج ٢ ص ٢٠٧

(٢) سورة آل عمران من ١١٨ - ١٢٠

(٣) انظر هامش رقم ٢ من صفحة ٣٧٧ من هذا السفر .

وقال: والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك، أي عبدوا الله:

فذهب فنحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، أنظر ما صنع بي

صاحبك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: "ما حملك على ما صنعت؟"

فقال: يا رسول الله، إن عدو الله قال قولاً عظيماً — وذكر قوله — فلما قال ذلك

غضبت له وضربت وجهه، فخذ فنحاص ذلك، وقال: ما قلت [ذلك] ^(١)،

فأنزل الله في ذلك تصديقاً لأبي بكر رضى الله عنه: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ

قَالُوا إِنَّ اللَّهَ قَصِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ

ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ^(٢)، وأنزل الله تعالى في أبي بكر وغضبه في ذلك: ﴿وَلَتَسْمَعَنَّ

مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا

فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ^(٣). قال: وكان كردم بن قيس، وأسامة بن حبيب

ونافع بن أبي نافع، وبجسري بن عمرو، وحجي بن أخطب، ورفاعة بن زيد بن

التابوت، يأتون رجلاً من الأنصار يتنصحوون لهم فيقولون: لا تنفقوا أموالكم،

فإننا نخشى عليكم الفقر في ذهابها، ولا تسارعوا في النفقة، فإنكم لا تدرسون علام يكون،

فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿الَّذِينَ يَخْلُونِ بِأَمْوَالِ النَّاسِ بِالْخِلِ وَيَكْتَخِبُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ

مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي من التوراة التي فيها تصديق ما جاء به رسول الله صلى الله عليه

وسلم ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً﴾. وَالَّذِينَ يَنْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ

وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَمَا قَرِيناً. وَمَاذَا عَلَيْهِمْ

لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيماً﴾ ^(٤) قال: وكان

رفاعة بن زيد بن التابوت من عظماء يهود، إذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٣٧
١٤

(١) الزيادة من ابن هشام . (٢) سورة آل عمران ١٨١ (٣) سورة آل عمران ١٨٦

(٤) سورة النساء ٣٧ — ٣٩ (٥) كذا في الأصل، وفي ابن هشام: «لم رسول الله» .

لَوَى لِسَانَهُ وَقَالَ : أَرَعْنَا سَمْعَكَ يَا مُجِدِّ حَتَّى نَفْهَمَكَ ، ثُمَّ طَعَنَ فِي الْإِسْلَامِ وَعَابَهُ ،
فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَالََةَ
وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضَلُّوا السَّبِيلَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا .
مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مَسْمُوعٍ
وَرَاعِنَا لِيَّا بِاللِّسَانِهُمْ وَطَعَنَّا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ
خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ^(١) . قَالَ : وَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُؤَسَاءَ مِنْ أَحْبَارِ يَهُودَ ، مِنْهُمْ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ صُورٍ وَالْأَعْمُورُ ، وَكَمَبُ
ابْنِ أَسَدٍ ، فَقَالَ : ” يَا مَعْشَرَ يَهُودَ ، اتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْلِمُوا ، فَإِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي
جِئْتُمْ بِهِ لِحَقٌّ “ ، قَالُوا : مَا نَعْرِفُ ذَلِكَ يَا مُجِدِّ ، وَأَصْرُوا عَلَى الْكُفْرِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ
تَعَالَى فِيهِمْ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بَمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ
نَنْظُمَ سَ وَجُوهًا فَنَرَدَّهَا عَلَى آذَانِهَا أَوْ نُلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ
مَفْعُولًا ^(٢) . قَالَ : وَقَالَ سُكَيْنٌ ، وَعَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ : يَا مُجِدِّ ، مَا نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ عَلَى بَشَرٍ
مِنْ شَيْءٍ بَعْدَ مُوسَى ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ
مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ
وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدِينَ دَاوُدَ زُبُورًا . وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلِ
وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا . رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ
لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ^(٣) . وَدَخَلَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُمْ : ” أَمَا وَاللَّهِ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّي [رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ
إِلَيْكُمْ] “ ! قَالُوا : مَا نَعْلَمُهُ : وَمَا نَشْهَدُ عَلَيْهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ قَوْلَهُ تَعَالَى :

(٢) سورة النساء ٤٧ .

(١) سورة النساء من ٤٤ — ٤٦

(٤) الزيادة من ابن هشام .

(٣) سورة النساء ١٦٣ — ١٦٥

(١) لَيْكِنْ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا.

وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نمان بن أضاء، وبحري بن عمرو، وشاسن ابن عدي، فكلّموه وكلّمهم، ودعاهم إلى الله وحذّره من نعمته، فقالوا: ما نخوفنا يا محمد،

نحن والله أبناء الله وأحبّاءه، كقول النصارى، فأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ

وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ

لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ

الْمَصِيرُ. قال: ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود إلى الإسلام، ورغبهم

فيه، وحذّره عقوبة الله، فأبوا وكفروا وجحدوا، فقال لهم معاذ بن جبل، وسعد

ابن عباد، وعقبة بن وهب: يا معشر يهود، آتقوا الله، فوالله إنكم لتعلمون أنه

رسول الله، ولقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعة، وتصفونه بصفته، فقال زافع

أبن حريملة، ووهب بن يهود: ما قلنا هذا لكم، وما أنزل الله من كتاب من بعد موسى

ولا أرسل بشيرا ولا نذيرا بعده، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا هَٰؤُلَاءِ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ

رُسُلُنَا يَشِيرُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ

جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. (٢)

ذكر قصة الرّجُم

روى عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال: إن أحبار يهود اجتمعوا في بيت

المدرّاس حين قدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، وقد زنى رجل بينهم بعد

إحصائه بأمرأة من يهود قد أحصنت، فقالوا: أبعثوا بهذا الرجل وهذه المرأة

إلى مجد، فأسأله كيف الحكم فيهما، وولّوه الحكم عليهما، فإن عمل فيهما

١٣٨٠

١٤

(١) سورة النساء، ١٦٦ (٢) في الأصل: «على» والتصويب عن ابن هشام ج ٢: ٢١٢

(٣) سورة المائدة ١٨ (٤) سورة المائدة ١٩ (٥) في ابن هشام: «منهم»

بعمالك من التجبية — والتجبية: الحلد بجبل من ليف قد طلي بقار، ثم تسود وجوههما،
ثم يجلان على حمارين، وتجمل وجوههما من قبل أدبار الحمارين — فأتبعوه فإنما
هو ملك، وصدقوه، وإن هو حكم فيهما بالرجم فإنه نبي، فأحذروه على ما في أيديكم أن
يسلبكموه، فأتوه فقالوا: يا محمد، هذا رجل قد زنى بعد إحصانه بامرأة قد أحصنت،
فأحكم فيهما، فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى أحبارهم في بيت المدراس،
فقال: "يا معشر يهود أخرجوا إلى علماءكم"، فأخرجوا إليه عبد الله بن سوريا
وأبا ياسر بن أخطب، ووهب بن يهودا، فقالوا: هؤلاء علماءنا، فسألهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم، ثم قالوا: هذا عبد الله بن سوريا أعلم من بقي بالتوراة،
نفخا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان غلاما شابا من أحدثهم سنا، فقال له:
"يا ابن سوريا، أنشدك الله، وأذكرك بأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلم أن الله
حكم فيمن زنى بعد إحصانه بالرجم في التوراة؟" قال: اللهم نعم، أما والله
يا أبا القاسم إنهم ليعرفون أنك نبي مرسل، ولكنهم يحسدونك، فخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأمر برجمهما، فرجما عند باب مسجده، ثم كفر بعد ذلك
أبن سوريا، وجمد نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا
الرُّسُلُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاحِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ
قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْزِفُونَ
الْكَلِمَ مِنْ بَيْنِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَأَحْذَرُوا﴾،
أي الرجم، ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ
أَنْ يَطْهَرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ. سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ
أَكَاوُنَ لِلْسُّخْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعِزُّهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ
يَضُرُّكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. وَكَيْفَ يُحْكُمُوكَ

وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ .
 إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا
 وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا
 النَّاسَ وَآخِشُوا وَلَا تَخْشَوْا اللَّهَ تَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ وَلَا تَشْهَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ
 هُمُ الْكَافِرُونَ ^(١) .

معين التارخ
 لأهل التارخ

وروى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجمهما ، فرجما بباب مسجده ، فلما وجد اليهودي من الحجارة قام إلى صاحبه فخنأ عليها يقبها من الحجارة حتى قُتلا جميعا .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : لما حكوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما دعاهم بالتوراة ، وجلس خبر منهم يتلوها ، وقد وضع يده على آية الرجم ، فضرب عبد الله بن سلام يد الخبر ، ثم قال : هذه يا نبي الله آية الرجم ، يأبى أن يتلوها عليك ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” ويحكم يا معشر يهود ! ما دعاكم إلى ترك حكم الله وهو بأيديكم “ ؟ ! فقالوا : أما إنه كان فينا يُعمل به ، حتى زنى رجل منا بعد إحصائه من بيوت الملوك وأهل الشرف فمنعه الملك من الرجم ، ثم زنى رجل من بعده فأراد أن يرحمه فقالوا : لا والله ، حتى ترجم فلانا ، فلما قالوا ذلك أجتهوا فأصلحوا أمرهم على التجبية ، وأماتوا ذكر الرجم والعمل به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” فانا أزل من أحيا أمر الله وكتابه وعمل به “ . ثم أمر بهما فرجما عند باب مسجده ، قال عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما : [كنت ^(٢) فيمن رجمهما . قال : واجتمع كعب بن أسد

(١) سورة المائدة من ٤١ - ٤٤ . (٢) جنأ عليا : أى أكب عليها ، ويرى « حنا » .

(٣) نكلة من ابن هشام .

وَابْنُ صَلُوبَا، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ صُورِيَا، وَشَاسُ بْنُ قَيْسٍ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : أَذْهَبُوا إِلَى عَجْدٍ ؛ لَعَلَّنَا نَفْتَنَهُ عَنْ دِينِهِ ، فَإِنَّمَا هُوَ بَشَرٌ ، فَأَتَوْهُ فَقَالُوا : يَا عَجْدُ ، إِنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ أَنَا أَحْبَابُ يَهُودٍ وَأَشْرَافُهُمْ وَسَادَاتُهُمْ ، وَأَنَا إِنِ اتَّبَعْنَاكَ اتَّبَعَكَ يَهُودٌ وَلَمْ يَخَالَفُونَا ، وَإِنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ بَعْضِ قَوْمِنَا خَصُومَةٌ ، أَفَنَحْنُ كَهُمْ إِلَيْكَ فَتَقْضَى لَنَا عَلَيْهِمْ ، وَتُؤْمِنُ بِكَ وَنَصَدِّقُكَ ؟ فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ ؛ فَانْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ : ﴿ وَإِنْ أَحْكَمْتُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ دُورِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ . أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ^(١) ۝ .

قال : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحبار يهود أبو ياسر بن أخطب ، ونافع بن أبي نافع ، وعازر بن أبي عازر ، وخالد بن زيد ، وأزار بن أبي أزار ^(٢) ، وأشيع ، فنبأوه عن يؤمن به من الرسل ، فقال صلى الله عليه وسلم : " تؤمن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون " . فلما ذكر عيسى جمعوا نبوته ، وقالوا : لا تؤمن بعيسى ولا بمن آمن به ، فانزل الله تعالى فيهم : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلُ وَإِنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ^(٣) ۝ . قال : وأتاه صلى الله عليه وسلم رافع ابن حارثة ، وسلام بن مشكم ، ومالك بن الضيف ، ورافع بن حريملة فقالوا : يا عَجْدُ ، أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَدِينِهِ ، وَتُؤْمِنُ بِمَا عِنْدَنَا مِنَ التَّوْرَةِ ،

(١) سورة المائدة ٤٩ - ٥٠ . (٢) قال ابن هشام : « ويقال أزر بن أبي أزر » .

(٣) سورة المائدة ٥٩ .

وتشهد أنها من الله حق ؟ قال : « بلى ، وإني كنتم أحدتم ووجدتم ما فيها مما أخذ عليكم من الميثاق ، وكنتم منها ما أمرتم أن تدينوه للناس ، فبرئت من أهلكم . »
 قالوا : فإننا نأخذ بما في أيدينا ، فإننا على الهدى والحق ، ولا تؤمن بك ولا تتبعك ،
 فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ
 وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ
 طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ ^(١) .

قال : وأما صلى الله عليه وسلم النجاشي بن زيد ، وقرم بن كعب ، وبحري
 ابن عمرو ، فقالوا : يا محمد ، أما تعلم مع الله إلهًا غيره ؟ فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : « لا إله غيره ، بذلك بعثت ، وإلى ذلك أدعو » ، فأنزل الله تعالى
 فيهم وفي قولهم : ﴿ قُلْ أَى شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ
 هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ
 لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّى بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ . الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ
 يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ^(٢) .

قال : وكان رفاعه بن زيد بن النابوت ، وسويد بن الحارث قد أظهر
 الإسلام وناقفا ، فكان رجال من المسلمين يوادونهما ، فأنزل الله تعالى فيهم :
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا
 الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمُ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ إلى قوله :
 ﴿ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ نَجَرُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا
 يَكْتُمُونَ ﴾ ^(٣) . وقال جبل بن أبى قشير ، وشمويل بن زيد لرسول الله صلى الله عليه

(١) سورة المائدة ٦٨ (٢) سورة الأنعام ١٩ - ٢٠ (٣) سورة المائدة ٢٠
 (٤) فى الأصل : « جبل بن بشر » ، والتصويب من ابن هشام . ٥٧ - ٦١

وسلم : أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيا كما تقول؟ فانزل الله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيْهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ تَقَاتِلْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ^(١)﴾ .

وقال محمود بن سَيِّحَان ونُفَّان بن أَضَاء ، وَبَحْرِي بن عمرو ، وعُزَيْر بن أَبِي عُمَيْر ، وَسَلَام بن مِشْكَم ، وَفَنَاحَص ، وعبد الله بن صُورِيَا ، وَأَبْن صَلُوبَا ، وَكَثَّانَة بن الربيع بن أَبِي الْحَقِيق ، وَأَشْع ، وكعب بن أَسَد ، لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أحق يا محمد أن هذا الذي جئت به حق من عند الله ؟ فإننا لا نراه متسقا كما نلتحق التوراة ؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” أَمَا والله إنكم لتعرفون أنه من عند الله ، تجدونه مكتوبا عندكم ، ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا به ما جاءوا به ” فقالوا عند ذلك : يا محمد ، أَمَا يعلمك هذا إنس ولا جن ؟ فقال : ” أَمَا والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله ، وأنى لرسول الله ؛ تجدون ذلك مكتوبا عندكم في التوراة ” قالوا : يا محمد ، فإن الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما يشاء ، وَيَقْدِرُ مِنْهُ عَلَى مَا يُرَاد ، فانزل علينا كتابا من السماء تقرأه ونعرفه ، وإلا جئناك بمثل ما تأتي به . فانزل الله تعالى : ﴿قُلْ إِنِّي أَجْتَمَعْتُ^(٢) الْإِنْسَ وَالْجِنَّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا^(٣)﴾ ، والظهير : العون .

قال : وأتى رهط من يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : يا محمد ، هذا الله خلق الخلق فمن خلقه ؟ فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٢) سورة الإسراء ٨٨ .

(١) سورة الأعراف ١٨٧ .

(٣) في ابن هشام : « أتى رسول الله » .

حتى أَنتَفِعَ لَوْنُهُ، فجاءه جبريل عليه السلام فَسَكَّنَهُ، فقال : خَفِّضْ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ
 اللَّهُ ، وجاءه من الله بجواب ما سأله عنه : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ
 يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾^(٢) ، فلما تلاها عليهم قالوا : فِصِّفْ لَنَا
 كَيْفَ خَلَقَهُ ؟ كَيْفَ ذَرَأَهُ ؟ كَيْفَ عَصَدَهُ ؟ فغضب رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أشد من غضبه الأول ، فأتاه جبريل فقال له مثل ما قال له أول مرة ، وجاءه
 من الله بجواب ما سأله فقال : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ . وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾^(٣) ، وكانت
 سؤالات يهود وعَنَتِهِمْ وبغيتهم وتحريفهم وتبديلهم كثيرة ؛ قد نطق بذلك كله
 القرآن ، وجاء بالرد عليهم وبتكذيبهم وتفريقهم ، ثم سلط الله عليهم المسلمين ،
 وحكم فيهم سيوفهم فقتلوه وأجلوه وأستأصلوا شافتهم ، وأسروا وسبوا منهم ،
 على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى في الغزوات والسرايا ، فلما أيسوا وأبلسوا
 عمدوا إلى تَحْيِيلَاتٍ أَحْرَمَ السَّحَرُ وَالسَّمُ .

ذكر ما ورد من أن يهود سحروا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قالوا : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة الحُدَيْبِيَّةِ سنة ست
 من مُهَاجَرِهِ ، ودخل الحرم سنة سبع ، جاءت رؤساء يهود الذين بقوا بالمدينة ممن
 يظهر الإسلام وهو منافق ، إلى لَيْدِ بْنِ الْأَعْصَمِ الْيَهُودِيِّ حليف بنى زُرَيْقٍ ، وكان
 ساحرا ، قد علمت ذلك يهود أنه أعلمهم بالسَّحَرِ وَالسُّمُومِ ، فقالوا له : يَا أَبَا الْأَعْصَمِ
 أَنْتَ أَسْحَرْنَا ، وَقَدْ سَحَرْنَا مَجْدًا ، فَسَحَرْنَا الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ فَلَمْ نَصْنَعْ شَيْئًا ، وَأَنْتَ

(٢) سورة الإخلاص .

(١) أَنتَفِعَ لَوْنُهُ : تَغْيِيرُ .

(٣) سورة الزمر ٦٧ .

تري أثره فينا ، وخلافه ديننا ، ومن قتل منا وأجل^(١) ، ونحن نجعل لك على ذلك
جُعلا على أن تسحره لنا سحرا ينكؤه ، ففعلوا له ثلاثة دنائير على أن يسحر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فعمد إلى مشط وما يمشط من الرأس من الشعر
فعمد فيه عقدا وتفل فيه تفلًا ، وجعله في جفّ طلعة^(٢) ذكر^(٣) ، ثم انتهى به حتى جعله
تحت أروعوفة البئر^(٤) ، فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرا أنكره ، حتى يجبل^(٥)
إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله ، وأنكر بصره حتى دلّه الله على ذلك ؛ فدعا جبير^(٦)
أبن إياس الزرقى وكان ممن شهد بدرا فذله على موضع في بئر ذروان تحت أروعوفة
البئر ، فخرج جبير حتى استخرجه ، ثم أرسل إلى لبيد بن الأعصم ، فقال : " ما حملك
على ما صنعت ، فقد دلني الله على سحرك وأخبرني بما صنعت " ؟ فقال : حبّ الدناير
يا أبا القاسم . قال محمد بن سعد ، قال إسحاق بن عبد الله : فأخبرت عبد الرحمن
أبن كعب بن مالك بهذا الحديث ، فقال : إنما سحره بنات أعصم أخوات لبيد ،
وكنّ أُنسحر من لبيد وأُخبث ، وكان لبيد هو الذي ذهب به فأدخله تحت أروعوفة
البئر ، قال : فلما عمّدوا تلك العقدة أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الساعة
بصره ، ودسّ بنات أعصم إحداهن ، فدخلت على عائشة فخبرتها عائشة — أو سمعت
عائشة تذكر ما أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من بصره — ثم خرجت إلى
أخواتها وإلى لبيد فأخبرتهم ، فقالت إحداهن : إن يكن نبيا فسيُخبر ، وإن يك

(١) في الأصل : « راجلا » وهو تحريف ، والتصويب عن ابن سعد .

(٢) الجف : وعاء الطلع ، وهو الغشاء الذي يكون فوقه . و « ذكر » صفة لجف .

(٣) الأروعوفة والراعوفة : حفرة ترك في أسفل البئر إذا حفرت ، تكون ثالثة ، فإذا أرادوا

تنقية البئر جلس المنق عليها . وقيل : هي حجر يكون على رأس البئر يقوم المستقي عليه .

(٤) في الطبقات : « دلّه الله عليه » .

(٥) بئر ذروان : بالمدينة في بستان بني زريق من اليهود .

٥

١٠

١٥

٢٠

غير ذلك فسوف يذممه هذا السحر حتى يذهب عقله ، فيكون بما نال من قومنا وأهل ديننا . فدلله الله عليه :

وفي الصحيح عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم سحر^(٢) ، حتى كان يخيل إليه أنه يصنع الشيء ولم يصنعه ، حتى إذا كان ذات يوم رأيته يدعو ، فقال : ” أشعرت أن الله قد أفناني فيما استفتيته ، أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي ، والآخر عند رجلي ، فقال أحدهما : ما وجع الرجل ؟ فقال الآخر : مطبوب^(٥) ، فقال : من طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم ، قال : فمِم ؟ قال : في مُشط ومُشاطة في جُفّ طلعة ذكر^(٦) ، قال : فأين هو ؟ قال : في ذي ذَرَّوان ” ، فأنطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رجع أخبر عائشة فقال : ” كأن نخالها رءوس الشياطين ، وكأن ماءها نُقاعة الحناء ” ، قالت فقلت : يا رسول الله ، فأخرجهُ للناس ، قال : ” أما والله قد شفاني ، وخَشِيتُ أن أنور على الناس منه شراً ” .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ عن النساء وعن الطعام والشراب ، فهبط عليه ملكان وهو بين النائم واليقظان فجلس أحدهما عند رأسه ، والآخر عند رجله ، فقال : أحدهما لصاحبه :

- (١) دله : حيره وأذهشه . وفي الأصل « يدله » ، وهو تصحيف .
 (٢) في الطبقات : « سحر له » .
 (٣) أشعرت : أعلت ؛ والخطاب للسيدة عائشة رضي الله عنها .
 (٤) المعنى : أجابني عما سأله عنه .
 (٥) مطبوب : مسحور ؛ عبر عن السحر بالطب كما عبروا عن اللدغ بالسليم ففازلا .
 (٦) في الصحيح : « في بَرِّ ذَرَّوان » ، وهما روايتان .
 (٧) قال القسطلاني : « الشر تذكّر السحر وتعلّمه ، وهو من باب ترك المصلحة خوف المفسدة » .
 (٨) أخذ : حبس بالسحر .

ما شكواه ؟ قال : طُبَّ — يعني سحر — قال : ومن فعله ؟ قال : لبيد بن أعصم اليهودي ، قال : ففى أى شىء جعله ؟ قال : فى طَّلعة ، قال : فأين وضعها ؟ قال : فى بئر ذروان تحت صخرة ، قال : فما شفاؤه ؟ قال تُزَح البئر، وترُفع الصخرة وتُستخرج الطَّلعة . وأرتفع الملكان ؛ فبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى على وعمار فأمرهما أن يأتيا الركنَ فيفعلا الذى سمع ، فأتياها وماؤها كأنه قد خُضِب بالحِناء فترحاها ، ثم رفعوا الصخرة فأخرجوا طَّلعة ، فإذا فيها إحدى عشرة عُقدة ، ونزات هاتان السورتان : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما قرأ آية أنحلت عُقدة ، حتى أنحلت العُقَد ، وانتشر نبي الله صلى الله عليه وسلم للنساء والطعام والشراب .

وجاء فى حديث آخر أن جبريل وميكائيل عليهما السلام أخبرا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشأن السَّحر ، وأنه صلى الله عليه وسلم أخذ لبيداً ، فاعترف فعفا عنه ، روى عفوه عنه عن غير واحد ؛ قال عكرمة : ثم [كان] يراه بمد عفوه فيعرض عنه . وحيث ذكرنا حديث السَّحر فلا بأس أن نصله بالكلام على مشكله . والله أعلم بالصواب .

ذكر الكلام على مشكل حديث السَّحر

وقد تكلم القاضى عياض بن موسى بن عياض على هذا الحديث فقال : هذا الحديث صحيح متفق على صحته ، وقد طعنت فيه المُلحدة ، وتذَّعَّت به لسخف عقولها ، وتلييسها على أمثالها إلى التشكيك فى الشرع ، وقد نزه الله الشرع والنبي صلى الله عليه وسلم عما يُدخِل فى أمره لبساً ، وإنما السَّحر مرض من الأمراض

(١) قال فى اللسان : « كنوا بالطب عن السحر تفاؤلاً بالبرء ؛ كما كنوا عن الدِّيع فقالوا : سليم » .

(٢) الزيادة من الطبقات .

وعارض من العَلَل يجوز عليه كأنواع الأمراض ، مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته ،
وأما ما ورد أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولا يفعله ، فليس في هذا ما يدخل
عليه داخله^(١) في شيء من تبليغه وشريعته ، ويقدح في صدقه ؛ لقيام الدليل
والإجماع على عصمته من هذا ، وإنما هذا فيما يجوز طُرُوه عليه في أمر دنياء التي
يبعث بسببها ، ولا فضل من أجلها ، وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر ،

فغير بعيد أن يُخَيَّل إليه من أمور ما لا حقيقة له ، ثم يتجلى عنه كما كان .
وأيضا فقد فسر هذا الحديث الآخر من قوله : ” حتى يُخَيَّل إليه أنه يأتي أهله

ولا يأتيه ” . وقد قال سفيان^(٢) : وهذا أشد ما يكون من السحر ، ولم يأت في خبر

منها أنه نقل عنه في ذلك قول ، بخلاف ما أخبر أنه فعله ولم يفعله ، وإنما كانت

خواطر وتخيلات . وقد قيل : إن المراد بالحديث أنه كان يتخيل لشيء أنه فعله ،

وما فعله لكنه تخيل لا يعتقد صحته ، فتكون أعتقاداته كلها على السداد ، وأقواله

على الصحة . قال : هذا ما وقفت عليه لأمتنا من الأجوبة عن هذا الحديث .

قال : لكنه قد ظهر لي في هذا الحديث تأويل أجلى وأبعد من مطاعين ذوى

الأضاليل يستفاد من نفس الحديث ، وهو أن عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن

أبن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وقال فيه عنهما : سحر يهود بنى زريق رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينكر

بصره^(٣) . ثم دلَّه الله على ما صنعوا ، فأستخرجه من البئر .

فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات أن السحر إنما يُسَلِّط على ظاهره

وجوارحه ، لا على قلبه وأعتقاده وعقله ، وأنه إنما أتى في بصره ، وجبسه عن وطء

(١) الداخلة : النقيصة والعيب والفساد . (٢) هو ابن عينة كما مرَّح به في مسنده

في البخاري . (٣) أي ما أبصره ، أو ينكر نفس رؤيته لتأثير السحر فيه (شرح الشفاء) .

نسائه ، ويكون معنى قوله : ” ينخيل إليه أنه يأتي أهله ولا ياتين ” ، أى يظهر له من نشاطه ومتقدم عاداته القدرة على النساء ، فإذا دنا منهم أصابته أخذة بالسحر ، فلم يقدر على إتيانهم ، كما يعثرى من أخذ وأعترض ، قال : ولعله لمثل هذا أشار سفيان بقوله : وهذا أشد ما يكون من السحر . والله أعلم بالصواب .

• ذكر خبر الشاة التى سمّ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان ذلك فى غزاة خيبر ، بعد أن أفتتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنه لما أفتتح خيبر وحصونها وأطمأن ، أهدت إليه زينب ابنة الحارث امرأة سلام بن مشكم وهى ابنة أختي مرحب الذى بارز يوم خيبر ، وقتل — على ما تذكره إن شاء الله — شاة مصلية ، وقد سألت : أى عضو من الشاة أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقيل لها : الذراع ، وأكثرت فيها السم ، ثم سمّت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ، فلما وضعها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الذراع ، فلأكل منها مضغة فلم يسفها ، وكان معه بشر بن البراء بن معرور ، فأخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأما بشر فأساغها ، وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها .

• ١٥ وروى الشيخ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي فى دلائل النبوة أنه صلى الله عليه وسلم أساغها ، ثم قال لأصحابه : ” أرفعوا أيديكم فإن كنف هذه الشاة يخبرنى أنها قد بقيت فيه “^(١) ، قال بشر بن البراء : والذى أكرمك لقد وجدت ذلك فى أكلتى التى أكلت ، فما معنى أن ألفظها إلا أنى أعظمت أن أنفصك طعامك ، فلما أسفّت

(١) الحديث فى الدلائل نصه : » يخبرنى أن قد بقيت فيها « ، بقيت : طلبت ، من بقى يبقى بقاء ،

بالضم ؛ إذا طلب . (نهاية ابن الأثير) .

ما في فيك لم أكن لأرغب بنفسى عن نفسك، ثم دعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعترفت، فقال: "ما حملك على ذلك؟" قالت: بلغت من قومى ما لم يخف عليك، فقلت: إن كان ملكاً استرحت منه، وإن كان نبياً فسبّخه، فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومات بشر بن البراء . والصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلها، قيل: سَلَّمَهَا لِأَوْلِيَاءِ بَشَرِ بْنِ الْبَرَاءِ فَقَتَلُوهَا . والله تعالى أعلم .

وحيث ذكرنا من سيرته صلى الله عليه وسلم ما ذكرناه، فلنذكر هنا حوادث السنين بعد الهجرة خلا الغزوات والسرّايا والوفود، فلنا نورد ذلك إن شاء الله تعالى فيما بعد على ما تقتضيه عليه .

- ١٠ ذكر الحوادث بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة النبوية على حكم السنين؛ من السنة الأولى إلى السنة العاشرة خلا ما استثنيناه، وقدّمناه

حوادث السنة الأولى

- ففيها جعلت صلاة العصر أربع ركعات، وكانت ركعتين وذلك بعد مقدّمه صلى الله عليه وسلم بشهر . وفيها صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة حين ارتحل من قُباء إلى المدينة، صلاحها في طريقه بنى سالم على ما تقدّم، وهي أول جمعة صلاحها، وأول خطبة خطبها في الإسلام . وفيها بنى صلى الله عليه وسلم مسجده ومسكته، ومسجد قُباء على ما تقدّم . وفيها آتى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار بعد مقدمه بثمانية أشهر، وقد تقدّم ذكر ذلك . وفيها أسلم عبد الله بن سلام . وفيها ولد عبد الله بن الزبير بالمدينة . وفيها مات أبو قيس كلثوم بن الهدد، وهو أول من مات من المسلمين بالمدينة. ومات سعد بن زُرارة أبو أمانة . وفيها أعربس صلى الله عليه وسلم بعائشة رضي الله عنها .

حوادث السنة الثانية

١٤٣
٤٤

في هذه السنة توفيت رُقِيَّة بنت النبي صلى الله عليه وسلم زوج عثمان بن عفان،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر، وتوفي عثمان بن مظعون بعد [رجوع] رسول
الله صلى الله عليه وسلم من غزاة بدر وشهدها عثمان . وفيها صُرفت القبلة .

ذكر صرف القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة

وما تكلم به اليهود وما أنزل الله تعالى في ذلك من القرآن

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة يصلى إلى بيت
المقدس ستة عشر شهرا، أو سبعة عشر شهرا ، كما ورد في صحيح البخارى وغيره .
وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت ، فقال : ” يا جبريل وددت أن الله تعالى
صرف وجهى عن قبلة يهود “ ، فقال جبريل : إنما أنا عبد فأدع ربك وسله .
وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى إلى بيت المقدس رفع رأسه إلى السماء ،
فأنزل الله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ
وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ .

قال محمد بن سعد : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين من الظهر
في مسجده بالمسلمين ، ثم أمر أن يوجه إلى المسجد الحرام فاستدار إليه ، ودار معه
المسلمون ، قال ويقال : بل زار رسول الله صلى الله عليه وسلم أتم بشر بن البراء
ابن معرور في بنى سَلَمَةَ ، فصنعت له طعاما ، وحانت الظهر ، فصلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بإصحابه ركعتين ، ثم أمر أن يوجه إلى الكعبة ، فاستدار إلى الكعبة ،
واستقبل الميزاب فسمى المسجد مسجداً القبليتين ، وذلك يوم الاثنين للنصف من
شهر رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مهاجرة صلى الله عليه وسلم .

وروى البخارى أن أول صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن كان صلى معه، فتر على أهل المسجد وهم راكعون، قال : أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مكة، فداروا كما هم قبل البيت .

- قال ابن إسحاق : ولما صُرفت القبلة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفاعة ابن قيس ، وقردم بن عمرو ، وكعب بن الأشرف ، ورافع بن أبي رافع ، والحجاج ابن عمرو ، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق ، وكثانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، فقالوا : يا محمد ، ما ولّاك عن قبلك التي كنت عليها ، وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه ؟ ! أرجع إلى قبلك التي كنت عليها [تبعك] ^(١) ونصدقك — وإنما يريدون فنته عن دينه — فانزل الله : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ قُلِ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(٢) ،
- أى إيمانكم بالقبلة الأولى ، وتصديقكم نبيكم ، وأتباعكم إياه إلى القبلة الأخرى . ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ قَدْ تَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ . وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ آتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ

إِنَّكَ إِذَا لِمَنَ الظَّالِمِينَ . الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ . الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ^(١) . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

ذكر خبر الأذان

(٢)

قال محمد بن سعد بسنده إلى نافع بن جبير، وعروة بن الزبير، وزيد بن أسلم، وسعيد بن المسيب، قالوا: كان الناس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يؤمر بالأذان ينادي منادي النبي صلى الله عليه وسلم: «الصلاة جامعة»؛ فيجتمع الناس فلما صُرفت القبلة إلى الكعبة أمر بالأذان، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أتمه أمر الأذان، وأنهم ذكروا أشياء يجوعون بها الناس للصلاة، فقال بعضهم: البوق، وقال بعضهم: الناقوس؛ فبينما هم على ذلك إذ نام عبد الله ابن زيد الخزرجي، فأرى في المنام أن رجلا مرّ وعليه ثوبان أخضران وفي يده ناقوس، قال فقلت: أتبّع الناقوس؟ قال: ماذا تريد به؟ فقلت: أريد أن أبتاعه لكي أضرب به للصلاة للجماعة الناس، قال: فأبنا أحدثك بخير لكم من ذلك؛ تقول: الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، حتى على الصلاة، حتى على الفلاح، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله. فأتى عبد الله ابن زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال: «قم مع بلال فأتى عليه ما قيل لك ولْيُؤذَّنْ بِذَلِكَ»، ففعل. وجاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال: لقد رأيت مثل الذي رآه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فله الحمد»

(١) سورة البقرة ١٤٤ - ١٤٧ .

(٢) في الأصل: «رافع بن جبير» وهو تصحيف، والتصويب عن ابن سعد، وتهذيب التهذيب .

(٣) في الأصل: «شيئا» وما أثبتناه عن ابن سعد .

فذلك أثبت : قالوا : وأُذِّنَ بِالْأَذَانِ وَيُنَادَى فِي النَّاسِ : « الصلاة جامعة » ؛
للأمر يحدث ، فيحضرُونَ له يُخْبِرُونَ به ، مثل قَتِيجٍ يُقْرَأ ، أو أمر يؤمرون به ،
فينادى : « الصلاة جامعة » ، وإن كان في غير وقت الصلاة . وقد قدّمنا خبر
الأذان من رواية علي بن أبي طالب في قصة الإسراء . والله أعلم .

وفي هذه السنة فُرض صوم رمضان في شعبان على رأس ثمانية عشر شهرا من
الهجرة ، وفُرضت زكاة الفطر قبل العيد بيومين ، وفيها ضَحَّى رسول الله صلى الله عليه
وسلم بكبشين ، أحدهما عن أمته ، والآخر عن مجد وآله ، وفيها وُلِدَ النعمان بن بشير ،
وفيها أعرس علي بن أبي طالب بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ورضى عنهما . والله أعلم .

حوادث السنة الثالثة

فيها تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى
الله عنهما . وفيها توفي عثمان بن مظعون عند بعضهم . وفيها تزوج عثمان بن عفان
رضي الله عنه أم كلثوم بنت النبي صلى الله عليه وسلم في جمادى الآخرة . وفيها ولد
الحسن بن علي رضى الله عنهما في النصف من رمضان .

حوادث السنة الرابعة

فيها حُرِّمَتِ الخمر في شهر ربيع الأول ، وقيل : حُرِّمَتِ في السنة الثالثة .
وفيها صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع . وفيها
قُصِرَتِ الصلاة . وفيها وُلِدَ الحسين بن علي رضى الله عنهما . وفيها ماتت زينب
بنت خزيمة الهلالية أم المؤمنين . وفيها تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة

في شوال ، وتزوج زينب بنت جحش في ذي القعدة على الصحيح . وفيها
نزل الحجاب .

ذكر نزول الحجاب على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان سبب نزول الحجاب ما رواه البخاري عن ابن شهاب قال : أخبرني أنس بن
مالك ، قال : كان أول ما أنزل الحجاب في مَبْنَى رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب
بنت جحش ؛ أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم عروسا ، فدعا القوم فأصابوا من
الطعام ، ثم خرجوا ، وبقي منهم رهط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطالوا
المكث ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه كي يخرجوا ،
فمشى صلى الله عليه وسلم ومشيت معه ، حتى جاء عتبة حُجْرَة عائشة رضي الله عنها ،
ثم ظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم خرجوا ، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ورجعت معه حتى دخل على زينب ، فإذا هم جلوس لم يتفرقوا ، فرجع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ورجعت معه حتى بلغ عتبة حُجْرَة عائشة ، فظن أن قد خرجوا
فرجع ورجعت معه فإذا هم قد خرجوا ، فأنزل الله الحجاب ، فضرب بيني وبينه
سترا ، وأنزل الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ
لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاطِرٍ مِنْهُ وَإِنِ اتَّخَذْتُمْ مَدْخُلًا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا
وَلَا مَسْتَأْذِينَ لِلْخَبِيرِ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُوْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَجِيبُ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَجِيبُ مِنْ
الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ۖ (١) الآية . وعن عروة بن
الزبير أن عائشة رضي الله عنها قالت : كان عمر رضوان الله عليه يقول لرسول الله
صلى الله عليه وسلم : أحجب نساءك يا رسول الله ، قالت : فلم يفعل . وكان أزواج

النبي صلى الله عليه وسلم يخرجن ليلاً إلى لَيْلٍ قِيلَ الْمَنَاصِعُ فخرجت سَوْدَةُ بنت زَمْعَةَ وكانت امرأة طويلة، فراها عمر بن الخطاب وهو في المجلس، فقال: عرفك يا سَوْدَةُ — حرصاً على أن ينزل الحجاب — فأُنزل الله [الحجاب] ^(٢). وفي هذه السنة فُرضت الزكاة في المال.

حوادث السنة الخامسة

فيها تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ربحانة بنت زيد النضرية، وجُورِيَتْ بنت الجارث المصطَلْقِيَّة. وفيها زلزلت المدينة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ^(٣) «إِنَّ اللَّهَ يَسْتَعْتِبُكُمْ فَأَعْتَبُوهُ». وفيها سابق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الخيل. وقد تقدم ذكر ذلك في الباب الأول من القسم الثالث من الفن الثالث في الجزء التاسع من هذه النسخة. وفيها كانت غزوة بنى المصطَلِقِ بالمُرَيْسِيع. وحدث في هذه الغزوة وقائع نذكرها في هذا الموضع؛ فيها ما وقع بين المهاجرين والأنصار، وحديث الإفك، وخبر التيمم.

ذكر ما وقع بين المهاجرين والأنصار في غزوة المُرَيْسِيع ^(٤)

وما قاله عبد الله بن أبي بن سلول المنافق

قال محمد بن إسحاق: لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على المُرَيْسِيع ^(٥) وهو ماء لبني المصطَلِقِ — في نزوله عن غزوته إياهم، وَرَدَتْ واردةُ الناس،

(١) المناصع (جمع منصع) : صعيد واسع آخر المدينة جهة البقيع .

(٢) الزيادة من البخارى ، وبالأصل بياض .

(٣) استعتب : طلب أن يعتب أى يسترضى ؛ تقول : استعنته فأعنتنى ؛ أى أسترضيته فأرضاني .

(٤) في الأصل : « والآراء » ، ولا معنى له .

(٥) بنو المصطَلِقِ : هم بنو جذيمة بن كعب ؛ من خزاعة .

ومع عمر بن الخطاب أجبر له من بني غفار، يقال له جهجاه بن مسعود يقود فرسه، فازدحم جهجاه وسنان بن وبرا الجهنى - حليف بنى عوف بن الخزرج - على الماء، فاقتلا، فصرخ الجهنى: يا معشر الأنصار! وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين! فغضب عبد الله بن أبي، وعنده رهط من قومه، فيهم زيد بن أرقم - غلام حدث - فقال: أو قد فعلوها! قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما أعدنا وجلايب قريش هذه إلا كما قال الأول: سَمَنَ كَلْبِكَ يَا كُتْلُكُ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. ثم أقبل على من حضره من قومه وقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم! أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، والله لو أسكتكم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم. قال: فمضى زيد بن أرقم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر، وعنده عمر بن الخطاب، فقال عمر: مَرَّ به عباد بن بشر فليقتله؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه! لا، ولكن أَدْنُ بالرحيل"، فأرتحل الناس في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها، وجاء عبد الله بن أبي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخلف بالله: ما قلت ما قال زيد بن أرقم عني، وما تكلمت به، فقال من حضر من الأنصار: يا رسول الله، عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه، ولم يحفظ ما قال الرجل.

فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيه أسيد بن حضير فقال: يا نبي الله، والله لقد رُحْتَ في ساعة منكراً ما كنت تروح في مثلها. قال: "أو ما بلغك

(١) جلايب قريش: لقب من كان أسلم من المهاجرين؛ لقبهم بذلك المشركون، وأصل الجلايب: الأزر الغلاظ، وكانوا يلتحفون بها، فلقبهم بذلك.

(٢) في الأصل: «أحللتموه بلادكم وقاسمتموه أموالكم»، وما أثبتناه عن ابن هشام.

ما قال صاحبكم؟ قال : أئى صاحب ؟ قال : "عبد الله بن أبى" قال، وما قال يا رسول الله ؟ قال : "زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعرنة منها الأذل" قال : فأنبت يا رسول الله تخرجه إن شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز. ثم قال : يا رسول الله ، أرفق به ، فوالله لقد جاء الله بك وإن قومه لينظّمون له الجرز ليتوجوه ، فإنه ليزى أنك استلبته مذكاً. قال : ثم متن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذاك حتى أنسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصنّدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس فلم يلنوا إلا أن وجدوا ممس الأرض فوقوا نياماً. قال : وإنما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذى كان من عبد الله بن أبى .

قال : ثم هبت ريح شديدة تخوفها الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا تخوفوها إنما هبت لموت عظيم من عطاء الكفار" . فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت أخذ بنى قينقاع — وكان من عطاء يهود ، وكهفا للنافقين — مات ذلك اليوم .

ونزلت السورة التى ذكر الله تعالى فيها المنافقين فى آبن أبى ومن قال بقوله ، فلما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذن زيد بن أرقم ثم قال : "فهذا الذى أوفى الله بأذنه" . وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبى بن شلول ما كان من أمر أبيه ، فقال : يا رسول الله ، إنه بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أبى فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلا فرنى به فانا أجهل إليك رأسه ، إني أخشى أن تأمر غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى أنظر إلى قاتل عبد الله يمشى فى الناس فأقتله ، فأقتل مؤمناً بكافراً فأدخل

(١) متن بالناس : أى سار بهم يومه أجمع .

(٢) فى الأصل : « آذته » ؛ وما أثبتناه عن ابن هشام .

النار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تترقق به ونحسن صحبته ما بقى معنا"، وكان بعد ذلك إذا أحاث حدثاً كان قومه هم الذين يعاتبونه ويعتقونه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم: "كيف ترى يا عمر؟ أما والله لو قتلتني يوم قتلتني لأرعدت^(١) [له] أنف لو أمرتها اليوم [بقتله] لقتلته"، فقال عمر: قد والله علمت لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمرى .

ومن الحوادث في هذه الغزوة حديث الإفك .

ذكر حديث الإفك وما تكلم به من تكلم من المنافقين وغيرهم فيه وما أنزله الله تعالى من براءة عائشة، وفضل أبيها رضوان الله عليهما ١٠
هذا الحديث قد تداوله الرواة وأهل الأخبار والسير، فمنهم من زاد فيه زيادات كثيرة، وذكر تحامل من تحامل في أمر الإفك، وتعصب من تعصب، فعلمت أن إيراد ذلك من أقوالهم يقتضى أن يصير في نفس من سمعه من أهل السنة شيئاً ممن تكلم عليه بما تكلم، ولعل ذلك لم يقع، فرأيت أن أقصر منه على ما ثبت في صحيح البخاري، وأصل لنا بالرواية الصحيحة، وذكرت زيادات ذكرها ابن إسحاق - رحمه الله - ويحتاج إلى إيرادها مما لا ضرف فيه، نهت عليها بعد مساق الحديث على ما تقف عليه إن شاء الله تعالى . ولنبدأ بحديث البخاري^(٢):

حدثنا الشيخان المسندان المعمران، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي طالب ١٤٧
نعمة الصالحى الحجار، وست الوزراء أم محمد وزيرة بنت القاضي شمس الدين عمر ١٤
ابن أسعد بن المنجا التنوخية الدمشقية قراءة عليهما وأنا أسمع، بالمدرسة المنصورية ٢٠

(١) الزيادة من ابن هشام . (٢) الحديث من صحيح البخاري ٦ : ٥

التي هي بين القصرين بالقاهرة المعزية، في جمادى الأولى سنة خمس عشرة وسبعمائة،
قالا : حدثنا الشيخ سراج الدين أبو عبد الله الحسين بن المبارك بن محمد بن يحيى
الزبيدي، في شوال سنة ثلاثين وستمائة، بدمشق بالجامع المظفرى بسفح جبل
قاسيون، قال : حدثنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي^(١) قراءة
عليه ونحن نسمع ببغداد، في آخر سنة اثنتين وأول سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة،
قال : حدثنا الشيخ أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداودي في شوال^(٢)
وذى القعدة سنة خمس وستين وأربعمائة، قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد
ابن حمويه المرخسي في صفر سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة، قال : أخبرنا أبو عبد الله
محمد بن يوسف بن مطر القوبري بقبر بر سنة ست عشرة وثلثمائة، قال : أخبرنا أبو عبد الله
محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري قراءة عليه بربيع سنة ثمان وأربعين ومائتين،
ومرة في سنة اثنتين وخمسين، قال : حدثنا يحيى بن بكير، قال : حدثنا الليث عن
يونس عن ابن شهاب، قال : أخبرني عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب،
وعلقمة بن وقاص، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن عائشة
زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله مما قالوا،
وكلُّ حدثني طائفة من الحديث، وبعض حديثهم يُصدق بعضها، وإن كان
بعضهم أوعى له من بعض؛ الذي حدثني عروة عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه
وسلم، أن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج

(١) السجزي : نسبة إلى مجستان على غير قياس؛ وفي الأصل « المنجزي » وهو تصحيف .

(٢) في الأصل « الداودي »، وصوبناه عن السمعاني .

(٣) فربر : بلد قرب بخاري .

أفرع بين أزواجه، فأيهن نخرج سهمها نخرج [بها] ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم معه، قالت عائشة: فأفرع بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي، فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما نزل الحجاب، فأنا أحمَل في هودجِي وأنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل، ودنونا من المدينة قافلين، أذن ليلة بالرحيل، فقمت حين أذنوا بالرحيل، فشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فإذا عقد لي من جرع ظفاري قد أنقطع، فألتصت عقدى وحسنى أبتغاؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي، فأحتملوا هودجِي فراحلوه على بعيري الذي كنت ركبته، وهم يحسبون أنني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يتقلهن اللحم، إنما تأكل العُلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عقدى بعدما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب، فأمت منزلي الذي كنت به، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلي، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فممت، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش، فأدبج فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رأيته، وكان يراني قبل الحجاب، فأستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي ببجالي، ووالله ما كلمني كلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى أناخ راحلته، فوطئ على يدها فركبتها، فأنطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش

(١) الزيادة من البخاري . (٢) هي غزوة بني المصطلق من خراة .

(٣) الجزع : نحرز معروف في سواده بياض كالعروق . وظفار : مدينة باليمن . ويروي « أظفار »

بالمزة المفترحة وسكون الظاء . (٤) العُلقة كثرة : التليل .

بعدما نزلوا مُوغِرِينَ فِي نَحْرِ الظُّهَيْرَةِ ، فَهَلَكَ بَنُ هَلَكَ - وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى الْإِفْكَ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنٍ سُلُولٍ - فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ ، فَأَشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْتُ شَهْرًا ، وَالنَّاسُ
يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَصْحَابِ الْإِفْكَ ، لَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَهُوَ يَرِيْنِي فِي وَجْعِي ؛
أَتَى لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ
أَشْتَكِي ، إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَسَلُّ ثُمَّ يَنْصَرِفُ ، فَذَلِكَ
الَّذِي يَرِيْنِي ، وَلَا أَشْعُرُ بِالشَّرِّ حَتَّى نَخْرُجْتُ بَعْدَهَا نَقَهْتُ ، فَخَرَجْتُ مَعِي أُمُّ مِسْطَاحَ
قَبْلَ الْمَنَاصِعِ - وَهُوَ مُتَبَرِّزًا - وَكَأَنَّا لَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَتَّخِذَ
الْكُفُفَ قَرِيبًا مِنْ بَيْوتِنَا ، وَأَمَرْنَا أَمْرَ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ فِي التَّبَرُّزِ [قَبْلَ] الْغَائِطِ ،
فَأَنْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَاحَ ، وَهِيَ بِنْتُ أَبِي رُحْمٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، وَأُمُّهَا بِنْتُ صَخْرَ
ابْنِ عَامِرٍ خَالَةِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَأَبْنَاهُ مِسْطَاحُ بْنُ أَثَانَةَ ، فَأَقْبَلْتُ
أَنَا وَأُمُّ مِسْطَاحَ قَبْلَ بَيْتِي قَدْ فَرَعْنَا مِنْ شَأْنِنَا ، فَعَثَرْتُ أُمُّ مِسْطَاحَ [فِي مِرْطَاطِهَا] ،
فَقَالَتْ : نَعِيسُ مِسْطَاحَ ؛ فَقُلْتُ لَهَا : بَشْسُ مَا قُلْتَ : أَتَسْبِيْنِ رَجُلًا قَدْ
شَهِدَ بَدْرًا ؟ ! قَالَتْ : أَيْ هَتَاهُ ، أَوْ لَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ ؟ قَالَتْ قُلْتُ : وَمَا قَالَ ؟
فَأَخْبَرْتَنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكَ ، فَأَزْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي ، قَالَتْ : فَلَمَّا رَجَعْتُ
إِلَى بَيْتِي ، وَدَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ : ” كَيْفَ تَيْكَمْ “ ؟
فَقُلْتُ : أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَتِيَ أَبُوتِي ؟ قَالَتْ : وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الْخَبَرَ
مِنْ قِبَلِهِمَا ؛ قَالَتْ : فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجِئْتُ أَبُوتِي ،

١٤٨
١٤

(١) موغرين : داخلين ، ونحر الظهيرة : هو حين تبلغ الشمس منهاها من الارتفاع .

(٢) أى بسبب الإفك . (٣) يريني (يفتح أوله وبضه) : أى يشككنى ويوهنى .

(٤) زاد البخاري بعد هذا : « ثم يقول كيف تيكَمْ ... الخ » .

(٥) الزيادة عن البخاري .

فقلت لأُمِّي : يا أُمَّتاه ، ما يتحدث الناس ؟ قالت : يا بُنَيَّة ، هَوِّنْ عليك ، فوالله لَقَلْبًا كانت امرأة قَطُّ وضيئةً عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أَكْثَرْنَ عليها ، قالت فقلت : سبحان الله ! ولقد تحدث الناس بهذا ؟ ! قالت : فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دَمْعٌ ، ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكي ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأُسامة بن زيد رضي الله عنهما حين استلبت الوحى ^(١) يستأمرهما في فراق أهله . قالت : فأما أُسامة بن زيد ، فأشار علي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذى يعلم من براءة أهله ، وبالذى يعلم لهم في نفسه من الوُدِّ ، فقال : يا رسول الله ، أهلك وما تعلم إلا خيرا . وأما علي بن أبي طالب — رضى الله عنه — فقال : يا رسول الله ، لم يُضَيِّقْ الله عليك ، والنساء سواها كثير ، وإن تسأل الجارية تصدقك . قالت : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بَريرة ، فقال : ” أى بَريرة ، هل رأيت من شئ يريبك “ ؟ قالت بَريرة : لا والذى بعثك بالحق ، إن رأيتُ عليها أمرا أَغْمَصَهُ ^(٢) عليها ، أَكْثَرُ من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها ، فتأتى الداجن فتأكله . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستعذر من عبد الله بن أبي بن سلول ، قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر : ” يا معشر المسلمين ، من يَعْذِرْنِي ^(٣) مِنْ رَجُلٍ قد بلغنى أذاه فى أهل بيتى ! فوالله ما علمتُ على أهلى إلا خيرا ، ولقد ذكروا رجلا باعلمتُ عليه إلا خيرا ، وما كان

(١) لا يرقأ : لا ينقطع . (٢) الوحى : بالرفع فاعل ؛ أى طال لبث نزوله ، وضبط

بالنصب على أنه مفعول به ؛ أى استبطأ النبي صلى الله عليه وسلم الوحى .

(٣) فى الأصل : « كثيرون تسأل ... الخ » ، وما أثبتناه عن البخارى .

(٤) إن رأيت : ما رأيت . وأغمصه : أعياه .

(٥) الداجن : الشاة التى تألف البهوت ولا تخرج إلى المرعى .

(٦) من يعذرنى : من يخوم بعذرى إن كافأته على قبيح فعله ، ولا يلومنى ! إيا من ينصرنى ! .

- يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِ الْإِمَامِ . فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
 أَنَا أَعِزُّكَ مِنْهُ ؛ إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ
 الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ . قَالَتْ : فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ ،
 وَكَانَ قَبِيلُ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا ، وَلَكِنْ احْتَمَلْتَهُ الْحَيَّةَ ^(١) . فَقَالَ لِسَعْدٍ : كَذَبْتَ ،
 لَعَنَ اللَّهُ لَا تَقْتُلْهُ ، وَلَا تَقْدِرْ عَلَى قَتْلِهِ ، وَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ — وَهُوَ ابْنُ غَمٍّ سَعْدٍ — فَقَالَ
 لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ : كَذَبْتَ لِعَمْرِائِلَةَ لَقَاتَلْتَهُ ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تَجَادُلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ . فَتَنَاقَرَا
 الْحَيَّانِ : الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتُلُوهُمَا ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ
 عَلَى الْمَنْبَرِ ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى نَسَكْتُوا وَسَكَتَ .
 قَالَتْ : فَبَكَيْتُ يَوْمَ ذَلِكَ لَا يَرَقَا لِي دَمْعٌ ، وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ ، قَالَتْ : وَأَصْبَحَ
 أَبُوای عِنْدِي ، وَقَدْ بَكَيتُ لِبَلَّتَيْنِ وَبِوَمَا لَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ وَلَا يَرَقَا لِي دَمْعٌ ،
 يَظُنَّانِ أَنَّ الْبَكَاءَ نَالِقِي كَيْدِي ، فَقَالَتْ : فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي فَاسْتَأْذَنْتُ
 عَلَى أَمْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَادْنَتْ لَهَا ، فَخَاسَتْ تَبْكِي مَعِي ، قَالَتْ : فَبَيْنَمَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ
 دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ ، قَالَتْ : وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي
 مِنْذُ قِيلَ مَا قِيلَ قَبْلَهَا ، وَقَدْ لَبِثُ شَهْرًا لَا يُوحِي إِلَيَّ فِي شَأْنِي ، قَالَتْ : فَتَشْهَدُ
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ جَلَسَ ، ثُمَّ قَالَ : ” أَمَّا بَعْدُ يَا عَاشَةَ ، فَإِنَّهُ قَدْ
 بَلَغَنِي عَنْكَ كَذًا وَكِبْرًا ، فَإِنْ كُنْتَ بِرِيَّةٍ فَسِيرْكَ اللَّهُ ، وَإِنْ كُنْتَ أَلْمِيَّةً بِذَنْبٍ ،
 فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتَوْبِي إِلَيْهِ ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ “ .
 قَالَتْ : فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَالَتَهُ قَلَّصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أَحْسُ
 مِنْهُ قَطْرَةً ، فَقُلْتُ لِأَبِي : أَجِبْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا قَالَ ، قَالَ : وَاللَّهِ

(١) احتملته الحية : أى أغضبه . (٢) لعمرائيل : أى ويقاه الله .

(٣) يخفضهم : يسكنهم ؛ ويهون عليهم الأمر ؛

١٤٩
١٤

ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت لأُمِّي : أجيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن : إني والله لقد علمت ، لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به ، فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني بذلك ، ولئن اعترفت بأمر الله يعلم أني بريئة منه لتصدقني ، والله ما أجد لكم مثلا إلا قول أبي يوسف ، قال : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ . قالت : ثم تحولت فاضطجعت على فراشي ، قالت : وأنا حينئذ أعلم أني بريئة ، وأن الله يبرئني ببراءتي ، ولكن والله ما كنت أظن أن الله مُتَرَلِّفٌ في شأني وحياً يتلى ، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر يتلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا يبرئني الله بها . قالت : فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه ، فأخذه ما يأخذه من البرحاء ، حتى إنه ليتحدّر منه مثل الجمان من العرق — وهو في يوم شاتٍ — من ثقل القول الذي ينزل عليه ، قالت : فلما سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سرى عنه وهو يضحك ، فكانت أول كلمة تكلم بها : ” يا عائشة ، أما الله فقد بركك “ ، فقالت أُمِّي : قومي إليه ، قالت فقلت : والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله عز وجل ، وأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُم لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ . لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ . لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ

(١) مارام : أي ما فارق . (٢) البرحاء : العرق من شدة ثقل الوحى .

(٣) الجمان : اللؤلؤ .

فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ . وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ . إِذْ تَلَقَّوهُ بِالنِّسْتِكُمْ وَتَقُولُونَ يَا فَوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ . وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ . يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . وَبَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ . وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝ قَالَ

عائشة : فلما أنزل الله تعالى هذا في براءتي ، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وكان ينفق على مسطح بن أثانة لقرابته وفقره : والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة — رضي الله عنها — ما قال ، فأنزل الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَا يَأْتِلَ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ ﴾ . قال أبو بكر رضي الله عنه : بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي ، فرجع

إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبدا . قالت

عائشة : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش عن أمرى

فقال : ” يا زينب ، ماذا علمت أو رأيت ؟ ” ، فقالت : يا رسول الله ، أحمى

سمعى وبصرى ، ما رأيت إلا خيرا ، قالت : وهى التى كانت تُسأَمِينِ مِنْ أَزْوَاجِ

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعصمها الله بالورع ، وطَفِقَتْ أَخْتَهَا حَمْنَةَ تَحَارِبَ

لَهَا ، فَهَلَكَتْ فَمِنْ هَٰؤُلَاءِ مَنْ أَصْحَابُ الْإِفْكَ . انتهى حديث البخارى .

(١) سورة النور ١١ — ٢٠ (٢) سورة النور ٢٢

(٣) قسامي : أى تضاهيتى ، وتفاخرت بجمالها ومكاتها عند النبي صلى الله عليه وسلم .

وروى أبو محمد عبد الملك بن هشام بسنده إلى عُميرة بن الزبير ، وعبد الله
 ابن عبد الله بن عتبة ، وعبد الله بن الزبير ، وعُميرة بنت عبد الرحمن ، كلهم يُحدث
 عن عائشة — رضى الله عنهم — بنحو هذا الحديث ، وزاد فيه من قول أُمّامة
 ابن زيد ، فائى خيرا ، وقاله ، ثم قال : يا رسول الله ، أهلك ولا نعلم إلا خيرا ،
 وهذا هو الكذب والباطل . قال : وأما على بن أبي طالب فإنه قال : يا رسول الله ،
 إن النساء لكثير ، وإنك لقادر على أن تستخلف ، وأسأل الجارية فإنها ستصدقك .
 قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة ليسألها ، فقام إليها على بن أبي طالب
 فضربها ضربا شديدا ، وقال : أصدقى رسول الله . وساق نحو ما تقدم .
 وقال في خبر الوحي : قالت فوائه ما يريح رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه
 حتى تغشاه من الله ما كان يشغاه ، فسجى بشوبه ، ووُضعت له وسادة من آدم
 تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيت فوائه ما فزعته ولا باليت ، قد عرفت
 أنى منه بريئة ، وأن الله غير ظالمى ، وأما أبواى ، فوالذى نفس عائشة بيده ،
 ما سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننتُ لتخرجن أنفسهما فرقا من
 أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس . وساق الحديث بنحو ما تقدم . ثم قال : قالت
 ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فخطبهم ، وتلا عليهم ما أنزل عليه
 من القرآن فى ذلك ، ثم أمر بمسطح بن أثاثه ، وحسان بن ثابت ، وحنّة بنت
 جحش ، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة فضربوا حدهم ، فقال رجل من المسلمين
 فى ذلك :

لقد ذاق حسان الذى كان أهله * وحنّة إذ قالوا هجيرا ومسطح
 تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم * وسخطه ذى العرش الكريم فأنزحوا^(٢)

(١) الهجير : الفحش من القول . (٢) الرجم : الظن ، وأنزحوا : أخرجوا .

وَأَذَوَا رَسُولَ اللَّهِ فِيهَا بِفُؤَالُوا * نَحَازِي تَبَقَى عُثْمُوها وَفُضِّحُوا
وَصَبَّتْ عَلَيْهِمُ مَحْصَدَاتُ كَانِهَا * شَابِلِبُ قَطْرِ مِنْ ذُرَى الْمُرْنِ تَسْفَحُ^(١)
وحكى أبو عمر بن عبد البر في ترجمة مسطح - وهو عوف بن أثانة بن عباد
ابن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي - ، وأمه سلمى بنت صخر بن عامر
خالة أبو بكر الصديق . قال : وذكر الأُموي عن أبيه عن ابن إسحاق قال قال
أبو بكر يذكرك مسطحا :

يَا عَوْفُ وَيْحَكَ هَلَّا قَلْتَ عَارِفَةً * مِنْ الْكَلَامِ وَلَمْ تُتَبِعْ بِهَا طَمَعًا
وَأَدْرَكَكَ حَتِيًا مَعَشِيرُ أُفٍّ * وَلَمْ تَكُنْ قَاطِعًا يَا عَوْفُ مِنْ قُطْعًا
هَلَّا حَرَبْتَ مِنَ الْأَقْوَامِ إِذْ حَسَدُوا * فَلَا تَقُولْ وَلَوْ عَايَنْتَهُ قَدْ عَا
لَمَّا رَمَيْتَ حَصَانًا غَيْرَ مُقْرِفَةٍ * أَمِينَةَ الْحَبِيبِ لَمْ نَعْلَمْ لَهَا خَضَعًا
فِيمَنْ رَمَاهَا وَكُنْتُمْ مَعَشِرًا أَفْكََا * فِي سَيِّءِ الْقَوْلِ مِنْ لَفْظِ الْخَنَاءِ شَرًّا
فَأَنْزَلَ اللَّهُ وَحْيًا فِي بَرَاءَتِهَا * وَبَيْنَ عَوْفٍ وَبَيْنَ اللَّهِ مَا صَنَعَا
فَإِنْ أَعِشْ أَجْزِ عَوْفًا عَنْ مَقَالَتِهِ * شَرَّ الْجَزَاءِ إِذَا أَلْفَيْتَهُ تَبَعَا

ولعل هذا الشعر إن صح عن أبي بكر فيكون قاله قبل نزول قوله تعالى :
(وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ) الآية . فإنه قد صح أن أبا بكر قال عند نزولها :
والله إني أحب أن يغفر الله لي ، ورجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه ،
وقال : والله لا أنزعها عنه أبدا .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني أبي إسحاق بن يسار عن بعض رجال بني النجار :
أن أبا أيوب خالد بن زيد ، قالت له امرأته أم أيوب : ألا تسمع ما يقول

٢٠ (١) محمّدات : يعني سياطا محكمة القتل شديداً . شأبيب : جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من
المطر . والذرى : الأعلى . وتسفح : تسيل .

الناس في عائشة ؟ قال : بلى ، وذلك الكذب ، أكنيت يا أُمّ أيوب فاعلة ؟ قالت : لا والله ما كنيت لأفعله ؛ قال : فعائشة والله خير منك . فلما نزل القرآن بذكر من قال من أهل الفاحشة ما قال أهل الإنك ، ثم قال : ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ ، أي فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبته .

قال ابن إسحاق : وكان حسان بن ثابت قال شعرا يُعرض فيه بصفوان بن المعطل ، فأعرضه صفوان فضربه بالسيف ، ثم قال :

تَلَقَّ دُزَابَ السَّيْفِ عَنْكَ فَإِنِّي * غَلَامٌ إِذَا هُوجِبْتُ لَسْتُ بِشَاعِرٍ

فوثب ثابت بن قيس بن شماس على صفوان بن المعطل حين ضرب حسان فجمع يديه إلى عنقه بجبل ، ثم أنطلق به إلى دار بني الحارث بن الخزرج ، فلقبه عبد الله بن رَوَاحَة فقال : ما هذا ؟ قال : أما أعجبك ! ضربَ حسان بالسيف والله ما أراه إلا قد قتله ؛ فقال له عبد الله بن رَوَاحَة : هل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء مما صنعت ؟ قال : لا والله ؛ قال : لقد أجترأت ، أطلق الرجل ، فأطلقه ، ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكروا ذلك له ، فدعا حسان و صفوان ، فقال صفوان : يا رسول الله ، آذاني وهجاني ، فحملني الغضب فضربته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” يا حسان ، أَتَشْتَوِهْتَ عَلَى قَوْمِي أَنْ هَدَاهُمْ اللَّهُ الْإِسْلَامَ ” ؟ ثم قال : ” أَحْسِنُ يَا حَسَّانُ فِي الَّذِي قَدْ أَصَابَكَ ” قال : هي لك ؛ فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عوضا عنها بَيْرَحًا — وهي قصر بني حُدَيْلَةَ — كانت مالا لأبي طلحة وتصدق بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاه حسان في ضربته ، وأعطاه

(١) قال السبيلي : « معناه أما جعلك تعجب ، تقول عجبت من الشيء وأعجبنى الشيء إذا كان ذلك

العجب من مكروه أو محبوب » . (٢) أَتَشَوَّهْتَ عَلَى قَوْمِي : أفبعت ذلك من فعلهم حين سميتهم

بالجلايب من أجل هجرتهم إلى الله ورسوله .

سيرين — أمة قَيْطِيَّة — فولدت له عبد الرحمن بن حسان . قال : وكانت عائشة رضى الله عنها تقول : لقد سُئِلَ عن ابنِ المعطل فوجدوه رجلا حَصُورا ما يأتى النساء ، ثم قُتِلَ بعد ذلك شهيدا رضى الله عنه .

وقال حسان بن ثابت يعتذر من الذى كان منه فى شأن عائشة أم المؤمنين

رضى الله عنها :

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزْنُ بَرِيَّةٌ * وَتُصْبِحُ غَرَقَى مِنْ حُومِ النَّوَافِلِ ^(١)

عَقِيلَةٌ حَتَّى مِنْ لُؤَى بْنِ غَالِبٍ * كِرَامِ الْمَسَاعِي مَجْدُهُمْ غَيْرُ زَائِلِ ^(٢)

مُهَنْدَبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ خِيَمَهَا * وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِلِ ^(٣)

فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُمْ * فَلَا رَفْعَ سَوْطِي إِلَى أَنَايِلِ

وَكَيْفَ وَوَدَّى مَا حَيِّتُ وَنُصِرْتُ * لَأَلِ رَسُولِ اللَّهِ زَيْنَ الْحَافِلِ ^(٤)

لَهُ رَتَبٌ عَالٍ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ * تَقَاصَّرَ عَنْهَا سَوْرَةُ الْمُتَطَاوِلِ ^(٥)

فَإِنَّ الَّذِي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلَائِطٍ * وَلَكِنَّهُ قَوْلُ أَمْرِي بِي مَاحِلِ ^(٦)

وقد روينا عن البخارى رحمه الله بالإسناد المتقدم ، قال : حدثنا محمد بن

يوسف ، قال : حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة

(١) الحصان : العفيفة . الرزان : الملازمة موضعا ، التى لا تنصرف كثيرا . ما تزنى : أى

ما تنتهم . يغرنى : جائنة . النوافل : جمع غافلة ؛ أى لا ترتع فى أعراض الناس .

(٢) العقيلة : الكريمة . المساعي (جمع مسعاة) : وجه ما يسعى فيه من طلب المجد والكرم .

(٣) الخيم : الطابع والأصل . (٤) السورة : المنزل ، والرتبة .

(٥) اللائط : اللاحق واللازق . (٦) كذا فى الأصل ، والذى فى ديوان حسان :

* بها الدهر بل قول أمرى بى ماحل *

الماحل المشاء بالميم .

رضى الله عنها قالت : جاء حسان بن ثابت يستأذن عليها ، قلت : أأأذنين لهذا ؟
قالت : أليس قد أصابه عذاب عظيم ؟ قال سفيان : تعنى ذهاب بصره ، فقال :
حَصَانُ رَزَانٌ مَا تُزْنُ بِرَيْسَةٍ * وَتُصْبِحُ غَرَّتِي مِنْ لُحُومِ النَّوَافِلِ
قالت : لكن أنت^(١) .

وعن مسروق أيضا قال : دخل حسان على عائشة فشَبَّبَ فقال :
حَصَانُ رَزَانٌ ... البيت . قالت : لست كذلك ، قلت : تدعين هذا يدخل
عليك وقد أنزل الله : ﴿ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ ﴾ ؟ قالت : وأى عذاب أشد من العمى !
وقد كان يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر خبر التيمم

من أهل العلم من ذهب إلى أن آية التيمم أنزلت في غزوة المريسيع^(٢) ، ومنهم
من ذهب إلى أنها أنزلت في غيرها . روى أبو عبد الله محمد البخاري رحمه الله بسنده
عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء — أو بذات الجحش — ألقطع عقدي ،
فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه ، وأقام الناس معه وليسوا على ماء ،
فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق فقالوا : ألا ترى ما صنعت عائشة ؟ أقامت
برسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ، وليسوا على ماء ، وليس معهم ماء . بخاء
أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على نخذه قد نام ، فقال :

(١) إشارة إلى أنه أغتابها في قصة الإفك .

(٢) المريسيع : ماء لى نزاعة بينه وبين الفرخ (بضم الفاء والراء) مسيرة يوم ، وهذه الغزوة
هى غزوة بنى المصطلق . (المراهب) .

حَبَسَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّاسَ ، وَلِيسُوا عَلَى مَاءٍ ، وَلِيسَ مَعَهُمْ مَاءٌ !
فَقَالَتْ عَائِشَةُ : فَعَاتَبَنِي أَبُو بَكْرٍ ، وَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ ، وَجَعَلَ يَطْعَنُنِي بِسِيدِهِ
فِي خَاصِرَتِي ، فَلَا يَمْنَعُنِي مِنَ التَّحْرُكِ إِلَّا مَكَانُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى
نَفْذِي ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَصْبَحَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ
التَّيَمُّمِ فَتَيَمَّمُوا ، فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ الْحُضَيْرِ : مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ .
قَالَتْ : فَبَعَثْنَا الْبَعِيرَ الَّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ ، فَأَصَبْنَا الْعَقْدَ تَحْتَهُ .

١٥٢
١٤

(١) حوادث السنة السادسة

فِيهَا كَانَتْ غَزْوَةُ الْحُدَيْبِيَّةِ ، وَبَيْعَةُ الرِّضْوَانِ ، وَهُدْنَةُ قُرَيْشٍ ، عَلَى مَا نَذَرَ
ذَلِكَ فِي الْغَزَوَاتِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَفِيهَا حُقِّطَ النَّاسُ ، فَاسْتَسْقَى رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّاسِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فَسَقَوْا ، وَفِيهَا هَاجَرَتْ أُمُّ كَلثُومَ .

ذِكْرُ هِجْرَةِ أُمِّ كَلثُومَ بِنْتِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هِجْرَةِ النِّسَاءِ

لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَةِ الْحُدَيْبِيَّةِ ، بَعْدَ أَنْ حَلَّتِ
الْهُدْنَةُ ، وَتَقَرَّرَتِ الْقَضِيَّةُ ، وَكَانَ فِيمَا وَقَعَ عَلَيْهِ الصُّلْحُ : أَنَّهُ مِنْ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قُرَيْشٍ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَلَيْتَهُ رَدَّهُ إِلَيْهِمْ ، وَرَدَّ مِنْ رَدِّ مَنْ رَجَالَ
الْمُسْلِمِينَ ، عَلَى مَا نَذَرَ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي الْغَزَوَاتِ . ثُمَّ هَاجَرَتْ أُمُّ كَلثُومَ بِنْتُ
عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ ، فَخَرَجَ أَخَوَاهَا
عُمَارَةُ وَالْوَلِيدُ ، أَبْنَا عُقْبَةَ ، حَتَّى قَدَمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَالَانِهِ أَنْ
يَرُدَّهَا عَلَيْهِمَا بِالْعَهْدِ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ

(١) فِي الْأَصْلِ : « النَّالَةُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

أَنْزَلَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مِهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ
بِإِيمَانِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ
يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ
أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَأَسْأَلُوكُمَا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمَا أَنْفَقُوا ذَلِكَ
حُكْمُ اللَّهِ يُحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ
فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ^(١) ،
فمنع رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء لذلك ، وأمر برّد صدقاتهن إليهم إن هم
ردوا على المسلمين صدقات من حبسوا عنهم من نسائهم .

قال ابن إسحاق : ولما أنزل الله تعالى قوله : ﴿ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ ﴾ ،
كان ممن طلق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، طلق امرأته قُرَيْبَةَ ابنة أبى أمية
ابن المغيرة ، فتزوجها بعده معاوية بن أبى سفيان ، وأم كلثوم بنت جِرْوَل أم عبيد الله
ابن عمر الخزاعية ، فتزوجها أبو جهم بن حذيفة بن غانم ، وكانوا إذ ذاك على
شركهم . والله أعلم .

[حوادث السنة السابعة ^(٢)]

فيها تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبى سفيان ، وصفيّة
بنت حيّ بن أخطب ، وميمونة بنت الحارث الهلالية . وفيها أسلم أبو هريرة — وأسمه
فى الجاهلية عُمَيْر بن عامر بن عبد ذى الشرى ، وفى الإسلام عبد الرحمن بن صخر
الدَّوسى ، وأسماءه كثيرة بحسب ما ورد من اختلاف أقوال الرواة ، وقد صححوا
ما ذكرناه ، والله أعلم — وعمران بن حصين . وفيها حرمت الحُرُّ الأهلية ، ومتعة النساء

على ما نذكر ذلك إن شاء الله في غزوة خيبر . وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الرسل إلى الملوك ، وقدم حاطب بن أبي بلتعة من عند المقوقس بمارية بنت شمعون القبطية أم إبراهيم عليه السلام وأختها شيرين . وفيها قدم جعفر بن أبي طالب ومن كان قد بقي من المهاجرين بأرض الحبشة ، وقد تقدم ذكرهم .

حوادث السنة الثامنة

فيها ولد إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مارية . وفيها توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفيها وهبت سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم يومها لعائشة رضى الله عنها حين أراد طلاقها . وفيها عمل منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخطب عليه .

١٥٣
١٤

ذكر اتخاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر وخطبته عليه

روى محمد بن سعد في طبقاته الكبرى بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة إلى جذع في المسجد قائما ، فقال : " إن القيام قد شق على " ، فقال له تميم الدارى : ألا أعمل لك منبرا كما رأيت يصنع بالشام ؟ ، فشاور رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين في ذلك ، فرأوا أن يتخذوه ، فقال العباس بن عبد المطلب : إن لى غلاما يقال له كلاب أعمل الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مره أن يعمل " ، فأرسله إلى أنثى بالغابة فقطعها ، ثم عمل منها درجتين ومقعدا ، ثم جاء به فوضعه في موضعه [اليوم] ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عليه وقال : " منبرى هذا على ترعة من ترع الجنة ، وقوائم منبرى رواتب في الجنة " . وعن سهل بن سعد

(١) الزيادة من ابن سعد .

وقد سئل عن منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أى عُود هو ؟ فقال : أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فلانة - امرأة سماها - فقال : «مُصْرِى غلامك النجار يعمل لى أعوادا أكلم الناس عليها» ، فعمل هذه الثلاث درجات من طُرَفَاء الغابة ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضعه فى هذا الموضع . وقد رُوى عن باقوم الرومى أنه قال : صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم منبرا من طرفاء ، ثلاث درجات : القعدة ودرجتيه ؛ رواه عنه صالح مولى التَّوَمَةِ ^(١) . حكاه أبو عمر فى ترجمة باقوم . ولما آتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه كان من حنين الخدع ما نذكره إن شاء الله تعالى فى معجزاته صلى الله عليه وسلم .

وفى هذه السنة أسلم عمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد ، وعثمان بن طلحة ، على ما نشرح ذلك .

ذكر إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة

كان سبب إسلامهم على ما حكاه محمد بن إسحاق بسنده يرفعه إلى عمرو بن العاص ، قال عمرو : لما أنصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعتُ رجالا من قريش كانوا يرون رأيت ، ويسمعون منى ، فقلت لهم : تعلموا والله أنى أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكرا ، وإنى قد رأيت أمرا فما ترون فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قال : رأيت أن تلحق بالنجاشى فتكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشى ، فإننا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد ، وإن ظهر قومنا فتحن من قد عرفوا ، فلن يأتينا منهم إلا خير . قالوا : إن هذا

(١) التَّوَمَةُ : هى بنت أمية بن خلف الجمحى ، وإنما قيل لها : التَّوَمَةُ لأنها كانت معها أخت لها

فى بطن . (انظر أسد الغابة) .

لرائى، قالت : فاجمعوا ما يهْدَى له ، وكان أحبَّ ما يهْدَى إليه من أرضنا الأَدَمَ ،
 بجمعنا أَدَمًا كثيرا ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه . فوالله إنا لعنده إذ جاء عمرو بن
 أمية الضمري ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن جعفر
 وأصحابه ، قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده ، فقالت لأصحابي : هذا عمرو بن
 أمية ، ولو قد دخلت على النجاشي وسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه ، فإذا فعلتُ
 ذلك رأيت قريش أنى قد أجزأت عنها ، فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع ،
 فقال لى : مرحباً بصديق ، أهديت لى من بلادك شيئاً ؟ قالت : نعم أيها الملك ، قد
 أهديت لك أَدَمًا كثيرا ، ثم قربته إليه فأعجبه ، ثم قالت له : أيها الملك ، إني قد
 رأيت رجلا خرج من عندك ، وهو رسول رجل عدو لنا ، فأعطيته لأقتله ، فإنه قد
 أصاب من أشرافنا وخيارنا ، قال : فغضب ، ثم مديده فضرب بها أنفه ضربة
 ظننت أنه قد كسره ، فلو أنشقت الأرض لدخات فيها فرقا منه ، ثم قالت له :
 أيها الملك ، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتك ، قال : أتسألنى أن أعطيك
 رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى صلى الله عليه وسلم لقتله !
 فقلت : أيها الملك ، أكذاك هو ؟ قال : ويحك يا عمرو ، أظننى وأتبعه ، فإنه والله
 لعلى الحق ، وليظهرت على من خالفه ، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده ، قال :
 قالت : أفتباعدنى له على الإسلام ؟ قال : نعم ، فبسط يده فبايعته على الإسلام ،
 ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه ، وكنتمهم إسلامي .

ثم خرجت عامدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلقيت خالد بن الوليد
 وهو مقبل من مكة ، فقلت : إلى أين يا أبا سليمان ؟ فقال : لقد استقام المنسِمُ ،
 (١)

٢٠ (١) استقام المنسِم : معناه تبين الطريق ووضح ، وفي الأصل : « المنسِم » وفي ابن هشام « المنسِم »
 والتصويب عن الخيشي ، وابن الأثير .

وإنت الرجل لنبي ، أذهب والله فأسلم فحتى متى ! قال قالت : والله ما جئتُ إلا لأسلم ، قال : فقدمتنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوت فقلت : يا رسول الله ، إني أبايعك على أن يُغفر لي ما تقدم من ذنبي ولا أذكر ما تأخر ، فقال : ” يا عمرو : بايع ، فإن الإسلام يجب ^(١) ما كان قبله ، وإن الهجرة تُجِبُّ ما كان قبلها “ ، فبايعت ثم أنصرفت .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة كان معهما فأسلم حين أسلما .

حوادث السنة التاسعة

فيها آلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسائه ، وأقسم ألا يدخل عليهن شهرا . وكان سبب الإيلاء ما رواه البخاري بسنده عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل والحلواء ، وكان إذا أنصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من إحداهن ، فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس فغرت ، فسألت عن ذلك فقيل لي : أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل ، فسقت النبي صلى الله عليه وسلم منه شربة ، فقلت : أما والله لئحتالن له ، فقلت لسودة بنت زمعة : إنه سيدنو منك ، فإذا دنا منك فقلولي له : أكلت مغافير ، سيقول لك : لا ، فقلولي له : ما هذه الريح التي أجد ؟ فإنه سيقول لك : سقتني حفصة شربة عسل ، فقلولي له : جربت ^(٢) نخله العرُط ، وسأقول ذلك ، وقلولي أنت يا صفية ذلك ، قالت : تقول سودة فوالله ما هو إلا أن قام على

(١) يجب : يقطع ويحرق . (٢) جربت : أكلت ، يقال للنخل الجوارس ، والعرفط :

شجر الطلح ، وله صمغ كريح الرائحة ، فإذا أكلته النحل حصل في عسلها من ريحه .

الباب فأردت أن أبأدنه بما أمرتني به فرقاً منك . ومن رواية مسلم - قالت تقول
سودة : فوالذي لا إله إلا هو لقد كدّيتُ أبأدنه بالذي قلت لي ، وإنه لعل الباب فرقاً
منك . قال البخاري : فلما دنا منها قالت له سودة : يا رسول الله ، أكلت مغافير؟
قال : " لا " قلت : فما هذه الريح التي أجده منك ؟ قال : " مبقتني حفصة شربة
عسل " قالت : جرست نحلّه العرْقُط ، فلما دار إلى قالت له نحو ذلك ، فلما دار
إلى صفة قالت له مثل ذلك ، فلما دار إلى حفصة قالت له : ألا أسقيك منه ؟ قال :
" لا حاجة لي فيه " قالت : تقول سودة والله لقد حرّمناه ، قلت لها : أسكتي .
وفي رواية عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب عسلاً عند زينب
بنت جحش ، ويمكث عندها ، فتواطأت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها فلتقل له :
أكلت مغافير ، إني أجده منك ريح مغافير ، قال : " لا ، ولكني كنت أشرب عسلاً
عند زينب بنت جحش فلن أعود له ، وقد جلفيت لا تخبري بذلك أحداً " ، فأنزل
الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

وروى مسلم بن الحجاج في صحيحه بسنده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ،
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : كنا معشر قريش قوما تغلب النساء ، فلما
قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم ، فطَفِقَ نساؤنا يتعلمن من نساؤهم ،
وكان منزل في بني أمية بن زيد بالعوالي ، فنفضت يوماً على أمرأتى ، فإذا هي
تراجعني ، فأنكرت أن تراجعني ، فقالت : ماتنكر أن أراجعك ؟ فوالله إن أزواج النبي
صلى الله عليه وسلم ليراجعنّه ، وتهجره إحداهنّ اليوم إلى الليل ، فأنطلقت فدخلت

(١) حرّمناه : منعناه من العسل . (٢) قلت لها أسكتي : أي قالت السيدة عائشة لسودة
أسكتي ؛ لئلا يظهر ما ذبّره لحفصة . (٣) سورة التحريم آية ١

على حَفْصَة قُلْتُ : أتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : نعم [قُلْتُ :
أتهجره إحداكن إلى الليل ؟ قالت : نعم ، فقُلْتُ ^(١)] : قد خاب من فعل ذلك منكن
وخسر ، أفأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله صلى الله عليه وسلم ؟
فإذا هي قد هلكت ، لا تراجعى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسأليه شيئاً ،
وسليني ما بدا لك ، ولا يفترق أن كانت جارتك هي أوسم وأحب إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم منك ، يريد عائشة .

١٥٥

١٤

ومن رواية البخارى قال : خرجت حتى دخلت على أم سلمة لقرايتي منها
فكلمتها ، فقالت أم سلمة : عجباً لك يا بن الخطاب ! دخلت في كل شيء حتى
تبتغى أن تدخل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه ، فأخذتني والله أخذاً
كسرتني عن بعض ما كنت أجد ، فخرجت من عندها ،

١٠

رجعنا إلى حديث مسلم - قال عمر : وكان لي جار من الأنصار فكنا نتناوب
الزول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيترل يوماً ، وأنزل يوماً ، فيأتيني بخبر
الوحي وغيره ، وآتيه بمثل ذلك ، وكنا نتحدث أن غسان تُعمل الخليل لِنُفَرِّقُوا ،
فقتل صاحبي ، ثم أتاني غشاء فضرب بابي ، ثم ناداني فخرجت إليه ، فقال : حدث
أمرٌ عظيم ، قُلْتُ : ماذا ، أ جاءت غسان ؟ قال : لا ، بل أعظم من ذلك وأطول ،
١٥ طلق النبي صلى الله عليه وسلم نساءه ، قُلْتُ : قد خابت حَفْصَة وخسرت ، وقد
كنت أظن هذا كائناً ، حتى إذا صليت الصبح شددت على ثيابي ، ثم نزلت
فدخلت على حَفْصَة وهي تبكي ، قُلْتُ : أطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
فقالت : لا أدري ، ها هو ذا معتزل في هذه المشربة ، فأتيت غلاماً له أسود
قُلْتُ : أستاذن لعمر ، فدخل ثم خرج إلى فقال : قد ذكرتك له فصمت ، فانطلقت

١٥

٢٠

(١) الزيادة من صحيح مسلم ج ٤ : ١٩٣ . (٢) في مسلم : « لنفرونا » .

حتى أتيتها إلى المنبر فخلصت ، فإذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم ، فجلست قليلاً ثم غلبني ما أجد ، ثم أتيت الغلام فقلت : أستاذي لعمر ، فدخل ثم خرج إلى ، فقال : قد ذكرت لك له فصمت ، فوَلَّيتُ مدبراً ، فإذا الغلام يدعوني ، فقال : أدخل فقد أذن لك ، فدخلتُ فسلمتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا هو مُتَّكِئٌ على رَمْلٍ حَصِيرٍ ^(١) قد أثر في جنبه ، فقلت : أطلقت يا رسول الله نساءك ؟ فرفع رأسه إلى وقال : ” لا “ فقلت : الله أكبر ، لو رأيته يا رسول الله ، وكنا معشر قريش قوما نغلب النساء ، فلما قَدِمْنَا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم ، فطَفِقَ نساؤنا يتعلَّمن من نسائهم ، فتغضبتُ على امرأتى يوماً فإذا هي تراجعني ، فأنكرتُ أن تراجعني ، فقالت : ما تُنكر أن أراجعك ؟ فوالله إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره إحداهنَّ اليوم إلى الليل ، فقلت : قد خاب من فعل ذلك منهنَّ وخسر ، أفأمن إحداهنَّ أن يغضب الله عليها لغضب رسوله صلى الله عليه وسلم فإذا هي قد هلكت ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، قد دخلت على حفصة فقلت : لا يُغرنكِ أن كانت جارتكِ هي أو سمَّ منك وأحبَّ إلى رسول الله منك ، فتبسم أخرى .

ومن رواية البخاري — قال عمر : فقصصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحديث ، فلما بلغت حديث أُمِّ سَلَمَةَ تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يذكر التبسم فيما قبلها .

قال مسلم في حديثه : فقالت أستاذي ^(٢) يا رسول الله ؟ قال : ” نعم “ فجلسْتُ فرفعتُ رأسي في البيت ، فوالله ما رأيت فيه شيئاً يردُّ البصر

(١) رمل حصير : فسجة ، ليس له وطأ سواه .

(٢) المراد بهذه الكلمة الاستئذان في الأنس والمحادثة ، كما يستفاد من الترجيح .

إلا أهباً ثلاثه^(١)، فقلت : أدع الله يا رسول الله أن يُوسّع على أمّتك ، فقد وسّع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله ، فاستوى جالساً ثم قال : ” أفى شك أنت يا ابن الخطاب ، أولئك قوم مُجَلَّتْ لهم طبائهم في الحياة الدنيا ” فقلت : أستغفرلى يا رسول الله ، قال : وكان أقسم ألا يدخل عليهن شهراً من شدة موْجَدته^(٢) عليهن حتى عاتبه الله عز وجل .

وعن عُرْوَة عن عائشة رضى الله عنها قالت : لما مضى تسع وعشرون ليلة دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم — بدأ بى — فقلت : يا رسول الله ، إنك أقسمت ألا تدخل علينا شهراً ، وإنك دخلت من تسع وعشرين ، أعدهن ؟ فقال : ” إن الشهر تسع وعشرون ” ثم قال : ” يا عائشة ، إني ذا كرك لك أمراً فلا عليك ألا تعجلي حتى تستأمرى أبويك ” ثم قرأ على الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ ﴾ حتى بلغ ﴿ أَجْراً عَظِيماً ﴾^(٣) فقالت عائشة : قد علم والله أن أبوي لم يكونا ليأمراني بفرافقه ، فقلت : أوفى هذا أستأمر أبوي ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة . وفيها هدم رسول الله مسجد الضرار .

ذكر خبر مسجد الضرار وهدمه ومن اتّخذَه من المنافقين

وكان هدم مسجد الضرار عند مُنْصَرَف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك ، وكان أصحابه الذين بنوه اثني عشر رجلاً : وهم خَدَّام بن خالد ومن داره نخرج ، وَتَعْلَبَة بن حاطب ، وَمُعْتَب بن قُشَيْر ، وَأَبُو حَبِيبَة بن الأَزْعَر ، وعباد ابن حُثَيْف ، وجارية بن عامر ، وأبناء مجمع وزيد ، وَتَبَيْل بن الحارث ، وَبَجَزَج من بني ضُبَيْعَة ، وَبِحَاد بن عثمان من بني ضُبَيْعَة ، وَوَدِيعَة بن ثابت ، فانوا رسول الله

(١) الأهب : الجلود . (٢) الموجدة : الغضب . (٣) سورة الأحزاب آية ٢٨ — ٢٩

صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز إلى تبوك ، فقالوا : يا رسول الله ، قد بنينا مسجدا
لدى العيلة والحاجة والليله المطيرة والليله الشاتية ، وإنا نحب أن تأتينا فتصلى لنا
فيه ، فقال : ” إني على جناح سفر وحال شغل — أو كما قال صلى الله عليه وسلم —
ولو قد قديمنا إن شاء الله تعالى لأتيناكم فصلينا لكم فيه “ فلما أقبل رسول الله
صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك نزل يذى أوان — بلد بينه وبين المدينة ساعة
من نهار — أتاه خبر المسجد ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم
أخا بنى سالم بن عوف ، ومغن بن عدي ، أو أخاه عاصم بن عدي ، فقال :
” أنطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فأهدماه وحرّاه “ فخرجا سريعين حتى أتيا
بنى سالم بن عوف ، وهم رهط مالك بن الدخشم ، فقال مالك لمغن : أنظرنى حتى
أخرج إليك بنار من أهلى ، فدخل إلى أهله فأخذ سيفا من النخل فأشعل فيه نارا ،
ثم [خرجا] يشتدان حتى دخلاه وفيه أهله فخرّاه وهدماه وتفرّقا عنه ، ونزل
فيهم من القرآن قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ
الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا
الْحُسْنَ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ
أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ .
أَمَّنْ أَسَّسَ بَنِيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بَنِيَانَهُ عَلَى شَفَا
جُرْفٍ هَارٍ فَأَنهَارُ يِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمْ
الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .
وفى أمراته فى مسجده
بعد صلاة العصر فى شعبان ، وكان عويمر قدم من تبوك فوجدها حبل . وفى سؤال منها

مات عبد الله بن أبي بن سلول المنافق، وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يصل بعدها على منافق؛ لقوله تعالى : ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ (١) الآية .

وفيهما ماتت أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفيها نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشي في اليوم الذي مات فيه بالحبشة ، قيل : في شهر رجب . وفيها أسلم كعب بن زهير . والله أعلم بالصواب .

ذكر إسلام كعب بن زهير بن أبي سلمى وأمتداحه

رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان سبب إسلامه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أنصرف عن الطائف كتب أخوه جُحَيْر بن زُهَيْر إليه يخبره أن النبي صلى الله عليه وسلم قتل رجلاً بمكة ممن كان يهجوّه ويؤذيه، وأن من بقى من شعراء قريش كآبن الزُبَيْرى، وهُبَيْرَة بن أبى وهب قد هربوا فى كل وجه، فإن كانت لك فى نفسك حاجة فطِر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً، وإن أنت لم تفعل فأنج إلى نجاتك من الأرض . وكان كعب قد كتب إلى أخيه جُحَيْر لما بلغه إسلامه :

أَلَا أَلْبَسَا عَنَى بُجَيْرًا رِسَالَةً * فَهَلْ لَكَ فِيمَا قُلْتُ وَنَحَكَ هَلْ لَكَ ؟
شَرِبْتَ مَعَ الْمَأْمُونِ كَأْسًا رَوِيَّةً * فَأَتَهْلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَ (٢)
وخالفت أسباب الهدى واتبعته * على أى شئٍ وَيَبَ غَيْرِكَ دَلَّكَ (٣)
على خُلُقٍ لم تُلِفْ أُمًّا وَلَا أَبًا * عليه ولم تُدْرِكْ عليه أحوالَكَ

(١) سورة التوبة ٨٤ (٢) المأمون : يعنى النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت قريش

تسميه المأمون والأمين . والنمل : الشرب الأول ، والعلل : الشرب الثانى .

(٣) ويب غورك : ويم غورك .

ويروي :

على خُلُقِي لم تُثَلِّف يوماً أباه * عليه وما تُثَلِّفِي عليه أباً لكَا
فإن أنت لم تفعل فليستُ بِأَسِيف * ولا قائل إِمَّا عَثَرْتُ : لَمَّا لَكَا!

١٥٧
١٤

وبعث بها إليه ، فلما أنت مُجَيَّرَا كره أن يكتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [لما سمع ^(٢)] قوله « سقاك بها المأمون » : « صَدَقَ وإنه لكذوب ، [أنا المأمون ^(٢)] » ولمَّا سمع قوله « على خُلُقِي لم تُثَلِّفِ أُمًّا ولا أَبَا عليه » قال : « [أَجَل ^(٢)] لم يُثَلِّفِ عَابه أباه ولا أُمه » فكتب يُجَيِّرُ إلى كعب :

مَنْ مُبْلَغٌ كَعْبًا فَهَلْ لَكَ فِي التِّي * تَلُومٌ عَلَيْهَا بَاطِلًا وَهِيَ أَحْزَمُ
إِلَى اللَّهِ لَا إِلَهَ زِي وَلَا اللَّاتِ - وَحَدَّه * فَتَجُؤْ إِذَا كَانَ النَّجَاءُ وَتَسَلَّمَ

١٠ لدى يومٍ لَا يَنْجُؤُ وَلَيْسَ بِمُقْلِتٍ * من الناس إِلَّا طَاهَرُ الْقَلْبِ مُسْلِمُ
فَيَدِينُ زُهَيْرٌ وَهُوَ لَا شَيْءَ دِينُهُ * وَدِينُ أَبِي سُلَيْمٍ عَلَى مُحَرَّمُ

قال : فلما بلغ كَعْبًا كِتَابُ أَخِيهِ ضَاقَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، وَأَشْفَقَ عَلَى نَفْسِهِ ، وَأَرْجَفَ بِهِ مَنْ كَانَ فِي حَاضِرِهِ مِنْ عَدُوِّهِ ، فَقَالُوا : هُوَ مَقْتُولٌ ، فَقَالَ قَصِيدَتُهُ الَّتِي يُمَدِّحُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَذَكَرَ فِيهَا خَوْفَهُ ، وَإِرْجَافَ الْوُشَاةِ بِهِ مِنْ عَدُوِّهِ ، وَخَرَجَ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ ، فَتَرَلَّ عَلَى رَجُلٍ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مَعْرِفَةٌ مِنْ جُهَنَّةٍ ، فَقَدَا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ فَصَلَّى مَعَهُ ، ثُمَّ أَشَارَ الْجُهَنِيُّ لَكَعْبٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : هَذَا رَسُولُ اللَّهِ فَقَمِ إِلَيْهِ فَأَسْتَأْمِنُ ، فَقَامَ حَتَّى جَاسَ إِلَيْهِ ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) لما : كلمة فقال لمن عثر ، دعاه له أن يتعش من سقطته . (٢) الزيارات من ابن هشام ،

والذي في شرح الديوان للسري : « صدق ! أنا المأمون ، وإنه لكاذب » . (٣) حاضره : حبه .

لا يعرفه ، فقال : يا رسول الله إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً ،
فهل أنت قابل منه إن أنا جئت بك به ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " نعم " .
فقال : أنا يا رسول الله كعب بن زهير ، فوثب رجل من الأنصار وقال : يا رسول الله ،
دعني وعدو الله أضرب عنقه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " دعه عنك ،
فإنه قد جاء تائباً نازعاً " . قال : فغضب كعب على هذا الحى من الأنصار لما
صنع به صاحبهم ، وأنشد كعب قصيدته ؛ وهى :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول * متيم عندها لم يُجز مَكْبُولُ^(٢)
وما سعاد غداة البين إذ برزت * إلا أغن غضيض الطرف مكحول^(٣)
هيفاء مقيله عجزاً مذيرة * لا يُستكى قصر منها ولا طول^(٤)
تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتست * كأنه منهل بالراح معلول^(٥)
شجت بذي شيم من ماء مخنية * صاف بأطح أضحى وهو مشمول^(٦)
تنفى الريح القدى عنه وأفرطه * من صوب غادية يبض يعاليل^(٧)

(١) نازعاً : أى ما تلا إلى الإسلام ، أو كانا عن الشرك .

(٢) بانت : فارقت . متبول : غلبه الحب وريحه . متيم : ذلله الحب . مكبول : مقيد . يروى :
« لم يهد » : من القداء . ولم يجز من الجزاء .

(٣) البين : الفراق . ويرى : « غداة البين إذ رحلوا » . والأغن : الذى فى صوته غنة .
وغضيض الطرف : فاطر الطرف ، أراد التشبيه . (٤) الحيف : ضمير البطن ورة : الخاصرة .
(٥) العوارض : الأسنان ما بين الثنية والضرس . والظلم : ماء الأسنان وبريقها . ومنهل :
قد أنهل بالراح : الخمر ، والثلل : أول شربة . والمعلول : قد سقى مرتين ، والعال : الشرب الثانى .
(٦) شجت : مزجت بالماء . والشيم : الماء البارد . المخنية : منعطف الوادى . الأبحاح :
مسيل واسع فيه دفاق الحصى . مشمول : أصابته ريح الشمال فبرده .

(٧) عنه : أى عن الماء الصافى . أفرطه : ملأه . الصوب : المطر . الغادية : السحابة التى
تأتى بالنداء . البطول : القدير . يروى : « من صوب سارية » .

وَيَلْ أَمَّهَا خُلَّةٌ لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ * بَوَعِدْهَا أَوْ لَو أَنَّ النَّصْحَ مَقْبُولٌ^(١)
 لَكُنْهَا خُلَّةٌ قَدْ سَيْطَ مِنْ دِمِهَا * بَقَعَ وَوَلَعَ وَإِخْلَافٌ وَتَبْدِيلٌ^(٢)
 فَمَا تَقْصُومُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهِ * كَمَا تَلْتَوْنُ فِي أَنْوَاسِهَا الْفُؤُولُ^(٣)
 كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلًا * وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْأَبَاطِيلُ^(٤)
 وَمَا تَمَسَّكَ بِالْعَهْدِ الَّتِي زَعَمَتْ * إِلَّا كَمَا يُمَسِّكُ الْمَاءَ الْغَرَابِيلُ^(٥)
 أَرْجُو وَأَمَلُ أَنْ يَعْجَلَنَ فِي أَبَدٍ * وَمَا لَهْنُ إِخَالِ الدَّهْرِ تَعَجِيلُ^(٦)
 فَلَا يَفُرُّنَكَ مَا مَنَتْ وَمَا وَعَدَتْ * إِنَّ الْأَمَانِي وَالْأَحْلَامَ تَضْلِيلُ^(٧)
 أَمَسْتُ سَعَادَ بَارِضٍ مَا يُبْلَغُهَا * إِلَّا الْعِتَاقُ النَّجِيَّاتُ الْمَرَاسِيلُ^(٨)
 وَلَا يُبْلَغُهَا إِلَّا عُذَافِرَةٌ * فِيهَا عَلَى الْآيِنِ إِزْقَالٌ وَتَبْغِيلُ^(٩)

- ١٠ (١) يروى : « أكرم بها خلة » . وفي الديوان : « يا ويحها خلة » .
 (٢) سيط : خلط . الفجع : المصيبة . الولع : الكذب . يريد أنها قد خلط بدمها الفجع بالمصائب ، والكذب في الأخبار ، وإخلاف الوعد ، وتبديل خليل يأخر ، وصار ذلك سجيبة لها .
 (٣) الفؤول : السعلاة ، وهى أنثى الشياطين ، سميت بذلك لأنها فيما زعموا تتناهم ، أولأنها تراهى لهم في القلوات ، وتلتون بألوان شتى ، وتضلهم عن الطريق .
 ١٥ (٤) عرقوب : رجل يضرب به المثل في خلف الوعد ، وكان بالمدينة .
 (٥) يروى : « تمسك بالوصل » .
 (٦) أبد : زمن . يريد أنه يمتنى الوفاء بما وعدن على عجل ولو مرة في الدهر ، وتعجيل : تصديق ، ويروى :

أرجو وأمل أن تدنو مودتها * وما إخال لدينا منك تنويل

- ٢٠ (٧) المراسيل : الخفاف . يقول : لا يبلغنى سعاد إلا مثل هذه النوق لبعدها .
 (٨) في الديوان وآين هشام : « ولن يبلغها » . عذافرة : شديدة غليظة ، والآين : الإعياء .
 والإزقال : أن تعدد وتنفض رأسها ، والتبغيل : ضرب من الهملجة المختلطة بالعنق .

١٥٨
١٤

من كل نضاجة الذفرى إذا عيرقت * عرَضَتْهَا طامِسُ الأعلامِ مجهولٌ^(١)
ترعى النجادَ يعينى مُفردٌ لطيق * إذا توقدتِ الحِزَانُ والميلُ^(٢)
صَنَمٌ مقلدها فعم مقيدها * فى خَلِقِهَا عن بَنَاتِ الفحلِ تَفْضِيلُ^(٣)
حرفٌ أخوها أبوها من مُهَجَّنَةٍ * وعمها خالها قوداءُ شَمْلِيلُ^(٤)
يَمْشَى القُرَادُ عليها ثم يُزْلِقُهَا * منها لَبَانٌ وأقربُ زَهَائِلُ^(٥)
عيرَانَةٌ قُدِفَتْ بالنَحْضِ عن عُرْضِ * مِرْفَقِهَا عن بَنَاتِ الزَّوَرِ مَقْتُولُ^(٦)

(١) نضاجة : فوارة ، يصفها بكزم الأصل . الذفرى : النقرة خلف أذن الناقة والبعير ، أول ما يعرق منها . عرضتها : همتها ؛ أى فوية على السفر . طامس : دارس . الأعلام : العلامات ، أى فوية على قطع الأعلام المتدسة المجهولة .

(٢) النجاد : المشرف من الأرض ، ويرى : « الغيوب » : ما غاب من الأرض . المفرد : الذى خذل عن صوابه . اللوق : الشدبد البياض . الحزان (جمع حزير — براين) : المكان الغليظ الصلب . والميل جمع ميلاء : العقدة الضخمة من الزمل ، وقيل : هو مد البصر . يقول : إنها لا تكسل ولا تفتر فى الهاجرة .

(٣) مقلدها : رقبته . فعم : يمتلئ ، ويرى : « عبل » : وهو الضخم . المقيد : الرسخ . بنات الفحل : النوق . أى لها فضل عليهن . فى شرح ابن هشام بيتان بعد هذا البيت ليسا بالأصل : غلبا ، وجنا ، طسكوم مذكرة * فى دفها سعة قدامها ميل

وجلدها من أطوم ما يؤريه * طلع بضاحية المتنين مهزول
(٤) الحرف : القطعة البارزة من الجبل ، أى مثله فى القوة والصلابة ، أو حرف الخط فى الرقة والضمورة . أخوها أبوها : أى جعل حمل على أمه فوضعت ناقة ، فصار الجمل أخاها وأباها . والمهجنة من النوق : الكريمة ، والتهجين اختلاف الأبوين ، وهو مدح فى الإبل ، وذم فى بنى آدم . عمها خالها : يعنى أن عمها وخالها من جنس واحد ، أى لأنها كريمة الطرفين من أبيها وأُمها . قوداء : الطويلة الظهر والعنق . والشمليل : الخفيفة البريمة .

(٥) اللبان بفتح اللام : الصدر ، والأقرب : الخواصر ، والزهايل : اللس .
(٦) عيرانة : تشبه العير فى صلابتها ، قذفت بالنحض : كاملة الخلق لم ينقصها الحلب ، والنحض اللحم . العرض : الجوانب ، وبنات الزور : الأضلع المقدمات ، المقتول : المدمج المحكم .

قَسَوَاءُ فِي حُرَّتِهَا لِلْبَصِيرِ بِهَا * عَتَقَ مَيْبِنٌ^(١) وَفِي الْخَدَّيْنِ تَسْبِيلُ^(٢)
 كَأَنَّ مَا فَاتَ عَيْنَهَا وَمَذْبَحُهَا * مِنْ خَطْمِهَا وَمِنْ اللَّحْيَيْنِ بَرِطِلُ^(٣)
 سُمُرٍ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذَا حُصْلٍ * فِي غَارِزٍ لَمْ تَخُونَهُ الْأَحَالِيلُ^(٤)
 تَهْوِي عَلَى بَسْرَاتٍ وَهِيَ لَاهِيَةٌ * ذَوَابِلُ^(٥) وَقَعْنِ الْأَرْضَ تَحْلِيلُ^(٦)
 سُمُرِ الْعَجَايِبِ يَتَرَكْنَ الْحَصَى زَيْمًا * لَمْ يَقْهِنَنَّ سَوَادَ الْأَيْمِ تَعْيِلُ^(٧)
 يَوْمًا يَظَلُّ بِهِ الْحَرْبَاءُ مُرْتَبًا * كَأَنَّ ضَاحِيَهُ فِي النَّارِ مَمْلُولُ^(٨)
 وَقَالَ لِلْقَوْمِ حَادِيهِمْ وَقَدْ جَعَلْتُ * بُقْعُ الْجَنَادِبِ يَرْكُضْنَ الْحَصَى قِيلُوا

(١) قنواء : في أنفها كالخشب . حرثاها : أذاها . والعنق : الكرم ، ومهله الخدين : ساقتهما .

غير مرتفعة الوجتين .

(٢) المذبح : المنحر . الخطم : الأنف . البرطيل : معول من حديد ، أو حجر مستطيل ، وصفها
بكبير الرأس وعظمه .

(٣) عسيب النخل : جريدها . والغارز : الضرع ، قد غرز وقل لبته . لم تخونه : لم تنقصه .
الأحاليل : مجارى اللبن . يريد تمر ذنبها على ضرعها .

(٤) تهوى : تسير بسرعة . ويروى : «تخذى» ومعناها واحد . والبسرات : القوائم الخفاف .
ذوابل : ليست برهلة . وقعن الأرض : إشارة إلى سرعة رفعها قوائمها ، وتحليل : مثل تحلة اليمن .
أى كما يخلف الإنسان على الشئ . لبقعله ، فيفعل منه اليسر ليتحلل من قسمه .

(٥) سمر : في ألوانها ، وهى البسرات فى البيت السابق . العجايب : عصب باطن اليدين . زيمًا :
متفرقة ، يقول : لا يحنجن أن يتعلن لأنهن غلاظ الأخفاف .

(٦) الحرباء : ذكرا م حين ، وهو حيوان يتلون ألوانا بجزر الشمس . مرتبًا : مرتقا ؛ وذلك إذا

كان فوق شرف ، ويروى : «مسطخا» : متصبا ؛ ويروى : «مسطخدا» : تصلى بحر الشمس .
الضاحى : البارز للشمس . ملول : من مللت الخبز ، جعلته فى الملة بفتح الميم : الحفرة المحاة ، أو الرماد الحار .

(٧) الحادى : سائق الإبل . بقسع : ذات اللون الأبيض . الجنادب : جراد صغير ، فى أشد
ما يتكون الهابرة يكون ذلك . قيلوا : من القيلولة ، وهى الإبراد عند الهابرة ، وفى الديوان : «ورق

الجنادب» : الورق جمع أ ورق ، وهو الأخضر إلى سواد ، أو على لون الرماد .

- (١) كَانَ أَوْبَ ذِرَاعِيهَا وَقَدْ عَرِقَتْ * وَقَدْ تَلَفَعَ بِالْقُورِ الْعَسَاقِيلُ
(٢) أَوْبُ يَدَيَّ فَاقْدِ شِمَطَاءَ مُعُولَةٍ * قَامَتْ بِفَاوِجِهَا نَكْدًا مَثَاكِيلُ
(٣) نَوَاحَةٌ رِخْوَةٌ الضَّبْعَيْنِ لَيْسَ لَهَا * لَمَّا نَفَى يَكْرَاهَا النَّاعُونَ مَعْقُولُ
(٤) تَقْرِى اللَّبَانَ بِكَفِّهَا وَمِذْرَعُهَا * مُشَقَّقٌ عَنْ تَرَاقِيهِمَا رَعَائِيْلُ
(٥) تَسْعَى الْوُشَاةُ بِجَنَابَيْهَا وَقَوْلُهُمْ * إِنَّكَ يَا بَنَ أَبَى سُنْئِي لَمَقْتُولُ
(٦) وَقَالَ كُلُّ صَدِيقٍ كُنْتُ أَمْلُهُ * لَا أَهْلِيكَ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولُ
(٧) فَقُلْتُ خَلُّوا طَرِيقِي لَا أَبَا لَكُمْ * فَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولُ
(٨) كُلُّ ابْنِ أُنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ * يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَذَبَاءَ حَمُولُ
نُبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي * وَالْعَقُوْءُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ
(٩) مَهْلًا هَذَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْ * مُقْرَانَ فِيهَا مَوَاعِيظُ وَتَفْصِيْلُ

(١) أوب : رجع ، تلفع : تلفع ، القور جمع قارة : الأكمة ، وقيل جبل يرتفع طولا ولا يرتفع عرضا . والعساquil : السراب .

(٢) شمطاء : العجوز التي لا ترجو ولدا ، معولة : من العويل ، إنما أراد امرأة نعى لها ولدها ، نكد جمع نكدا : التي لا يعيش لها ولد . مثاكيل جمع مثكال : التي فقدت أولادا كثيرة . ويرى الشطر الأول : * شد النهار ذراعا عيطل نصف *

(٣) رخوة : مسترخية ، الضبع بسكون الباء : العضد ، يريد شديدة الحركة ، والمعقول : العقل .
(٤) تقري : تشق ، اللبان : الصدر ، مذرعا قيصها : شبه الناقة بالمرأة التي تشق الثياب عن صدرها ، الرعايل : المتخرقة المنتمزة .

(٥) تسعى من السعاية : وهي الوشاية ، بجنابها : ويرى : جنابها .

(٦) لا أهليتك : لا أشغلك عما أنت فيه . ويرى : « لا ألهيتك » ؛ أى لا أكون معك .

(٧) الآلة : النعش . حذباء : معوجة .

(٨) النافلة : قال ابن هشام : النافلة العطية المنطوق بها زيادة على غيرها . وذلك إشارة إلى أن القرآن مع ما أنعم الله على نبيه به من العلوم العظيمة زيادة على تلك العلوم .

لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْصَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ * أَذْنِبْ وَلَوْ كَثُرَتْ فِي الْأَفَاوِيلِ
لَقَدْ أَقُومُ مَقَامًا لَوْ يَقُومُ بِهِ * أَرَى وَأَسْمَعُ مَا لَوْ يَسْمَعُ الْقَيْلُ^(١)
لَظَلَّ تَرَعْدُ مِنْ وَجْدٍ يُوَادِرُهُ * إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْوِيلُ^(٢)
حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي مَا أَنَا زَعِيمَا * فِي كَفِّ ذِي نَقِيَّاتٍ قَوْلُهُ الْقَيْلُ^(٣)
فَلَهُوَ أَخَوْفُ عِنْدِي إِذَا أَكَلَّهُ * وَقِيلَ إِنَّكَ مَنْسُوبٌ وَمَسْئُولُ^(٤)
مَنْ ضَعِيفٌ بِضَاءِ الْأَرْضِ مُخْدَرُهُ * فِي بَطْنِ عَثَرٍ غَيْلٌ دُونَهُ غَيْلُ^(٥)
يَفْدُو وَيَلْحَمُ ضِرْغَامَيْنِ عِشْمَهُمَا * لَحْمٌ مِنَ النَّاسِ مَعْفُورٌ خَرَاذِيلُ^(٦)
إِذَا يُسَاوِرُ قِرْنًا لَا يَحِيلُ لَهُ * أَنْ يَتَرَكَ الْقِرْنَ إِلَّا وَهُوَ مَقْلُولُ^(٧)
مِنْهُ تَظَلَّ حَمِيرُ الْجَوْنِ نَافِرَةً * وَلَا تَمُتْنِي بِوَادِيهِ الْأَرَاجِيلُ

- ١٠ (١) لظل ترعد جواب «لو» الأول وهو دال على جواب «لو» الثانية، الوجه: شدة الحزن .
والبوادر: اللحم الذي بين العنق والكنتف . والذي في الشروح :

لظل يرعد إلا أن يكون له * من الرسول بإذن الله تنويل

تنويل، من النازل، وهو العطاء، والمراد هنا: المغفر والأمان، وفي السيرة المشامية بعد هذا البيت :

ما زلت أقطع البيداء مدرعا * جنح الظلام وثوب الليل مسدول

- ١٥ (٢) أنازعها: أي وضعت يميني في يمينه وضع طاعة لأنأزعه . ويريد بصاحب النقبات: النبي
صلى الله عليه وسلم؛ لأنه كان ينتقم من الكفار . القيل: القول الصادق .

(٣) منسوب: مسئول عما صدر منك، ويروى: سبور .

(٤) الضيف: الأسد، ضراء جمع ضار: من ضرى بكذا ولع به، والمشهور كما في الشروح:
«بضراء الأسد مخدرة» . عثر: موضع باليمن كثير الأسد، والنيل: الشجر المثلث . ويروى:

* من خادر من ليوث الأسد مسكنه *

٢٠

(٥) يلحم ضرغامين: يطعمهما اللحم الناس، معفور: ملقى في الغفر: التراب . خراذيل، بمعجمة
ومهملة: قطعاً . (٦) القرن: مقاومك في الشجاعة أو العلم، يساور: يواب، مفلول: منهزم،
ويروى: «مجدول»: ملقى في الجدة وهي الأرض . (٧) الجوهنا: الوادي، والبر الواسع،
ويروى ضامرة: ساكنة، مكان «نافرة» . الأراجيل: جمع أرجال جمع رجل .

(١) ولا يزال يواديه أخو ثقية * مطرُحُ البرِّ والدرسين ما كُولُ
(٢) إنَّ الرسولَ لنورٌ يستضاءُ به * مهتدٌ من سُيوفِ اللهِ مَسْلُولُ
(٣) أغرَّ أبلجٌ يستسقى الغمامُ به * كأنَّ طلعتَه في الليلِ قَنَدِيلُ
(٤) في عُصبةٍ من قريشٍ قال قائلُهم * بطن مكةَ لَمَّا أسلموا زُولُوا
(٥) زالوا فما زال أنكاسٌ ولا كُشفٌ * عند اللقَاءِ ولا ميلٌ معازيلُ
(٦) يمشون مَشَى الجمالِ الزَّهرِ بعصمهم * ضربَ إذا عَرَدَ السُّودُ التَّنَائِيلُ
(٧) ثمَّ العرَّابينَ أبطلَ لبوسهم * من نسجِ داودَ في الهيجا سَرَابيلُ
(٨) بيضٌ سوانغٌ قد شكت لها حلقٌ * كأنها حلقُ الفقعاءِ مجدولُ

(١) البر : الثياب، والسلاح . والدرسان : الثياب الخلفة، ويروى : « مضرع » ، ومقتول .

(٢) الرواية المشهورة : « سيف » ، وهذه الرواية أحسن ؛ لأن النور هو الذي يستضاء به ،

مهتد : مطبوع من حديد الهند .

(٣) أغر : أبيض الوجه بالنور ، أبلج : مشرق الوجه ، يستسقى : يطلب الفيث به من الغمام وهو السحاب ، طلعتَه : أول ما يبدو منه ، القنديل : المراج .

(٤) يروى : « ثقية » ، والمعنى واحد ، زولوا : انتقلوا من مكة إلى المدينة ، والعصبة : أراد به الجماعة لا العدد الذي هو من عشرة إلى أربعين .

(٥) أنكاس ، جمع نكس بكسر النون : الرجل الضعيف المهين ، كشف ، جمع أكشف : الذي لا ترص معه ، ميل جمع أميل : الذي لا سيف معه ، أو الذي لا يحسن الركوب ولا يستقر على المرح ، والمعازيل جمع معزال : الذي لا سلاح معه .

(٦) الزهر : البيض ، بعصمهم : يعنهمهم ، عرد : فزع ، ونكل ، وجبن ، التنايل جمع تنال : القصير .

(٧) العرَّابين : الأنوف ، التسم : حدة في طرف الأنف مع تشهير ، لبوسهم : لباسهم ، نسج : داود : الدروع ، الهيجا : الحرب ، سرايل جمع سرايل : القميص .

(٨) بيض : مجلوة صافية ، سوانغ جمع سانغ : الطويل التام ، شكت : أدخل بعض حلقها في بعض وصموت . ويروى : « سكت » : ضيق ، الفقعاء : شجر لها ورق وثمر مثل حلق الدروع ، مجدول : مفنول .

لِيسُوا مَقَارِيحَ إِنْ نَالَتْ رِمَاحُهُمْ * قَوْمًا وَلِيسُوا بِمَجَازِيعًا إِذَا نِيلُوا^(١)
لَا يَقْعُ الطَّنُّ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ * وَمَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ

قال ابن إسحاق : فلما قال كعب في قصيدته : « إذا عرّدت السود التنايل » ،
وإنما أراد معشر الأنصار ، وخص المهاجرين من قريش بمدحتهم ، غضبت
الأنصار عليه ، فقال بعد ذلك يمتدح الأنصار من قصيدة له :

مَنْ سَرَّهُ كَرَمُ الْحَيَاةِ فَلَا يَزَلْ * فِي مِقْنَبٍ مِنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ^(٢)
وَرِثُوا الْمَكَارِمَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ * إِنَّ الْخِيَارَ هُمْ بَنُو الْأَخْيَارِ^(٣)
الْمُكْرِهِينَ السَّمْهَرِيَّ بِأَذْرِعٍ * كَسَوَالِفِ الْهِنْدِيِّ غَيْرِ قِصَارِ^(٤)
وَالنَّاطِرِينَ بَأَعْيُنٍ مُجْمَرَةٍ * كَالْبَحْرِ غَيْرِ كَلْبَالَةِ الْإِنْصَارِ^(٥)
وَالْبَائِعِينَ نَفُوسَهُمْ لِنَبِيٍّ هُمْ * لَلْوَيْ يَوْمَ تَعَانَقُوا وَكَرَارِ^(٦)
يَتَطَهَّرُونَ بِرَوْنِهِ تُسْكَاهُمْ * بِدَمَاءٍ مَنْ عَلِقُوا مِنَ الْكُفَّارِ^(٧)
دَبَرُوا كَمَا دَبَرَتْ بَطْنِ حَفِيَّةٍ * غُلِبَ الرِّقَابُ مِنَ الْأَسُودِ ضَوَارِي^(٨)
وَإِذَا حَلَّتْ لِيَمْنَعُوكَ إِلَيْهِمْ * أَصْبَحَتْ عِنْدَ مَعَاوِلِ الْأَغْفَارِ

(١) تهليل : هروب من الحرب . (٢) المِقْنَب : ألف وأقل ، قاله أبو عمرو . وقال

الأصمعي : هم الجماعة من الفوادر نحو الثلاثين أكثر وأقل ، واحتج أبو عمرو بقول الجعدي : « بألف
يكتب أو يقنب » . يكتب : يجمع . (٣) رواية الديوان « الكرام » .

(٤) كذا في الأصل : وعبرة الديوان رواية السكري « كصواقل » وفي رواية « كسوافل » .

(٥) كذا في الأصل وابن هشام . ورواية ابن سلام « يوم الهياج وسطوة الجبار » وفي الأغاني

« عند الهياج وسطوة الجبار » وفي ابن الأثير :

والباذلين نفوسهم ودماءهم * يوم الهياج وسطوة الجبار

(٦) رواية الديوان : * يتطهرون كأنه نسك لهم * (٧) خفية : موضع كثير الأسد .

(٨) في الديوان « نزلت » . والأغفار : أولاد الأروى ، واحدا غفر بضم فسكون ، والأروى أنثى الوعل .

ضَرَبُوا عَلَيَّ يَوْمَ يَذِرُ ضَرْبَةً * دَانَتْ لَوْفَعَتِهَا جَمِيعُ نِزَارِ^(١)
لَوْ تَعْلَمُ الْأَقْسَامُ عَلَيَّ كُلَّهُ * فِيهِمْ لَصَدَّقَنِي الَّذِينَ أُمَارِي^(٢)
قَوْمٌ إِذَا خَوَتْ النُّجُومُ فَلَانَهُمْ * لِلطَّارِقِينَ النَّازِلِينَ مَقَارِي^(٣)

قال ابن هشام : ويقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين أنشد
« بانت سعاد قلبي اليوم متبول » : « لولا ذكرت الأنصار بخير ، فإن الأنصار
لذلك أهل » .

ذكر حج أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالناس

وأذان على رضي الله عنه بسورة براءة

قال : وفي ذي القعدة سنة تسع من الهجرة ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
أبا بكر الصديق رضي الله عنه أميرا على الحاج ليقم للمسلمين حجهم ، والناس من
أهل الشرك على منازلهم من حجهم ، فخرج أبو بكر رضي الله عنه ومن معه من المسلمين ،
ثم نزلت سورة براءة في نقض ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين
من العهد الذي كانوا عليه فيما بينهم وبينه ، ألا يصد عن البيت أحد جاءه
ولا يخاف أحد في الشهر الحرام ، وكان عهدا عاما بينه وبين الناس من أهل
الشرك ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب رضي الله عنه فقال :
« أخرج بهذه القصبة من صدر براءة ، فأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمعي »

(١) على : قالوا هو على بن بكر بن وائل . ويقال : على أخو عبد مائة بن كنانة بن خزيمة من
أمة . (شرح ديوان كعب السكري) . وفي هامش الأصل : « على هذا الذي ذكره ، هو على بن أمية
ابن خلف » .

(٢) المقاري : الذين يقرؤون الضيف . ويروي في الديوان :

وهم إذا خوت النجوم فلأنهم * للطارقين السائرين مقاري

- أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يخرج بعد العام مُشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته «نُفِرَجَ عَلَى»
 ابن أبي طالب رضى الله عنه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العُضْبَاءُ حتى أدرك أبا بكر الصديق رضى الله عنه بالطريق، فلما رآه أبو بكر رضى الله عنه قال :
 أمير أو مأمور؟ قال : بل مأمور، ثم مضيا، فأقام أبو بكر رضى الله عنه للناس
 حجهم، وذلك في ذى القعدة، حتى إذا كان يوم النحر قام على بن أبي طالب
 رضى الله عنه، فأذن في الناس بما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال :
 «أيها الناس، إنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يخرج بعد العام مُشرك، ولا يطوف بالبيت
 عُريان، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته»
 وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ليرجع كل قوم إلى مآمنهم وبلادهم،
 ثم لا عهد لمُشرك ولا ذمة إلا أحد كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد
 إلى مدة فهو له إلى مدته، فلم يخرج بعد ذلك العام مُشرك، ولم يطف بالبيت
 عُريان، ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حوادث السنة العاشرة

- فيها كانت حجة الوداع، سنذكرها إن شاء الله تعالى في حج رسول الله صلى الله
 عليه وسلم . وفيها نزل في يوم الجمعة قوله عز وجل : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ
 وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾^(١) . وفيها نزلت : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْمَسَاجِدِ وَالْمَسَاجِدِ لَكُمْ دِينًا ﴾^(٢) .

(٢) سورة المائدة ٣

(١) في ابن هشام : « أو بلادهم » .

(٣) سورة النور ٥٨

الآية . وكانوا لا يفعلونه قبل ذلك . وفيها مات إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول . وفي كل سنة من هذه السنين العشر غزوات ومرايا ووقائع تُذكر إن شاء الله تعالى في مواضعها ؛ والله المستعان الهادي .

(١/١) (١/٢) (١/٣) (١/٤) (١/٥) (١/٦) (١/٧) (١/٨) (١/٩) (١/١٠)

(١/١١)

صورة ما ورد بآخر الجزء الرابع عشر في الأصل الثاني المرموز له بحرف (١)

« كل الجزء الرابع عشر من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب ؛ للشيخ الإمام شهاب الدين أحمد النويري - رحمه الله تعالى ، على يد كاتبه أضعف الخلق وأحقهم إلى الرحمة ، نور الدين بن شرف الدين العاملي - بلدا ، الشافعي - مذهباً ، غفر الله له ولوالديه ، ولمن يطالعه ويدعوله . آمين » .

+

تم بعون الله تعالى تحقيق الجزء السادس عشر من كتاب « نهاية الأرب في فنون الأدب » من تجزئة طبعة دار الكتب المصرية في يوم الخميس ١٧ من جمادى الثانية سنة ١٣٧٤ هـ الموافق ١٠ من فبراير سنة ١٩٥٥ م .

ويليه الجزء السابع عشر ، وأوله : « ذكر غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

جزوب
معين التاريخ
لأهل التاريخ

فهرس المراجع

- حلية الأولياء، لأبي نعيم، السعادة ١٣٥٧ .
الحماسة بشرح التبريزي
حياة الحيوان للدبري ، البابي الحلبي ١٣٠٥ .
الخبر عن البشر للقرظي ، مخطوطة دار الكتب ٩٤٧ تاريخ .
نزهة الأدب للبغدادى ، بولاق ١٢١٩
خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للقرظي ، بولاق ١٣٠١
خير البشر لابن ظفر ، القاهرة ١٢٨٠
خير البشر ، مخطوطة دار الكتب ١٥ مجاميع
دلائل النبوة لليبي ، مخطوطة دار الكتب المصرية ٢١٢
حديث .
دلائل النبوة لأبي نعيم ، حيدرآباد ١٣٢٠
الروض الأذف للسبيل ، الجالية بمصر ١٣٣٢
السيرة الحلية ، مصر ١٣٢٠
السيرة النبوية لابن هشام ، مصطفى الحلبي ١٣٥٥ ، وجوتنجن
١٨٦٠ م .
شرح السيرة للحنيني ، حنينة ١٣٢٩
شرح الشفاء للحناني = نسيم الرياض .
شرح الشفاء للشمسي = مزبل الحفا .
شرح المواهب اللدنية للزرقاني ، بولاق ١٢٧٨
صفة الصفوة ، حيدرآباد ١٣٥٥
طبقات ابن سعد ، لندن ١٣٢١
طبقات القراء ، السعادة ١٣٥١
عيون الأثر لابن سيد الناس نشره القدسي ١٣٥٦
الكامل في الضعفاء لابن عدي ، مخطوطة ٩٦ مصطلح .
كنوز الحقائق للناوي ، مصر ١٣٠٥
مجمع الأمثال لايداني ، بولاق ١٢٨٤

- الاستيعاب لابن عبد البر ، حيدرآباد ١٣١٨
أسد الغابة في معرفة الصحابة ، الوهية ١٢٨٠
الاشتقاق لابن دريد ، جوتنجن ١٧٥٤ م
الإصابة في تمييز الصحابة ، الشرفية ١٣٢٧
الأصنام لابن الكلبي ، دار الكتب المصرية ١٣٤٣
الأغانى لأبي الفرج الأصفهاني ، بولاق ١٢٨٥
الاكتفا بما تضمنته من مغازي المصطفى ، مخطوطة دار الكتب
٢٤٤٢ حديث .
الإكمال لابن ماكولا ، مخطوطة دار الكتب ٨ مصطلح .
الإنباء على قبائل الرواة لابن عبد البر نشره القدسي ١٣٥٠
الأنساب للسماعى ، لندن ١٩١٢ م .
البداية والنهاية لابن كثير ، السعادة ١٣٥١
تاريخ ابن الأثير ، بولاق ١٢٩٠
تاريخ الخميس للديار بكرى ، الوهية بمصر ١٢٨٣
تاريخ دمشق لابن عساكر ، مخطوط دار الكتب ١٠٤١
تاريخ تيمور .
تاريخ الطبرى ، الحسينية بالقاهرة ١٣٣٦
تاريخ يعقوبى ، التجف ١٣٥٨
تهذيب الأسماء واللغات للنوى ، المنيرية بالقاهرة .
تهذيب التهذيب ، حيدرآباد ١٣٢٧
تهذيب الكمال للزى ، مخطوطة دار الكتب المصرية ٢٥
مصطلح .
التيجان فى ملوك حير ، حيدرآباد ١٣٤٧
نمرات الأوراق لابن جنة ، الوهية ١٣٠٠
الجامع الصغير للسيوطى ، بولاق ١٢٨٦
جمهرة الأنساب لابن حزم ، المعارف ١٩٤٨ م

- المحبر لابن حبيب ، حيدرآباد ١٣٦١
 من ذيل الخفا عن ألفاظ الشفاء للشمس ، مخطوطة دار الكتب
 ٣٧٥ حديث .
- المعارف لابن قتيبة ، الحسينية ١٣٥٣
 معجم البلدان ، السعادة ١٣٢٤
 معجم الطبراني ، مخطوطة دار الكتب ١٣٥٣ حديث .
- المعمرين لأبي حاتم ، السعادة ١٣٢٣
 المقتنى من سيرة المصطفى لسلطان الدين بن حبيب الموصل ،
 مخطوطة دار الكتب ٣٠٩ تاريخ .
- المقدمة الفاضلية ، مخطوطة دار الكتب ١٩ تاريخ .
 الميسر والقдах لابن قتيبة ، السلفية
 نسب قريش ، مخطوط دار الكتب ٤١٥١ تاريخ .
 نسب معد لابن الكلبي ، مخطوطة ٩٩٥٩ تاريخ .
 نسيم الرياض ، الآستانة ١٢٦٧
 النهاية لابن الأثير ، بولاق ١٣١١
 الوافي بالوفيات ، مخطوطة دار الكتب ١٢١٩ تاريخ .
 وفيات الأعيان ، بولاق ١٢٩٩

الخطأ والصواب

ص	ض	الخطأ	الصواب
١٢	٣	طايحة	طابحة
٢	٤	نبت ابن حمل	نبت بن حمل
٧	٤	قينان ابن مهلائيل	قينان بن مهلائيل
٨	٧	أَمَر	أَمَر
٦	١٢	صَلُّهُ	صُلِّهُ
٢٠	١٢	تابع العروس	تاج العروس
٤	١٣	حزيمة	خزيمة
٩	١٣	الحشني	الحشني
٥	٢١	سلول بن كعب	سلول بن كعب
١	٣٨	توأمان	تويمان
١٤	٤٣	تذم	تذم
٢١	٤٧	المسير	الميسر
٦	٤٩	تشر كونهم	تشر كونهم
١٢	٤٩	أنقذن	أنقذن
١٣	٥١	السادن	السادن
١	٥٧	خطبه	خطب
٦	٥٧	القائل آبن سعد ... الخ	القائل آبن عبد البر ١ : ١٢
٨	٦٢	وهب	وهب
١٤	٦٤	الزهرى	الزهرى
١٠	٨٢	قال	قالت
٢١	٨٧	٧٧ : ١	٧٣ : ١

ص	ص	الخطأ	الصواب
٨	٩١	يعترف	يعترف
٧	٩٣	فلاني كنت إذ أنا	فلاني كنت أجتنيه إذ أنا
١١	١٠٢	خبر التحدي	خبر النجدي
٢٠	١٠٧	فاران جبال مكة	فاران مكة
١٢	١١٠	تكذب	تكذب
١٥	١٢٦	اختيارهم	اختيارهم
١١	١٤٠	فاحتفظ	فاحتفظ
٣	١٤٢	فخيملا	فخيملا
٩	١٤٢	بعثم شتم	بعثم إذا شتم
١٠	١٤٤	يقال ابن الهبيان	يقال له ابن الهبيان
٢	١٥٧	النعمان المنذر	النعمان بن المنذر
١٥	١٥٧	قصدها منها بيتا منها	قصدها بيتا منها
٣	١٧٦	ابن جريح	ابن جريح
٢٢	١٨٣	عامر بن طيء	معن بن طيء
١٩	١٩١	يقتل عمار الفئمة الباغية	تقتل عمارا الفئمة الباغية
١٨	١٩٦	علاقة	علاقة
١٨	٢٣٥	فالها في نادي	فالها في نادي
٢٠	٢٣٦	ص ١١٨	ص ٢١٨ ج ٢
٢١	٢٦١	خظم	خطم
٢	٢٦٧	كلذة	كلدة
١٥	٢٧٧	تملكون	يملكون
١٥	٢٨٦	السيرة الحديث له	السيرة له
٢	٢٨٧	قالت فبهت	قال : فبهت
١٥	٢٨٧	عند الوجي، كما فيكون	عند الوجي، فيكون



بِعون الله وجمیل توفيقه قد تم طبع الجزء السادس عشر من كتاب
”نهاية الأرب في فنون الأدب“ بمطبعة دار الكتب المصرية في شهر شعبان
سنة ١٣٧٤ هـ (مارس سنة ١٩٥٥ م)

محمود عثمان الرزاز

مراقب المطبعة بدار الكتب المصرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ٢٠١/١٩٤٩/٢٠٠٠)